

تاريخ الأئمة الهادويين في اليمن

الفكر والتطبيق

أحمد محمد علي الحاضري

إهداء ٢٠١٢
الاستاذ احمد محمد على الحاضرى
اليمن

الأئمة الهاديون

في اليمن

٢٨٤ هـ إلى ١٣٨٢ هـ

الفكر والتطبيق

تاريخ الإصدار ٢٠٠٣ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إلى القارئ مع التحية :-

إن الكتابة عن الماضي يجب أن تفسر ظواهره وتعلل وقائعه ومدى امتداده إلى اليوم وأثره عليه ومهما كان موقف الكاتب من الأحداث فإنه لا يخلقها وإنما يتبناها ويستنبط منها العبر بقياس بعضها ببعض لاستنباط الحلول والمعالجات لما هو قائم وما سيأتي وتكمن الصعوبة عند إعطاء مبررات دينية لأحداث التاريخ والمشخصين لأدواره

"إن الماضي الذي يعتصم بجلال القدم والصمت ، تنتسب إليه من الرهبة والخرافات ما يجعله شديد السيطرة ، وبالكتابة عن الماضي تتجلى حقائقه كتاريخ كان حياة أو حياة آلت إلى تاريخ"^(١)

"ولا غرابة في تحكم الاستبداد على الحقائق في أفكار البسطاء ، إنما الغريب إغفاله كثيراً من العقلاء ، ومنهم جمهور المؤرخين الذين يسمون الفاتحين الغالبين بالرجال العظام ، وينظرون إليهم نظر الإجلال والاحترام بمجرد أنهم كانوا أكثروا في قتل الإنسان ، وأسرفوا في تخريب العمران .

ومن هذا القبيل فالغرابة إعلاء المؤرخين قدر من جاروا المستبدين ، وحازوا القبول والرجاحة عند الظالمين ، وكذلك افتخار الأخلاف بأسلافهم المجرمين الذين كانوا هؤلاء الأعوان الأشرار"^(٢) . ولهذا وجدنا من عارض صدق ووضوح ما كان بين طيات كتابنا هذا نابهاً من التعصب المذهبي أو السلافي. لكن منهجنا أعتمد على قياس الأحداث بثوابت الشريعة السمحاء

داعين المولى عز وجل أن يرينا الحق حقاً ، ويرزقنا أتباعه .

احمد محمد علي الجسمي الحاضري

(١)- اليمن الجمهوري - عبد الله الرديني

(٢)- طبائع الاستبداد - عبد الرحمن الكواكبي

شكر وتقدير

لا يشكر الله من لا يشكر الناس

وإن أحق الشكر والتقدير أفلاذ الأكياد طالما قدموا خدماتهم للآباء والأمهات .

فلهم الشكر والمحمدة والثناء العريض المستطاب والدعاء المستجاب .

وأخص بالشكر أبنيتي أحياها الله طيبة وأكرمها بالسعادة في الدارين وزيادة ، التي قامت بالطباعة و الإخراج والمراجعة مراراً وتكراراً ، وبذلت جهداً شاقاً وعسيراً .

ولا يفوتني أن أزجي الشكر والامتنان للمعلم بالتقدير والإكبار إلى أخوتي وأصدقائي الذين كان لهم الأسهام في تشجيعي لكتابة هذا البحث ، وإمدادي ببعض المراجع وإثراء فكرته وموضوعه ، إذ لهم جزيل الثناء ومحمود الذكر وفي مقدمتهم الشيخ/ حمير عبد الله بن حسين الأحمر الذي كان له الفضل بعد الله في إخراج هذا الكتاب .

وهم الأساتذة :-

- | | |
|----------------------------|---------------------------------|
| - أ. طه حسين الهمداني | - أ. عبد الله سنبل . |
| - أ. علي حميد شرف | - د. خالد الكروياتي |
| - أ. مجيبي عبد الله دويد | - أ. مقبل حيدره |
| - عميد/ طه عبد الله هاجر | - أ. هائل الغابري |
| - أ. احمد ضيف الله العواضي | - أ. عبد الله محمد أحمد الحاضري |
| - أ. محمد عبد الوهاب جعمان | - أ. احمد النويرة |
| - أ. عبد الله الجوري | - أ. حسين السوادي |
| - أ. حارث الشوكاني | - أ. باكر علي باكر |
| - أ. ياسر العواضي | - أ. زياد أبو الرجال |
| - أ. احمد القيز | - أ. محمد حمود السريحي |
| - كمال الصنعاني | - أ. محمد الصبري |
| - د. مرهب الأسد | - محمد فيصل البيهقي |
| - أ. مجيبي الهمداني | - د. نجيب العوج |
| - أ. احمد الوزير | - د. خالد الأكوع |
| - أ. حسن الحكيمي | - د. مجيبي المطهر |
| - أ. عبد الغني الغزي | - د. محمد المنصوب |
| - د. خالد جبار الله | |

الفصل الأول

توصيف البحث من حيث منهجه وأهميته ومحتواه و مقدمة .

- مشكلة البحث
- أهمية البحث
- فروض البحث..
- منهج الدراسة
- مصادر جمع المعلومات.
- أساليب تحليل البيانات
- حدود البحث.
- الإطار الموضوعي للبحث
- تقسيم الدراسة..
- المقدمة.

أولا / مشكلة البحث:-

تسعى هذه الدراسة إلى رصد وتحليل وتفسير أثر التأصيل المذهبي للتمييز الطائفي في استحقاق الإمامة أو الخلافة ومن بعده التمييز السلالي في استحقاق الإمامة وذلك عن طريق استكشاف العلاقة بين التمييز السلالي والفن والحروب وبين التمييز السلالي والفن والحروب وبين التمييز السلالي وجمود تطور الفكر السياسي وبالتالي النظام السياسي.

وكذلك استكشاف العلاقة بين

التمييز السلالي في استحقاق السلطة وبين القضاء على الخلافة الإسلامية وبينها وبين اشتعال الفن في اليمن والقضاء على أي دولة مركزية .

وعليه فالمشكلة البحثية تتمثل في تحديد:-

- رصد مظاهر التأصيل المذهبي للتمييز الطائفي والسلالي .
 - ومقارنة أطر الفكر والمعتقدات للمذاهب المؤصلة للتمييز الطائفي والسلالي .
 - توضيح حدود الاستمرار والتغير لفتنة التمييز الطائفي والسلالي عبر العصور .
- دراسة الظاهرة كأي نموذج في اليمن .

ثانيا / أهمية البحث:-

تكمن أهمية موضوع البحث من كون ظاهرة التمييز الطائفي أو السلالي إحدى معيقات التطور الإنساني عبر التاريخ والتمييز في استحقاق السلطة في طائفة أو سلالة اخطر لأنه نبع للظلم والظالمين يتدفق منه الاستبداد وكبت للحريات في أغلب مراحل التاريخ الإنساني.

ولأن التأصيل المذهبي للاستحقاق الطائفي أو السلالي يجعله حقا إلهياً للحاكم كونه من هذه الطائفة أو تلك السلالات ولما يجعله هذا التأصيل من تبعات ارتبطت به وأهمها انتشار الفكر الهادوي في مسألة الإمامة كثقافة مجتمعية كما سيظهر عند دراسة هذه الظاهرة .

كذلك يعتبر هذا التأصيل أكثر أهمية وخطورة لخروجه على ثوابت الدين الإسلامي المتمثلة في العدل والمساواة والشورى .

ولأن الصراع على السلطة وفقا لما أشاعه المذهبيين من أن استحقاقه تشريع بما أظهره بروايات عن الرسول "ص" وبما أولوه من الآيات حسب مبتغاهم جعل الطامحون في

السلطة يسلكون مسلكهم بروايات وتأويلات تؤيد طموحاتهم وما جرّه ذلك من تحميل آيات القرآن لتأويلات لا تعنيها ومن الدس والتزييف في السنة النبوية وبالتالي في التشريع الإسلامي .

ويعتبر هذا البحث من المباحث (المهجين) أو البيئية التي تقوم على الإثراء المتبادل بين حقول المعرفة حيث يتداخل في إطار علوم الفقه والتاريخ والاجتماع والسياسة وغيرها . أهمية هذا الكتاب في كونه جديدا في موضوعه ، فكل الكتابات السابقة في الموضوع إما أنها مدحت المذاهب أو المتبعين لها أو أنها خافت من مناقشة الحقيقة التي يقوم عليها.

ثالثا / فروض البحث:-

الأول -

بعد استكشافي يقوم على أساس استكشاف طبيعة التميز السلافي ودوره في الانقسام المذهبي داخل الأمة الإسلامية مرورا بعلاقة التميز السلافي في إنشاء الدويلات في أجزاء مختلفة من اليمن الإسلامية ، وما صاحبه من حروب وفتن .

الثاني - بعد تفسيري

ويقوم على أساس تفسير دور التميز الطائفي والسلافي في تخلف اليمن ثقافيا واقتصاديا وسياسيا .

وبالتالي تفسير سبب بقاءه لفترة زادت عن ألف عام.

الثالث-

إن البحث يسعى إلى اختيار صحة الفرضيات الآتية :-

١- إن التميز الطائفي يخالف ثوابت الدين الإسلامي عن العدل والمساواة بين البشر في الدنيا والآخرة.

٢- إن مسألة الخلافة أو نظام الحكم أمر دنيوي قابل للإجتهد والتطور حسب الزمان والمكان ومصلحة الأمة.

٣- إن معيار التمايز بين البشر في الإسلام هو معيار اكتسابي وليس طائفي أو سلافي .

٤- إن نظرية الإمامة المهادوية أدت إلى الحروب والفتن .

٥- أن نظرية الإمامة المهادوية أدت إلى العداء التراكمي بين قبائل شمال اليمن وبينها وبين المناطق الأخرى .

٦- أن الفكر المهادوي أفرز أئمة عزلوا اليمن عن مسيرة التطور الإنساني .

٧- إن مبدأ حرية الاجتهاد الذي تبناه الفكر الهادوي طبق ليحقق للأئمة حرية الاجتهاد في الحكم وتحقيق مصالحه دون قيود فقهية أو فكرية .

رابعاً- منهج الدراسة :-

اعتمد هذا البحث على المنهج التاريخي المقارن ومنهج الجماعة ومفاهيم البنائيه -

الوظيفية.

خامساً-مصادر جمع المعلومات

- مصادر مكتبية

تم الرجوع إلى كامل ما توفر وأتيح من كتابات فقهية وتاريخية واجتماعية وسياسية عن موضوع البحث .

- مصادر ميدانية -

وقد تم استخدام أداة المناقشة الجماعية بعرض أفكار البحث وفروضة على نخب لها حظ كبير من المعرفة التاريخية والفقهية في الجوانب المختلفة لموضوع البحث .

كما قام البحث باستخدام أداة الملاحظة للآثار الثقافية على اليمنيين التي خلفها نظام الحكم الأمامي السلافي وأساليب هذا النظام في جعل التميز السلافي ثقافة مجتمعية.

سادساً - أساليب تحليل البيانات :-

أستخدم البحث أسلوب التحليل الكيفي والكمي معا بشكل تكاملي وفقا للملائمة لما هو متاح من معلومات صحيحة عن الظاهرة موضع التحليل .

سابعاً - حدود البحث :-

* الإطار الزمني:-

رغم معرفتنا الأكيدة للعلاقة العكسية بين اتساع المدى الزمني وصعوبة البحث فكلما قل المدى الزمني للبحث كلما سهل إثراء الظاهرة بالبحث والدراسة وبالتالي سهل تحقيق أهداف البحث .

إلا أننا اضطررنا إلى تحديد هذا المدى الزمني الكبير ابتداء من ٢٨٣ هـ إلى عام ١٣٨٢ هـ للأسباب الآتية:-

- إن تاريخ ٢٨٣ هـ هو التاريخ الذي وصل فيه يحيى بن الحسين الرسي إلى اليمن وهو الذي سار على نهجه من بعده الأئمة وبوصوله كانت بداية الفكر الهادوي وأئمته .

- وتم إختيار عام ١٣٨٢ كنهاية للإطار الزمني لهذا البحث كونه العام الذي انتهت فيه الإمامة الساللية في اليمن بقيام ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢ م .

* الإطار الموضوعي للبحث:-

سيتم التركيز في هذا البحث على دور الفكر الهادي في التأصيل المذهبي .
- للتمييز في استحقاق الإمامة في من هم من البطينين (الحق الإلهي للمصطفين من آل البيت).

- ولمن قام بها ودعا إليها من هم من البطينين
- مبدأ الخروج على الحاكم الظالم (مبدأ الخروج والسيف)
- جواز قيام إمامان في وقت واحد.

وآثر ذلك على أثاره الفتن داخل اليمن بإشعال الحروب بين القبائل وبإثارة فتنه الخروج على دولة الخلافة أو على ولائها أو على الدول التي قامت باليمن .

أو بإثارة الفتن بالصراع بين أبناء هذه السلالة على الإمامة بخروج إمام على الآخر ، وإمام يدعو إلى الحسبة أو بقيام إمامان فأكثر في وقت واحد .

و ما نتج عن ذلك من آثار سياسية واقتصادية واجتماعية على اليمن وعلى الأمة الإسلامية.

- والآثر التبادلي بين النظرية الهادية في الإمامة والطبيعة القبلية
ثامنا - تقسيم الدراسة:-

- الفصل الأول:-

توصيف البحث من حيث منهجه وأهميته ومحتواه و مقدمة .

- الفصل الثاني:-

نظرية الإمامة عند الهاديون .

- الفصل الثالث:-

العوامل التي ساعدت على دخول أئمة وفكر الهادية

- الفصل الرابع:-

عهد الهادي وبداية التأسيس .

- الفصل الخامس:-

صراع الهاديون على الإمامة "أبناء الهادي والقادمون إلى اليمن (ق ٤ - ق ٩هـ)"

- الفصل السادس :-

حروب وفتن الهاديون (ق ٩ هـ - ق ١١ هـ)

- الفصل السابع :-

حروب وفتن الهاديون فيما بينهم (ق ١١ هـ - ق ١٢ هـ)

- الفصل الثامن :-

حروب وفتن الهاديون " (بيع تغز للمصريين وسقوط عدن) (ق ١٢ هـ - ق ١٣ هـ)

الفصل التاسع :

حروب وفتن الهاديون الحكم العثماني الثاني ١٢٨٩ هـ - ١٣٣٦ هـ (ق ١٣ - ق ١٤ هـ) .

المبحث الأول :

استقبال الأئمة للعثمانيين .

المبحث الثاني :

الولاء العثمانيين و أدياء الإمامة .

المبحث الثالث :

الإمام يحيى حميد الدين

الفصل العاشر :

الأئمة الهاديون بعد الانسحاب العثماني

المبحث الأول :

أساليب الإمام يحيى ووسائله

المبحث الثاني :-

الإمام يحيى / شديد على اليمنين رحيم على الغزاة .

المبحث الثالث :-

بداية الثورة السياسية والفكرية .

المبحث الرابع

ثورة ٢٦ سبتمبر

الخاتمة

ثبّت المصادر والمراجع

الفهرس

المقدمة

دخل اليمنيون الإسلام طوعاً وحملوا أغلب رايات نشره ولم يكن لهم ما يتناسب مع ذلك وفقاً لمبدأ العمل والقدرة لتأصيل التميز القرشي في استحقاق الإمامة فكان الرفض وأصبحت اليمن بيعة نائرة فتلقت عنف وجور الأمويين والعباسيين فلم يفلحوا واستخدموا سياسة الاستكفاء (يولى على اليمن والي يكفيهم مشقة حكمها ولا يريدون منه شيء) كانت هذه السياسة إلى بداية القرن الخامس الهجري بعد ذلك أصبحت اليمن شبه مستقلة دون تدخل من دولة الخلافة .

فكانت ملاذاً للخارجين على بغداد أو دمشق فدفعوا القبائل ولم يأت أياً منهم بفكر يجمع حوله اليمنيون فتصارعوا فيما بينهم وتصارعوا مع الزعامات القبلية والإقطاعية ، وتكونت دول تتبع إسمياً دولة الخلافة أو مستقلة إلا أن معانته اليمن من حروب وتمزق وفقر وجهل خلال ما يزيد على ألف عام جعله غير فاعل في الساحة الإسلامية وقليل التأثير بمتغيراتها ومفعولاً به أحياناً .

وما تفرضه علينا قراءة التاريخ من تساؤلات نتلمس أسبابها من خلال منهجية تاريخية للعامل السياسي (المؤصل منزهياً للتمييز السلالي والطائفي في استحقاق الإمامة) الناتج عن الفكر الهادي منذ وصول الهادي إلى اليمن مركزين على الأثر التبادلي لهذا الفكر والعوامل الاجتماعية والجغرافية الاقتصادية بقصد الإجابة على تساؤلات أفرزها التاريخ والواقع وأهمها :-

لماذا لم يحصل اليمنيون على ما يستحقون من رقي وغنى الدول الإسلامية ؟

ولماذا لم نجد باليمن أي نمو أو رقي حضاري عما كان بها قبل الإسلام ؟

ولماذا لم يكن لتعاليم الكتاب والسنة أثر كبير في القضاء على النزعات القبلية والطائفية والتمييز السلالي ؟ في إطار الأخوة الإسلامية والولاء للأمة الأمر الذي أدى إلى عدم استغلال الجموع البشرية الهائلة وقدراتها الحضارية و القتالية في الساحة الإسلامية وخارجها

وبعد انتشار الفكر الهادي في الحكم والإمامة كثقافة مجتمعية برزت التساؤلات الآتية:

لماذا لم تستطع كثير من الثورات إحداث تغيير جذري في مختلف المجالات ؟ ولم تستطع نشر مبادئها وقيمها التغيرية بين أبناء المجتمع وتنتهي تلك القيم مع نهاية القائمين بالتعبيرية؟

وكيف استطاعت تلك التمردات والثورات تغيير النظم الحاكمة للأمة ولم تستطع تغيير الإمامة كثقافة ؟

ولماذا أستمّر تأثير مدعي الإمامة الهاديون على قبائل الشمال بالذات رغم ما عانوه من الأتمة من مآسي ومحن خلال مئات السنين ؟

فبرغم قيام دول على انقاضهم امتدت بعضها لأكثر من قرنين .
ثم نتلمس مسببات ثقافة العداء للأخر .

كل تلك التساؤلات وغيرها حتمت علينا دراسة المجتمع وثقافته من خلال التاريخ السياسي القائم على التأصيل المذهبي .

كون المجتمع اليمني مسلماً ، ونشأ الإسلام وانتشر فيه وبه .

فهل الانحراف عن مسار الدين الخنيف هو الإجابة عن كل تلك التساؤلات وبالذات انحراف الفكر الهادي في مسألة الحق الإلهي في الإمامة لسلالة بذاتها ؟ وما بني عليها من التميز وتأصيل الهادي للصراع من أجلها .

وفقاً لمبدأ من قام بها ودعا إليها ، والصراع بين أبناء هذه السلالة ؟ بناءً على مبدأ الخروج على الحاكم الظالم والتنافس عليها وفقاً للمبدأين السابقين ولجواز قيام إمامان في أن واحد عند الهادية .

فهل الطبيعة القبلية هي التي ساعدت على انتشار وبقاء الفكر الهادي أم الفكر الهادي (نظرية الإمامة) هو الذي ساعد على إبقاء القبلية ونما العداء فيما بينها ؟ .

أم أن توزع أدعياء الإمامة وفقهائهم بين تلك القبائل قد عمل على بث تلك الأفكار بلدمومة كثقافة مجتمعية بين تلك القبائل ساعد على ذلك بشكل رئيسي عدم فطنة القائمين بالتغيير على وجوب إزالة الفكر الهادي من عقول وسلوكيات المجتمع وبالذات ما زرعه المستفيدين من هذا الفكر من عداء بين القبائل اليمنية وبالتالي تأصيل الكيانات القبلية والولاء لها على حساب الاخوة الإسلامية ولهذا يجب أن نتكلم في ذلك ويجب أن يتكلم غيرنا وهذا هو الوقت الذي يجب أن نتكلم فيه

وخلال الإجابة على تلك التساؤلات نبين الطرائق والوسائل التي استخدمت للاستحواذ على السلطة .

إن نظرية الإمامة الهادية كانت نتاجها أظلم من مسيبتها ووسائلها أشجع من غاياتها حيث أنتهي الفاعلون ولم تنتهي أفعالهم ، وتوارثتها الأجيال إن تصحيح العثرات وإبانة

الوهن لا يعتبر تهماً لمذهب ، ولكن جبراً لصدع وتصحيحاً لخطأ ، وعبرة لمعتبر والحق إن تبرير الخطأ - حتى السكوت عنه هو الخطر الدائم ، إذ يشكل التبرير والسكوت - ضمناً - شهادة على حسن التدبّر وحسن القروح.^(١)

ونذكر فيما سيأتي ما نتج عن هذا الفكر من آثار على وحدة الأمة ورفقيها اقتصادياً وسياسياً واجتماعياً محاولين بما وفقنا الله أن نوضح لعقل وقلب كل مسلم وسائل هذه الفتنه ونتائجها للعظة والعبرة فنسوق تسلسل تاريخي لمن أدعى الإمامة منذ ٢٨٥هـ - إلى عام ١٣٧٨هـ - موضحين مدعي الإمامة وعلى من خرج .

ومن خرج عليه لنظهر الصورة بجلاء مؤيده بالحدث ومؤرخة لصراع كل مدعي للإمامة مع الدول والزعامات القائمة وصراع أدياء الإمامة فيما بينهم والأساليب والوسائل التي استخدمها الأئمة في الوصول والسيطرة على الحكم.

(١) الإسلام في اليمن - بقلم البرنيسور ويلفرد مادونلنج في كتاب المسار عند مراجعة المقدمة التاريخية - سبب دخول الفكر الشيعي إلى اليمن.

الفصل الثاني

نظرية الإمامة عند الهاديون^(*)

المبحث الأول :-

- أهمية نظرية الإمامة.

المبحث الثاني :-

- ركائز الإمامة عند الهاديوية.

(*) - نقلًا عن بحثنا بعنوان " الإمامة " الخلافة عمر العصور " - الفصل الرابع المبحث الثاني .

لمعرفة أوفى وأدق لتاريخ الأئمة الهاديون الفكر والتطبيق يجب إلقاء الضوء على الفكر الذي قام عليه حكم الأئمة وانتشر كثقافة مجتمعية وهو الفكر الهادي ومنه بالذات نظرية الإمامة التي كانت الدافع الرئيسي لوجود هذا المذهب الذي أصل التميز السلافي في استحقاق الإمامة تلك النظرية أثرت في كل فروع وأثر الفكر الهادي على المستفيدين وعملوا على بث ذلك الفكر كمنظومة كاملة ترسخ التميز السلافي في استحقاق الإمامة واتخذت لذلك وسائل عدة أهمها قصر التعليم الديني على الفكر الهادي وفقهه و حصر التعليم في سلالتهم وسلالات فقهاءهم وانتشر بمختلف فروع حتى أصبح فكر التميز ثقافة مجتمعية .

المبحث الأول

أهمية نظرية الإمامة

تحتل نظرية الإمامة مكانة هامة عند الهادويون فكراً وممارسة ، فهي عند الهادي الأساس النظري لحياته الخافلة بالعمل الشاق المضني لتحقيق مشروعه الذي يعد بتجسيده وامتدادا لمشروع شيعي لاقى اخفاقات متتالية ، لما يتطلبه تطبيقه .

ولا يمكننا أن نفصل في دعوة سياسية بين الجانب العملي والجانب النظري ، لأن أي موقف نظري يترتب عليه موقف عملي.

وتظهر أهمية مسألة الإمامة في نتاج الهادي الفكري والفقهي لأنها الباعث له ويؤكد ذلك انه في المرحلة التي تولى فيها الإمامة قد جعل الإمامة أحد الأصول الخمسة للعقيدة ، وهذا يعني أنها أصبحت في مكانة تساوي مكانة التوحيد تلك المكانة أقامها ليجتهد الشرط الرئيسي في استحقاقها لمن هم من البطنيين ويتدرج في فكره بذكر أهميتها ثم شروط القيام بها واستحقاقها ووجوب مناصرة الكافة لمن توفرت به تلك الشروط حيث يبدأ بذكر وجوب قيامها فقال ^(١) " إنه لا بد للناس من واليا إمام يصلي بهم ويقيم حدودهم ، ويجبي زكاتهم ويعطيها فقراءهم ، ويعزز ثغورهم، ويأخذ لضعيفهم من قلوبهم " .

وأهم ملامح نظرية الإمامة عند الهادوية هي:-

الإمامة حق إلهي لمن هم من البطنيين.

(١) - كتاب من اعتزال الشرك ، ١٦٨٥ .

(١) الإمامة لديهم ليست بالنص، إذ لا يشترط فيها أن ينص الإمام السابق على الإمام اللاحق، بمعنى أنها ليست وراثية بل تقوم فيمن كان من أولاد فاطمة وفيه شروط الإمامة أي من كان أهلاً لها يجوز لديهم وجود أكثر من أمام واحد في وقت واحد في قطرين مختلفين). وهي حق إلهي لمن هم من البطينين^(٢) وتثبت الإمامة للإمام وتجب له من الأنام فيمن كان من أولئك (أي من البطينين)^(*) فقد حكم الله له بذلك رضي الخلق أم سخطوا وليس تثبت الإمامة بالناس للإمام كما يقول أهل الجهل من الأنام .

لا يجوز عندهم أن يكون الإمام مستوراً إذ لا بد من اختياره من أبناء البطينين ، من قبل أهل الحل والعقد ، ولا يتم اختياره إلا إذ أعلن عن نفسه مبيناً أحقيته للإمامة (من قام بما ودعا إليها)

مبدأ الخروج على الحاكم الظالم (مبدأ الخروج والسيف)

فأدى ذلك الفكر إلى خروج أديعاء الإمامة على دول الخلافة والدول التي قامت باليمن وأدى ذلك الفكر إلى الصراع والتنافس بين أبناء هذه السلالة مما أدى إلى اشتعال الحروب والفتن بين أديعاء الإمامة من تلك السلالة منذ أحفاد الهادي ق ٤هـ إلى صراع الإمام احمد حميد الدين وأخوته ق ١٤هـ .

ويؤكد ذلك ما أصله الإمام الهادي يحيى بن الحسين (٢٤٥ - ٢٩٨هـ) في كتابيه الأحكام والمنتخب .

الذي أتى إلى اليمن و أسس فكراً ومنهجاً خاصاً به لتأسيس دولة له ولسلالته ولم يتسبب إلى فكر الإمام زيد ومبادئه إلا إسمياً حيث يقول الإمام الهادي^(٢) (وتثبت الإمامة للإمام وتجب له من الأنام فيمن كان من أولئك (أي من البطينين) (فقد حكم الله له بذلك رضي الخلق أم سخطوا وليس تثبت الإمامة بالناس للإمام كما يقول أهل الجهل من الأنام)

ورود في كتاب الثلاثين مسألة ص ٢١ تحت عنوان المسألة السابعة ما نصه (الإمام بعد النبي "ص" هو علي).

(١) - مرسمة المذهب والأديان العالمية .

(*) - وقد ذكر معنا من هم من البطينين " أي أبناء الحسن والحسين " وقيل أبناء البطينين هم أبناء الحسين من أم نازية أمة كسرى فارس أي أبناء بيت النبوة وبيت الملك .

(٢) - في المجلد الثاني من كتاب الأحكام ص ٣٦٠ .

وفي ص ٢٢ تحت عنوان المسألة الثامنة ورد ما نصه (أن الإمام بعد علي عليه السلام ابنه الحسن ثم أخوه الحسين عليه وعليهم السلام) .

- وأيضاً تحت عنوان المسألة العاشرة ورد ما نصه (أن الإمام بعد الحسن والحسين عليهما السلام فيمن قام ودعا الخلق إلى طاعة الله وكان من ولد الحسن أو الحسين عليهما السلام) .

ونلاحظ أن تلك الأفكار تخالف فكر الإمام زيد رضي الله عنه حيث يقول (ثم كلنا ذرية رسول الله"ص" من بعدهما ولدا الحسن والحسين ما فينا إمام مفترض طاعته)^(١) .

- إن الهادي بقوله " فقد حكم الله له بذلك رضي الخلق أم سخطوا وليس تثبت الإمامة بالناس للإمام كما يقول أهل الجهل من الأنام ، أنه بهذا الرأي ينفي مبدأ الشورى الذي نص عليه الله عز وجل في القرآن ، وينفي أيضاً البيعة التي يقول أنها لا تثبت للإمام بما فما قيمة البيعة إذا قد حكم الله بالإمامة وما قيمة البيعة إذا رضي الخلق أم سخطوا إنه يؤسس لملك عضود يشابهه ملك بني أمية وبني العباس فما هو يتراجع عن البيعة وكأنها شعار اتخذ لمرحلة .

ثم ينفي البيعة بهذا الرأي فلم يعد لرأي الناس قيمة وعليه فإن الحكم يستحق بنص إلهي تعالى الله عما يقول الهادي علواً كبيراً

ولا شك أن الهادي حمل بعض أفكار الفرق الزيدية السابقة وبعض الفرق غير الزيدية وتحرك على أساس آخر يحده أمل تحقيق إمامة منهم من البطين في الأرض وقد تسربت إليه هذه الأفكار عبر رسائل ثقافية متعددة وهو - شاء أم أبي - سيتأثر بها لأنه أقبل عليها فتزود منها ونلاحظ هذا من خلال رسائله التي يركز فيها على أحقية أبناء فاطمة بالإمامة ويدفع معا رضيهم بالكفر .

ويتضح ذلك مما ذكرناه سابقاً ومن رسالة الإمام الهادي التي جعل لها عنوان (مسألة النبوة والإمامة ويتحدث فيها عن أوصياء الأنبياء ويخص بالذكر علي بن أبي طالب - كرم الله وجهه - باعتباره الوصي ويتحدث عن العلامات التي أستوجب بها أن يكون وصياً)^(٢)

(١) - انظر ما ذكرناه سابقاً (الزيدية) .

(٢) - الرسالة الرابعة من رسائله المعروفة بالمجموعة الفاعرة ص ٤٦ - ٥١ نشرها مكتبة لبنان الكبرى .

وغلب على اتباعه إتباعه في مذهبه في الأصول والفروع. بموجب مقتضى مذهبه ونصوصه التي في كتابي الأحكام والمنتخب .

وأستمر فكر هذا المذهب باليمن لقيام أئمة استفادوا من هذا الفكر فعملوا على نشره في قبائل شمال شمال اليمن مستغلين الطبيعة القبلية واحتكار التعليم في سلالاتهم وسلالات فقهاء ارتبطوا بمصالح مع الأئمة واستوطنوا بين تلك القبائل فيما يسمى (بالمهجر) لبث هذا المذهب حتى وصل هذا الانحراف أن يدعو العامة عند الكوارث (يا هادياه) فأين هم من قول الرحمن (ولا تدعو مع الله أحدا).

المبحث الثاني

ركائز الإمامة عند الهاديوية

ويمكن أن نتقصى ثلاثة دعائم للإمامة في نظر الهادي :-

الأولى : دعامة النسب "التميز السلالي" القائمة على قرابة الدم مع علي بن أبي طالب ، حين يشترط الهادي أن يكون الإمام من أبناء الحسن والحسين .

الثانية : الدعامة النقلية وفيها يورد الهادي الحجج الشيعة التقليدية من آيات قرآنية وأحاديث نبوية.

الثالثة: الدعامة المتعلقة بالمؤهلات الشخصية التي يجب توفرها في من يدعي الإمامة مثل العلم والخروج ، والورع ، والتدين ، وغيرها

وسنحاول تبين الحجج التي أوردتها الهادي في عرضة لقضية الإمامة منذ البداية حتى نصل إلى استخلاص الشروط التي يشترطها في الإمام .

يبدأ الهادي جدله حول الإمامة بطرح نظرية لفهم النبوة وارتباطها بالإمامة منذ القدم ، والى أن يصل إلى إثبات إمامة علي بن أبي طالب باعتبارها حجر الزاوية في دعوته والأساس الذي يستند إليه وهذا ما عليه الأئمة عشرة ، لأنه إذا سقطت أحقية علي بالإمامة سقطت نظريته في الإمامة بالضرورة، وبالتالي سقطت دعوته .

وللتدليل على الجذر التاريخي للإمامة وارتباطها بالنبوة يورد بعض الآيات القرآنية ، وأحياناً جزء من الآية ويؤولها بطريقة تؤيد ما يذهب إليه ، مثل قوله تعالى (وإذا ابتلى إبراهيم ربه بكلمات ، فأمتهن ، قال أي جاعلك للناس إماماً قال ومن ذريتي ؟ قال لا

ينال عهدي الظالمين) (*) ويعني هنا بجماعلك إماماً أي نبياً قُدوةً يتعبك الناس وأنبيا من ذريتك لكن الهادي يؤولها بغير معناها بقولة ، فكانت النبوة والإمامة والوصية والملك في ولد إبراهيم ، وإلى أن بعث الله محمد "ص" فأفضت النبوة إليه ، وختم الله الأنبياء به ، وجعله خاتم النبيين وسيد المرسلين .

ثم يورد قوله تعالى (رَحِمَتُ اللَّهُ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ) (١)

ولا تعني هذه الآية تميز سلالي للهادي وذريته أو لمن هم من البطينين لأن هذه الآية هي قول الملاك لزوجة إبراهيم عليه السلام عندما جاء يبشرها بإسحاق فتعجبت ، فهي تعني لغة وعقلاً إبراهيم عليه السلام وزوجته (٢) والهادي يتر جزء من الآيات ويسردها بتوالي مع آيات وأجزاء من آيات أخرى ليموه بذلك السرد ليصل إلى مبتغاة في التميز السلالي لاستحقاق الإمامة .

وقال (وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ) (٣)

وفسرها الإمام زيد (٤) بخلاف ذلك أي بقاء الحكم في هذه الذرية وفسرها جميع المفسرون بأنها قول " لا إله إلا الله ..."

وقال (أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّنَا مَّا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا) (٥) ويؤولها الهادي بقوله " فكانت النبوة في إبراهيم ، و ثم أفضت إلى إسماعيل ، ثم إلى إسحق ، ثم إلى ابنه يعقوب ، ثم إلى ابنه يوسف ، ثم في بني إسرائيل وبني يعقوب : الأول فالأول ، حتى كان آخرها عيسى ، وهذه الآية تعني الأنبياء وتذكر نعم الله على الأنبياء دون غيرهم وهي واضحة لغة وعقلاً ولكن يستمر في سياقه بقوله " ثم حول الله النبوة إلى محمد خاتم الأنبياء فقال سبحانه (محمد رسول الله) (٦) ولو ذكر الآية كاملة لتضح المعنى جلياً (محمد رسول الله والذين معهم أشداء على الكفار رحماء بينهم) حيث تصف الآية رسول الله ومن معه فمحمد رسول الله حقاً وصدقاً ولا

(*) - البقرة ١٢٤ .

(١) - هود ٧٣ .

(٢) - تفسير الجلالين - العلامة جلال الدين السبكي و جلال الدين السيوطي .

(٣) - الزخرف ، ٢٨ .

(٤) - تفسير الشهيد زيد بن علي المسمى تفسير غريب القرآن - ص

(٥) - النساء ٥٤ .

(٦) - الفتح ، ٢٩ .

تدل على أي تميز لمن بعده ثم يذكر بعد ذلك قوله تعالى (وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا) ^(١). فيآليته أتبع ذلك .

إن الهادي في استدلاله بآية " قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا " ^(٢) وأن الإمامة نبوة كانت في ذرية إبراهيم حتى انتقلت الرسالة "إلى محمد" ص .

هذه مغالطة كبيرة فلم تكن هناك إمامة بمعنى إرث الحكم في ذرية إبراهيم إنما هي بمعنى نبوة ورسالة فالنبوة والرسالة يضعها الله حيث يشاء ولا تورث

فالهادي عندما يربط النبوة بالإمامة فهو إنما أخذ هذا الأمر من الشيعة الأثني عشرية الإمامية حيث يرجعون بالإمامة إلى عهد آدم عليه السلام وأن كل رسول معه إمام حتى بعث محمد "ص" والإمام من بعده علي بن أبي طالب فالهادي يلقح حتى يوصل لنظرية متكاملة في الحق الإلهي في الملك والحكم والتحكيم في رقاب الناس وما أضعف أدلته ولكن الجهلاء لا يفقهون

وبعد أن يربط بين النبوة والإمامة منذ إبراهيم يجعل الاعتراف بإمامة علي جزءاً من الاعتراف بنبوة محمد .

قال : (ثم يجب عليه (المؤمن) أن يعلم أن محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عبد الله ورسوله ، وخيرته من خلقه ، وصفوته من جميع برئته ، خاتم النبيين ، لا نبي بعده ، وأنه قد بلغ الرسالة ، وأدى الأمانة ، ثم قبضه الله حميداً مغفوراً .

ثم يجب عليه أن يعلم أن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب أمير المؤمنين ، ووصي "رسول" رب العالمين ، ووزيره وقاضي دينه ، وأحق الناس بمقام رسول الله ، وأفضل الخلق بعده ، وأعلمهم بما جاء به محمد ، وأقومهم بأمر الله في خلقه) ^(٣).

و نلاحظ هنا أن الهادي يرى أن علياً قد كان أحق الناس بخلافة النبي وهو لذلك يسميه بوصية ، ويحول الوصية إلى نظرية شاملة حينما يتحدث عن أنه قد كان لكل نبي وصي ، وهؤلاء الأوصياء يتمتعون ب" العلم بغامض علم الأنبياء ، والاطلاع على خفي أسرار الرسل لأحاطتهم بما خص الله به أنبياءه ، حتى يوجد عندهم من ذلك مالا يوجد عند غيرهم من أهل دهرهم ، فيستدل بذلك على ما خصهم به أنبيائهم ، وألقي إليهم من مكنون علمها ، وعجائب فوائدها ، مما أوصى الله به إليهم مما لا يوجد أبداً عند غير

(١) - الخضر ، ٧ .

(٢) - البقرة - ١٢٤

(٣) - رسائل العدل والتوحيد ، ٧٤ / ٢ - ٧٤ .

الأوصياء ، من ذلك ما كان يوجد عند وصي موسى وعند وصي عيسى مالا يوجد عند غيرهم من أهل دهرهم ، ومن ذلك ما وجد عند وصي محمد "ص" علي بن أبي طالب منها ما أجاب به عن مسائل الجاثليق ، ومن ذلك ما كان عنده من علم كتاب الجفر ، وما كان عنده من علم ما يكون إلى يوم القيامة ، مما اطلع الله عليه نبيه واطلع نبيه وصيه ، لم يعلمه عن الرسول غيره" (١).

وبهذا يبني المهادي الأحقية السيامية لعلي بن أبي طالب ، ويرر العلاقة بين الدم ووراثته الخلافة عن طريق العلم الخاص الذي يعطيه النبي الوصية ، وإدعاء معرفة الغيب ، وقول المهادي ، بحصر الإمامة في أبناء الحسن والحسين كأنما يقتضي احتكار هذا العلم للتوارث في بعض ذرية علي ، وهي حجة واهية لا تستطيع تسويغ هذا الحصر للإمامة

ويسند المهادي نظرية الوصية بأحاديث تنسب إلى النبي "ص" مثل حديث غدیر خم : (من كنت مولاه فعلي مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه ، وأخذل من أخذله وانصر من نصره)

قالت الشيعة و المولى في اللغة بمعنى أولى فلما قال (فعلي مولاه) بقاء التعقيب علم المراد بقوله (مولى) أنه أحق وأولى فوجب أن يكون راءاً بذلك الإمامة وأنه مفترض الطاعة ونرد على ذلك بالآتي :

أم أن سبب هذا الحديث أنها وقعت خصومة بين علي رضي الله عنه وأسامه بن زيد وأسامه وأبوه زيد هما موالى رسول الله فجاء علي رضي الله عنه إلى رسول الله فقال له (من كنت مولاه فعلي مولاه اللهم وال من والاه وعاد من عاداه) فأنظر إلى سبب الحديث وليس فيه ما يدل على أن الرسول أراد بهذا الحديث إعلان إمامة علي بعده فهذا لم يقل به أحدٌ من الصحابة ولم يحتج به أحد من الصحابة ولم يذكره أحد فعلم أن الرسول لم يرد بذلك الخبر إعلان إمامة علي رضي الله عنه ، ولو كان بما أرادوه لاحتجوا به على خلافة أبا بكر وعمر وعثمان ولعلمه الصحابة

ولا يعقل أن السابقين من المهاجرين والأنصار يعلمون أمراً أو نهيّاً لرسول الله ولا يعملون به أو يسكتوا عنه .

(١) - المهادي ، مسألة النبوة والإمامة ، عنطوط (ضمن جمعة) ، ق ٨٠ - ٨٢.

(ب) أنه ليس بمتواتر وقد اختلف في صحته وقد طعن فيه أبو داود وأبو حاتم الرازي واستدلوا على بطلانه بأن النبي "ص" قال:-
(مزينة وجهينه وغضار واسلم موالي دون الناس كلهم ليس لهم مولى دون الله ورسوله).

قالوا : فلو كان قد قال : من كنت مولاه فعلي مولاه " فأن أحد الخبرين كذباً^(١) .
(ج) ولو افترضنا أن الخبر صحيحاً رواه ثقة عن ثقة فليس فيه ما يدل على إمامته وإنما يدل على فضيلته وذلك أن المولى بمعنى الوالي فيكون معنى الحديث (من كنت وليه فعلي وليه) .

قال تعالى (فأن الله مولاه) أي وليه وكان المقصود من الخبر أن يعلم الناس أن ظاهر علي كباطنه وتلك فضيلة عظيمة لعلي رضي الله عنه.

وقوله : (علي مني بمثلة هارون من موسى ، إلا انه لا نبي بعدي) ومثلة هارون معروفة وهو انه كان مشاركاً لموسى عليه السلام في النبوة ولم يكن ذلك لعلي ، وكان أحماً له ولم يكن ذلك لعلي ، وكان خليفة ، فعلم أن المراد بهذا الحديث هو الخلافة .
هذه هي حجتهم بأحقية الإمام علي في الخلافة من هذا الحديث .

أن رسول الله لم يرد بهذا الحديث الخلافة من بعده لعلي وذلك لأن هارون مات قبل موسى عليه السلام كما هو معروف .

أما الخليفة الذي خلف موسى على بني إسرائيل فهو يشوع بن نون فلو أراد الرسول الخلافة لعلي لقال له (أنت مني بمثلة يشوع بن نون من موسى) فلما لم يقل هذا دل على أن الرسول لم يرد الخلافة ولا عنها ولا قصدها ..

(أ) أما سبب الحديث فهو عندما خرج الرسول إلى غزوة تبوك استخلف علياً على المدينة على أهله وقومه ، فأرحف به أهل النفاق وقالوا إنما خلفه بغضاً له فخرج علي فلحق الرسول "ص" وقال له : إن المنافقين قالوا كذا وكذا ، فقال الرسول كذبوا بل خلفتكم كما خلف موسى هارون وقال (أما ترضى أن تكون مني بمثلة هارون من موسى).

(١)- وردت هذه الردود في كتاب النفوس الجامع لأحكام القرآن للقرطبي .

ولقد استخلف النبي على المدينة في كل غزوة كان يغزوها أحد الصحابة منهم ابن أم مكتوم ، ومحمد بن مسلمة وغيرهما فلم يقل أحد أنه عندما استخلف هؤلاء أراد لهم الخلافة من بعده .

فلماذا عندما استخلف علياً قالت الشيعة أن الرسول أراد بذلك الخلافة والإمامة .

ب) الرسول "ص" أوتي جوامع الكلم لو أراد أن يكون علياً خليفة من بعده لقال بصريح اللسان أن علياً هو الخليفة من بعده وأنها في أبنائه إلى أن تقوم الساعة لا ينازعهم إلا ظالم .

كما قال لبي شبيه عندما أعطاهم مفاتيح الكعبة:-

(يا بني شبيه خذوها خالدة تالده لا يزعها منكم إلا ظالم)

ولا زالت إلى اليوم مفاتيح الكعبة في أيدي أبناء بني شبيه والله أعلى وأعلم .

وقوله: (أنت قاضي ديني ، ومنجز وعدي) (١) ، وقوله: (أني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا ، كتاب الله وعترتي أهل بيتي ، أن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض) .

وهذا فقد حل هؤلاء محل سنة الرسول "ص" إضافة إلى أن معنى أهل البيت قد وردت في القرآن بمعنى يخالف ما أرادوه .

أما ما يذكر المهادي ، ما كان عند علي من علم كتاب الجفر فهو كتاب منسوب إليه من قبل الأئمة عشرية ويقولون فيه أن الرسول "ص" خصه بعلم الغيب لا يعلمه إلا علي بن أبي طالب وقد جاء في السنة النبوية .

" سئل الإمام علي : هل خصكم رسول الله بشيء ؟

فقال الإمام علي : لا والله ما خصنا بشيء إلا من ما يؤتيه الله في كتابه وما في هذه الصحيفة ، وكان في الصحيفة آية العقل ، وأن لا يقتل مسلم بكافر "

كما أورد المهادي أحاديث أخرى من تلك الأحاديث التي باتت تشكل حججاً تقليدية يحتج بها الشيعة ، وتدور كلها على تأييد دعاوى الأحزاب الشيعية في أحقية علي وذريته في الإمامة .

(١)- كتاب الاصول في الدين ، ١ ، ١٠٤ / نقلاً عن كتاب - معزلة اليمن - علي محمد زيد

وسيتم مناقشة حجج المهادي والرد عليها ، ونبين ما فيها من صحة أو تلفيق ، إلا انه يمكن إيراد ملاحظتين أوليتين ضرورتين في هذا المجال :-

الأولى:-

أن المهادي حين يستشهد بآيات القرآن الكريم لإثبات نظريته السياسية يفرض على الآيات تفسيرات قسرية بحيث يفصلها عن السياق الذي وردت فيه ، وعن أسباب التزلزل ، ويؤولها بطريقة منافية للعقل ، وبالرجوع إلى جميع التفاسير نجد انها لاتعطي المعنى الذي أراده المهادي لا في معنى الآية منفردة ولا في السياق أي انه يناقض منهجه العقلي الذي اتبعه في جدله مع المجبرة والمرجئة وغيرهما (١) ، وابرز دليل على ذلك تفسيره للآية القائلة : (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) (٢) * التي جعلها مبرراً للتميز السلافي في استحقاق الإمامة بقوله أن ورثة الكتاب هم محمد وعلي ، والحسن والحسين ، ومن ولده من الأخير (٣).

الثانية:-

أخذة براوية شيعية خاصة للحديث القائل (أي تارك ما أن تمسكتم به لن تضلوا من بعدى أبدا : كتاب الله وعترتي أهل بيتي) ، بينما جمهور السنة يروي هذا الحديث رواية أخرى تقول : " أي تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا من بعدى أبدا ، كتاب الله وسنتي " ، وهذا يعني أن أحدا الروايتين باطلة ، ولا نستطيع أن نجزم أن رواية غير الشيعة هي الباطلة دون غيرها ، كما أن المهادي يأخذ بأحاديث اقل توثيقا من هذا الحديث ، مع أنه متكلم ، يستخدم العقل في تمحيص المسائل المختلفة .

(١) - وهو ما أوضحناه عند الحديث عن منهج المهادي في كتابنا الإمامة الخلافة .

(٢) - قاطر ٢٢ .

(٣) - رسائل العدل والتوحيد ، ٧٤ / ٢ - ٧٩ .

وبناء على هذا التفسير للآيات القرآنية ، وعلى هذه الأحاديث الشيعية يكفر الهادي الخليفة الأول أبا بكر، ويتهمه بالكذب على الرسول في الحديث الذي يقول "نحن معاصر الأنبياء لا نورث ، ما تركناه صدقة) وهذا الحديث الذي اعتمده أبو بكر في أخذ "فدك" وهي ارض كان الرسول قد أخذها لنفسه عند دخوله خيبر فأعتبرها أبو بكر حقا عاما ، ومنع فاطمة من وراثتها^(*)، ويجعل الخليفة الثاني عمر بن الخطاب مخالفاً لأنه قال في الستة الذين جعل الشورى فيهم عند موته وقد أوضحنا ذلك في كتاب الإمامة الخلافة .

وبعد أن يثبت الهادي إمامة علي بن أبي طالب ، وأحققته بالمقام في مقام النبي عقب موته عن طريق الوصية الظاهرة في الأحاديث التي أوردها ، جعل الإمامة بعده في ابنه الحسن والحسين ، لا بالوصية من أبيهما كما تقول بعض فرق الشيعة الأخرى ، ولكن عن طريق ما يمكن تسميته وصية نبوية غير ظاهرة .

فهو يورد فيهما حديثين أحدهما يقول (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وأبوهما خير منهما)^(١) والحديث الآخر يقول : (هما إمامان ، قاما أو قعدا) ، ويبدوا الحديث الأخير كما لو كان قد جاء ليرد على الذين انتقصوا من حق الحسن لأنه سلم أمر الخلافة إلى معاوية بدون مقاومة مع أن الكثير من المحاربين كانوا لا يزالون مقاتلين بين يديه ، مما أثار حفيظة الكثير من أنصار علي ، وعدوه استسلاما غير مقبول... ومع أن الهادي يتحدث عن الوصية إلى علي بلفظها الصريح ، إلا انه عند الحديث عن الحسن والحسين لا يتحدث عنها بلفظ صريح مماثل ، وإن كان يستخدم في حقهما الحجج نفسها التي يستخدمها لإثبات أحقية أبنائهما في الإمامة^(٢) ، لكنه يجعل الإيمان بإمامتهما جزءا من الإيمان حين يقول : " واجبة طاعتها مفترضة ولايتهما"^(٣) .

ويرفض الهادي اتخاذ الإجماع طريقا إلى الإمامة ، لأن إجماع المسلمين في نظرة لم يكن يوما طريقا إلى الإمامة ، (ولإثبات ما يقول) يستعرض الخلافات التي تفجرت يوم السقيفة ، وعدم مبايعة علي وأنصاره لأبي بكر واختلاف المهاجرين والأنصار ، والأوس والخزرج ، ورفض سعد بن عبادة مبايعة أبي بكر ، ويشير إلى أن من حضر السقيفة لم يكن جميع المسلمين في المدينة ، فإذا كان هذا في المدينة فكيف بالمسلمين ، وخاصة الصحابة خارج المدينة .

(*) - معتزلة اليمين (دولة الهادي وفكره - علي محمد زيد

(١) - الأصول في الدين ، ج ١ ، ص ١٠٤ .

(٢) - الأصول في الدين ، نفسه ، رسائل العدل والتوحيد ، نفسه ، تبييت إمامة أمير المؤمنين وتبييت النبوة ، ص ٨٢ .

(٣) - رسائل العدل والتوحيد ، نفسه .

وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من أن الخلافة تقوم ببيعة أغلبية المسلمين ولا تقوم بإجماعهم فأجماع الأمة على أمر بعينه أو شخص واحد أمر مستحيل ولا يقبله العقل .

كما يرفض الاختيار أيضا طريقا إلى الإمامة ، ونحن نرى أن الاختيار هو عملية ترشيح وأما البيعة فأما تتم من عامة المسلمين ، إما بالبيعة مباشرة أو بالسكوت وعدم المعارضة ونرى أن اجتهادات اختيار وبيعة الخلفاء الثلاثة كانت اجتهادا بشريا لم يصل إلى منتهى المثالية ، ولا يعطي مبررا لجلعها في سلالة بذاتها كما يرى الهادي ، وإنما يؤصل بأن أمر اختيار الخليفة من المباحات قابل للتطور ومتغير حسب الزمان والمكان وقائما على الصلاح والكفاءة .

ورفضه عملية الاختيار لأنها في نظره لم تكن يوما طريقا إليها .

بدليل أن الذين اختاروا أبا بكر لم يشكوا كل الجماعة الإسلامية في المدينة، في وقت كان فيه كثير من المسلمين ومن الصحابة في مناطق إسلامية أخرى، كالإمامة والبحرين واليمن ، وبعض من جديد في سرد الخلافات التي دارت يوم السقيفة .

وينفي الإجماع عن خلافة عمر لأن أبا بكر هو الذي اختاره لمنصب الخلافة ، وأمر المسلمين بمبايعته ، وعمر جعلها شورى بين ستة من الصحابة فقط ، ^(١) ونلخص ذلك في الأتي :-

١- أن الذين اختاروا أبا بكر لم يشكوا كل جماعة المسلمين ، لأن الخلافة تقوم بالأغلبية وكانت هذه الأغلبية بعد إعلان أبا بكر خليفة لرسول الله بالمسجد ومبايعة بقية المسلمين لمن تم مبايعته في السقيفة هو تأكيد أخر بأن اختيار الخليفة حق للجميع وأن ما روي من أن مجموعه من الصحابة تأخروا عن البيعة والبعض امتنعوا إنما يؤصل لذوي الألباب حرية الرأي ويوصل قيام الخليفة ببيعة الأغلبية إلى آخره .^(٢)

ويتهى من هذه المحاججه إلى رفض الإجماع والاختيار متمسكا بنظريته القائمة على الوصية الظاهرة في علي ، فكيف يتأتى ذلك بين أناسا قال الله تعالى فيهم { وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ }
التوبة . ١٠

(١)- وقد أوضحنا ذلك في كتابنا (الإمامة الخلافة عبر العصور أمودحاً) في مبحث "الدولة الإسلامية عهد الخلفاء الراشدين"

(٢) - أرجع إلى المصدر السابق "الدولة الإسلامية عهد الخلفاء الراشدين"

وعلى رأسهم الخلفاء الراشدون وهؤلاء يستحيل أن يخفون أمراً أو يسكتون عنه أو يخالفون أمراً أو نمياً لله أو لرسوله ولو تأمل المدعون ببصيرة نافذة لوجدوا هذه الادعاءات غاية في الخطورة لما يترتب عليها من تبعات تؤدي إلى اتهام صحابة الرسول أما بالعصية أو بالمخالفة أو بالسكوت عن أمراً قضى به الرسول (ص)، ويرى الهادي وجود الوصية "غير الظاهرة" من النبي إلى الحسن والحسين ، ثم تبقى في ذريتهما حسب توفر الشروط التي وضعها الهادي للإمام (1)

ولا يمكننا الحديث عن شروط ثابتة للإمامة في أعمال الهادي ، محددة بعدد لا تزيد ولا تنقص ، ولكننا نجد شروطاً معينة تتردد في كل مرة يتحدث فيها عن شروط استحقاق الإمامة .

وهكذا نجد الهادي يتحدث عن الشروط الواجب توفرها في الإمام بطريقة تلقائية لا تدل على أنه قد حدد "شروطاً" ثابتة محددة ، لكننا نجد فيما أوردناه من اقتباسات وفي غيرها ، بعض الشروط التي تتردد دون ترتيب وتصنيف ، سنحاول تبينها لنجعل منها شروطه للإمام ، فالإمام هو :-

١- من أبناء الحسن والحسين .

٢- الداعي (الذي يعلن دعوته بالإمامة على الناس).

٣- الذي يخرج ويشهر السيف ويقاوم الظلمة .

٤- العالم .

٥- الشجاع .

٦- الورع .

٧- المباين للظالمين .

٨- الزاهد .

٩- المساوي بين الرعية .

١٠- السخي .

(١)- تثبت الإمامة ، ق ١٦٣ - ١٦٦ . ففي رسائل العدل والتوحيد نجد يشترط في الإمام : أن يكون " ورعاً تقياً ، صحيحاً تقياً ، وفي أمر الله بجماعته ، وفي حطام الدنيا زاهداً ، وكان فصيهاً لما يحتاج إليه ، عالماً بتضمير ما يريد عليه ، شجاعاً كميلاً ، بذولاً سخياً رؤفاً بالرعية ، متعظفاً عسناً حليماً ، ومساوياً لهم بنفسه ، مشاوراً لهم في أمره ، غير مستأثر عليهم ، ولا حاكم بغير حكم الله فيهم ، قائماً شامراً لنفسه ، رافعاً لرأيه ، مجتهداً ، مفرقاً للدعاة في البلاد ، غير مقصر في تأليف العباد ، عفيفاً للظالمين ، مؤمناً للمؤمنين ، لا يأسمن الفاسقين ولا يأمنونه ، بل يظلمهم ويظلمونه وقد باينهم وبانبره ، وناصبهم وناصبوه ، فهم له مخالفون ، وعلى كرهه جاهلدين ، يخفون النورال ، ويدعو إلى جهادهم القبال ، منتشردا عنهم ، مخالفاً منهم ، لا يردعه عن أمور الله ولا يمنعه عن الاحتشاد عليهم ككسرة الإرحاف ، شرقي مشرق مجتهد غير مقصر "

ويقع الهادي في تناقض في نظريته لقضية الوراثة في الإمامة ، فهو مثلاً يحاج الرافضيين لإمامة علي بن أبي طالب عقب موت النبي بالقول انه إذا كانت النبوة لاتورث فإن السلطة ، أو ما يسميها الحكومة ، تورث وعلى ذلك فأهل بيت النبي أحق بميراثه من غيرهم^(١)

لكنه حين يأتي إلى الإمامة ينفي أن تنال بالوراثة ، قال: (الإمامة لا تكون في الوراثة)^(٢) وعلى هذا فالوراثة لا تعد شرطاً من شروط الإمام رغم أن الهادي يحصر الإمامة " في موضع مخصوص " كما عرفنا .

وهذا الرفض للوراثة مسألة عملية أكثر منها نظرية ، لأن الشروط التي يشترطها مثل العلم ، والورع ، والزهد ، والشجاعة ، والسخاء ، خصائص يكتسبها الإنسان من مجتمعه ، ولا يرثها من آبائه ، كما أن المهمات التي يفرضها على الإمام مثل الدعوة ، والخروج ، وإشهار السيف ، والقتال ، تقتضي توفر شروط وخصائص في المتصدي لهذا المنصب لا تتوفر أيضاً بالوراثة بل تعمل على التنافس والصراع بين أبناء هذه السلالة .

ومع ذلك يبقى تسامح الهادي في مسألة الوراثة محمداً بحصر الإمامة في أولاد فاطمة ، وإذا كان الهادي يركز في شروطه للإمام على توفر كل مقومات الشخصية القادرة على الوصول إلى الناس والتأثير فيهم وحشدهم للخروج معه ، والقتال تحت قيادته لنشر دعوته ، فانه من الجانب الآخر قد فرض على جميع الناس الجهاد وطاعة الإمام ، ولم يجوز لأحد التخلف أو القعود عن تلبية الدعوة والقتال إلا بأربعة أعذار قاطعة ، حددها بأسمائها وهي : المرض ، والعرج ، والعمى ، والفقر المدقع " فمضى كان على واحدة من هذه الأربعة الخصال جاز له التخلف عن الواحد ذي الجلال ، ومن لم يكن كذلك وجب عليه فرض المهاجرة والقتال " ^(٣) وقال : " أن النفي والمهجرة في سبيل الله واجب على كل من عرفه ، ممن عدم أربعة أشياء ، وكان سالماً منها ، وهي العرج والعمى ، والمرض ، والفقر ، فمن لم يكن من أهل هذه الأربعة الأشياء فالمهجرة عليه والنفي واجبان ، والجهاد والقيام لازمان لا يفكهما عن فرضهما ولا يبرحهما عن واجب أمرهما إلا القيام بهما " ^(٤) .

عندما يحدد الهادي أربعة أسباب كعذر لعدم الخروج للقتال معه ضد المسلمين .

فأله سبحانه يقول في سورة التوبة في جهاد الكافرين :

(١) - كتاب من اعتزل الشك ، ص ١٧٠ .

(٢) - مسألة النبوة والإمامة ، ص ٨١ .

(٣) - دعوة إلى أحمد بن يحيى بن زيد ، ص ١١٤ .

(٤) - مسائل أبي القاسم الرزازي ، ص ١٢٦ .

" فَلَوْلَا تَفَرُّ مِنْ كُلِّ فِرْقَةٍ مَتَّبِعَتْ طَائِفَةٌ لِيَتَفَقَّهُوْا فِي الدِّينِ وَيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٠٦﴾ "

والرسول "ص" قال لأحد شباب المسلمين " ولك أبوان ؟ قال : نعم .

- ففيهما مجاهد ."

وهذا عندما يكون الجهاد فرض كفاية ، فالهادي لا يحدد الجهاد بفرض عين وفرض كفاية لأنه يقود حرب عصابات ضد المسلمين فلا بد أن يخترع أسباب من عنده مبيحة لعدم الخروج حتى يحقق مآربه السياسية في الوصول إلى الحكم .

وهكذا نرى أن اغلب شروط الإمام موقوفة على خدمة قضية الخروج ، ذلك لأن الهادي قد صاغها في وقت كان فيه يعد نفسه لثورة شاملة تكتسح الخلافة العباسية ، ولهذا يبذلوا الورع والعلم والزهد ، مؤهلات أولية تقرب من يريد الخروج إلى الناس وتجعله مقبولاً ، والشجاعة ، والسخاء ، ميزتان ضروريتان لمن يريد أن يجمع الناس من حوله ليخوض بهم ومعهم حرباً طويلة طموحة كتلك التي أراد الهادي أن يشنها ابتداء من اليمن وانتهاء بالاستيلاء على الخلافة العباسية .

وشرط الدعوة ليس سوى الخطوة الأولى التي تلي إعداد كل الترتيبات للخروج فيقدم الإمام نفسه إلى أنصاره ، ويعلن عليهم كتاب دعوته ، كما فعل الهادي عند وصوله إلى صعده، ويرسل نسخاً منها إلى كل المناطق والأشخاص الذين يدعوهم لمبايعته واتباعه .

وبما أن الهادي كان في حاجة إلى المقاتلين من كل مكان في البلاد العربية والإسلامية ، فقد افترض على المسلمين الهجرة من دار الظالمين واللاحق بالإمام حيثما كان ، يسمي المنطقة التي يسيطر عليها الإمام مركز دعوته "دار الحق والمحقين" ^(١) وتطبيقاً لهذا الفرض هاجر كثير من الطيريين إلى الإمام الهادي في صعده وقاتلوا معه في معاركه المختلفة ، وهذا المفهوم للهجرة عند الهادي يختلف عن مفهوم الهجرة عند القاسم الرسي ، فهي عند القاسم هجرة فردية يعتزل فيها المرء مخالطة السلطة وتحسين مفاصلها والاختلاط المعيشي معها ، أي اتخاذ موقف تطهيري ضميري أكثر منه موقفاً عملياً يؤدي إلى حشد الناس في ثورة غايتها تغيير السلطات الظالمة وإزالتها ، أما موقف الهادي من الهجرة فهو موقف سياسي عملي ، يجعلها هجرة تجمع كل الراضين لسلطة الخلافة العباسية في جمهور مقاتل تحت قيادته ، أما هجرة شبيهة بهجرة النبي إلا أنها ليست موجّهة لمحاربة غير المؤمنين

(١)- رسائل العدل والتوحيد ، ٢/ ١٠٥-١٠٦ .

بالرسالة المحمدية ، والاختلاف في موقف كل من القاسم والهادي في النظر إلى الهجرة محكوم بالظرف التاريخي الذي عاشه كلا منهما .

و يشترط في الإمام الدعوة والخروج و كل مستجيب لا بد أن يعلن موقفه بصراحة ، وإذا أكره على اتخاذ مواقف لا تتسجم وقناعته فأن أمامه الهجرة إلى دار الإمام ، ومع ذلك نرى الهادي يبيح شكلا من التصرف يقرب من التقيه ، حيث يقول : ^(١) " و لا تجوز موالة الظالمين لأحد من المؤمنين وموالاتهم فهي مودتهم ومحبتهم أما المداراة للظالمين باللسان والهبة ، والعطية، ورفع المجلس ، والإقبال بالوجه عليهم ، فلا بأس " ليس هذا السلوك سوى شكل من أشكال التقيه ، وربما سمح بهذا التصرف قبل الخروج لا بعده .

و إذا وقف المخالف للإمام موقفا غير محارب للإمام ، أو موقفا (محايدا) ، فإن الهادي يوجب على أنصار الإمام توجيه الضغوط العملية والنفسية المختلفة نحوه ، وجعله في وضع المنبذ المحارب اجتماعيا وتعريضه للمضايقات المختلفة ، مما لا يجد معه بدا من الاستجابة لدعوة الإمام والقتال معه لينجو من هذه الحالة ، أو الهجرة من منطقة سيطرة الإمام إلى مكان آخر يتوفر له حالة من السلامة والاطمئنان المادي والنفسي بالقياس إلى دولة الإمام.

أما مسألة " المهدي المنتظر " فإن الهادي يرى أن "المهدي " هو آخر إمام من أبناء الحسن والحسين قبل انتهاء العالم ^(٢) .

ومع ذلك فإن شرط الهادي في حصر الإمامة لمن قام بها ودعا إليها من البطنين قد جعل مشكلة تحديد الأحق من هذه السلالة مشكلة لأنه إذا كان الخروج طريق الإمامة فإن الأقوى عسكريا هو الذي يستطيع فرض نفسه على الآخرين ، كما حصل في مرات كثيرة فيما بعد ^(٣) ونقطة الضعف في نظرية الهادي بهذا الخصوص هي أنه لم يحدد الطرق التي يمكن بواسطتها ضمان تسليم السلطة إلى من يتمتع بالشروط والأفضلية على غيره من الخارجيين والمطالبين بالإمامة ، وقد قاده التركيز على شروط الخروج وما يقتضيه من توفر أسباب القوة وتحقيق النصر العسكري ، إلى تجاهل المخاطر الجدية على السلطة وعلى المجتمع ، التي يمكن أن يقود إليها خروج أكثر من إمام في زمن واحد وفي مكان واحد

(١) - مسائل الإمام الهادي ، ص ١٠٧ .

(٢) - دعوة الهادي إلى أحد بن يحيى بن زيد ، ص ١١٥ .

(٣) - هناك أمثلة عديدة في تاريخ اليمن فرض فيها الإمام الأقل علما وسعة وأهلية للحكم ، ولكن الأقوى عسكريا ، سلطته على منافسه من بعدون من كبار علماء عصرهم مثل : يحيى بن حمزة (٧٤٧ - / ١٢٤٦) ، أحمد بن يحيى بن المرتضى [١٢٣٦ / ١٢٣٧] .

وخاصة إذا توفرت لهذا المبدأ بيئة قبلية قابلة بطبيعتها للخروج ، فيأتي هذا المبدأ ليعطي المسوغ النظري لانتشار حالة الاضطراب والفوضى السياسية^(١)

سنورد ما جره هذا الفكر من حروب وفتن في كتابنا هذا (الأئمة الهاديون الفكر والتطبيق) ، أبدأ من الفصل الرابع عهد الهادي ٢٨٥هـ إلى نهاية حكم الأئمة بأذن الله ١٣٨٢هـ/١٩٦٢م.

(١) - اقرب مثال إلى عصر الهادي تعاقب حفيليه من ابنه احمد الناصر ٢٢٢/٩٢٣ : يحيى بن احمد بن يحيى الذي تلقب بالنصور ، والقاسم الذي تلقب بالختار ، ما أدى إلى سقوط الدولة التي أسسها الهادي وجر على صعدة الخراب .

الفصل الثالث

العوامل التي ساعدت على انتشار الهادوية في اليمن

- صراع العلويين على السلطة (الخلافة)
- الحب المتأصل في الإنسان اليمني للدين والتدين
- تشيع اليمنيين في الإمام علي كرم الله وجهه
- ظلم وجور أغلب ولاة الأمويين والعباسيين
- شعور اليمنيين بالمعاناة والجور لاستئثار القرشيين بالحكم والقيادة.
- حرمان اليمن من التطور الفكري والثقافي
- تشيع الأبناء ومناصرتهم للعلويين
- بعد اليمن عن مركز الخلافة
- التقلبات المناخية
- الصراع القبلي
- وعورة التضاريس في اليمن
- عدم نشوء أي مدن جديدة باليمن
- تنمية الفكر الهادوي للصراع القبلي
- دور القبيلة في الإسلام
- تعريف القبيلة
- تركيب المجتمع القبلي.

الفصل الثالث .

العوامل التي ساعدت على انتشار المهادوية في اليمن

إن وصول الهادي يحيى بن الحسن الرسى إلى اليمن لم يكن إلا عندما توفرت له الظروف السياسية و الاجتماعية سواء على مستوى الساحة الإسلامية أو اليمنية تلك الظروف كانت البيئة المناسبة لتحقيق الهادى طموحه في أقامه دوله للعوليين فوصل إلى اليمن مستغلا ما ترتب على ظلم وجور العباسيين والأمويين وولاتهم لكثير من الولايات الإسلامية ومتأثرا بالأفكار والمذاهب التي انتشرت وكان العامل الرئيسي لقدم عدة أسر ادعت انتماءها إلى هذه السلالة هو انتشار أفكاره التي توصل لهم التميز في استحقاق الإمامة ولذلك وجد أتباع له

ومن أهم العوامل لانتشار المهادوية في اليمن ما يأتي :-

١- صراع العلويين على السلطة (الخلافة) :-

كان الطموح في نفوس العلويين أولاد علي بن أبي طالب يداعبهم بين فينة وأخرى للوثوب على الخلافة ، ونزوعهم إليها أكثر بكثير من بني عمومته أولاد جعفر بن أبي طالب ومن بني العباس أيضا لأهم يرون إنه سلب عنهم الحق الإلهي في الحكم (الخلافة) وأهم أهلها وأحق بها من هؤلاء وهؤلاء وساعدهم على ذلك تعاطف المسلمين مع ما حصل للإمام الحسين وزيد بن علي رضي الله عنهما عندما استشهد الحسين سنة ٦٢هـ على يد الخليفة يزيد بن معاوية وقتل أتباعه من أهل المدينة في واقعة (الجره) ثم خروج الإمام زيد بن علي رضي الله عنه سنة ١٢٢هـ / ٧٤٠م على الأمويين - وقاتل عامل الأمويين يوسف بن عمر النقيفي في خلافة هشام بن عبد الملك وكانت نهاية خروجه أن قتل بعد ثلاثة أيام من القتال في الكوفة.

فاستغل ذلك التعاطف لنشر الفكر الشيعي النابع مما بنه عبد الله بن سبأ والفكر الساساني الفارسي القائم على أحقيتهم في إرث النبوة والحكم ولذلك استمر صراخهم على الحكم ومنازعة الأمويين ثم العباسيين ولم يفلحوا فشكّلوا خطراً على الأمويين والعباسيين فلاحقهم وقتكوا بهم وكان سبب ذلك ما ظهر من دعاوى العلويين لاستحقاق الخلافة وخوف الأمويين ومن بعدهم العباسيين على ملكهم أو من مشاركة العلويين لهم مما دفع العلويين للجوء إلى اليمن وبعض أقطار الدولة الإسلامية مثل فارس، مصر، المغرب وعملوا على نشر أفكارهم لتحقيق حلمهم في الوصول إلى الحكم .

ومن خرج على العباسيين محمد بن عبد الله ابن الحسن في المدينة وأخوه إبراهيم بن عبد الله في البصرة أيام المنصور العباس ١٤٥هـ / ٧٦٢م وكان مصيرهما القتل.

وكذلك الحسين بن علي الفخري ١٦٩هـ / ٧٨٥م أيام الهادي العباسي.

ثم محمد بن إبراهيم بن إسماعيل في الكوفة سنة ١٩٨هـ - ٧٤٥م في أيام المأمون.

ثم محمد بن محمد بن زيد بن علي سنة ١٩٩هـ - ٨١٥م بالبصرة وانتهى في سجن المأمون^(١).

ملاحقة العباسيين للقاسم بن إبراهيم في عهد المعتصم ٢١٨ - ٢٢٧هـ / ٨٣٨ - ٨٤١م رغم أنه لم يقوم بالخروج وبقي متنقلا في الصحراء ومتخفيا بما وغيرهم من العلويين في فترات زمنية مختلفة، وخرج إلى اليمن دعاه للإسماعيليين هم منصور حوشب وعلي بن الفضل سنة

وخرج في طبرستان الحسن بن زيد ٢٥٠هـ - ٨٦٤م أسس دولة زيدية وحينما قتل تولي بعده أخوه محمد بن زيد ٢٧٢هـ - ٨٥٨م إلى ٢٨٧هـ - ٩٠٠م ولم تعترف الزيدية بما إمامان .

ثم ظهر الهادي يحيى بن الحسين عندما بايعه العلويين من الزيدية في الحجاز سنة ٨٩٣م / ٢٨٠هـ ولقب الهادي إلى الحق وأجه إلى طبرستان فلم يستطع إكمال دعوته فعاد ثم أجه إلى اليمن ٢٨٠هـ ف فشل ثم عاد مرة أخرى إلى اليمن عام ٢٨٤هـ فنجح في إشعال الحروب ونشر فكره القائم على التميز السلالي في الاستحقاق الإلهي لهذه السلالة في الحكم وساعده على ذلك عدة عوامل نذكرها فيما سيأتي ، وانقسم العلويون إلى فرق ومذاهب أهمها " الشيعة والإسماعيلية والهادوية يجمعهم هدف واحد هو السلطة والحكم ومن أجل ذلك أشعلوا الحروب ضد العباسيين وولاهم وفيما بينهم

٢- الحلب المتأصل في الإنسان اليمني والتدين :-

إن من أوائل الأسباب التي أدت إلى انتشار التشيع في اليمن الحب المتأصل، في الإنسان اليمني للتدين والتدين^(٢) و الفطرة السليمة المتمزجة بالعاطفة و النصره للمستضعفين هذه الصفات من أهم ما أدركها مؤسس الفكر الهادي والإسماعيلي إن الأمر لن يتم لهم إلا من حيث تم أول مره ويؤكد ذلك ما قاله ميمون القداح لمنصور حوشب عندما أرسله إلى

(١) - ابن الرضوى - اللبنة والأمل.

(٢) - اليمن الجمهوري - عبد الله البرد ون .

اليمن حيث قال: إن الأمر لا يتم إلا من حيث بدأ أول مره ويعنى بذلك مناصرة الأنصار لرسول (ص) ونشر الدعوة بهم وباليمينين من بعدهم.

٣- تشيع اليمينين في الإمام علي كرم الله وجهه :-

ومن الأسباب التي استفاد منها من أسس الفكر ألها دوى هي حب اليمينين للإمام علي كرم الله وجهه والتشيع فيه والذي بدأ منذ زيارة الإمام علي لليمن ومشاركة اليمينين له في معاركه فقد روت كتب السيرة والتاريخ أن علي كرم الله وجهه قد خرج لليمن مرتين وكانت لمعرفة اليمينين له أثر في التشيع به.

وكان قد لقي استقبالا وحفاوة لم يلقاها خالد بن الوليد عندما خرج لليمن أو غيره من الصحابة فصاحبه كثير من اليمينين مثل حجر بن قيس المدري من أهالي قرية مدر قبيلة أرحب وله عنه روايات وكان من أجل الفقهاء وكان يراجع طاروس^(١) فيما دونه من أحاديث عن الإمام علي وكذلك ناصرة كثير من اليمينين أثناء خلافته ومشاركتهم له في حروبه ضد الخوارج و معاوية فقد روي أن سعيد بن قيس الأرحبي كان سيد همدان أيام (صفين) وكذلك تعاطف اليمينين مع العلويين لما أصابهم من قتل وتشريد من قبل الأمويين والعباسيين وقد زاد التشيع في علي كرم الله وجهه خاصة بعد استشهاد عام ٤٠ هـ ويؤيد ذلك استشارة الحسين لأبن عباس عند خروجه من مكة إلى العراق حيث قال ابن عباس: أرى يا ابن أخي أن تقر في مكة حتى يأتي الناس إليك فإذا لم يكن لك مناص من الخروج فأذهب ومن معك من المقاتلين تاركا أهلك في مكة وإذا أردت أحسن الأمور قصدا فلترحل إلى اليمن حيث شيعة أبيك.

إن حب اليمينين لعلي كرم الله وجهه كان من العوامل التي ساعدت الهادي يحيى بن الحسين علي جمع الأنصار حوله محاولا إقامة دوله باليمن وبالتالي مكنته من بث أفكاره فيما بعد ومما ساعد على ذلك ما شاع من أن عليا كرم الله وجهه قد قال في همدان بمدحهم لشدة بأسهم ونصرتهم له وقتالهم معه ومما روي أنه قال فيهم :-

فوارس من همدان ليسوا بعزل غداة الوغى من شاكر وشبا ومن أرحب الشم المطاعين
بألقن ونهم وأحياء السبيع ويام.

حتى قال :

فلو كنت بوابا على باب جنة لقلت لهمدان أدخلوا بسلام

(١) - كان من أوائل من جمع الحديث عن الرسول (ص)

وقد اختلف في نسبة هذه الأبيات إلى علي كرم الله وجهه.

٤- ظلم وجور أغلب ولاية الأمويين والعباسيين :-

ومن الأسباب التي ساعدت على قدوم المهادي وانتشار فكره ما كان من ظلم وجور الولاة الأمويين والعباسيين وما قاموا به من تعسف وسفك دماء بالإضافة إلى عدم رؤية اليمنيين فيهم القدوة الحسنة المرجوة لطاعتهم ومنها ما كان يفرضه ولاية الأمويين من إجبار الخطباء على لعن علي مثلما كان أيام ولاية محمد بن يوسف الثقفي أخا الحجاج على صنعاء حين أجبر حجر بن قيس أن يلعن عليا فموه بقوله:- إن الأمير محمد بن يوسف أمرني أن العن عليا فالعنوه عليه لعنة الله^(١).

ويؤكد ذلك ما روي أن سوذه بنت عمارة بنت الأشر اليمانية ذهبت إلى معاوية فقالت له:-^(٢) لا تزال تقدم علينا من ينهض بعزك ويسط بسطانك فيحصدنا حصد السنابل ويسومنا الخسيصة ويسألنا الجلييلة هذا ابن أرطاة قدم بلادي وقتل رجالي وأخذ مالي ولولا الطاعة لكان فينا عز ومنعه فأما عزلته فشكرناك وأما لا فعرفناك ، فقال معاوية: إياي تهددين بقومك والله لقد هممت أن أردك إليه علي قتب أشرس فينفذ حكمه فيك.

وجبهم المتأصل للدين والتدين وما صنعه الولاة كان سببا في ثورة اليمنيين على الخلافة القرشبية الأمر الذي جعلهم يأملون في وصول يحيى بن حسين الرسي بديلا عن ظلم وجور الولاة أمثال : معن بن زائدة وما عرف عنه من بشاعة في سفك الدماء وخاصة بجزرة حضر موت وقد لقبه اليمنيون بالجزار.

ونتيجة لمثل هذه الأفعال كان اليمنيون يثورون على الولاة حتى أن أبا جعفر المنصور استدعى قائدة معن بن زائدة وقال له : أريد أن تسمعني أصوات أهل اليمن ولم ينجح معن رغم ما فعل في تحقيق غاية مولاة بل خرج من اليمن فارا ولقي مصرعه على أيدي ينيه ومثل معن هذا يحيى بن موسى الوالي على اليمن أيام المأمون الذي لقبه اليمنيون بالجزار ونتيجة لظلم الولاة لم تكن اليمن مرتبطة بمركز الخلافة إلا اسميا.

وظهر ذلك في القرن الثامن الميلادي أيام الزياديين الذين حكموا اليمن وفقا لسياسة (الاستكفاء) أي أنهم كانوا يحكمون اليمن ولا يرتبطون بمركز الخلافة إلا اسميا.

(١)- مساحد صنعاء - عماد بن احمد الحنري .

(٢)- العقد القرئد - لابن عبد ربه .

٥- شعور اليمنيين بالمعاناة والجور لاستئثار القرشيين بالحكم والقيادة:

كانت ثورة اليمنيين نتيجة لعدم معاملة الأمويين والعباسيين لهم بالتساوي ، وحرمان اليمن من الغنى والرقي الذي شهدته الدولة الإسلامية فلم يكن لها نصيبا من الاهتمام الفكري أو المادي من قبل الأمويين والعباسيين فلم نجد فيما ذكره المؤرخون أي منجزات باليمن تدل على اهتمام الخلفاء العباسيون أو الأمويون باليمن تلك الأوضاع كانت أهم دوافع الثورات اليمنية مثل ثورة الهيصم بن عبد الحميد المنتاب ومثل ثورة قبيلتي عك والأشاعره في تهامة وما حولها في عهد المأمون.

إن ما تركه الأمويون وغذوه من صراع بين القيسية واليمنيين واعتبار اليمنيين قوى عليها أن تحارب وتعاني دون أن تشارك في الحكم انعكس ذلك إلى داخل اليمن فأصبحت اليمن شبه ثائرة على هذا التمييز فكريا وماديا مما دفع بعض رموز الفكر اليمني إلى الدفاع عن الهوية اليمنية بإبراز أصالة ماضي الإنسان اليمني كردة فعل على التمييز الطائفي الذي تبناه الأمويون ابتداء مما رواه معاوية في الأمراء من قريش.

إن ما عاناه اليمنيين من التعالي والاستئثار بالأمر من قبل الأمويين والعباسيين عبر عن ذلك كثير من اليمنيين فكرا وشعرا فيقول ابن معد كرب:

نعطى السوية في طعن له نفذا ولا نساوى إذا تعطى الدنانير
وإن نمت يوم طعن دون سيدهم قالت قريش ألا تلك المقادير

وقد عبر عن هذا الاتجاه بعض العلماء المعاصرين وأحفاد القوى اليمنية التي هاجرت وحرابت في صف الإسلام نتيجة الشعور بالمعاناة والاضطهاد في الأمصار عند استئثار القرشيين بالحكم والقيادة وغنائم الحروب وبالتالي ما تركه الصراع الذي افتعلته وغذته السلطة الأموية بين القيسية واليمانية في نفوس اليمنيين المهاجرين الذين كانوا يضطرون للدفاع عن أنفسهم - كأبي أقرية تعاني الاضطهاد - بالافتخار بماضيها الحضاري مقابل انتقاص القرشيين لهم واعتبارهم قوى مأجورة عليها أن تحارب وتكدر دون المشاركة في الحكم وقد انسحب هذا الشعور نفسه إلى داخل اليمن^(١) فكانت ثورة اليمنيين وعدم خضوعهم.

٦- حرمان اليمن من التطور الفكري والثقافي :-

لم تزدهر الحركة الفكرية والثقافية باليمن مثلما ازدهرت في بغداد والكوفة و البصرة وغيرها نتيجة للأسباب السابقة ولعدم اهتمام دولة الخلافة باليمن أصبحت اليمن بيئة ثائرة ولا تتبع مذهباً معيناً في جميع أرجاء اليمن ، إن مرور قرنين ونصف من الزمن على اليمن في ظل وضع من عدم الاستقرار نتيجة لما سبق جعل اليمن بيئة خصبة لأي مذهب تتلقفه

(١) - مراجعات نقدية حول الثقافة والفكر في اليمن : تأليف محمد بن محمد الشيباني .

بالقبول مهما كانت اتجاهاته وساعد على ذلك الروح القتالية لليمنيين وخاصة في قبائل شمال الشمال التي كانت عاملا في تحقيق أهداف الخارجين على الخلافة الأمر الذي ساعد المهادي على نشر دعوته بين تلك القبائل وبالتالي إقناعهم بمناصرته.

٧- تشيع الأبناء^(١) ومناصرتهم للعلويين :-

يبدو أنه كان للعلويين وأنصارهم بعض الصلات بالأبناء^(٢) منذ وقت مبكر وكان هؤلاء الأبناء رغم قلة عددهم يحتلون مراكز اقتصادية مرموقة لاستحواذهم على أحصص الأراضي في صنعاء وذمار واشتغالهم بالتجارة في عدن وغيرها وعملهم في التعدين في مناجم الذهب والفضة والحديد وكونهم أقلية تمسك بأهم النشاطات الاقتصادية في مناطق وجودهم و هم الذين وصلوا إلى اليمن قبل الإسلام مع سيف بن ذي يزن عند ثورته على الأحباش وقد دخل الإسلام اليمن وحاكم صنعاء من الأبناء وهو باذان فأقره الرسول (ص) على صنعاء وفقا لنهج الإسلام القويم القائم على العدل والمساواة والأخوة الإسلامية وقد مالوا عن الحق بتوارث حكم صنعاء وظهر منهم بعض التعالي فآدى إلى قيام بعض الحروب بينهم وبين السكان ويبدو أن الأبناء قد تأثروا بالتشيع الذي أنتشر ببلاد فارس وأيا كان صحة هذا القول فقد وقفوا مع أول داعيه علوي^(٣) وصل اليمن وخرج بها وهو إبراهيم بن موسى الذي قدم إلى اليمن داعيا لمحمد بن إبراهيم طبا الخارج بالكوفة مع أبي السرايا أيام المأمون سنة ١٩٨هـ / ٨١٤ م وقد كان هذا مهوسا لأنه عمد إلى الإسراف في القتل وسفك الدماء فقتل المقات من الشهابيين والأكليين وبني الحارث بنجران و السليمانيين بعيان والعلويين بريده والكباريين بأثافت بظهر والحواليين ببيت ذخار وبني نافع بالسر و حمير^(٤) أما صعده فقد خفت من سكانها ((ولم يبق إلا جماعه ببيدان)) وهدم سد الخائق ودمر المدينة لذلك سمي هذا الداعية في كتب التاريخ بإبراهيم الجزائر، فجهز العباسيون جيشا أغلبه من اليمنيين بقيادة محمد بن عيسى بن ماهان ف وقعت معركة بين الفريقين هزم على أثرها إبراهيم بن موسى وأسر بقرية جدر من مديرية بني الحارث بمحافظة صنعاء ، وكان طبيعيا أن ينتهي هذا العمل الجنوني إلى هزيمة الجزائر وانتهاء أمره فالجزائر التي أرتكبتها دفعت اليمنيين لقتاله وإخراجه ، وهزيمة الجزائر (انتهت أمور العلوية باليمن) آنذاك لكنه حين جاء كان القتال مندلعا بين بني فطيمه والأكليين

(١) - هم يمتنون من أصل فارسي ويقال لهم يمتنون كانوا بفارس وعادوا مع سيف بن ذي يزن .

(٢) - الأكليل ١ / ٥٣١ المسداني .

(٣) - المغلي الحنظلي الروردي ١ / ٢١٦ للسداني اللاكليل ١٠ / ٤٠٤ ، ١٣١ ، ١٣٣ ، ٨ / ١١٥ ، الأشعري ص ٨١ ، الرزي ، تاريخ صنعاء ص ٢٢٦ .

(٤) - غابة الأمازي / ١ / ١٤٨ - ١٤٩ .

وهما حيان في صعده فدعم بني فطيمة ونكل بالأكليين ولهذا الأمر أهميه كبرى بالنسبة لموضوعنا ، وذلك لأن بني فطيمة هم الذين استدعوا فيما بعد الهادي يحيى بن الحسين إلى صعده ليجعل منها قاعدة لدولته وناصره بحماسه لم تظهرها أي قبيلة أو جماعة عنيه أخرى وهذا لايعني أن الجزائر خلال إقامته القصيرة في اليمن قد جعل من بني فطيمة أنصار أبدين متشيعين للعلويين ولكنه خلق بداية علاقة لعلها استمرت وتوطدت حتى خروج الهادي إلى صعده سنة ٢٨٤ / ٨٩٧^(١)

٨- بعد اليمن عن مركز الخلافة :-

كان للموقع الجغرافي لليمن البعيد عن مركز الخلافة أثر في عدم قدرة الدولة المركزية علي السيطرة عليه وساعد على ذلك فساد الولاة ووعورة الطبيعة الجغرافية وتشتت التجمعات السكانية تلك البيئة كانت مأوى صالحا للعلويين الهاريين من بطش الأمويين والعباسيين ابتداء من بداية القرن الثاني الهجري سنة ١٩٨هـ حيث خرج إلى اليمن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن الحسين بن علي وكان من مساندي دعوة الإمام محمد بن إبراهيم بن طباطبا ، والذي أجتذب بعض القبائل كما سبق وكما خرج إلى اليمن منصور حوشب الذي سعى إلى إقامة دولة إسماعيلية باليمن.

٩- التقلبات المناخية:-

إن التقلبات المناخية وخاصة انخفاض معدل سقوط الأمطار خاصة في شرق وشمال اليمن كان يؤدي إلى مجاعات إذ يعتمد اليمنيون على الزراعة والمرعي كباقي المناطق فإذا قلت الأمطار أو انعدمت أستغل الهادي وأدعياء الإمامة من بعده ذلك الوضع فكان يتم دفع قبيلة أو مجموعته من القبائل لبث دعوتهم منين تلك القبائل بمغامم عند الغزو بها لإخضاع المناطق الأخرى خاصة أن دعوة الخارجين كانت تبدأ في قبائل المناطق قليلة الموارد فتدفع لنشر دعوتهم في المناطق الخصبية ، تلك التقلبات المناخية و ما ينتج عنها ساعدت أدعياء الإمامة على استغلال حاجات تلك القبائل لتحقيق مقاصدها.

١٠- الصراع القبلي :-

كان الصراع بين القبائل السبب الرئيسي في عدم خضوع قبيلة للأخرى أو لزعامة من القبيلة الأخرى وتكونت أحلاف رئيسية بين القبائل عملت على الردع المتبادل ذلك الواقع ساعد على انتشار الفكر الهادي و أنصاره من جانبين:

(١) - معزلة اليمن - علي محمد زيد.

الأول : استغل الهاديون الوضع القائم فالتجئوا إلى قبيلة ودفعوها ضد الأخرى ونشروا أفكارهم وجعلوا للصراع مبرراً مذهبياً فتراكمت العداوات وأصبحت القبائل مهياة لاستخدام إحداهما ضد الأخرى وخاصة في مسألة إحياء الجوانب السلبية للقبيلة والقبيلة على حساب ما قام به الإسلام من استغلال للجوانب الإيجابية للقبيلة والقبيلة كمكون أساسي للمجتمع على أساس المساواة والأخوة الإسلامية والولاء للأمة تحت هدي الإسلام .

الثاني : ربطت زعماء القبائل بمغام سياسية (بإقرارها على المناطق التي تحت يدها و أحيانا يقتطع لهم مناطق أخرى) فعمل هؤلاء على تجميع القبائل ودفعها لقتال القبائل والمناطق الأخرى

خاصة في ظل التركيبة القبلية لشمال اليمن تلك الأسباب ساعدت على انتشار الهاديون بالإضافة إلى تخلي الولاة العباسيون والأمويون عن مسئولياتهم والذي كان نتيجة إهمال الدولة المركزية ولموقع اليمن الجغرافي ولوعورة تضاريسها كل تلك الأسباب جعلت اليمن محط أنظار الخارجين والطامعين إلى الحكم سواء الخوارج أو الشيعة أو الولاة والقادة أو الزعامات القبلية المحلية.

١١ - وعورة التضاريس في اليمن:-

نظرا لطبيعة اليمن الجغرافية وتضاريسها الوعرة المكونة من جبال شاهقة و أودية وشعاب ومناطق ساحليه حارة ومناطق صحراويه قاسية المناخ. تلك الطبيعة كانت بيئة صالحة لحماية الخارجين على الخلافة الأموية والعباسية وساعد على ذلك أيضا وجود المئات من الحصون المعنية السبئية والحمرية التي كانت ملاذا آمنا للإسماعيليين والهاديين بالإضافة إلى أن آلاف القرى هي عبارة عن حصون على قمم الجبال ويؤكد ذلك ما أشار به ميمون القداح على منصور حوشب أن يبدأ دعوته من (عدن لاعة) و عدن لاعة هو حصن منيع في محافظة حجة يقع في أعالي جبال الشاخنة يصعب اقتحامها أو سقوطها وما يؤكد ذلك أن الغالبية العظمى من الأئمة الهاديون ادعوا الإمامة أو الحسبة من حصون منبعا تقع على قمم الجبال الشاخنة ومنها دفعوا القبائل اليمنية لشن الحروب لفرض سيطرتهم وهذه الحصون والجبال الشاخنة هي التي حققت لهم حماية الاستمرارية في البقاء وإثارة الفتن ،فقد خرج الهادي من حصون ببعده وخرج آخرين من حصن ناعط. ومن حصن قوارير وذي مرمر والظاهر ومسور ودعان وهران وغيرها الكثير الكثير ،وقد ذكرنا كثيرا من الحصون ومن خرج منها من الأئمة في ما سيأتي .

ويؤكد مناعة تلك الحصون صمود المطهر في حصن ثلا أمام بارود ومدافع العثمانيين سنين طويلة وعجز العثمانيين عن اقتحامه لاحتواء هذا الحصن اليمني القسم على كل متطلبات الحياة من المنشآت السكنية وخزانات المياه الضخمة والعمورة بأسلوب فني فريد يجعلها تختزن كميات كبيرة من الأمطار وكذلك مخازن الأطعمة المنحوتة في الصخر والمعدة بطريقه تحافظ على الجيوب سنين طويلة بالإضافة إلى المساكن المنحوتة بالصخر، زد على ذلك أسوارها وبوابتها المنبئة و المبنية بطرق هندسية وعسكرية يستحيل اقتحامها وهذا الحصن يقع فوق جبل صخري يرتفع أكثر من ألفين متر فوق سطح البحر ومدخل سلاله من داخل مدينة ثلا وهذه المدينة أيضا محصنه بسور ضخم وبواباتها مبنية بنمط هندسي يصعب اقتحامها.

١٢- عدم نشوء أي مدن جديده باليمن :-

مما ساعد على بقاء وانتشار الفكر الهادوي وأثمه في مناطق صعلة وما حولها هو بقاء المناطق والقبيلية باليمن وعدم اختلاط سكان تلك المناطق بالآخرين الأمر الذي أدى إلى عدم احتكاكهم وتأثرهم بأفكار وثقافات تقف أمام الفكر الهادوي وكان ذلك نتيجة لعدم تأسيس تجمعات سكانية جديدة (مدن) منذ دخول الإسلام اليمن ما عدا مدينة زبيد التي أسسها الزياتي سنة ٢٠٣هـ.

إن تأسيس مدن جديده كان سيؤدي إلى استقرار الناس فيها من مناطق وقبائل مختلفة وسيؤدي بالتالي إلى امتزاج الثقافات والعادات والتقاليد وبالتالي سيؤدي إلى القضاء على الولايات الضيقة للقبيلة أو المنطقة ، وسيؤدي إلى رقي هذا المجتمع وذلك بتأثير من يحملون فكرا وثقافة أعلى على من هم أدنى (تكوين ثقافة مشتركة)

١٣- تنمية الفكر الهادوي للصراع القبلي :-

إن المتبع لمسيرة التاريخ اليمني بعد الإسلام يجد أن أهم عاملين أثرا في تقدم وتخلف المجتمع اليمني وفي حالتي الحرب والسلم هما ما أصله الفكر الهادوي في مسألة التميز السلافي في استحقاق الإمامة وما ترتب عليه من تمايز بين أبناء المجتمع نتيجة لفرض هذا الفكر بالقوة ، والقوة هي القبيلة فمما الفكر الهادوي الطبيعة القبلية واستغل التركيبة القبلية للمجتمع اليمني ولم يعملوا بما جاء به الإسلام المتمثل في إحلال رابطة الولاء للعقيدة محل رابطة الولاء للقبيلة (النسب والدم) وجاء الإسلام بفكرة "الأمة" الإسلامية كشكل

اجتماعي أرقى متجاوز للقبيلة تطورا لا إلغاء^(١) ولكن الفكر الهادي وأئمنه عملا
عكس ذلك فعملوا على إبقاء الولاء للقبيلة والمذهب وتعاملوا مع القبيلة ككيان و لم
يعملوا على دمجها إطار الأمة فظلت الكيانات القبلية بانتشار ذلك الفكر وأئمنه فكلا
العاملين ساعدا على إبقاء ونماء الآخر.

فإذا كانت الطبيعة القبلية هي البيئة الحاضنة للأئمة الهاديون وهي الأرض الخصبة فقد
أستغلها الأئمة لبذر أفكارهم الهادفة إلى ترسيخ مسألة التميز السلافي القائم على أنهم ورثة
النبوة (الحكم والعلم)

تلك الأفكار ما كانت لتنمو وتنتشر إلا بعمل الأئمة على إثارة النزعات القبلية وتأجيج
العداة المتبادل بين القبائل الذي عملوا من أجله وقاموا به .

إن القبيلة كانت الأداة المنفذة لفكر الهادي القائم على التميز السلافي باستحقاق
الإمامة لمن هم من البطين .

و لم تكن القبيلة أداة لتنفيذ ذلك الفكر إلا بعد أن تأصلت العدوات والانقسامات
كثقافة يستحيل معها خضوع تلك القبائل لأي زعيم من إحداهما ، ذلك الناتج حتم قبول
القبائل بحكم أو سلطة أي شخص لا ينتمي إلى إحداهما ، وهذا ما حدث حين نشبت
الحرب بين الفطاميين والاكليين (هما القبيلتين اللتان تسكنان صعدة سنة ٢٨٥) ، تلك
الحرب بين الفصيلين دفعت إحداهما " الفطيميون" إلى استقدام الهادي يحيى ابن الحسين .

تلك الحرب التي أنهكت كلا الطرفين مع عدم رضوخ إحداهما للأخرى ذلك الصراع
كان السبب في القبول بحكم الهادي الذي بذر البذرة الأولى لفكره ومضى الأئمة من بعده
على نفس النهج ، ومثل صعدة كانت بقية مناطق قبائل شمال الشمال فقد كان الصراع
على أشده بين الدعام ابن إبراهيم زعيم بكيل واحمد بن محمد الضحاك زعيم حاشد فنفس
السبب أفرز نفس النتيجة.

فاستمال الهادي الدعام ، وقبل الدعام مناصرة الهادي لكي لا يرضخ للضحاك ومال
الضحاك للهادي كي لا يكون السبق للدعام ، وعمل الهادي على إثناء الكيان والنصرة
القبيلة للردع المتبادل بين القبائل ولاستخدام قبيلة لإخضاع الأخرى حال تمرداها أو
خروجها عليه ولم يعمل على دمجها في كيان واحد وتحت راية واحدة ، وكان يتخذ مبدأ
فرق تسد ..

(١) - راجع: رضوان السيد - الامه والجماعة والسلطة ، مرجع سابق ، ص ١٥٢ ، محمد عماره - معالم المنهج الإسلامي ، مرجع سابق ص

وكان ينمي ذلك بإبقاء نفوذ زعماء القبائل على مناطقهم وبما يبيحه لهم من مغام
يحصلون عليها من القبيلة أو المنطقة المغلوبة ، وإذا كان الهادي لم يستطع أن يخضع تلك
القبائل لحكمه فمرده إلى :

* لم يكن قد تمكن من بث فكره وبالتالي لم يجد رجالا يؤمنون بفكره فأعتمد على
الظهيرين لأن فكره لم يستطع أن يصنع ولأء دائم لغموضه بادئ الأمر ولاستخدام القوة في
فرضه أضف أن نتيجته كانت قتل المسلم للمسلم وتولية الغريب على اليمينيين فأفرزت
تلك الحالة ثورة اليمينيين عامة والقبيلة خاصة .

* عدم قدرة القبيلة أو مجموعة من القبائل الموالية له السيطرة على القبائل الأخرى.

* وجود زعامات يمنية طموحه لحكم هذه البلاد مثل بني يعفر وبني طريف و انتشار
الإسماعيلية بزعامه ابن حوشب (منصور اليمن) وتمركزها في مسور وما حولها

إلا أن ارتكاز دعوة الهادي على أساس ديني في صورة تميز طائفي سلالي قد تطابق مع
الطبيعة القبلية ونماها وأدى استيظانه واتباعه من الطهيرين وغيرهم فيما يسمى (المجر)
ذلك الاستيطان للهادي واتباعه قد مهد لسلالته واتباعهم في السير على خطاه في نشر
فكره السياسي في مسألة الحق الإلهي في الحكم لسلالته وساعده على ذلك أخذه بفق
المذهب السائد (الحنفي) مما أدى إلى عدم استفزاز الناس وأظهر في بادئ الأمر اعتدال
نهجه في الفقه وأصول الدين مقارنة بما قامت عليه الدعوة الإسماعيلية من تشيع وفكر
منحرف عن ثوابت الكتاب والسنة .

وإذا كان بقاء القبيلة باليمن بجانبها السليبي إلى تاريخ قدوم الهادي كان نتيجة لجور
وظلم الولاة الأمويين والعباسيين وحرمان اليمينيين من حقهم في رقي وغنى الدولة الأموية
والدولة العباسية .

وإذا كانت الطبيعة الجغرافية والزرعة الاستقلالية والثورية للقبائل اليمينية سببا في ثورة
اليمينيين فإن الهادي استغل هذا الحال محاولا تحقيق طموحه في تكوين دولة له ولذريته
تحت شعار إعادة حق العلويين في الحكم ، ونشر فكره فيما بعد وبالتالي أدت الطبيعة
القبيلية آلي استمرارية أذعياء الإمامة والخارجين عليهم .

إن ما تأصل من ممارسات سلبية للقبيلة وما سار عليه الأئمة فكرا وعملا كان أهم
عاملين في إشعال الفتنة باليمن لأكثر من ألف عام.

وكان من الواجب على الأئمة الهاديون أن يعملوا وفقا لشرع الله الذي جعل القبيلة
قيمة إيجابية في تنمية ورقى وقوة الأمة على النحو الآتي :-

- دور القبيلة في الإسلام :-

جاء الإسلام مُقراً لتعدد وتنوع الروابط الاجتماعية المختلفة كرابطة (العائلة - العشيرة - القبيلة - القومية - الوطن - المعتقد - اللغة) فعالية الإسلام تقوم على وحدة البشرية وهي وحدة تعترف بتعدد الألسن والشعوب والأقوام .

قال تعالى (وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاجْتِذَافُ الْأَسْتِثْكُمُ وَالْوَاثِكُمْ إِن فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالَمِينَ)^(١) .

وقوله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَاثِلَ لَتَعَارَفُوا إِن أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)^(٢) .

لذا فقد قدم الإسلام مشروعاً توحيدياً شاملاً لهذه الروابط المتعددة باعتبارها جزءاً من كل بحيث ينظم وجودها ودورها ضمن الكل الموحد الذي جاءت به العقيدة الإسلامية^(٣) .

وقد رأى الإسلام عشية نزول الدعوة أن الوضع الاجتماعي السائد في جزيرة العرب وضع فاسد لكن فساده لا يرجع إلى فساد الإطار الاجتماعي القبلي بل إلى فساد الديناميات الداخلية في الوحدة الاجتماعية (القبيلة والعشيرة) أما الوحدة الاجتماعية العصبية فهي عادية أو طبيعية رغم عدم تحقيقها للاندماج الكامل في المركز^(٤) لقد سلك الإسلام في تعامله مع المجتمع العربي "القبلي" وقيمه طريقين متوازنين^(٥) .

الأول/ الإبقاء على الأشكال والتنظيمات الاجتماعية القائمة مع تطوير وتغيير مضامينها فقد أبقى الإسلام على القبيلة ولم يلغى أسسها التنظيمية بل حيد مضمونها الإنطوائي أو الولائي وخرج القبيلة في صياغة تنظيمه جديده مكنها من بعث القوى الكامنة فيها وانتقل بها إلى مستوى حضاري أرقى حيث حافظ على قيمتي التماسك والتضامن مع تقويم الأسس القائمة عليها لتحل رابطة الولاء للعقيدة محل رابطة النسب والدم.

(١) - سورة الروم آية ٢٢ .

(٢) - سورة الحجرات آية ١٣ .

(٣) - منير شفيق - الإسلام في معركة الحضارة (تونس : دارالبراق للنشر ، الطبعة الأولى ١٩٩١) ص ١٠٠ - ١٠٢ - ١٠٣ .

(٤) - وضوان السيد - الأمة والجماعة والسلطة مرجع سابق ، ص ٢٦ .

(٥) - مني أبو الفضل ، مرجع سابق ص ٢٢ - ٢٤ .

الثاني / بلورة أشكال تنظيميه جديده فقد جاء الإسلام بفكرة "الأمة" الإسلامية كشكل اجتماعي أرقى متجاوز للقبيلة تطويراً لا إلغاءً^(١) لأن الأمة كمفهوم يتجاوز القبيلة ويعلر عليها ولكنه لا يلغها إذ ليس من شرط قيام الأمة انتفاء القبيلة فكما تتكون الأمة من المسلمين كأفراد متضامنين فإنه لا شيء يحول دون بقاء هؤلاء الأفراد مرتبطين بـ "القبيلة" كإطار اجتماعي داخلي

ولذا فقد سعى الإسلام إلى إقامة الوحدة بين فئات الأمة وليس دمجاً لهذه الفئات إذابه لها^(٢) ومن ثم حدث تدرج في الانتماءات وارتقاء الولاء إلى مستوى أعلى وأسمى فبعد أن كانت الانتماءات الفردية تتطابق مع الروايات وتنحصر حول محور القبيلة فحسب، أصبح قيام الأمة الإسلامية يمثل تعدداً في الانتماء (من القبيلة) إلى الأمة ، أما الولاء فقد صار خالصاً للأمة المحسدة للأخوة الإسلامية^(٣) فالإسلام لم يسع لتحطيم تلك الروابط. أو إلغائها بل ضبطها وشذها وطور مضمونها بحيث لا تطغى وتستبدل بل تقوم بدور إيجابي في تعزيز الوحدة الإسلامية الشاملة^(٤).

وفيما يتعلق بموقف الإسلام من القيم القبلية يلاحظ انه اقر القيم الإيجابية (التماسك والتلاحم ، المروءة والوفاء ، العفة والشرف ، إكرام الضيف وحماية الضعيف ، الحرية والشجاعة والإباء) بعد أن عدل وطور منها بحيث تغدو منسجمة والقيم الإسلامية وتعمل في إطار الأمة الإسلامية وليس على مستوى القبيلة فحسب فمثلاً قيمتا التماسك والتضامن بعد أن كانتا تحملان في إطار قبلي ضيق طورها الإسلام ووظفها لتفيد الإسلام أمة وعقيدة^(٥) وبالمقابل رفض الإسلام القيم والأعراف القبلية السلبية ودعا إلى إحلال قيمة ومفاهيمه الجديدة مكانها .

ومن الآيات القرآنية والأحاديث النبوية الدالة على هذا الإحلال والرفض للقيم والأعراف القبلية :-

- قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) "سورة الحجرات آية ١٣ .

(١) - راجع : رضوان السيد - الأمة والجماعة والسلطة ، مرجع سابق ، ص ١٥٢ ، محمد عماره - معالم المنهج الإسلامي ، مرجع سابق ص ١٧٧

(١) - رضوان السيد - الأمة والجماعة والسلطة ، مرجع سابق ص ١٥٥ .

(٢) - من ابو الفضل ، مرجع سابق ص ٢٣ .

(٣) - مير شفيق - الإسلام في معركة الحضارة ، مرجع سابق ص ١٠٠ .

(٤) - تال الله تعالى (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ.....) سورة الحجرات من آية ١٠ .

(٥) واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا سورة آل عمران من آية ١٠٣ .

- قال تعالى: (إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ الْحَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) سورة الفتح آية ٢٦ .

- قال تعالى (لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) المجادلة آية ٢٢ .

- قال تعالى (مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا) سورة المائدة من الآية ٣٢ .

ومن أحاديث الرسول "ص":-

- قال رسول الله "ص" (ليس منا من دعا إلى عصبية وليس منا من قاتل على عصبية وليس منا من مات على عصبية) رواه أبو داود .

- وروي أن الرسول (ص) سئل : ما العصبية ؟ فأجاب : " أن تعين قومك على الظلم" رواه أبو داود .

- وقال رسول الله "ص" (أيها الناس إن ربكم واحد ، كلكم لآدم وآدم من تراب لا فضل لعربي على أعجمي ولا لعجمي على عربي ولا لأحمر على أسود ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى) رواه أحمد

ومن ذلك :-

* - رفض العصبية القبلية الضيقة المفارقة وإحلال الولاء الديني محل الولاء القبلي وفكرة الأمة بدلا من القبلية ومن ثم تمحور الولاء والانتماء حول العقيدة لا صلات القرابة والنسب^(١) .

* - منع الأخذ بالثأر وفقا للعرف والقيم القبلية وأوكل مهمة الأخذ به لولي أمر المسلمين،^(٢)

(١) - محمد سليم العوا - في النظام السياسي للدولة الإسلامية (القاهرة : دار الشروق الطبعة الاولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م : ص ٥٥ - ٥٦ ، ٦٨ .

(٢) - جواد علي - مرجع سابق ص ٣٩٨ .

وجعل السلطة بيد الدولة بدلا من الفرد والقبلية في تطبيق القانون وتنفيذ العقوبة.^(١)

*- ابطال مفهوم الغزو وفرض الجهاد للدفاع عن العقيدة وحفظ الأمة التي غدت غير محددة بمحدود بشريه أو أرضيه بل تتفق وانتشار الإسلام^(٢) أيد نصرة القريب حين ظلمه وفقا لمقولة (انصر أخاك ظالما) أو مظلوما ولكنه أي الإسلام فسر نصرة الظالم تفسيراً إسلامياً إذ جعل نصرة الظالم منعه من الظلم.^(٣)

ولذلك فمن الموجب دراسة القبيلة في اليمن تعريفا وتركيبا ودورها اجتماعيا وسياسيا خلال فترة الفتنة السلالية للأئمة الهاديون .

تعريف القبيلة :-

عرف علماء اللغة القبيلة بأنها:-

جماعة من الناس تنتسب إلى أب أو جد واحد كقبائل العرب وأخذ بذلك المعنى كثير من المؤرخون والنسابون ، وهو أمر افتراضي يستحيل إثباته .

* ويتكون المجتمع من :-

فخذ ثم عمارة ثم قبيلة ثم شعب .

وعلى ذلك فإن القبيلة في اليمن هي عبارة عن مجموعة من البشر تقطن على بقعة جغرافية وتجمعهم عادات وتقاليد ولهجة مشتركة ويتناصرون فيما بينهم (وينتمون حقيقة أو وهما آلي اصل مشترك ويشعرون بانتسابهم إلى أب أو جد أعلى).

وقد ذهب المؤرخون والنسابون أن العرب ينقسمون إلى جدين هما قحطان وعدنان^(٤).

وانتشار الاهتمام بالأنساب كان من أسبابه ما روج كثافة مذهبية لتمييز من هم من البطينين فكان ادعاء الانتساب إلى البطينين يعملون على وضع أنساب تصلهم بهذه السلالة ليحصلوا على المكانة الاجتماعية والمغنام التي اصلها فكر الهادي.

(١)- حسين الحاج حسن ، حضارة العرب في عصر الجاهلية (بيروت للموسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الأولى سنة ١٩٨٤ ، ص ٨١ .

(٢)- عبد العزيز الدوري التكوين التاريخي للأمة العربية مرجع سابق ص ٣٢ - ٣٨ .

(٣)- قال رسول الله "ص" :- انصر أخاك ظالما أو مظلوما فقال رجل يا رسول الله انصره إذا كان مظلوما ، أرايت إن كان ظالما كيف انصره؟ قال "ص" تحمره أو تمنعه من الظلم فإن ذلك نصره (رواه البخاري .

(٤) - حواد علي / المنفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الرابع ، بيروت : دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٠ ص ص ٣١٢-٣١٤ ، عمر فروج ، تاريخ الجاهلية (بيروت دار العلم للملايين ، الطبعة الثانية ، ١٩٨٤ ، ص ١٤٩ حين (وأحرون) لتاريخ العرب ، الجزء الأول (بيروت : دار الشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٢ ، ص ٣٢ .

توفر القبيلة إطار هوية مشتركة وترتب حقوقا والتزامات على أفرادها ، وأهم عامل تقوم به القبيلة هو المصلحة المشتركة .

تركيب المجتمع القبلي :-

تتكون القبيلة من :- الأسرة فالرھط فالنجد فالبطن .

أما التقسيم في اليمن : فتتكون القبيلة من أرباع أو أھماس وكل قسم له أسم .

وكل قسم (الربع أو الخمس) يتكون من عدة قرى تزيد أو تنقص وكل قرية تنقسم إلى أربعة أرباع غالبا وقد يكون تقسيم القرية على أساس النسب أو الموالاة ويكون رأس كل قبيلة شيخ، ويكون لكل قسم من أقسام القبيلة شيخ يسمى شيخ الربع أو الخمس ويكون لكل قرية شيخ وعلى رأس كل ربع من أبناء القرية عاقل .

وتتكون أكثر القبائل من عدة قبائل صغيرة بداخلها تكنى ببني فلان أو آل فلان أو ذو أو عيال وهناك قبائل داخل القبيلة الكبيرة لها أسماء بدون كناية مثل : مراد وقيفة ، ورداع ، و سندان ، وھمدان

وتنقسم قبائل اليمن إلى ثلاث قبائل رئيسية هي:

مدحج وبكيل وحاشد ، تضم أغلب سكان اليمن وتتميز القبيلة بالتضامن والشعور بروح الجماعة وهي تشكل تنظيما منقسما إلى شرائح اجتماعية متعددة يشتمل على الفئات التالية^(١) :

* زعماء القبيلة ومشاخھها ويمثلون السلطة السياسية والناطقين السياسيين باسم قبائلھم .

* الفرسان أو الخاربون : وهم القاعدة العسكرية للقبيلة التي تتكون من أبناء القوى الاجتماعية ذات النفوذ الاقتصادي والاجتماعي المحلي وهم في الغالب من أبناء زعماء القبائل والبطون والأفخاذ والأسر والعائلات .

* العمامة : وهم سواد القبيلة وحاملو الأعباء فيها كالأرعاة والمزارعين والحرفيين .

(١) - مسعود ضاهر (القبيلة كدوسمه سلطوية في الشرق العربي الحديث " مجلة الوحدة(المغرب) السنة الأولى ، العدد (١) أب / أغسطس ١٩٨٥ ص ٦-٥ .

*العبيد : وهم موالى القبيلة والملحقين بها يشاركونها سراءها وضراءها،^(١) ولم يعد لهذا القسم وجود باليمن .

وهكذا فإن وحدة القبيلة لا تنفي التخصص الفئوي بين أفرادها وفقا للتقسيم السابق، حيث أن التوازن الدقيق بين الفئات الاجتماعية يكفل تأمين الاستمرارية الاقتصادية - الاجتماعية للقبيلة ودورها السياسي .

*فلكل فرد في القبيلة موقع اجتماعي خاص به يصعب تجاوزه بسبب الموروث القبلي الذي يمثل دور الضابط القانوني لعمل القبيلة العربية وديمومتها^(٢) .

والقبائل اليمنية عرفت أنماط ثلاث للإنتاج هي الرعي والزراعة والصيد ، ويسود في أغلبها نمط الزراعة والرعي .

وانتشرت الحرف والصناعات الأولية وخاصة بين القبائل الأكثر استقرارا .

وكانت ظاهرة الغزو من الوسائل التي استخدمتها القبائل اليمنية لكسب الرزق عندما لا تقوم الدولة بفرض هيبتها ولا تقوم بواجباتها حينما تنعدم مصادر الكسب ، وخاصة عند الجذب وعدم سقوط الأمطار .

*وقد عُزل استمرارية النظام القبلي :-

- إلى عدم وجود دولة متكاملة الأركان تعمل على دمج أفراد القبائل في كيان واحد (الدولة أو الأمة) ذلك الكيان الذي يقوم على المساواة ومشاركة الجميع في مختلف تكوينات الدولة بما في ذلك الحكم

- ملائمة النظام القبلي لطبيعة بلاد العرب ومنها اليمن والتي يغلب عليها الجفاف ونلاحظ ذلك بإبقاء القبيلة بشكل فعال في المناطق قليلة الخصوبة وضعف دورها وتماسكها في المناطق الخصبة من اليمن

- انتشار الفكر الهادي القائم على التميز السلالي واعتماده على القبيلة ككيان وقوة تحقق مبتغاه .

إن القبيلة موجودة كمكون أساسي للمجتمع ولكن استمرارها عمليا ككيان يستأثر بولاء الأفراد على حساب الولاء للأمة قد ظل نتيجة لعدة عوامل أهمها :

(١)- محمد زهير مشرفه ، الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي (دمشق : دار طلائع للدراسات والترجمة والنشر ، الطبعة الاولى ١٩٨٨) ص ٨٩ .

(٢) - مسعود ظاهر (القبيلة كمؤسسة ٣ .

- جور وظلم كثير من الدول مما جعل القبيلة هي المدافع عن حقوق الأفراد والطوط
المنيع الواقف أمام ظلم واستبداد الحكام

- لضعف دور الدولة في أغلب تاريخ اليمن الإسلامي .

- لاعتماد كثيرا من الحكام على القبيلة بدلا من تكوين الجيوش.

- لانتشار الفكر الهادوي بين تلك القبائل وخاصة في مرتكزا ته القائمة على :

أن الإمامة تجب لمن قام بها ودعا إليها لمن هم من البطينين وهذا جعل أدعياء الإمامة
يلتجئون إلى القبيلة في تأسيس حكمهم وفرض سلطاتهم .

- جواز مبدأ الخروج على الظالم والحسبة عليه بدون ضوابط أو شروط مما دفع
الخارج أو المحتسب إلى الالتجاء إلى قبيلة تحقق له الضغط على الإمام القائم أو خلعه .

- معاملة الأئمة للقبيلة ككيان موحد في اخذ ولاء القبيلة أو في حرها أو في جبايتها .

- عدم قيام حكام اليمن على أساس تنمية القبيلة اقتصاديا واجتماعيا وخاصة التعليم
والتنشئة الدينية القائمة على ثوابت الشرع في المساواة والأخوة في الله .

- استخدام الأئمة القبائل في ردع بعضها البعض وتحفيزها بإباحة السلب والنهب
للقبيلة أو القبائل الموالية للأئمة.

- وما يؤكد أن الفكر الهادوي هو العامل الرئيسي لإنماء الجوانب السلبية للقبيلة هو
أن القبائل التي لم ينتشر بها الفكر الهادوي لم تقم بعمليات الغزو والسلب والنهب
للمناطق الخصبة والمثل على ذلك قبائل المناطق الشرقية باليمن (البيضاء - مأرب -
شبهه) وهي قبائل ذات كثافة بشرية وقدرة قتالية ومناطقها جافة يغلب عليها التصحر ،
وهذا يرد ما ذهب إليه بعض الكتاب من أن القبيلة كانت أحيانا تدفع أدعياء الإمامة
لإشعال الحروب والفتن وإذا كانت بعض القبائل قد قامت بمثل ذلك فمرده إلى الفكر
الهادوي المنتشر بها كمذهب وتمرسها على القتال والغزو نتيجة لقيم ذلك الفكر الذي
يدعوا إلى وجوب مناصرة الإمام القائم والقيام مع الخارج عليه ولجواز قيام إمامان في آن
واحد ولأن هذا الفكر يؤصل للصراع على السلطة بين أبناء هذه السلالة.

- تلك الأسباب أدت إلى بقاء القبيلة قوة فاعلة في الصراع السياسي وبالتالي أفرزت
نمو سلطة المشايخ ودورهم داخل القبيلة وعلى مستوى المجتمع مما عاد بالقبيلة في مجال
الغزو والسلب إلى ما قبل الإسلام .

وتحولت الزعامة القبلية من مكانة يحصل عليها الشيخ برضا واختيار أفراد قبيلته أو صفوهم بناء على معايير الشجاعة والأقدام والتضحية (أي منصب يستحقه بخصاله وكفاءته) فتحولت إلى نمط وراثي أفرز مصالح ومكانه للمشايخ داخل القبيلة وعلى مستوى الدولة ووصلوا إلى مرحلة فرضوا أنفسهم قسرا على الحاكم وأبناء القبيلة، ففرض الشيخ مصالحة على الدولة بالقبيلة وفرض نفسه على القبيلة بنفوذه بالدولة والسبب تدني أو انعدام عدل وقدرة الدولة فتحولت القبيلة من دورها الإيجابي إلى الدور السلبي في إشعال الفتن وعدم الاستقرار فكانت نتيجة لما أصله الفكر الهادي للصراع على السلطة.

وسيتضح دور الفكر الهادي وأهمته في دفع القبيلة لإشعال الحروب والفتن منذ وصول الهادي ٢٨٥هـ حتى سقوط آخر الأئمة البدر محمد أحمد حميد الدين ١٣٨٢هـ كما سيأتي في تاريخ الأئمة الهاديون.

الفصل الرابع

عهد الهادي وبداية التأسيس

المبحث الأول :-

الهادي يحيى بن الحسين ٢٤٥-٢٩٨هـ

- ظهور الهادي

- سعي الهادي لمد نفوذه نحو الجنوب

- دخول الهادي صنعاء

- توسع نفوذ الهادي

المبحث الثاني:-

صراع الهادوية والإسماعيلية

- بداية الإسماعيلية وانتشارها (٢٦٨هـ-)

- ظهور الإسماعيلية باليمن

- انحصار دولة الهادي

- نهاية علي بن الفضل

الفصل الرابع

عهد الهادي وبداية التأسيس

المبحث الأول / الهادي يحيى بن الحسين ٢٤٥-٢٩٨هـ-

- ظهور الهادي:-

بدأ ظهوره عندما بايعه العلويين من الزيدية في الحجاز سنة ٨٩٣ م / ٢٨٠هـ وعمره خمسة وثلاثون سنة مع وجود أبيه وأعمامه على قيد الحياة ولقب الهادي إلى الحق.

ويرجح أن الدوافع لهذه البيعة هي :-

١- ظهور داعي في طبرستان هو الحسن بن زيد ٢٥٠هـ - ٨٦٤م أسس دولة زيدية وحينما قتل تولي بعده أخوه محمد بن زيد (٢٧٢هـ - ٨٥٨ م) إلى (٢٨٧هـ - ٩٠٠م) ولم تعترف الزيدية بما إمامان .

واكتفيا بلقب (داع) ولذلك عمل بني القاسم الرسي على تنصيب يحيى بن الحسين لكي لا يخرج الأمر من أيدهم خاصة في عدم وجود إمام ، لاسيما وان ظهور الزيدية كان بسبب إرسال جدتهم القاسم بن إبراهيم الدعاة إلى طبرستان .

٢-السبب الثاني في تنصيب الهادي يحيى بن الحسين هو استغلال ضعف الخلافة العباسية وتفككها بسبب الثورات والانفاضات التي أدت لتأسيس دول وظهور ممالك .

وقد قام الزيديين بالخروج ومحاولة إقامة دول في بعض الأقاليم مستغلين جور العباسيين وولاهم ولما أنتشر من تشيع لهم بين الفرس .

٣- لاعتقاد الزيديين من العلويين أنهم أصحاب حق ولاعتقاد الهادي نفسه وأشياعه بحقه في استعادة ميراث النبي لذلك سارع آل الرسي إلى مبايعة يحيى بن الحسين بن القاسم وسارع هو في نفس عام تنصيبه إلى القيام للمناطق المهياة للخروج لدعوتهم المناصرة لإعلان الدعوة . وكانت أول المناطق هي طبرستان لانتشار الدعوة الزيدية بها بواسطة العلويين الذين أرسلهم جده القاسم بن إبراهيم فأنطلق إليها آملا في أن يتزعاها من ابن عمه محمد بن زيد (١) .

(١) - سورة الهادي - أحمد العلوي.

وأختار تلك المنطقة لما عانى أهلها من جور ولطبيعتها الجغرافية كمكان نائي يصعب على الجيوش الوصول إليها وإذا وصلت تصل منهكة وقد خرج إلى طبرستان في موكب رتب بعناية في جماعة من بني القاسم بينهم أبوه وأعمامه ليقع في نفوس الناس أثرا حسنا، وبالغ أبوه وأعمامه في تعظيمه لإظهاره إماما واجب الطاعة وكان أبوه يعظمه كل التعظيم.

ووصف ذلك الحجوري بقوله: (ولم أسمع انه بلغ من تعظيم بشر لإنسان ما كان من تعظيم أبوه وعمومته له ، وما كانوا يخاطبونه إلا بالإمام) وكانوا يريدون بهذا التبجيل التأثير على أنصاره فتحمروا حول الهادي ينظرون إليه ويستفسرون عن مقاصده.

وهكذا فإن الهادي قد بدأ ادعائه الإمامة متأثرا بما عمله الخلفاء العباسيين من تبجيل لأنفسهم وتفخيم بإطلاق الألقاب على أنفسهم وما صنعوا من هالة متأثرين بعبادات الفرس نحو حكامهم وهو بذلك أسس الهالة والتبجيل والتفخيم والتعالي للأئمة من بعده.

فلما خشى محمد بن القاسم^(١) على أمر طبرستان وأحس بخطورة الهادي كلف وزيره الحسن بن هشام بن سارية فكتب إلى الهادي (إن هذا مما يمس ابن عمك) فقال (ما جننا ننازعكم ولكن ذكر لنا أن بها أهل وشيعة فقلنا عسى الله أن يفيدهم منا فخرجوا مسرعين وثياجهم عند القصار وأخفافهم عند الأسكاف ما استرجعوها).

وهكذا نستنتج مدى خوف محمد بن زيد من قدوم الهادي وخيبة أمل الهادي وخروجه بهذه السرعة وأن الهدف هو السلطة والصراع عليها ، فلو وجد الهادي فرصة لأنقض على ابن عمه حتى قال عن الحسن بن زيد ومحمد بن زيد : " ما منزلة الحسن بن زيد ، ومحمد بن زيد الحسينيين ، أمير طبرستان ، عند الله إلا كمنزلة ... عبيد لبني العباس ، مملوكين من تحت أيديهم ، بل هما أعظم جرما لقرايتهما من رسول الله "

ومع أن هذه الرحلة قد أفضلت الهادي وآل الرسي في تحقيق حلمهم في تنصيبه إماماً معترفاً به لإقامة دولة للعلويين .

إلا أنه استطاع أن يكسب أنصارا في طبرستان كانوا له العون في ترسيخ أقدامه في اليمن .

(١)- منزلة اليمن - محمد بن زيد .

ولابد أنه لم يذهب إلى طبرستان إلا وقد أتصل بمن مناه و مهد له لانتشار الزيدية بتلك المناطق ولوجود أشياع لجنده القاسم بن إبراهيم ويؤيد ذلك قدوم الطبريين إلى اليمن لمساندة الهادي في فترات مختلفة كما سيأتي.

وعاد إلى المدينة ولكنه ظل يحذوه الأمل في أن يحقق حلمه في إقامة دولة لآل البيت .

فلم يجد إقليم أفضل من شمال اليمن لوعورة طبيعتها الجغرافية وبعدها ولوجود صراع قبلي ناتج عن عدم قدرة الدولة العباسية وولاةم باليمن من الزياديين^(١) على فرض وجودهم .

ونتيجة لتلك الأسباب ولوجود بعض التشيع كانت رحلته الأولى إلى اليمن في نفس عام ادعائه الإمامة فخرج إلى صعدة ثم توجه نحو صنعاء وما ذكر عن هذه الرحلة إلا القليل لكنه يظهر أنه لم يستطع جذب أنصار له وفكره ولم يعد العدة والآليات التي تناسب مع المجتمع والطبيعة الجغرافية ، فوصل إلى قرية الشرفة بمديرية بني حشيش محافظة صنعاء وأقام بها فترة يسيره حتى خذله أهل البلاد فعاد إلى الحجاز.^(٢)

ولعلهُ عمل خلال زيارته الأولى لليمن على تثبيت العلاقة مع أنصار العلويين من آل ابي فطيمة الذين قاموا مع إبراهيم الحزار العلوي وأخربوا صعده معه^(٣)

إن هذه الرحلة كانت محمية لأمال الهادي إلا أنها جعلته يتحاط لنفسه ويثبت لنفسه في الخروج القادم إلى اليمن ،لأن طموحه مازال متوقدا وبالذات عندما رأى الطبيعة الجغرافية والتزاع القبلي وضعف العباسيين وولاةم في هذه المنطقة وأفادته هذه الرحلة أيضا في تكوين صورة كاملة الملامح عن المنطقة وظل في المدينة حتى جاءه وفدا أرسله أحد الفريقين المتقاتلين في مدينة صعدة وهم الفطيميون يطلبون منه الوصول إلى قبا لمبايعته سنة ٢٨٣هـ - ٨٩٦م^(٤) ولا بد أن اليمنيين لم يعرفوا به إلا من خلال الرحلة الأولى أو أنه وجد أتباع له ووجوا له ودفعوا الفطيميين لطلبه .

(*) - دولة بني زياد (مركزها زيد) ٢٠٥هـ - ٤٠٢هـ ، ومن أشهر حكامها :-

- محمد بن عبد الله بن زياد ٢٠٥-٢٤٢هـ
- إبراهيم بن محمد بن عبد الله ٢٤٢-٢٨٩هـ
- إسحاق بن إبراهيم بن محمد ٢٨٩-٣٩١هـ
- الحسين بن سلامة ٣٩١-٤٠٢هـ

(١)- روضة المحجوري - علي بن محمد العلوي "سيرة الهادي"

(٢) - المسند الأكليل /١ / ٤٢٥ .

(٣)- الحمدي ، - الخلي - الحدائق الوردية .

وكانت أجزاء من اليمن تعاني من القحط والصراع بين الزعامات نتيجة لإهمال الدولة العباسية وضعف ولائها وحاول الهادي إظهار عدم الاندفاع بالقبول ليزيد من إلحاح من وصلوا إليه فقال: "كنت قد أُنيت عن الخروج إلى اليمن وعزمت أن أصرف رسل اليمن للذي كان قد بدا لي من شر أهل اليمن وقلة رغبتهم في الحق"^(١).

لكن الطموح كان أقوى من التردد ومن النكسات المؤقتة فأتصل بالعلويين في المدينة وطلب منهم نصرته سنة ٢٨٣ هـ - ٨٩٦ م .

وكان منهم محمد بن عبید الله العلوي والد مؤلف سيرة الهادي وكان لهذا أثر فعال في تثبيت أقدام المهادي في اليمن بما قام به في معارك الهادي وأعماله .

وأرسل الهادي قبل قدومه إلى اليمن محمد بن سليمان الكوفي (بنيف وخمسين يوماً)^(٢).

ويدوا انه أرسله للاستطلاع ومعرفة الأوضاع عن كثب وبعد ذلك وصل إلى صعده في شهر صفر ١٢٨٤ هـ - ٨٩٧ م ، وقال له محمد بن القاسم (لو حملتني ركبتي لجاهدت معك ، يا بني أشركنا في كل ما أنت فيه من كل مشهد تشهده وفي كل موقف تقفه) .

وقال (يا أبا الحسين أتراني أعيش إلى وقت توجه ألي مما غنمته ولو بمقدار عشرة دراهم أتبارك) .

وخرج الهادي ومعه جماعه من العلويين ومواليهم مستغلا أخطاء العباسيين وولاتهم التي أدت إلى التنافس والحروب بين الزعامات القبلية وعدم رضوخ إحداها للأخرى وساعد على ذلك الطبيعة القبلية والتركيبة السكانية فعمل على جذب بعضها ودفعها لإخضاع البعض الآخر ، وعلى ذلك سار أتباعه من بعده

وبوصوله عمل على إخراج المشروع العلوي من عالم الخيال إلى عالم التجسيد^(٣)

وقد وصل الهادي صعده والحرب قائمة بين الربيعه ومنها الاكيليون وسعد ومنها الفطيميون وهما من قبيلة خولان الشام والقحط شديد ، والأرض جدياء وكان ذلك

(١)- علي بن محمد العلوي - سيرة الهادي ص ٣٩ .

(٢)- علي بن محمد العلوي - سيرة الهادي ص ٦٥ .

(٣)- علي بن محمد زيد - سيرة اليمن ص ٦٣ .

وقت الزرع فرأيت المزرع قد ييس بعضه عطشا ورأيت البهائم تمهافت موتا فخرج إليه (أي الهادي) أهل صعدة الذين كانت بينهم الفتنة وهما سعد والربيعة والتقوا بأجمعهم^(١) .

فأستغل تلك الحال التي وصل إليها الفريقان فقد أنهكتهم الحروب وتدهور الحالة الاقتصادية الأمر الذي هياهم لقبول أي حلٍ ليستريحوا من عناء الفتنة وكان أول ما فعله الهادي أن أمر بمصحف فاستحلفوا بعضهم البعض بترك الفتنة والعداوة فحلفوا ثم أحلفهم هو لنفسه على الطاعة له والمناصرة والقيام بأمر الله والمعاضدة فبايعوه في موضعه .

ولم يظهر في هذه الأثناء مبادئه وخاصة الحق الإلهي في الحكم لهذه السلالة .

ومن صعدة وجه إلى أهل اليمن جميعا كتاب دعوة يدعوهم فيه لمناصرتهم ويحضهم على الجهاد معه وصارت هذه الدعوة تقليدا يتبعه كل إمام عند إعلان دعوته وتولي أمر الإمامة^(٢)

وفي هذه الأثناء مأخوذاً بنشوة النجاح الأولى الذي حققه قال أبياتا من الشعر يمكن منها التعرف على بعض ملامح فكره:-

ألا بلغ ولاية الجور عني
مقالة صادق فيما أقول
ثم قال:

تروني في كئائب مرغما
من اليمن الذي فيه مقال
عليهم كل سابغة دلاص
فأيدهم بواتر قاطعات
أنوفكم إذا حضر الصقيل
من الرحمن جاء به الرسول
يرون الكفر منهم أن يزول
بها من ضرب هاماكم فللول

ونرى من ذلك أن فكره بدأ يظهر جليا بتكفير الآخرين واستخدامه القوة والقتال وسيلة لتحقيق مآربه مستغلا القدرة القتالية لتلك القبائل التي رأى أثارها من الدمار الذي حل بصعدة .

وهذا ما سار عليه من جاء بعده ولكنه لم يظهر التميز السلالي له في استحقاق الخلافة وهذا أمرا طبيعيا لأنه لم يكن قد بث ورسخ أفكاره.

(١)- سيرة الهادي - علي بن محمد الطوسي ص ٤١- ٤٢

(٢)- سيرة الهادي - علي بن محمد الطوسي.

وظل في صعدة من يوم وصوله يدعو المناطق المجاورة إلى طاعته ويحاول جذب القبائل من حوله حتى ٦ جمادي الآخر من السنة نفسها حيث سار بأبناء تلك القبائل إلى نجران وكانت تدور حرب طاحنة بين قبائلها فقبلوا بصلحه ودعاهم إلى نصرته وعاد إلى صعدة في رمضان من ذات العام وترك في نجران أحد العلويين ليتولى أمورها .

وفي شوال توجه إلى وشحه في المنطقة الجبلية غرب صعدة وكانت تابعة لبني يعفر الحواليين^(١)

ودعا أهلها إلى نصرته وترك بها محمد بن عبيد الله العلوي ، وفي شهر صفر سنة ٢٨٥هـ - مارس ٨٩٨م توجه إلى برط شرق صعدة فدخلها بعد مقاومة غير منظمة فحين سأل بعض الأسرى عنمن ينظم مقاومتهم وتمويلهم وجد أنهم يقاومون بمبادرة ذاتية لنفورهم ممن يريد الاستيلاء على مناطقهم .

وهذه السهولة التي قابلها الهادي بداية فرض نفوذه بدأت تتعقد شيئا فشيئا .

فقد تمردت وشحه على عامل الهادي ورفضت دفع الزكاة وغيرها من الضرائب التي فرضت عليهم ذلك لأن تلك القبائل لم تجد هدفاً مقنعاً للهادي تلتف حوله .

فدفع القبائل بقيادة أخوه عبد الله ابن الحسين لقمع انتفاضتها ، وما لبث التمرد أن اندلع في نجران فقد ثارت جماعة في قرية شوكان فأندفع الهادي بجمع من قبائل صعدة لقمع هذا التمرد وانزل بهم اشد العقوبات لأن نجران هي طريق النجاة بين صعدة ومسقط رأسه .

لذلك هدم بيت قائد المتمردين وقطع نخيلهم وأعناهم حتى وصل ما قطعه على أحدهم حوالي ٤٠٠ نخلة وحقلي كروم^(٢) .

وقد عمل هذا العنف على تهدئة الأوضاع في نجران مؤقتا لكنها تركت أثار مدمرة على نفوذ الهادي هناك وجعلت العلاقة بين نجران والهادي وأبنائه في حالة من العراك المستمر الذي لا يهدأ إلا فترة حتى يشتعل من جديد^(٣) .

(١) - بن يعفر (الحواليين) وبدأ عهدهم منذ ٢٢٥ - ٢٩٢هـ .

(٢) - سيرة الهادي - علي بن عبد العلوي .

(٣) - سيرة اليمن - علي محمد زيد .

ومن الجدير بالملاحظة أن أساليب الهادي التي استخدمها في قمع المتمردين عليه والتي تمثلت في القتل وتدمير المنازل وقطع الأشجار قد سار عليها اتباع فكر الهادي وكأنها تعاليم واجبة التنفيذ .

أن المسلمين في حروبهم مع غير المسلمين كانوا لا يقومون بمثل هذه الأفعال .
- سعي الهادي لمد نفوذه نحو الجنوب :-

وأستمر الهادي في استغلال الظروف القائمة لتوسيع منطقة نفوذه فقد وجد الفرصة سانحة أمامه لتوسيع نفوذه نحو الجنوب حين وصلته رسالة من الدعام بن إبراهيم زعيم بكيل من همدان المقيم بريده (مديرية بمحافظة عمران) وكان الدعام في حالة صراع مع آل طريف حكام صنعاء باسم العباسيين ظاهريا وعمليا مستقلين تماما ، وكانوا مواليين أسميا لبني زياد في زيد^(*) .

وكان الدعام أيضا في صراع مع بني يعفر الذين يحاولون استعادة نفوذهم وكان مركزهم في جبل ذخار كوكبان .

ونتيجة لتلك الظروف فقد توجه الهادي في جماد ٢٨٥هـ إلى خيوان وادي بمديرية حوث بمحافظة عمران .

وفي شعبان خرج إلى بطنت حجور وولى عليها أحد العلويين وهو عمر بن علي ثم سار منها إلى أنافث (منطقة بمديرية سفيان بمحافظة عمران) .

ثم استولى على حوث وبعد ذلك لقي مقاومة من الدعام بن إبراهيم الذي كاتبه للاستعانة به فإذا بالهادي يحاول السيطرة على بلادة وقامت الحرب بين الهادي والدعام وأنافث وخيوان ، ورفض أهالي حولان الخروج مع الهادي لقتال الدعام وكان مما يسهل مهمة الهادي في توسيع منطقة نفوذه هو عدم قبول كل قبيلة الخضوع للأخرى .

ولم يتمكن الهادي من التقدم إلا بعد أن وصلت إليه مساعدة من أبي العتاهية عبد الله بن بشر بن طريف حاكم صنعاء وذلك للمساعدة في القضاء على خصمه الدعام ابن إبراهيم.

(*)- بني زياد هم الذين أسسوا الدولة الزيادية ٢٠٥-٤٠٢هـ وأول من أسسها "عبد بن عبد الله بن زياد ٢٠٥-٢٤٢هـ-

فأصبح الدعام يواجه الهادي من الشمال وأبي العتاهية من الجنوب وفي ذات الوقت يتصارع مع منافسه على زعامة همدان أبي جعفر الضحاك أكبر زعيم قبلي في حاشد، وكان يأمل الدعام في وصول حملة عباسية .

وكما ذكرنا في العوامل التي ساعدت على وصول الهاديون إلى اليمن أن الأبناء كان لهم دور ولعل هذا كان في وصول جماعات من أنصار الدعوة الزيدية في طبرستان إلى اليمن في ذي الحجة ٢٨٥هـ - ديسمبر ٨٩٩م وسماهم الهادي المهاجرون ويعرفون في كتب التاريخ بالطيريين .

ووصل معهم علي بن محمد العلوي وكان لوصولهم أهمية لدى الهادي لأنه لم يكن قد كون له أنصار يمكنه الوثوق بهم حيث ظل يولي العلويين الآتين معه أو القادمين بعد خروجه .

فبوصول الطيريين أصبحوا الحرس الشخصي للهادي وأصبحوا خاصته وقادته وولاته، فوصلوا و الهادي بخيوان، وبوصول الطيريين وجد الهادي أنصار يمكنه الاعتماد عليهم لأنه سبب وجودهم في هذا البلد الغريب ولأنهم مصدر التشجيع .

وقوي حلم الهادي بالتوجه إلى الجنوب نحو صنعاء خاصة حين اضطرت الدعام أن يغير موقفه ويتحالف مع الهادي وقاتل معه وقد اضطرت الدعام إلى ذلك حين تكالب الخصوم عليه من كل جانب .

فقاتل الدعام مع الهادي ولكن أبنه أرحب أبن الدعام رفض الصلح وتوجه إلى قتال محمد أبن الهادي بخيوان .

وأثناء ذلك اضطربت صعدة وتمردت بجران فعاد إلى صعدة ومنها إلى بجران وسانده محمد ابن الدعام وأبن بسطام الذي كان قد أشترك في تمرد بجران السابق فساعد علي إخماد تمرد بجران وظل بها إلى رجب ٢٨٦هـ - ٨٩٩م ثم عاد إلى صعدة وترك بنجران محمد بن عبيد الله واليا وتوجه إلى خيوان ثم إلى حوث محاولا إخضاع المناطق المجاورة لها وعادت بجران للانتفاضة من جديد ، وأخرجوا أخو الهادي عبد الله ابن الحسين وعامله منها .

وفي هذا الوقت تمرد الاكلين بقيادة أحمد أبن عبد الله بن عباد في صعدة نفسها فأسرع الهادي بالعودة إلى صعدة تاركا أبنه محمد في خيوان واحمد هذا التمرد بقسوة شديدة .

* - مصدر الأحداث التاريخية سورة الهادي علي بن محمد العلوي .

وأتمه نحو نجران لإحقاد ثمرد بني الحارث بنجران بقيادة ابن بسطام مستعينا بابن الدعام ، ولكن الدعام أستخدم اللين وضم ابن بسطام مع الهادي وعاد إلى صعدة في جماد ٢٨٧هـ^(١) .

وفي هذه الأثناء تصالح أبو جعفر احمد بن محمد بن الضحاك زعيم حاشد مع محمد بن الهادي خوفا من استعانة منافسه الدعام بالهادي لفرض زعامته على همدان وخوفا من منافسه بني يعفر وبني طريف وبهذا استغل الهادي الوضع السياسي بتصالحه مع الدعام وابن بسطام وابن الضحاك خلال عام ٢٨٧هـ - ٩٠٠ م وأمضى معظم هذا العام وهو يعد العدة للذهاب إلى صنعاء^(٢) .

فهل جاء الهادي ليقاتل جور وظلم العباسيين الذين نكلوا بالعلويين أم جاء ليقاتل أبناء هذه المنطقة ويفرض سيطرته بالقوة وهذه بعض ملامح فكر الهادي وستظهر بوضوح في تطبيقه من قبل من جاء بعده من الأئمة

دخول الهادي صنعاء :-

بعد تلك الأحداث التي أستغل فيها الهادي النزاعات والحروب بين قبائل صعدة وزعامات بكيل وحاشد من ناحية وبين هذه الزعامات وبني يعفر وبني طريف دفعه طموحه إلى مد نفوذه بجمع تلك القبائل حوله للتوجه إلى صنعاء بعد أن قوى مركزه بوصول الطبريين وبعض العلويين حيث جمع زعماء قبائل نجران وصعدة وكذلك الضحاك والدعام وبالذات بعد تصالح أبو جعفر احمد بن محمد الضحاك زعيم حاشد مع محمد ابن الهادي خوفا من استعانة منافسه الدعام بالهادي وهكذا استطاع الهادي ضم أكبر زعيمين لهمدان بالإضافة إلى تمكنه من إقناع أبو العتاهية المسيطر على صنعاء للتحالف معه .

هيأت له الظروف فأنتقل في حملته إلى صنعاء في أول عام ٢٨٨هـ - ٩٠١ م^(٣)

(١) - سيرة الهادي

(٢) - مختارة اليمن - علي بن محمد زيد .

(٣) - سيرة الهادي

فتحرك من صعده متجها نحو صنعاء فوصل إلى العمشيه منطقة بمديرية سفيان - محافظة عمران فالتقاه الدعام بن إبراهيم، من معه من بكيل وتوجه إلى خيوان^(١).

ومنها إلى أنفاث ثم دخل ريده واستولى على البون^(٢) وشرقه وكان النزاع على تلك المناطق بين الدعام وبني طريف بقيادة أبي العتاهية ومن ريده توجه إلى مدربارحب ثم إلى منطقة قرب مدينة شبام وهناك التقى بابي العتاهية وتفاوض معه وكان لهيبة الجموع الكبيرة من القبائل المحتشدة حوله أثرها في تسليم ابي العتاهية للهادي والدخول تحت إمرته فدخل شبام دون قتال وتوجه مباشرة إلى صنعاء وهكذا دخل الهادي صنعاء ٢٣ محرم ٢٨٨هـ - ١٧ يناير ٩٠١م.

وكان مما دفع أبي العتاهية للوقوف مع الهادي هو الخلاف المستمر بين بني طريف أنفسهم وبينهم وبين الزعامات القبلية ولم يكن دخول الهادي إلى صنعاء إلا بما دبره أبو العتاهية من خديعة لابن عمه عبد الله بن جراح وذلك بأن أوعز له الخروج من صنعاء بحجة نصب كمين لقوات الهادي وان يلتقيا غرب صنعاء بالقرب من شبام وكان اتفاق أبو العتاهية مع الهادي أن يسلمه ما كان يحكمه.

وبذلك دخل الهادي إلى صنعاء وكانت صدمة شديدة لبني طريف ونتيجة لذلك اقتطع كل واحد من بني طريف منطقة ، الأمر الذي ادخل اليمن في صراع وحروب.

فلما بلغ الخبر إلى عبد الله بن جراح من بني طريف والجنود الذين كانوا معه بالسر بدخول الهادي إلى صنعاء اقبلوا من السر يركضون بخيولهم إلى صنعاء وهم يقولون : لا نريد العلوي أن يدخل بلدنا وكذلك كان قول آل طريف جميعا.

ودخلوا صنعاء يتهبون عسكر الهادي ويريدون الحرب فلما خرج إليهم أبو العتاهية شتموه وهاجموه ورموه بالنبال حتى كادوا يقتلونه لكنه استرضى البعض بأن يعطيهم أكثر من ما كان يعطيهم من الأرزاق.

وأصر الغالبية على الرفض وهاجموا الهادي وانضم إليهم جماعة من أهل صنعاء ونشب القتال بالقرب من الدار التي كان يسكنها الهادي ولم يبق معه مستميتا سوى الطريون.

وكان بني طريف يجرضون الناس قائلين : انصرونا على هذا الغريب نخرجه من وطننا وبلدنا إلى بلاد الرس .

(١) - وادي بمديرية حوث - محافظة عمران .

(٢) - تاريخ اليمن - عبد الواسع الرواسي .

فهل كان ذلك يحصل لو كانت تلك الجموع موالية للهادي ومؤمنة بما جاء من أجله أم أن قوة عبد الله بن جراح وأتباعه كانت قوة لا يستطيعون دفعها .

دافع أبو العتاهية مع الهادي لأنه يدافع عن نفسه ولم يستطيع بنو عمومته الحصول على نجده من العباسيين أو من الزياديين ولرغبة الدعم وقبائله والضحاك وقبائله واليعفرين في إثناء دولة العبيد لأن بني طريف كانوا من عبيد بني يعفر وقادت جيوشهم قبل أن ينفصلوا عنهم ويوالون الزياديين والعباسيين وبذلك استطاع الهادي إخماد انتفاضة صنعاء فأحس بالزهو نتيجة لسهولة سيطرته على صنعاء بدون قتال فدفعه ذلك إلى اعتقال مجموعته من رؤساء القبائل التي ساندته ربما لما صدر منهم أثناء رحلته من صعدة إلى صنعاء.

ونلاحظ من ذلك أنه لم يكن قد توفر للهادي قاعدة شعبية بل استغل صراع الزعامات ولم يكن له من الحجج القادرة على إقناع أهالي المناطق التي دخلها لإتباعه فلم يذود عنه باستماتة إلا الطيريون.

وهذا يشير إلى أن قبائل حاشد وبكيل لم تكن تحمل لهؤلاء محبة وولاء بالإضافة إلى أن حال صنعاء كان مستقرا ولم يكن لقدمه معنى يدفع أهالي صنعاء للالتفاف حوله ، ويظهر ذلك من وقوفهم مع بني طريف.

ويلاحظ أيضا أنه جمع القبائل ممنهم بمغانم يحصلون عليها من سلب ونهب المناطق التي سيدخلونها لأنه لم يكن يملك جيشا ولا يملك ما يدفعه لتلك القبائل وبذلك بدأ سنة دفع قبيلة على أخرى فأجج العداوة بينها ونما ما هو قائم.

وكذلك قام باعتقال رؤساء القبائل عندما حس بالانتصار بدخوله صنعاء بالإضافة إلى ما ابتدعه من هدم الدور وقطع الأشجار والأسر والتنكيل بالقتلى^(*) تلك الأساليب أتبعها الأئمة الذين جاءوا من بعده وساروا على فكره ومذهبه واعتبروه قدوة فكروا تلك الأساليب والوسائل وزادوا عليها كلا حسب ما توفر له من ظروف وقدره كما سيأتي.

توسع نفوذ الهادي :-

بعد سيطرة الهادي على صنعاء دفعه ذلك الانتصار السهل والسريع وطموحه في تكوين دولة للعلويين إلى توسيع نفوذه .

(*) - فقد كان يرسل رؤوس القتلى إلى صعدة وخرمان وهذه أفعال تخالف الشريعة الإسلامية . يخالف ما كان من علي كرم الله وجهه في حربه للخوارج ومعاوية.

وخرج من صنعاء في صفر ٢٨٨هـ - فبراير ٩٠١ إلى شبام معقل بني يعفر وعين فيها العمال وترك بها أبنه محمد خوفاً من أي مقاومة لبني يعفر ثم عاد إلى صنعاء فعين عليها أخاه عبد الله ابن الحسين واتجه بمجموع القبائل جنوباً وكلمها وصل منطقة عين عليها حتى وصل ذمار فأقام بها أياماً واتجه نحو منكبث في قاع كتاب^(١) وفيها ساند زعيم قبلي هو ابن الروية "بقبائل" من مراد ورداع واستمر حتى وصل جيشان وهي المدينة التي سيخرج منها علي ابن الفضل ومنها أرسل عاملاً إلى عدن^(٢) ولكن لا يبدو انه وصل إلى عدن فلم يذكر أي مؤرخ أن عدن خضعت للهادي.

وعين علي جيشان أحد الطيرين هو أبو عبد الله الرازي ونتيجة لما أضافه الهادي على رعية المناطق التي سيطر عليها من أعباء كضرائب وزكوات ولم يأتيهم بجديد ولعل حججه وخطبه لم تمكنه من كسب ولائهم .

الأمر الذي جعل تلك المناطق تخرج على الهادي بسرعة وسهولة اكبر من سهولة سيطرته عليها .

ولعل من أسباب خروج تلك المناطق ممارسات الهادي وجنده المتمثلة في هدم المنازل وقطع الأشجار وإرسال رؤوس القتلى كما ذكرت سيرة الهادي ما صنعه في نجران .

فبعد سيطرته على جيشان عاد راجعاً إلى صنعاء فوصلها في ربيع سنة ٢٨٨هـ بملاؤه الزهو والحماسة لما حققه من نصر سريع قليل التكلفة ويظهر ذلك جلياً بإرساله لطلب حاشيته من الحجاز حيث أرسل لهم بقصيدة مع أخيه عبد الله يقول فيها :-

وأرقتني أن لا صديق ولا أخ يشاركني فيما تحمّن الأضلع

وبعد أن يصف غربته وإحساسه بالوحشة وقيامه بهذا العمل من أجل العلويين يصف^(٣) الحالة التي وصل إليها العلويين بقوله :-

وآل رسول الله قد شغلتهم عيون وأموال لهم ومزارع
وحقد وأحباء الضغائن بينهم ولم يجمعوا فيه وقل التطاوع

ورغم ذلك فيستثير حمية العلويين ويمنيهم بملك عظيم بقوله :-

هلموا إلى ما يورث الفخر والسنا فما عز قوم أمرهم متنازع

(١) - يسمى الآن قاع الحقل .

(٢) - ذكر ذلك صاحب السيرة .

(٣) - معتزلة اليمن - علي بن محمد زيد .

فلر عضدتنى عصابة طالبيه
إذ ملكوا الدنيا وذل عدوهم
لها شيم عمودة ودمائع^(١)
ولم يرى في روضاقم وهو رائع

إن الملك وحب الدنيا والنصرة العصبية تظهر بجلاء في شعر الهادي هذا ويظهر كذلك ما وصلت إليه حالة العلويين من حب الدنيا وما كان عليه الحال فيما بينهم من حقد وضغائن ورغم ذلك فعصبية تحثهم نحو ما يورث الفخر والسنا .
فالدنيا والملك هدف الهادي وليس الدين وما أوجبه الله .

ثم يذكر في هذه القصيدة سوء ظن العلويين به ونقمتهم عليه لأنه لم يمنحهم من العطايا ما يرضيهم .

فإن أنتم لم تشكروا لعطيتي
ونقمتم علينا في العطية فاسمعوا
فلا يكفرها عازب الرشد قاطع
فما القول إلا ما رعته المسامع
إلى أن قال :-

وإني لكم عند المكارم والعللا
وأحمى على أحسابكم وإرادع

ولم يستمر زهوه ونشوته بالنصر السهل والسريع فبينما هو يوسع نفوذه نحو الجنوب فر من سجنهم من بني يعفر وبني طريف وهربوا نحو الغرب إلى قرية بأطراف تامة وإلى البون بمحافظة عمران فالتف حولهم الناس فاستولى أهالي ريدة بقيادة صعصعه بن جعفر علي خيل وطعام ومؤن للهادي واستولوا على البون .

وفي جماد الآخر ٢٨٨هـ - جمع بني يعفر أنصارهم واستولوا على شبام وقتلوا عامل الهادي محمد بن عباد واخرجوا المسجونين وتوجهوا إلى وادي ظهر القريب من صنعاء فهرب عامل الهادي بما واخرجوا المساجين ومنهم أبو الغشام بن طريف ومن كان معه من بني يعفر فأضطر الهادي إلى الخروج من صنعاء نحو شبام وترك ابن عمه علي بن سليمان و أرسل ابنه محمد لقتال الثائرين في البون .

(١) - فضائل ومكارم .

وأثناء ذلك تزعم احمد بن محفوظ فمرد أهل صنعاء على عامل الهادي وكسروا السجن واخرجوا المساجين من بني يعفر وسلموا صنعاء لعبد القاهر بن احمد بن يعفر^(١) وخرجت بقية القبائل الشمالية ثائرة (كل قوم على من كان عندهم من عمال الهادي و أخرجوهم واخذوا ما كان معهم من دواب ومتاع)^(٢) وعند وصول الهادي إلى شبام أطلق من تبقى في بعض السجنون التي لم يهاجمها الثائرون ومنهم اسعد بن أبي يعفر الذي سيلعب دورا مهما فيما بعد ، ويذكر الهمداني أن الهادي كان ينوي قتل المساجين قبل هروبه ولكن الدعم توسط للإفراج عنهم^(٣) .

وهجم الناس على الهادي محاولين سد طريق الانسحاب أمامه أثناء هروبه مع أبو العتاهية ولكن مكانة الدعم القبلية ساعدت على نجاة الهادي وأبو العتاهية .

إن الشدة والقسوة وسجن أكابر القوم في المناطق التي سيطر عليها والجبابة التي فرضها لم تتوافق مع طبيعة اليمنيين الاستقلالية والثائرة زد على ذلك أن ما دعا به الهادي لم يجد المنتقي لعدم وجود مبرراته ولعدم شعور اليمنيين بأي إصلاح مادي أو ديني ولعدم اقتناعهم بقتال الهادي لزعمائهم وما صنعه من سجن وقتل وأهم هذه الأسباب ما كان من الهادي من استعلاء وتميز على اليمنيين وجعل خلصائه من الفرس وأعراب الحجاز :

ونعود إلى أحداث هذه الفترة فقد وصل أخوه عبد الله مع المقاتلين الذين أرسله ليأتي بهم من الحجاز في هذه الأثناء.

ولكنهم لم يصلوا إلا وهو في مدر^(٤) متقهقرا نحو صعدة^(٥) ، فلم يكتفي بما كان من الفتن وما سفك من الدماء فحمسه وصول أخوه عبد الله بن الحسين ومعه الحجازيون فزعم بهم نحو صنعاء من جديد ودخلها سنة ٢٨٨هـ - ٩٠١ م .

لكن الحرب ظلت مشتعلة واتسعت دائرة المقاومة اليمنية وشتت الطجمات ضده في صنعاء ، جنوبا من بيت بوس ، وشرقا من جبل نقم ، وغربا من وادي ظهر .

وتزامننا مع ذلك ثار بنو الحارث في نجران على عامله محمد بن عبيد الله وأبنة علي (مؤلف سيرة الهادي) .

(١)- سيرة الهادي .

(٢) - سيرة الهادي -

(٣)- الإكمال ١٠ / ١٨٥ - ١٨٦ .

(٤)- منطقة بأرخب .

(٥)- سيرة الهادي.

وكانت ثورة نجران بقيادة ابن بسطام الذي كان ثائرا في وجه الهادي منذ مقدمه وقام معه ابن حميد واتسعت دائرة المقاومة وأخرجوا عامل الهادي من مناطقهم (ونجران قاومت الأئمة الهاديون على مر الزمان ولم تعتنق مذهبهم).

واشتدت الثورة حول صنعاء ومني الهادي بهزائم لم يشهد لها مثيل منذ بدأ بإشعال الحروب في اليمن .

ففي معركة جبل حدّين جنوب صنعاء قتل أخلص أعوانه ومقاتليه مثل علي بن سليمان العلوي عامله على صنعاء وأبو العتاهية الذي سلمه صنعاء دون قتال وجمع من الطيرين وكاد الهادي أن يقتل حين سقط مغشيا عليه من على فرسه (١) .

وخاضت المقاومة اليمنية حرب استنزاف حقيقيه قادها بنو يعفر وبني طريف من شبام (٢) .

وتوالى الهجمات من حدة ونقم وبيت بوس ووادي ظهر فضعف جند الهادي وارتبكوا وأهملت قواهم وتفرقوا عنه ولم يعد قادرا على السيطرة على مدينة صنعاء ، فوصل مهاجرون جدد من طبرستان لمساعدته على الهجمات المستمرة للمقاومة اليمنية ولكن وصولهم لم يغير من الأمر شيئا .

ويصف صاحب السيرة حالة الهادي في جماد الآخر سنة ٢٨٩هـ الموافق ٩٠٢ م فيقول (اتصل الخبر بالهادي في الليل وهزيمته مع ابن الروية (الذي كان يقود عسكر الهادي في هذه المعركة بسبب إصابة الهادي) وما نال القوم ، وقد كان مريضا شديد المرض وقلت به النفقة للعساكر وطلب من أهل صنعاء العون والسلف فلم يعطوه درهما واحدا وقد كان العسكر أقام اضااق فوق القدر (أي بدون نفقه) ، فلما علم انه لا مقام للعسكر إلا بنفقة وانه لا يقدر لهم على شيء شاور أصحابه في الأمر فلم يروا أوفق به من الخروج ورأى هو رأيا لما كان به من العلة ، وكان به عله شديدة لا يكاد يثبت على الفرس طرفه عين مع قلة ذات اليد فعزم على الخروج من صنعاء وكان قبل ذلك أرسل إلى الدعام في ريدته طالبا المعونة بالرجال والمال والطعام فلم يجبه وتعلل عليه بعلم فسار الهادي إذ لم يجد له عوناً وتوجه إلى صعده فوصلها جماد الآخر ٢٨٩هـ / مايو ٩٠٢ م ، وترك ابنه محمد واليا عليها وتوجه إلى نجران لإخضاعها لأنها طريق النجاة في حال اضطراره

(١) - سيرة الهادي - ص ٢٣٩ .

(٢) - معتزلة اليمن - علي بن محمد زيد .

لانسحاب ولأهمية نجران كان يرسل رؤوس القتلى لإرهاب أهلها حتى لا تحدثهم أنفسهم باستغلال انشغاله بالحروب في أماكن أخرى.

وباستقرائنا لما سبق نجد أن المهادي لم يخرج على الدولة العباسية ولم يجد للدولة العباسية أثراً بل جاء خارجاً على الشعب اليميني بما جمعه من أتباعه الفرس والأعراب ولم يسائل نفسه إذا كانت قيمة وما يدعوا إليه تتمثل في تصويب الخراف عن دين الله أو إزالة مظلمة عن هذا الشعب .

فلماذا لم يستجيب له من وصفهم الرسول ﷺ بالإيمان والحكمة؟

وهكذا تدهورت آمال المهادي في تحقيق مشروعه الذي جاء يقاتل من أجل تحقيقه وهو إقامة دولة للعوليين فقد تراجع إلى إمارة صغيرة ما بين صعدة ونجران وهذه المنطقة حاول اليمينيون إخراجه منها فقد وصل أحمد بن عبد الله بن عباد الأكيلى سنة ٢٨٩هـ - ومعه مدر بن طريف ومن تهامة ابن الحكمي عندما قام الأكيليون بانتفاضة ما لبثت أن اتسعت لتشمل مناطق أخرى حول صعدة مثل كتاف ووائله والمضلاع وكانت أخطر الانتفاضات التي واجها المهادي في صعدة فقاتل مستميتاً مع أتباعه من الفرس وأعراب الحجاز القادمين إليه بغرض الحصول على الرزق ومساندة بني فطيمة من خولان الذين استدعوه للقدوم إلى اليمن .

فأتجه إلى وادي علاف فقطع أعناب الأكيلىين وهدم منازلهم ثم سار إلى وائله وكتاف والمطالع فهدم المنازل وقطع الزرع واعتقل العديد من الناس وهرب ابن عباد إلى تهامة ثم العراق قاصدا المعتضد العباسي (٢٧٧ - ٢٩٠هـ) (٨٩١ - ٩٠٣م) مستنجداً به على المهادي فوجده قد مات فبويح للمكتفي (٢٩٠ - ٢٩٦هـ) (٩٠٣ - ٩٠٩م) فوصل الخليفة كتاب أبي مزاحم عيج بن ساج عامل الحرمين يخبره أن المهادي قد خرج من صنعاء ففر عزم المكتفي عن ذلك التجهيز إلى اليمن وأنشغل بحرب القرامطة في الشام .

وكان العباسيين أرادوا أن يشغلوا اليمينيين عنهم بالمهادي ويشغلوا المهادي باليمينيين أو لعرفتهم بعدم قدرة المهادي على جمع اليمينيين من حوله وبالتالي فلن يشكل عليهم خطورة وربما لضعف الدولة العباسية في هذه الفترة .

ونرجح أن عدم قيام الأمويين ومن بعدهم العباسيين بالقيام بواجبهم نحو اليمن هو الذي أوصل اليمن إلى هذه الحالة من الصراع وبالتالي وصول المهادي .

ولم ييأس المهادي ولم يكل وكأنه أراد أن يجعل من نفسه مثلاً وقدوة لمن يأتي من بعده في إشعال الفتن واستغلال ظروفها كلما أتاحت الفرصة المواتية .

فبعد خروجه من صنعاء اختلف بني يعفر^(*) وبني طريف ووقف ابن الضحاك بجاشد مع بني طريف ، بينما وقف الدعام مع بني يعفر فطلب اليعفرين من الدعام مساندةم مع الهادي فتردد الهادي متذكرا تجاربه السابقة إلا انه اقتنع لدوافعه التي جاء من اجلها ولرغبته في الانتقام من بني طريف الذي قال فيهم :

غر العبيد بني طريف علي
وأنا الذي عرفوا وسوف أزورهم
مع محنة دامت على لسالي
بالخييل عابسة وبالأبطال

حتى قال :-

لست أبني احمد ذا المكارم والعللا
تلك الروح المصرة على الحرب وإشعال الفتن بالإضافة إلى إقناع الدعام له حيث قال:- (قد استوت لك الأمور وقد استوثقت لك من القوم وليس عاد إلا النهوض)^(١).

فخرج من صعدة بداية سنة ٢٩٠هـ فبدأ بمحاربة ابن الضحاك ومن معه من حاشد مستغلا رغبة الدعام ولكنه لم يستطع التقدم فتوجه إلى مشرق خولان ابن عامر وعاد من طريق أخرى إلى مدر بأرحب .

وقال صاحب سيرة الهادي (وكان كل ما وصلت رسله إلى قرية من همدان هض أهلها إلى بني طريف واجمع عليه همدان للطمع وقرب منطقة "اتوه" دارت معركة الهزم فيها الهادي وقتل كثيرا من الطيريين والأعراب واصر ابنه محمد واحذ مع الأسرى إلى صنعاء وعرضوا في شوارعها وأسواقها وانصرف الهادي راجعا إلى صعده وقضى ما تبقى من عام ٢٩٠هـ في عراك مستمر مع القبائل حول صعده وخاصة والله التي أرادت الانتقام لما حل بها من قتل وخراب على أيدي أتباع الهادي .

ورغبة الانتقام زرعها الأئمة الهاديون في القبائل اليمينية فجمع القبائل وتوجهها نحو بعضها البعض قد بدأ من عهد الهادي .

(*) - دولة بني يعفر (مركزها شبام ثم صنعاء) ٢٢٥-٣٩٣هـ وأهم ملوكها :-

- إراهيم بن يعفر (و) أبه عبد الرحيم بن إراهيم - ٢٢٥ - ٢٦٠هـ .

- يعفر بن عبد الرحيم - ٢٦٠ - ٢٨٢هـ .

- أسعد بن أبي يعفر - ٢٨٢ - ٣٣١هـ .

- عبد الله محمد بن قحطان - ٣٣١ - ٣٨٧هـ .

- أسعد بن عبد الله - ٣٨٧ - ٣٩٣هـ .

(١) - يحيى ابن الحسين ابن القاسم - غاية الأمان ١٨٧/١ .

وكان مما ساعد الهادي في حروبه وما مد أمله هو الصراع بين بني يعفر وبني طريف ويذكر أن المكتفي في بداية ولايته قد أعطى ولاية اليمن لأسعد بن يعفر وعثمان بن أبي الخير بن يعفر^(١) وكان العباسيون قد أرسلوا علي بن الحسين جفتم فلما وصل إلى قرية أرتل جنوب صنعاء خرج بنو طريف كالمسلمين عليه فألقوا القبض عليه وانضم باقي عسكرة إليهم وظل في السجن حتى تمكن أسعد بن أبي يعفر من دخول صنعاء فأفرج عن جفتم وعن محمد ابن الهادي و أرسله إلى أبيه في صعدة^(٢).

ثم تقابل أسعد بن يعفر وممثل الخليفة العباسي جفتم وكان النصر لأسعد بن يعفر فقتله واستولى على السلطة وهنا يبرز دور أسعد كشخصية مهمة لعبت دورا في تاريخ هذه الفترة.

وفي عام ٢٩١هـ - أختلف الحكمي وهو من زعماء قحاة مع بني زياد فأراد الاستعانة بالهادي فأرسل الهادي الصوارخ من حولان ابن عامر بمعيهم بالغام وتحرك الجمع إلى قحاة فلما وصلوا إلى طرطر نهاية الجبال وبداية الشريط الساحلي إلى الجنوب الغربي من صعدة انقلبت الأحوال ونشب القتال بين الحكمي والهادي ويبدو أن هذه الغزوة انتهت إلى الإخفاق ولم نجد في كتاب سيرة الهادي ذكر لنتائج هذه الغزوة.

ومما يجدر ملاحظته أن الهادي لم يستطع أن يفرض نفسه زعيما سياسيا ولا إماما دينيا ربما لوجود عددا ممن ينافسوه على الحكم أو لأن فكره أصطدم بالمذهب السني السائد .

إن الفترة الممتدة من ٢٩٠ - ٢٩٣هـ هي التي استقر فيها الهادي بصعدة منذ وصوله إلى اليمن وهي التي رجح انه بدأ فيها كتابة مؤلفاته بعد أن كان يشارك في المعارك باستمرار ويتولى قيادتها بنفسه.

إن هذه الفترة قد أتاحت له الفرصة للتأمل والكتابة والتعليم وكان للمعاناة التي لا قاهها أثناء حروبه في الفترة السابقة أثر كبير على فكره المؤصل للصراع من أجل السلطة والحكم ونجح في بث أفكاره بين بعض القبائل بالإضافة إلى العمل على إبقاء سيطرته على المنطقة الباقية تحت سلطته ورعاية شعون القضاء ونزاه فيما بعد بميل إلى تكليف ابنه محمد بقيادة المقاتلين في المعارك ولا يقوم إلا في المعارك الضرورية والفاصلة حتى انه عندما دعي إلى قيادة حلف واسع وعريض سنة ٢٩٣هـ - ٩٠٥ م للحرب ضد علي ابن

(١) -قرة العيون ص ١٧٥-١٧٨ .

(٢) -قرة العيون ص ٢٠٥ .

الفضل في صنعاء ونواحيها أرسل ابنه محمد حتى إذا تأكد أن صنعاء قد أصبحت تحت سلطته توجه إليها بنفسه.

المبحث الثاني :- صراع الهادوية والإسماعيلية

بداية الإسماعيلية وانتشارها (٢٦٨هـ) :-^(١)

مما يجمع الإسماعيلية والهادوية هو أن الدعواتان قائمتان على الحق الإلهي لهذه السلالة في الحكم (العلويين).

وفي إرث النبوة وحمل راية العلم والدعوة ، ويختلفون في من يستحقها من هذه السلالة وفي كيفية استحقاقها.

فالهادوية ترى أن الإمامة (الخلافة) حقا لمن قام بها ودعا إليها ممن هم من ذرية الحسن والحسين وتشترط شروطا أهمها بلوغ مرتبة الاجتهاد.

أما بالنسبة للفقهاء والعقائد فالهادوية تقوم على أساس الفكر المعتزلي وفقهها سني (وتميل إلى الفقه الحنفي) وتضع بعض الاجتهادات لتظهر نفسها كمنهج وتقر بخلافة الشيخين (أبا بكر وعمر) فهي أقرب في هذا الجانب إلى السنة والجماعة .
ويرون جواز قيام إمامان في آن واحد .

* و أما الإسماعيلية فإنها ترى أن الإمامة تكون في الابن الأكبر لمن هم من ذرية محمد بن إسماعيل ابن جعفر الصادق.

* الإسماعيلية فرقه باطنية، انتسبت إلى الإمام إسماعيل بن جعفر الصادق ،ظاهاها التشيع لآل البيت .

وتتلخص أفكار هذه الفرقة :-

ضرورة وجود إمام معصوم منصوب عليه من نسل محمد بن إسماعيل على أن يكون الابن الأكبر وقد حدث خروج على هذه القاعدة عدة مرات.

يؤولون المعاصي والأخطاء بما يناسب معتقدتهم .

(١) - الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة .

من لم يعرف إمام زمانه ولم يبايعه مات ميتة جاهلية ويضفون على الإمام صفات ترفعه إلى ما يشبه الإله ويخونونه بعلم الباطن ويدفعون له خمس ما يكسبون .

يؤمنون بالتقية والسرية ويطبقونها في الفترات التي تشتد عليهم فيها الأحداث و الإمام هو محور الدعوة ، ومحور العقيدة .

الأرض لا تخلو من إمام (ظاهر أو باطن) فان كان الإمام ظاهراً جاز أن يكون حجته مستوراً، وان كان الإمام مستوراً فلا بد أن يكون حجته ودعائه ظاهرين .

يقولون بالتناسخ والإمام عندهم وارث الأنبياء جميعاً ووارث كل من سبق من الأئمة والهادي يقول في ذلك التميز (وجعلهم " الله" الهداه إليه وأمر بسؤالهم والالتجاء بكل علم فرائضه إليهم وجعل عندهم علم الكتاب وفصل الخطاب وتمييز ما ألتبس من الأسباب يهدون إلى الرحمن فيدعون إلى البر والإحسان" نور على نور يهدي الله لنوره من يشاء ") والهادوية ترى أن الإمامة لمن قام بها ودعا إليها من هو من البطنيين والإسماعيلية يكون عندها الإمام ظاهراً أو مستوراً ، فهم يتفوقون على التميز السلالي في استحقاق الإمامة وأرث النبوة .

ونتيجة لأن دعوة الإسماعيليين قائمة على السرية فلا يعرف عنهم الكثير بدقة وإذا سئلوا عما نسب إليهم ينكرونه .

ظهور الإسماعيلية باليمن :-

كان أول انتشارها على حيز الواقع باليمن على يد علي بن الفضل⁽¹⁾ وزميله الفرج بن حوشب (منصور حوشب) وذكر أن أول اتفاق لهما كان عندما ذهب علي ابن الفضل بعد حججه لزيارة مشهد الحسين بالنجف فالتقى بميمون القداح بجوار الضريح ومعه ولده عبيد فظهر من علي ابن الفضل تشيع فاستماله ميمون القداح وبيدوا انه وجد فيه ضالته لما كان له من فصاحة لسان ومعرفة ولما أظهره من إيمان بما يدعو إليه ميمون القداح وهو رغبته في قيام دولة لولده عبيد يتوارثها بنوه فلما قدم ابن فضل صحبه وكان بصحبة ميمون من قبل منصور بن زاذان بن حوشب وكانا يسكننا على تربة الحسين

(1) وقد اختلف المؤرخين في الاسم الصحيح لابن فضل وابن حوشب فيسميه ابن خلدون وابن الأثير وعمارة البيهني يسمونه علي والجندي والخزرجي والمسعودي ويرجح أن اسمه علي ابن الفضل الذين الخنزري الجيشاني أما ابن حوشب فقد سمى بجنة أسماء منها منصور اليمن وسماه الخنزرجي بالمنصور ونسبه منصور بن الحسن صاحب (مستورالمتحيزين) أبو القاسم الفرج بن حسن بن حوشب بن زاذان الكوفي ويسميه المقرئزي أبو القاسم الحسين بن فرج بن حوشب الكوفي وابن الأثير يسميه رستم ابن الحسين .

بكريلاء ، فلما قدم ابن الفضل رأى فيه الرجل الذي سيحقق مبتغاه لأنه من أهل اليمن وخبير بأهله فقال ميمون ^(١) لمنصور :-

يا أبا القاسم إن الدين يمانى والحكمة يمانية ، والركن وكل أمر يكون مبتداه من قبل اليمن فهو ثابت لثبوت نجمة ^(٢) .

وقد رأيت أن تخرج أنت وصاحبنا علي بن الفضل وتدعوان إلى ولدي فسيكون لكما به شأن وسلطة وأوصى كلا منهما بصاحبه خيرا .

وقال لمنصور :- متى دخلت سترت أمري حتى ابلغ غرضي وقال لي :- الله الله صاحبك (يعني) ابن الفضل احفظه واحسن إليه وأمره بحسن السيرة فإن له الشأن ولا أمن عليه .

ثم قال لأبن الفضل :- الله الله أوصيك بصاحبك خيرا ، وقره ، واعرف حقه ، ولا تخرج عن أمره ، فإنه اعرف منك ومي فإن عصيته لم ترشد .

ثم ودعنا وخرجنا من الحج حتى أتينا مكة ثم سرنا مع حجاج اليمن حتى جفنا غلافقه ثم تواصلنا لا ينسى أحد منا صاحبه ولا يقطع خبره عنه .

وكان ميمون القداح قد أوصى منصور حوشب بأن لا يبدي أمره إلا في بلد يقال له (عدن لاعه) ^(٣) .

فقصد عدن أين وسأل عنها فقبل له إنما في جهة حجة ، فسأل عن قدم من أهلها واجتمع بهم وصحبهم وفي أثناء الطريق أتفهم بالأخبار وأمهم بالصلاة وأظهر لهم ورعا وزهدا فلما وصل لزم مساجدها واقبل على العبادة حتى مال إليه جمع من الناس (فلما علمت انه قد استحكمت محبتي في قلوبهم أخبرتهم بأني قدمت عليهم داع للمهدي الذي بشر به النبي (ص) فخالفت منهم جمعا على القيام ، فصار يؤتي لي الزكاة فلما اجتمع لي منها شيء كثير ، قلت : أنه ينبغي أن يكون لي معقلا يحفظ به هذه الزكاة يكون بيت مال للمسلمين ، فبنيت عُبر محرم وهو حصن كان لقوم يعرفون ببني العرجا ونقلت إليه ما كان قد تحصل عندي من طعام ودراهم فحين سرت إليه بما معي ، وقد عاهدني خمسمائة رجل على النصر و صعدوا معي الحصن بما معهم من مال وأولاد فأظهرت حينئذ الدعوة إلى

(١) - وقد اختلف في نسبه وقد انساب إلى العلويين وأكثرهم ينكر ذلك والله اعلم وقال بعضهم أن أصله يهودي (الريح السابق ص ٤٠٤)

(٢) - أخبار القرامطة في اليمن - السلوك من طبقات العلماء والملوك - بماء الدين الجندي .

(٣) - حصن في مديرية سور محافظة عمران .

عبيد الله المهدي ابن الشيخ ميمون القداح ومال إلى موافقتي خلق بأسرهم^(١)، فلما استقام أمره كتب إلى ميمون القداح يخبره بذلك .

وبدأ نفوذه يمتد إلى المناطق المحيطة بمسور حتى الحويت وتمامه وعمران.

وهكذا انتقل الصراع على الحكم في صور مذهبية شيعية بين العلويين اتفقوا على التميز السلالي في استحقاق الحكم، واختلفوا فيمن يستحقها ونلاحظ من انتشار دعوة منصور حوشب ضعف الحكم العباسي في اليمن وضعف نفوذ ولاهم من الزياديين .

وبدأ ابن حوشب (منصور اليمن) بإشعال أول شرارة لفتنة التشيع من أجل الحكم والسلطة ببيت دعوته المنحرفة والمخالفة لشرعية الإسلام السمحاء بما اظهر من دعوته وبما لم يظهره حيث تقوم الدعوة الإسماعيلية على السرية في مبادئها وعقائدها فأشعل منصور حوشب فتنة بينه وبين الزياديين والزعامات القائمة ثم بينه وبين الهادي يحيى بن الحسين ومن جاء من بعده وكان صراعا من اجل من له الحق الإلهي في الإمامة والحكم من العلويين .

ومن أهم الفروق بين منصور اليمن و الهادي في نشر مبادئهما هو أن فكر الهادي في الإمامة يقوم على مبدأ(من قام بها ودعا إليها فهي دعوة علنية وأما الإسماعيلية فهي تقوم على السرية إلى أن تتمكن من جذب الأنصار وتستوثق لنفسها ولذلك فإن ابن حوشب بدأ بالدعوة وجذب الأنصار مدة طويلة وبأسلوب سلمي باستمالة عواطف الناس دون إظهار مقصده منذ البداية ودون إظهار العقائد الإسماعيلية على العامة مستغلا كثيرا من العوامل مثل حب اليمنيين للدين والتدين وتشيعهم في علي كرم الله وجهه ، والطبيعة الجغرافية ، وضعف نفوذ العباسيين في اليمن وجور ولاهم والطبيعة القبلية وغيرها من العوامل التي ذكرناها وساعدت على انتشار التشيع باليمن.

وهي نفس العوامل التي ساعدت الهادي يحيى بن الحسين على بث ونشر الحركة الهاديوية وفكرها وبالذات في مسألة الاستحقاق السلالي في الإمامة.

أما الهادي فقد بدأ دعوته وفقا لفكره في مسألة استحقاق الإمامة الذي يقوم على مبدأ من قام بها ودعا إليها شاعرا سيفه .

فبدأ دعوته كما أسلفنا بدفع الفطيميين من أهالي صعده المناصرين له لإخضاع المناطق المجاورة لصعده لنفوذه بالقوة والحرب .

(١) - حسن سليمان عمود - تاريخ اليمن (أخبار القرامطة) - ماء الدين الجندي ص ٢٠٦

وأما علي بن الفضل الداعي الإسماعيلي فإنه لما فارق منصور في غلافقه ذهب إلى الجند ثم إلى أئين وهي بيد رجل من الأصابع (محمد بن أبي العلي) فخرج منها إلى يافع وعرفته بطبيعتهم وتدينهم ، فقد بدأ يتعبد في بطون الأودية فكانوا يأتونه بالطعام فلا يأكل إلا اليسير .

وأظهر التقوى والورع فأعجبوا به ودعوه إلى مسا كنتهم فذكر لهم : إنما يمنعه عن مسا كنتهم عدم امتثالهم بالمعروف والنهي عن المنكر وشرب الخمر والتظاهر بالفجور ، فحللوا له على الطاعة وألا يخالفوه بأمر فوعدهم خيرا ، وصاروا يجمعون له زكوا ثم حتى اجتمع له شيء جيد ^(١) ويبدو أن فترة تنسكه قد طالت لأن الفترة الفاصلة بين عام وصوله ٢٦٨هـ - وعام خروجه محاربا تقرب من أربعة عشر عاما وزادت مكانته والتف الناس حوله بمرور الأيام .

وكان قد أمرهم بعمارة حصن في ناحية (السرو) ففعلوا ^(٢) حتى إذا جاءت سنوات القحط والجاعة بين عام (٢٩١-٩٠٣م) (٢٩٢-٩٠٤م) وشاهد الناس يموتون جوعا دعاهم لقتال الظلمة فهاجم سلطان لحج وقتله واستولى المحاربون الفقراء على ما كان يحتزنه من طعام وأموال فانتشرت هذه الثورة فهجم على سلطان (الدملوه) ابن المفلس وسلطان المعافر ابن الكر ندي .

وبعد هذه الانتصارات توجه شمالا ليتصل بمنصور اليمن الذي تجمعت دولته في مسور بعودة نفوذ بني يعفر على يد اسعد بن أبي يعفر الذي كان يسيطر على صنعاء ويبدو أن إهمال العباسيين لليمن وجور ولا تهم قد عمل على تقسيم اليمن إلى زعامات إقطاعية وقبيلية وما صاحبها من صراع تلك الأوضاع هيأت اليمن للطامحين إلى السيطرة والحكم باسم الدين .

وأثناء تقدم علي بن الفضل حاول منصور اليمن الاستيلاء على شبام ، فاستولى عليها ونقل ما بها من أسلحة ومون إلى مسور وخرج منها سنة ٢٩١هـ ولم يعاود مهاجمتها إلا عندما دخل ابن الفضل صنعاء .

وفي سنة ٢٩٢هـ استولى ابن الفضل على مخالاف جعفر الخصيب بالمنطقة الوسطى ، وكان يحكمها إقطاعي هو جعفر بن احمد المناخي وهو الذي نافس بني يعفر والزبيديين

(١)- تاريخ اليمن - دكتور حسن سليمان محمود .

(٢)- الربيع - قرعة العيون .

واستطاع ابن الفضل أن يستولي على المذيخرة فهرب المناخي إلى الزياديين طالبا العون^(١) فلم يلبوا طلبه ولم يقدرُوا حجم ثورة ابن الفضل .

فعاد المناخي إلى أطراف مِثْلًا فهُ فحرض أنصار ابن الفضل الفلاحين للثورة عليه فقتل وقتل معه جماعة من أركان دولته^(٢) وهرب ابنه علي (إلى العراق "بأربعة أحمال دنانير مطوقة يريد الاستنجاد بالمكثفي الخليفة العباسي فقتله القرامطة بالطريق إلى العراق ، وبهذا سيطر :

ابن الفضل من عدن إلى السحول .

ومنصور اليمن من عمران إلى شبام .

والهادي في حروبه حول صعده كما أسلفنا .

الصراع الهادي الإسماعيلي:

أشعل أديعاء التميز السلالي والاستحقاق الإلهي للحكم والإمامة الفتنة والحرب من عدن إلى صعده وحولوا الحرب من صراع بين الزعامات الإقطاعية والقبلية إلى حرب مذهبية:-

حيث استمر علي بن الفضل في توسيع نفوذه فسيطر على ذمار التي كانت تابعه لاسعد بن أبي يعفر وكان يتولى قيادتها عيسى بن معان اليافعي ، فتراجع اليافعي أمام ابن الفضل ثم أنضم بقواته لابن الفضل .

وكانت مفاجأة لاسعد حيث كان يتوقع الخطر من الهادي والدعام أو من الضحاك أو من منصور اليمن .

إن قوة ونفوذ ابن الفضل شكلت ظاهرة جديدة في الصراعات باليمن حتى ذلك التاريخ فقد كانت الزعامات الإقطاعية أو القبلية هي التي تشن الحروب لتحافظ على نفوذها أو لتوسع هذا النفوذ .

فقد استعان الهادي ومنصور اليمن بهذه الزعامات دون أن يحس نفوذها .

كما أن من أسباب نجاح ابن الفضل انه كان يقود جيشا من الفقراء والمعدمين وهو ينتمي إليهم .

(١) -سيرة الهادي - ص ١٨٩ - المبدئ الإكليل ١/٢ - ٩٣-٩٤ .

(٢) - معتزلة اليمن - علي بن عماد زيد

أما الهادي فكان يشعر الآخرين بأنه صاحب حق في الحكم لأنه من سلالة نبوية وادعى كذلك ابن حوشب ، وأعتد في إخضاع الناس لدعوته بالقوة مستعينا بمن أتى معه من الطبريين ومستغلا الصراع بين الزعامات القبلية ومنصور اليمن أدعى انه من سلالة جعفر بن أبي طالب .

وكان شعار ابن الفضل تمكين عباد الله في مال الله ومثل هذه الشعارات كان لها أثرها بين الفلاحين والفقراء في ظل ما تظهره الزعامات الأخرى من إستعلاء وتميز سلالي .

ولذلك استمر ابن الفضل في التقدم واكتساح الزعامات التقليدية فدخل صنعاء في سنة (٢٩٣ - ٩٠٥) وخطب في المسجد الجامع^(١) وقد كف ابن الفضل أصحابه عن النهب وكنفوا عن القتل فلم يقتل إلا نفر قليل^(٢) وهرب اسعد واتباعه إلى شبام فأجبه منصور اليمن إليها فأضطر اسعد الهرب إلى الدعام بن إبراهيم والذي كان على علاقة طيبة مع الهادي وبني يعفر .

أما ابن كباله من بني طريف فقد والى ابن الفضل وقاتل معه فتوجه إلى ما حول شبام والتقى بمنصور اليمن ثم أجمه نحو صنعاء في ٣ ربيع ٢٩٣هـ وحاول الاتجاه نحو هامة وفيما ابن الفضل يواصل انتصاراته على الزعامات القبلية والإقطاعية المختلفة ، ومد نفوذه إلى ما حول صعده .

استطاع الهادي جمع هذه الزعامات الذي قضى على مصالحتها ابن الفضل وأغراها بإباحة الفياء والنهب خلال الحرب ، كما أن الهادي يحمل دعوة عقديه شمولية تستند إلى أساس إسلامي كان قد بثها إلى حد ما بين قبائل شمال الشمال خلال حروبه السابقة (يستطيع بما أن يقف في وجه الدعوة العقديّة الشمولية التي جاء بها ابن الفضل)^(٣) لتستهوي الناس وتحقق نجاحا سريعا مذهلا وركز على تفويض سلطة الزعامات التقليدية وإباحة ممتلكاتها للفقراء .

ومما ساعد الهادي على جمع الزعامات القبلية و الإقطاعية لتحقيق مقصده بعد فشله، عدم دخول ابن الفضل إلى مناطق قبائل شمال الشمال اليمني وبث مبادئه بينهم فقد وصل إلى صنعاء ثم توجه غربا نحو هامة وترك القبائل القوية والمؤثرة الواقعة شمال وشرق صنعاء فاستطاع ابن كباله بالتعاون مع العلويين إخراج من تركهم علي بن الفضل بصنعاء وقتلوا

(١) - سيرة الهادي ص- ٣٨٨ - ٤٠٤ ؛ الفماني - الإكليل ٨/ ١٢٠ بحسب بن الحسين بن القاسم - غاية الأمان

(٢) - سيرة الهادي .

(٣) - علي بن محمد زيد - معتزلة اليمن .

عدد منهم وهبوا ما كان بجوزهم في ربيع الآخر سنة ٢٩٣هـ أي بعد اقل من شهرين من دخول ابن الفضل صنعاء .

ونتيجة لما أصاب كبراء أهالي صنعاء ومشائخهم من رعب من ابن الفضل ابغوا الهادي بتحالفهم معه ونصرته ودعمه ماديا بشرط أن يلتزم الهادي بمذهبهم "مذهب الجماعة" ويجذروه من البدع فرد عليهم قائلا :- جاءني كتابكم تحذرون من البدع المضلة والأهواء المغوية والآراء المحدثثة والميل إلى الخلاف والفرقة وتحثون على لزوم الجماعة الأبرار الذين كانوا أعلام الهدى ومصايح الدجا وذلك عندما بلغكم من اجتماع الناس على غيبي وطعنهم علي وتنقصهم إباي وشتمهم لي من غير حدث أحدثته ولا خلاف أظهرت ولا رأي قبيح ابتدعت ، وزعموا أي تركت المنهاج الأكبر و أي سلكت الطريق الأوعر وسألوني ما أنا عليه وما أنا متمسك به وأوضح ذلك من لدن التوحيد إلى آخر فريضة وقد فسرت جميع ذلك في كتابي هذا حسب طائفتي^(١) ثم يمضي في شرح معتقده فيما يشبه الاعتراف بأنه مسلم وانه يؤمن بالله وبنبيه وبالوحي وبالجنة والنار وبالوعد والوعيد وبالفرائض المختلفة من صلاة وصيام وحج و أمر بالمعروف ونهى عن المنكر... ثم يعرج على ذكر آل البيت لإثبات حجتهم في أحقيتهم بالإمامة لأنه بدون هذه الأحقية يفقد أساس دعوته لهم بالطاعة والتسليم لدولته^(٢).

وهيأت الفرصة وتكون حلف واسع ضم غالبية الزعامات القبلية والإقطاعية وتولى الهادي قيادته ودخل صنعاء في ٤ جماد الآخر سنة ٢٩٣هـ / ٢ إبريل ٩٠٦م وحوله أركان الحلف من بني يعفر والدعام بن إبراهيم وولده من همدان وأبناء الروية من مراد ورداع وابن جعفر بن إبراهيم المناخي من مختلف جعفر (العديين ياب) ووجوه اليمن^(٣) وانتعشت أحلام الهادي من جديد وتحرك بسرعة لتوسيع سلطته فأرسل ابنه محمد جنوبا إلى ذمار وعمل على مد نفوذه في المناطق المجاورة لصنعاء وفرض على جميع سكان صنعاء (ربع أموالهم إفراز ومقاسمة)^(٤) وهذا نلاحظ استغلال الهادي للظروف وحرصه على جمع الأموال ، يفرضه على أهالي صنعاء ربع أموالهم ليحقق حلمه في إنشاء دولة لآل البيت وهذا هو التطبيق لفكره الداعي إلى حرية الاجتهاد فهي حرية تحقق مقاصد الإمام وهي حرية تعطي صلاحيات مطلقة للإمام دون قيود من الأحكام الشرعية التي تحدد مقدار الجباية أو ما أصل في المذاهب التي كانت سائدة .

(١) - جواب أهل صنعاء مخطوط (ضمن مجموعة) في ١٠٢-١٠٣ .

(٢) - علي بن محمد زيد - معتزلة اليمن .

(٣) - سيرة الهادي .

(٤) - سيرة المهدي احمد بن الحسين (علي محمد زيد - معتزلة اليمن

أما ابن الفضل فواصل انتصاراته في تهامة ضد بني زياد فاستولى على بلد حكم في حماد الآخر ٢٩٣هـ - إبريل ٩٠٦م وتوجه جنوبا مستوليا على مدن تهامة الواحدة تلو الأخرى فاستولى على الكدراء والمهجم ودخل زييد واخرج منها بني زياد ثم عاد إلى المذيخرة واكمل بذلك دائرة كاملة .

وحين عاد إلى مذيخرة علم بدخول محمد بن الهادي إلى ذمار فتوجه نحوها فهرب منها ابن الهادي ولحق بوالده في صنعاء ولما يثيره ابن الفضل من ذعر في نفوس خصومه أرسل المتحالفون مع الهادي أبا العشرة احمد بن محمد ابن الروية إلى رداع لجمع القبائل لأشغال علي بن الفضل عن التوجه إلى صنعاء فأرسل ابن الفضل قوات بقيادة ابن ذي الطوق فهزمت ابن الروية وقتلته في التاسع من ذي الحجة ٢٩٣هـ - ١١ أكتوبر ٩٠٦م .

وعاد حلم الهادي للاضمحلال فخرج من صنعاء بدون قتال كما دخلها بدون قتال سنة ٢٩٤-١٣١ أكتوبر ٩٠٦م نتيجة لعدم قدرته في القبض على زمام الأمور لتعقيدات الوضع لأن الزعامات التي تحالفت معه إنما فعلت ذلك للضرورة .

فقد عادت الزعامات القبيلة والإقطاعية إلى مناطقها وقوات ابن الفضل لا تزال على مقربه منه لتوفير الأموال اللازمة للمحاربين حتى لو بوسائل النهب .

كما أن ابن كباله من بني طريف أراد أن يستعيد السلطة على صنعاء وهو الذي تجاسر على مهاجمة ابن الفضل والاستيلاء على صنعاء فأخرج الهادي ولكن سرعان ما عاد أسعد بن أبي يعفر إلى صنعاء وجراح بن طريف بعد هزيمته في شبام أمام منصور اليمن فأقام الثلاثة في صنعاء واستطاعوا صد هجمة ابن ذي الطوق أحد قادة ابن الفضل فلم يستطيع دخول صنعاء فأطلق ابن الفضل بنفسه من المذيخرة فدخلها في رجب ٢٩٤هـ - أبريل ٩٠٧م .

وسيطر على صنعاء ابن الفضل مدة ثلاث سنين وتمكن ابن الفضل أن يمد نفوذ دعوته إلى بنجران فأشترك أنصاره مع بني الحارث في التمرد على محمد بن عبيد الله عامل الهادي على بنجران^(١) (وقيل أن المذهب الإسماعيلي بنجران إلى اليوم فهل كان انتشاره من ذلك التاريخ أم من قبل ذلك أم من بعد).

وخلال مدة سيطرته على صنعاء أنصرف للسيطرة على تهامة فما كاد ينصرف منها سنة ٢٩٣هـ - ٩٠٦م حتى عاد احمد بن علي بن زياد إليها من جديد حتى شهر صفر

(١) - سورة الهادي .

سنة ٢٩٧هـ - ٩٠٩م حينها توجه ابن الفضل وقائدة ذي الطوق إلى زبيد فاستولى عليها وعاد إلى مذيخرة وترك عاملاً عليها لكن الزياديين هاجموه وأخرجوه^(١) .

وفي سنة ٢٩٧هـ - ٩٠٩م (٩١٠) اجتاح صنعاء وباء قضى على كثير من الناس ومنهم عامل ابن الفضل فضعفت سلطته على صنعاء فأرسل الهادي علي بن محمد العلوي مع الدعام بن إبراهيم فدخلوا صنعاء بسهولة في رجب ٢٩٧هـ .

ثم أرسل ابنه محمد في جماعة من خولان ابن عامر وهمدان فدخل صنعاء في العاشر من شعبان فتوجه نحو حراز فأحلها من أيدي عمال ابن الفضل فلما علم ابن كباله من بني طريف الذي كان عند الزياديين في تمامة خرج لقتال محمد ابن الهادي والتف حوله كثير من الناس فأخرج أتباع الهادي من حراز واستولى عليها .

وحين طلب ابن الهادي من أبيه النجدة أمره بالانصراف فخرج من حراز ومن صنعاء في شوال سنة ٢٩٧هـ ولم يتوقف إلا بصعدة .

وتركت صنعاء بلا سلطة فجاءها جماعة من أنصار ابن الفضل أرسلهم منصور اليمن من شبام مكثوا بها أربعة عشر يوماً وخرجوا حين قدم جراح بن طريف وبعدما دخل اسعد بن أبي يعفر وتولى السلطة في صنعاء .

ونلاحظ هنا تماهت الهادي وتلك الزعامات على المناطق الغربية من صنعاء لخصوبتها لجمع الجبايات ولما ستأله القبائل المناصرة لهم من مغام من تلك المناطق عن طريق النهب والسلب ولا يتدفعون نحو المناطق الشرقية من صنعاء لقلّة خصوبتها .

كما نلاحظ أن الهادي أصبح أكثر حذراً وأقل اندفاعاً لعدم قدرته على نشر فكره في أغلب مناطق اليمن وبالتالي عدم قدرته على تكوين أنصار له في هذه المناطق فأصبح همه الأساسي منصباً على الاحتفاظ بصعدة وجران .

ولم يستطيع أن يثبت أفكاره ويكون له أنصار إلا بصعدة ولذلك أصبحت المركز الرئيسي للفكر الهادي لبيته بين أبنائها ولإستيوان أنصاره من الفرس في (المهجر)^(٢)

(١) - سيرة الهادي .

(٢) - المهجر :- وهي قرى موزعة داخل القبائل القوية بعضها أنشأها أبناء تلك السلالة وأتباعهم من الطوحيين وفقهاء الأمة المرتبطين معهم بمصالح .

وعمل سكان تلك المهجر على نشر الفكر الهادي بالدعوة إليه أو بتعليمه في مساجد تلك المهجر لأبنائهم ومن يصتقون ، وغزوات تلك المهجر هم أعوان الأمة الدعاة والعمال والحكام .

وامتدأت تلك المهجر أن تحمي نفسها بأن عملت على بث ثقافة مجتمعية بين القبائل مفادها أن الهجرة لا تشارك في القتال والصراع بين القبائل وأنه عيب وعار على لقبائل قتال أهالي المهجر وبذلك حرم أنفسهم حين في عدم وجود دولة تادئة على حمايتهم بفرض النظام . واحتكروا لأنفسهم التعليم والقضاء والإرشاد والإفتاء وحملوا لأنفسهم مكانة على قمة الهرم الاجتماعي بما بوه من تلك الثقافة .

الذين أتوا مقاتلين مع الهادي، أو القادمين من طبرستان وبلاد الديلم مدعين بأهم علويين.

إن مرحلة الأفرول لحلم الهادي الكبير بدأت حين فقد الحماس الذي كان يدفعه للاستيلاء على الخلافة بإعادتها إلى أصحابها الشرعيين حسب زعمه عند خروجه إلى اليمن وقد أنكمش طموحه إلى مستوى صعبه ونجران التي كانت آخر ملاذ له فكان يتعامل مع أي تمرد في هذه المنطقة بشراسة وكان أهم عوامل خذلانه هي عدم قدرته على بث ونشر فكره بين أبناء المناطق اليمنية بالإضافة إلى منافسه الدعوة الإسماعيلية عن طريق منصور اليمن وحركة علي ابن الفضل " ولم يكن لأي من الفرق المتصارعة هدف أو دعوة تصويبية يلمس الناس جدواها الأمر الذي أدى إلى عدم ثبات أهالي المناطق مع هذا أو ذاك.

ويعد أن بلغ اليأس مبلغا من الهادي لعدم قدرته في محاولاته المتعددة وغير اليائسة لفرض سيطرته وتكوين دولة نتيجة للأوضاع القائمة على الساحة اليمنية وعلى رأسها الدعوة الإسماعيلية وطموحات الزعامات اليمنية في الحكم الماثلة لطموحه ولخذلانه من آل الحسين الذين لم يستجيبوا لدعوته التي وجهها إليهم لمشاركته بتأسيس دولته وربما كان السبب كثرة الحروب وما جرت به من إفقار له يجعله غير قادر على جذب الطامحين من العلويين والمخاريين من الطبريين والبدو لأن الهادي لم يستطع أن يزرع في اليمنيين حماس لمشروعه حتى يعتمد عليهم^(١).

لذلك وجه بعد يأسه من دعم الحسينيين قسيده له إلى الحسينيين عسى أن يجمعوا له من الأنصار ما يساعده على الصمود حيث إن الحروب التي خاضها نفرت الكثير من العلويين والطبريين وإذا جاعوا فإنما يأتون للحصول على ما يمكنهم الحصول عليه من عطايا ويعودون من حيث أتوا فقال مخاطبا أبناء الحسن^(٢).

أبلغ بني حسن الأختيار مالكة
عن ناصح لهم ذي منطق ذرب

إلى أن قال :-

أهل النبوة ما بالي وبالكم
وكيف خفتكم على مثلي بلا سبب

(١) - علي بن محمد زيد - معتزلة اليمن .

(٢) - علي بن محمد زيد - معتزلة اليمن.

حالفتم الخفض واللذات وان غمدت
عني سيفوكم في ساعة التعب
ثم ادعيتم أمور غير واضحة
قبل البراهين هذا أعجب العجب

إن هذا الموقف للعلويين سيتبدل بعد انتشار الفكر الهادوي بين القبائل اليمنية وسيتسابقون على القدوم إلى اليمن نتيجة لما سيحصلون عليه من نذور ومكانة لما بثه هذا الفكر من أهم وريثة النبوة والدين .

ونعود إلى تاريخ هذه الفترة فقد أمضى اسعد بن أبي يعفر اشهر في صنعاء .

ثم خرج لقتال جيش منصور اليمن الذي يحتمل شبام في ربيع الأول (٢٩٨هـ-٩١٠) وولى على صنعاء جراح بن طريف وعلى ذمار ابن كباله وظلت الحرب سجالا بينه وبين منصور اليمن .

الانحصار نفوذ الهادي :-

عاد الهادي إلى صعدة تحت وطأة الشعور بالغرابة والإخفاق يتميز غضبا فتعامل مع الانتفاضات التي قامت بنجران وحول صعده بشدة وقسوة زادت كثيرا عما عرف عنه من شدة وقسوة فيضيف هدم البيوت وقطع الزروع وتخريب الآبار ومصادر المياه وتدمير قرى بأكملها قرية قرية^(١) .

وقد زاد من قسوته انتشار أنصار علي بن الفضل حول صعده بنجران وكذلك قلة موارده وعليه التزامات مالية نحو العلويين والطبريين وزعماء القبائل والمخاريين ولائحسار نفوذه على نجران وصعده وما حولها فقد عمل على زيادة الجباية لتغطية ذلك وعندما لم يستطع أباح عامله في نجران نهب السكان وكان هذا التصرف الشرارة التي أطلقت تمردا شاملا في نجران وكان نتيجة ذلك أن كتب عامل الهادي قصيصة يطلب من الهادي إبادة النجرانيين .

وهنا نرى مدى الابتعاد عن قيم الإسلام وثوابته في العدل والحوار والتسامح وخيم الحقد والكراهية إلى حد المطالبة بإبادة أبناء البلد من السكان لكنهم أقوى من أن يبادوا فكما أطلق الهادي الجنود لنيهم أطلقوا هؤلاء أيديهم في رجاله فقتلوا منهم ما قتلوا وهرب الباقرن وترجحه الثائرون بقيادة ابن حميد لحاصرة محمد بن عبيد الله حتى قتلوه وانهمروا

(١)- سيرة الهادي ص ٢٥٠ - ٢٥١ .

سلطة الهادي في بخران لفترة وظل مصرا على فكره وحلمه فراه يرسم صورته واضحة
لحياة أمل شاملة يعاني منها لسقوط مشروعه لإقامة خلافة علوية فيقول:

والله يعلم ما تركت جهادهم زهدا ولكن قللة الأعوان
ولقد حرصت بأن الاقي جمعهم فأبت علي عجارف الأزمان

ومرض الهادي ومات يوم ٢٠ من ذي الحجة سنة ٢٩٨هـ - ١٩ أغسطس
٩١١م^(١) خلفا ورائه دويله متدهورة اقتصاديا وماليا ومعتمدة كلياً على غير اليمنيين من
العلويين والطبريين وقله ممن تبعوا الهادي من اليمنيين فانتشروا في مختلف قبائل الشمال .

وظلوا ييثون فكر الهادي مهادين الظروف حتى أتيت لهم الفرصة في إدعاء الإمامة
من مناطق صعده وما حولها مرتكزين على ما بثوه وعملوا من اجله و المتمثل في ترسيخ
القبلية وبث العداء التراكمي والثارات بين تلك القبائل مع تجهيلها وحصر التعليم على
سلالاتهم وسلالات فقهاءهم وكان ذلك يسهل إدعاء الإمامة وبث الفتنة كما سنرى فيما
سيأتي :-

ثمائة علي بن الفضل :-

وفي سنة ٣٠٣هـ قتل علي بن الفضل في مذيخرة بالسم على يد رجل يسمى
حسن، يقال أنه أرسله الأمير اسعد ابن أبي يعفر وكان واليا على صنعاء من قبل علي بن
الفضل حيث قال هذا الرجل لأسعد أنا أقتله بالسم ، فقال له أن فعلت ونجوت سالما
قاسمتك مالي وان قتلت فعند الله الجزاء الأوفر.

فغزم الشريف إلى حضرة ابن الفضل وكان طبيبا ماهرا في مداواة الجراح فما زال يداوي
المرضى والجرحى حتى اشتهر في المذيخرة فاحتاج ابن الفضل إلى الفصد فوصف له
الشريف فاستدعاه وقد عرف ما يريد فجعل السم في أطراف لحيته ودخل عليه ومص
المضغ بمحضته كما يصنع عند الملوك لرفع الشكوك ثم جفف المضغ في لحيته حتى عرف
أنه قد علق السم في المضغ ففصده وخرج عنة ففشي السم في بدن ابن الفضل ومات
فأمر بإرجاع الطبيب فهرب فأدرك في السحول وقتل هناك شهيدا^(٢) وكان ابن الفضل قد
فتح جميع المدن اليمنية وقضى على الدول المناوئة له ، وبعد موت علي بن الفضل قام

(١) - سيرة الهادي .

(٢) - تاريخ عمارة .

أسعد ابن أبي يعفر باستتفار القبائل وهجم على مذيخرة وانتهت حركة علي بن الفضل وأستمر القتال بين الجموع المواليين للناصر بقيادة الضحاك^(١).

* ونلخص سيرة الهادي في الآتي :-

ظهر الإمام الهادي عام ٢٨٤هـ ، وحاول إقامة دولة منفصلة عن الدولة العباسية وقام على مذهب خاص به فلم يكن على مذهب الإمام زيد نفسه ولا على مذهب جده القاسم وكان له حروب مع اليعفرين آل الخوالي المواليين للزياديين ودخل صنعاء ثم أخرجها منها اليعفرين وبين طريف و علي ابن الفضل .

وأرسى الحق اللاهني في توارث الحكم في البطنين كما أوضحنا سابقا في فصل نظرية الإمامة عند الهاديون في كتابه الأحكام والمنتخب ورسائله.

وكان قيامه خروجا على الدولة العباسية وخروجاً على ولائها الزياديين و تزامنا مع اليعفرين في شبام ، وقيل الهادي خرج إلى اليمن منصور حوشب وعلي بن الفضل كداعيين لميمون القداح لينشئ المذهب الشيعي الإسماعيلي والهدف الجامع للفرقين هو الخروج عن ثوابت الدين الخنيف المرتكزة على المساواة بين البشر الراسخة في محكمات الآيات القرآنية وفي صحيح سنة رسول الله ((صلى الله عليه وسلم)) والمقلدة لكبر الشيطان ، وتميز اليهود العنصري على سائر الأجناس ، وقام الفريقان بعمل إبليس في بث الشقاق والفتنة على مستوى الأمة الإسلامية بالخروج على راية الخلافة من ناحية ، ومن أخرى بتزيق الأمة اليمنية حيث اصل مذهبيا للتمييز السلالي ، كما يقول^(٢) الإمام الهادي في المجلد الثاني من كتاب الأحكام ص ٣٦٠ مؤكدا نزوعه الشيوعي الرافض للشورى فيما تثبت به الإمامة للإمام ممن كان من البطنين بلانها تثبت من الله وليس من الناس أي تفويض إلهي " وتثبت الإمامة للإمام وتجب له من الأنام فيمن كان من أولئك (أي من البطنين)^(٣) فقدحكم الله له بذلك رضي الخلق أم سخطوا وليس تثبت الإمامة بالناس للإمام كما يقول أهل الجهل من الأنام " .

وأصل لمبدأ الخروج والسياف ولمبدأ جواز قيام إمامان في وقت واحد ولمبدأ الإمام القائم والقاعد وغلب على من جاء بعد ظهور الهادي إتباعه في مذهبه وإدعاء الإمامة خارجين على الدول القائمة أو على بعضهم البعض فكان في أغلب المراحل التاريخية إمام وخارج عليه أو عدة خارجين أو عدة أئمة كما سبأني من عهد أصفاد الهادي وبهذا بث هذا الفكر الفتنة لأكثر من ألف عام كان وقودها دماء اليمنيين حتى تشقت الطائفية والقبلية التي كان الإسلام قد أطفأ جذوتها باعتصام المسلمين بحبل الله في إطار الأخوة الإسلامية و الولاء للأمة القائمة على المساواة بين البشر في الدنيا والآخرة على أساس أن التميز أمرا كسبيا لا قسريا .

(١) - تاريخ عمارة .

(٢) - حاورت الشوكاني (مقالة بجريدة الثورة ٢٠٠٥ م .

(٣) - وقد ذكر منا من هم من البطنين " أي أبناء الحسن والحسين " وقيل أبناء البطنين هم أبناء الحسين من أم فارسية أبة كسري فارس أي أبناء بيت النبوة وبيت الملك .

الفصل الخامس

صراع الهادويون على الإمامة

أبناء الهادي والقادمون إلى اليمن

ق ٤ - ق ٩ هـ

المبحث الأول :-

(صراع أبناء و أحفاد الهادي على الإمامة)

المبحث الثاني :-

صراع أدعياء الإمامة القادمين من العراق وفارس

المبحث الثالث :-

حروب أدعياء الإمامة مع الصليحيين

المبحث الرابع :-

استعانة الهادويون بالأيوبيين على اليمنيين

المبحث الخامس :-

صراع أدعياء الإمامة الهادويون مع الرسوليين

المبحث الأول

(صراع أبناء و أحفاد الهادي على الإمامة)

أثر الفكر الهادي على أمن واستقرار الهاشميين ذلك لأنه كان الباعث لدوافع الصراع على السلطة بين الهاشميين ذلك لأن الفكر السياسي الهادي يقوم على مبادئ تؤدي إلى تنافس العلويين على السلطة منها

١- الإمامة لمن قام بها ودعى إليها (وهذا المبدأ أدى إلى صراع العلويين فيما بينهم) كما سنرى في مختلف العصور .

٢- مبدأ الخروج والسيوف (وهذا أدى إلى خروج أحد العلويين على الإمام القائم في مختلف الأزمنة كما سنرى) ، إضافة إلى الخروج باسم الحسبة ولأن هذه النظرية تقوم أساساً على الحق الإلهي لمن هم من البطين فقد جعلت كل إمام يخشى أي علوي يكون له شأن أو نفوذ ، الأمر الذي أثمر معاناة الهاشميين أثناء حكم الأئمة كما عانت اليمن أرض وإنسان ويتضح ذلك بجلاء ابتداءً من أحفاد الهادي .

١- الأسرة الأولى:-

وعمل بذلك الفكر أدعى الإمامة محمد بن يحيى بن الحسين في شمال الشمال متزامناً مع الزياديين وفي عهده وعهد أبيه رفض اليمينيون منطق التمييز السلالي مادياً بعدم الرضوخ ثم فكراً ومن أوائل من حمل هذه الراية أبو الحسن بن أحمد بن يعقوب الهمداني صاحب الإكليل وصفة جزيرة العرب.

والجوهريين وبدامغته الشهيرة وبخلفه الإسلامي رد عليهم في الدامغة بمناقب اليمينيين المتعددة في مناصرة رسول الله ((صلى الله عليه وسلم) ودورهم في قيام الدولة الإسلامية وفتح مشرق الأرض ومغارها دون أن يذكر أو يرمز إلى أي مثالب في نسب الأئمة وسبقه آخرون في ذلك كما ذكرناه في فصل ثورة اليمينيين على التمييز السلالي عبر العصور ولم ترسخ اليمن لحكم الهادي أو لأبنته من بعده فكان يدخل المناطق والمدن غازياً فيخرجه أهلها ولم تستقر له إلا صعده وما حولها وهي المناطق التي استطاع أن يبث مذهبها فيها.

وأدعى الإمامة الابن الثاني للهادي وهو أحمد بن يحيى بن الحسين ولقب بالناصر وتوفي سنة ٣٢٥هـ وسلك نفس الطريق الذي سلكه والده في الخروج على الخلافة وولائها من

الزيديين ، وطوال فترة ادعائه للإمامة استمرت الحروب بين القبائل التي جمعها إلى حواره وبين أتباع منصور حوشب "بمدينة حجة" من جهة وبين اليعفرين في صنعاء فتارة يهادمهم مستعينا بأحمد بن محمد الضحاك الحاشدي .

ونود أن نشير هنا إلى أن بث الفكر الهادي كان قد أنتشر في المناطق المحيطة بصعدة بين العامة من قبائل حاشد وبكيل وبسائل النشر المقتصرة على فكر هذا المذهب عن طريق من تم تهايمهم وربطهم بمصالح مع الأمام ممن يسموا بالفقهاء والقضاة والذين سميوا فيما بعد بأهل الحل والعقد والذين اقتصر التعليم في أبنائهم فيما بعد وكانوا كالمحلل للفكر الهادي ، والذين استوطنوا في تلك المناطق بنظام يحميهم من اعتداءات القبائل ولا يشاركون في حروب القبائل فيما بينها وسميوا مع المناطق التي يسكنونها "بالمجر" ومفردها "هجرة" واحتكروا التعليم في أبنائهم .

وما يؤكد اعتناق ذلك الفكر أن الضحاك كان أكثر قوة من أي أمام عاصرة ولكنه كان يعقد الإمامة إلى رجل ينتمي إلى هذه السلالة .

ووصلت جموع الضحاك ومن ساندة من اليمنين إلى عدن وخلال فترة أحمد بن يحيى ابن الحسين كان المتقاتلون على الساحة اليمنية فيما بينهم ومعه علي ابن الفضل والمنصور بن الحسن وعبد الحميد السوري وابن أبي ملاحف وأسعد بن يعفر الحوالي في المرتفعات من صنعاء إلى عدن وعاصرهم في تمامة إسحاق ابن إبراهيم الزيايدي ابن أبي الجيش في زبيد ووصلت النجدة العباسية إلى زبيد لمعاونته على الخارجين، وتوفي أحمد ابن الهادي ابن الحسين في ذي القعدة سنة ٣٢٥هـ وأدعى أولاده الإمامة كلاً لنفسه.

وقسموا المقسم وأشعلوا فتنة في أجزاء الفتنة المشتعلة أصلاً فأدعى الإمامة ابنه يحيى ولقب بالمنصور وخرج عليه أخوه ولقب بالمختار لدين الله وخرج عليهما الحسن وكان بينهم حروب

ومنذ هذا التاريخ بدأ صراع الهاديون فيما بينهم وفقاً لمبدأ الهادي في الإمامة القائم على (من قام بها ودعا إليها) كما سنرى فيما سيأتي :-

وتوفي الحسن بن أحمد ٣٢٧هـ وأسر الضحاك الحاشدي القاسم بن أحمد ابن يحيى ابن الحسين الملقب بالمختار لدين الله في حرب بينهما ثم قتله سنة ٣٤٥هـ وقام بعد المختار لدين الله ابنه المنتصر لدين الله ابن القاسم ابن أحمد يحيى ابن الحسين سنة ٣٤٥هـ واستمرت نار الحرب بينه وبين عمه واستمال إليه قيس ابن الضحاك على أبيه

واعتنق الأخير المذهب الها دوي وتعصب له وقامت بينهم واقعة في نجران قتل فيها الضحاك الأب

ثم ادعى الإمامة يوسف بن يحيى بن احمد بن يحيى الحسين ولقب بالداعي توفي ٣٦٧هـ .

المبحث الثاني

صراع ادعاء الإمامة القادمين من العراق وفارس

بعد توطن أبناء الهادي صعده وما حولها وانتشار فكر الهادي كثقافة بين أبناء تلك المنطقة وبالذات استحقاق الإمامة لمن هم من البطينين في مرحلة لم تستطع أي من الزعامات المحلية والدويلات القائمة فرض سلطتها وتطبيقا لفكر الهادي بأن الإمامة لمن قام بها ودعا إليها ممن هم من البطينين ، كل ذلك جذب من يدعون الانتساب إلى الحسين أو من ينتسبون فعلا إلى القدوم إلى اليمن للصراع على الإمامة مع الأسرة الأولى.

٢- الأسرة الثانية (العيانيين) (١):-

وهنا قذفت أطماع الحكم والإمامة بمدعى للإمامة جديد هو القاسم بن علي العياني بن عبد الله بن محمد بن القاسم بن إبراهيم منافسا للإمام يوسف بن يحيى بن احمد بن يحيى بن الحسين ولقب بالداعي توفي ٣٦٧هـ .

وقامت الحروب بين يوسف بن يحيى وبين العياني وبين العياني وبين الإسماعيليين في نجران وبينه وبين الزعامات القبلية والدولة القائمة وتغلب القاسم بن علي العياني على يوسف بن يحيى. ودخل القاسم بن علي العياني صنعاء ثم توفي سنة ٣٩٣هـ وانتهى أمر الحواليين في عهده.

وبدخول هذا المدعى للإمامة دخلت أسرة أخرى تنافس الأولى وكان من أسباب قدوم هذا الداعي ما همياً للهاشميين من تشيع خلال المدة المحصورة من قدوم الهادي إلى هذا التاريخ الأمر الذي جذب أفراد وزرافات من الهاشميين أو ممن يدعون أنهم هاشميون من العراق وفارس كما سيرد في حينه.

(١)- تاريخ اليمن - عبد الواسع يحيى الرواسي البستان .

أشعل الطرفان نار الفتنة بين اليمينيين يوجهونها جيل بعد جيل ويدفع ثمنها اليمينيون جيل بعد جيل وترسخ تبعاً لذلك النعرات القبلية وتتراكم الأحقاد بينها وتتأصل كثقافة ولا ذنب لهذه الأمة سوى أنها ناصرت الهاشميين العلويين عندما شردهم ونكل بهم أبناء عمومتهم العباسيين أثناء فتنة التميز السلالي التي اشتعلت داخل البيت الهاشمي والتي كانت نتيجة للتمييز السلالي داخل البيت القرشي.

ونلاحظ هنا أنه لم يتعظ من أحداث الصراع أياً من المتنازعين على الإمامة بحيث يجتهدوا طرق أو آليات لانتقال السلطة أو يجتهدوا شروطاً أكثر دقة للخروج .

ولو وجد منذ الهادي الإمام العادل والقُدوة لأتبعه الناس عن اقتناع ولحصل على ولاء الناس ولكنهم فرضوا هيبتهم وسلطتهم بالقوة الأمر الذي أدى إلى خروج معظم المناطق والقبائل عن طاعتهم عندما تحفت أو تنعدم القوة .

والأمر الآخر: هو أن الامتيازات والمغانم التي كانت تتمتع بها القبيلة المناصرة كانت تدفع القبائل الأخرى لمناصرة أي مدعي للإمامة أملاً في أن يتحقق لها نفس الامتيازات والمغانم ، وكان يدفع القبائل إلى ذلك أيضاً الثأر من القبائل التي أخضعتها للإمام القائم ، وعارض القاسم بن علي العياني وخرج عليه القاسم بن الحسين الزيدي .

ربما يختلف القادة والأعداء^(١)

في الألوان والشارات

إلا في السواد

وتدمير البلاد .

٣- الأسرة الثالثة (أبناء القاسم بن الحسين الزيدي) "أبناء الزيدي"^(٢) :

وخرج على القاسم بن علي العياني ، القاسم بن الحسين الزيدي من ولد الحسين بن زيد بن علي وهذه سلالة ثالثة دخلت اليمن لتزيد حنة اليمن وقد ادعى في ذمار وصنعاء ثم تنحى عن كل شيء وعاصروا أو آخر أيام أبو الجيثم إسحاق ابن إبراهيم الزيدي ثم أيام مولاه الحسين بن سلامه صاحب الأيادي البيضاء في أعمار البلاد بالمساجد وتأمين طرقات الحجاج والبر والإحسان بالرعية كما ذكر عمارة في تاريخه أنه قد عاصرهما ابن الضحاك وابن الدعام وبني المنتاب وبني الحنات الحجوري وأسعد ابن أبي الفتوح آخر أيام

(١) - فصائد قصرة - احمد ضيف الله العواضي "استبدلنا كلمة "حياتات" ب"بدمر"

(٢) - تاريخ اليمن - عبد الواسع يحيى الواسعي اليماني.

عبد الله ابن قحطان اليعفري ، وكان الصراع بين أدعياء الإمامة وهذه القوى وبين القاسم الزيدي و القاسم العياني وأدعى الإمامة بعدهما ابنيهما فأدعى الإمامة الحسين بن القاسم بن علي العياني و أدعى الإمامة معه محمد بن القاسم بن الحسين الزيدي فكان الصراع بينهما فقامت الحروب و استمرت الفتن التي كان وقودها اليمينيون إلا أن هذه المرة يسيل دم محمد ابن القاسم ابن الحسين الزيدي مع دماء اليمينيين وقد قتله الحسين بن القاسم العياني بصنعاء وعمره ٣٠ سنة وأما الحسين بن القاسم بن علي العياني فقتل في معركة باليون ٤٠٤ هـ — وأدعى أنصاره أنه المهدي المنتظر وبالغوا في التشيع له وأطلق على أتباعه الحسينيين وهذه إحدى فرق الهاديوية وتصديقاً لمدعاة السذج من أن الحسين بن القاسم بن علي السابق ذكره هو المهدي المنتظر(المشهور بمهدي ريده) قام بأمر الفتنه بعده محسن ابن القاسم بن علي العياني ولم يدعى الإمامة تصديقاً للأكذوبة السابقة.

وقد ظهرت ثورة فكرية تخالفهم الرأي تمثلت في آراء إبراهيم بن محمد الوزير الذي رد عليهم و رأى عدم جواز الخروج إلا إذا ظهر ما يوجبه مع انه متفق معهم في انحصار الإمامة في البطنين وظهر رفض السلالية ودحض مبرراتها في فكر وشعر نشوان بن سعيد الحميري وسترده أفكاره في فصل الثورة الفكرية على الهاديوية عبر العصور.

٤- الأسرة الرابعة (أبو هاشم وأبنائه ٤١٨ هـ):-

ونتيجة لفكر الهادي المؤصل لتمييز أبناء هذه السلالة في استحقاق الإمامة على أساس النسب ولانتشار ذلك الفكر كثقافة جعلت لكل أدعياء الإمامة هيلمان ومغائم تلك البيعة جذبت هؤلاء إلى اليمن على أساس الانتساب إلى البطنين .

ولذلك قذفت أطماع الحكم بمدعي جديد استفاد من كل ما أصله الأولين وأصبح كاعراف قبلية ومذهبية (ثقافة مجتمعية) أبرز سماتها أن الإمامة لا تجوز إلا لمن هم من البطنين والوسيلة هي استباحة دماء المسلمين بالقتال مع الخارج ضد الإمام أو مع الإمام ضد الخارجين فإحدى الفريقين يقاتل الإمام الظالم وفقاً لفكر الهادي والآخر يقاتل مع الإمام الخارجين بدعوى إخضاعهم لشرع الله.

ومن هؤلاء أبو هاشم الحسن ابن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم ومعه أبنائه حمزة وعلي وهذه الأسرة الرابعة ودخلت في الصراع على الإمامة مع أبناء الأسر السابقة فأدعى أبو هاشم الحسن الإمامة سنة ٤١٨ هـ — بناعط (قرية بما حصن حميري بمديرية حارف بمحافظة عمران) وتلقب بالمعيد لدين الله ودعوته لم

تزيد إلا الفتن وسانده مشايخ همدان وابن أبي الفتح وعاصره في الطرف الآخر نجاح^(*) مولى بني زياد وبني الحناط وبني معن وبني الكريدي والحسين ابن عامر وابن الأسد الزواحي ، وكانت الحروب بين أدعياء الإمامة فيما بينهم وبين القوى المعاصرة لهم.

وقام بالاحتساب القاسم بن جعفر بن القاسم بن علي العياني ولم يدعي الإمامة واستمرت الفتنة به وقامت بينه وبين من سبقه وبينهما معا وبين الناجحين والصلحيين وأمواج الفتنة تتأصل كثقافة وسلوك خاصة في القبائل الواقعة في شمال الشمال وتأصل العداء المتبادل بين القبائل اليمنية نتيجة للجوء كل مدعي للإمامة إلى قبيلة أو مجموعته قبائل ولجوء الخارج عليه إلى قبيلة أو قبائل أخرى؟ فتراكمت الثارات والحراب والدمار في معمور هذه المناطق وكحتمية تدهورت أحوال مواطني هذه القبائل اقتصاديا فتهيأت لأتباع منشئي الفتن (أدعياء الإمامة) وغيرهم الظروف المواتية لإشعال الحروب أملا في مغنم من سلب أو نهب نتيجة الغزوات المتبادلة بين أدعياء الإمامة من ناحية وبينهم وبين القوى الحاكمة لبعض المناطق وعلى رأسهم النجاشيين والصلحيين وقد أصل السلايون المتصارعون على الحكم مبدأ استباحة ممتلكات المنهزمون ودمائهم ، وأصل نتيجة لذلك الفكر والممارسة التمايز بين القبائل باستعلاء إحداها على الأخرى .

٥- الأسرة الخامسة (أبو الفتح الديلمي) ٤٣٠هـ :-

هذا المناخ المفعم بالفتن الناتجة عن هزيمة البيعة بنشر الفكر الهادي في مسألة الإمامة واستحقاقها (لمن هم من أبناء الحسن والحسين و لمن قام بها ودعا إليها منهم) ذلك الفكر أغرى مدعين آخرين فانطلقت بهم أطماع الإمامة و الحكم من بلاد فارس ومنهم أبو الفتح بن الناصر بن الحسين بن محمد بن عيسى بن عبد الله بن احمد بن عبد الله بن علي بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب والمشهور بأبو الفتح الديلمي وذكر بأنه^(١) اختلف في نسبة (وقيل غير ذلك في نسبه) ويا ليت

(*)- دولة بني نجاح - (٤٠٣ هـ - ٥٥٥ هـ) :-

- ١- سعيد بن نجاح (الأحول) - ٤٥٢ - ٤٨١ هـ .
- ٢- جياش بن نجاح - ٤٨٣ - ٤٩٨ هـ .
- ٣- فاتك بن جياش - ٤٩٨ - ٥٠٣ هـ .
- ٤- منصور بن فاتك - ٥٠٣ - ٥٢١ هـ .
- ٥- فاتك بن منصور - ٥٢١ - ٥٤٠ هـ .
- ٦- فاتك بن محمد بن فاتك - ٥٤٠ - ٥٥٥ هـ .

(١) عبد الواسع التراسي في كتابه تاريخ اليمن المسلمي فرجة الموم والحزن في حوادث تاريخ اليمن.

شعري هل الوافدين ينتسبون إلى سلالة الحسن والحسين أم أن تشيع اليمينيين في أبناء هذه السلالة وما ترتب عليه من مغام هو الدافع في انتماء الوافدين من أصقاع الأرض إلى هذه السلالة فالخلاف في انساب الوافدين كثيرة وأكثر منه عددهم وما تبعه من توافد المنتسبين إلى العباسيين وإلى الحمزة بن أبي طالب وإلى جعفر وإلى غيرهم من الهاشميين .

المبحث الثالث

حروب أدعياء الإمامة مع الصلحيين^(١)

ويوصول أبو الفتوح إلى اليمن دخلت أسرة خامسه تنافس علي الإمامة داخل اليمن حيث شاركت مع من قبلها في تمزيق الممزق وزيادة ثروة اليمينيين من الفتن .

فقام الديلمي وأدعى سنة ٤٣٠هـ بدمار وسانده القاسم بن جعفر وأخوة محمد بن جعفر وقام بإشعال الحروب مع الصلحيين وكان ينطلق من حصن ظفار وأدى دوره في إشعال الحروب كأسلافه حتى قتل في معركة مع الصلحيين سنة ٤٤٤هـ^(١) بنجد الحجاج من بلاد عنس .

واستمرت حروبه ١٤ سنة وزادت محنة اليمينيين بمجاعة انتشرت أواخر أيامه .

وبعد قتله قام بالسير على خطاهم بالقيام بما يسمى بالحسبة القاسم بن جعفر بن القاسم العياني وقام معه أخوة ذو الشرفيين محمد بن جعفر وهؤلاء قاموا بالحسبة داعيين باسم الحسين بن القاسم العياني (مهدي ربه) تصديقا أنه المهدي المنتظر ولا يصح في اعتقاد هذه الفرقة^(٢) إدعاء الإمامة (وهم يشاهون في معتقدتهم هذا الشيعة الإمامية وإدعاء الحسبة يتيح الخروج لمن لا تتوفر فيه شروط الإمامة وخاصة شرط العلم والاجتهاد .

فالفكر الهادي قد فتح المجال لمن لا يتوفر فيه شيء من علم أو معرفة ، أن يقوم بالخروج باسم الحسبة فزاد في عدد المتنافسين على الإمامة .

(*) - دولة بين الصلحي (٤٣٩ - ٥٣٢هـ):

١. علي بن محمد الصلحي ٣٩ - ٤٨٥ هـ
٢. المكرم بن علي بن محمد - ٤٥٨ - ٤٨٤ هـ
٣. سبأ بن أحمد بن المظفر - ٤٨٤ - ٤٩٢ هـ
٤. لروى بنت أحمد الصلحي - ٤٩٢ - ٥٣٢ هـ

(١) - عبد الواسع الواسعي - تاريخ اليمن .

(٢) - هذه فرقة من فرق الهاديوية تسمى الحسينية

ولاحق الصليحيون القاسم بن جعفر بن القاسم العياني وقبضوا عليه (بوادعه) من بلاد حاشد بمحافظة عمران فأسروه فيها وتحصن والتجأ أخوه ذو الشرفين بشهارة وهي مدينة متحصنة في قمة جبل شامخ تسمى "مديرية شهارة بمحافظة عمران".

وكانت الحصون القائمة على الجبال الشاخنة تساعد مدعي الإمامة عندما يقل أتباعهم. ويلاحظ أن اغلب أدعياء الإمامة بدعوا دعوتهم من تلك الحصون وكانوا غالباً ما يشنون غاراتهم منها عندما تتوفر الفرصة

وبعد ذلك فك علي بن محمد الصليحي أسر القاسم بن جعفر بن القاسم العياني و أطلق سراحه.

وقام بالسير على خط من سبقه الوافد من الحجاز والذي سبق ذكره أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسن بن القاسم بن إبراهيم وهو الذي انتسب إليه من يسمون بالحمزات وقام هنا بدعوى الحسبة ، وادعاء الحسبة أو الإمامة اختلت فيها المعايير والأحقية والزمن والمكان ومن لهم الحق في تنصيبه محتسباً أو إماماً ولم نعثر في ما أصله الهادويون أجابه على تلك التساؤلات.

أفلم ينظروا هؤلاء إلى عاقبة هذا الفكر و ما جره من فتن ومحن ولم يعلموا أن روح الإسلام الخنيف المتمثل في كتاب الله وسنة نبيه قائم على العدل والمساواة بين البشر وحرمة دماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم تطبيقاً لقول رسول الله (صلى الله عليه وسلم) ((الفتنة نائمة لعن الله من أيقظها)).

واستمر أبو هاشم الحسن بن عبد الرحمن بالفتنة والخروج على الدولة القائمة باليمن وهي الدولة الصليحية حتى قتله الصليحيون بناعط (مديرية خاراف في محافظة عمران) وقد قتله عامر بن سليمان الزواحي أخو السيدة بنت أحمد ٤٥٩ هـ (*). وفي نفس العام قتل علي بن محمد الصليحي على يد سعيد بن بنجاح وأخيه جياش^(١) في المهجم بتهامة وقتل معه أخوه عبد الله الصليحي فاستلم راية الفتنة القاسم بن جعفر بن القاسم بن علي العياني مره أخرى بعد أن كان قد أسره الصليحيون وأطلقوه وناصره اخوة محمد بن جعفر وظل كجهد أسلافه يوجج نار الفتنة حتى قتله بنو الدعام^(٢) من

(*) - واحتلفت المصادر التاريخية في تحديد تاريخ وفاة أبو هاشم بن عبد الرحمن بين ٤٥٨ أو ٤٥٩ هـ

(١) - انتقاماً من علي بن محمد الصليحي الذي قضى على دولة العبيد من بني بنجاح واستولى على زيد - زيارة - أئمة اليمن .

(٢) كانوا مشايخ بكل في هذه الفترة

ناحية الجوف في سنة ٤٦٨هـ - فأكمل المسيرة أخوه ذو الشرفين محمد بن جعفر وأستمر في الصراع على الحكم وعمل مثل أسلافه وبنفس أساليبهم

واستمر محمد بن جعفر في الخروج إلى أن توفي سنة ٤٧٨ هـ^(١) وكان أثناء خروجه على تحالف مع النجاشيين ضد الصليبيين أيام المكرم ابن علي ابن محمد الصليحي .

ثم قام بعده بالحسبة وادعاء الإمامة ابنه جعفر بن محمد بن جعفر

وقد قتل في أثناء خروج جعفر بن محمد بن جعفر سنة ٥١١ هـ القائد الصليحي عامر الزواحي وتباهي شاعرهم بقتله فقال:

نحن قتلنا عامر وأبنيه يحيى وكاننا ملكي حمير^(٢)

وما زال يشعل الفتن حتى قتله أهل صعده واستمرت الفتنة بعد موته بين أتباعه وعلى رأسهم الشيخ محمد بن عليان سعيد النجري الخولاني حتى خربت أجزاء كثيرة من مدينة صعده وقتل في هذه الفتنة حاتم الياضي .

وهنا يفرض على المتبع للتاريخ سؤالا إذا كان سعيهم بالخروج والحرب وسفك الدماء لغرض إنشاء دولة أفضل مما هو قائم في أي عصر فقد أقاموا دول فما هو الذي حققه هؤلاء في مختلف نواحي الحياة للمسلمين في هذه البقعة من أرض الإسلام فلم نجد لهم أثرا يضاهي الزياديين أو الصليبيين أو الرسولين أو الطاهريين .

وقد جاء الهادي خارجا على الدولة العباسية ليحقق حلمه بانتزاع الخلافة منهم ، ولكنه لم يخرج ومن جاء من بعده إلا على اليمنيين ولم يقاتل إلا اليمنيين .

ويصف الشاعر أديعاء التميز بقوله:-

وعلى حجر هشة تعتلي !

لترمم هيكل أنسابها الجاهلي^(٣).

- دعوة أبي طالب الأخير من بلاد فارس :-

وفي سنة ٥١١ هـ - نفثت بلاد الديلم دعوة من يسمى أبي طالب الأخير وهو يحيى بن محمد بن الإمام المؤيد بالله بن احمد بن الحسين الهاروني الذي ادعى من بلاد الديلم وبعث

(١) عبد الواسع الواسي - تاريخ اليمن .

(٢) - عبد الواسع الواسي - تاريخ اليمن

(٣) . قصائد قصيدة - احمد ضيف الله العواضي .

بدعوته إلى اليمن فقام بها المحسن بن الحسن بن الناصر داعياً للإمام أبي طالب الهاروني ثم ادعى بعد ذلك إلى نفسه فأين الحق للداعي أم للمدعو له؟ .

وثار عليه أهل صعده ثم قتلوه ، وقامت حرب بين أتباعه وأهل صعده وخربت صعده نتيجة تلك الفتنة .

من دمي صنع الخصم حنجره^(١)

وما سبب إصرار ادعاء الإمامة على قيامهم من اليمن رغم عدم نجاح أي منهم إلى هذا التاريخ؟ .

وهل ثمار الفتن باليمن تستحق كل هذا التهافت للمدعين من الحجاز وبلاد فارس ومن أصقاع الأرض؟ .

وقد عمل تأصيل الفكر الهادوي إلى تصارع أبناء الأئمة على الحكم الذي قام على نقض العهود ويظهر ذلك عند خروج الابن علي أبية والأخ علي أخيه وكان حب الدماء وإزهاق الأرواح قد زرعه هذا الفكر في جيناتهم يورثونه جيل بعد جيل.

وهذه من الصفات التي يجمعهم حيث لا يجمعهم لون ولا ملامح يميزهم عن إخوتهم اليمنيين إلا ما أصل لهم الفكر الهادوي من تميز في استحقاق الإمامة على من آوهم في بلادهم.

ولذلك قام محتسباً علي بن زيد بن إبراهيم الملقب بن الناصر لدين الله الهادي وسانده احمد بن سليمان وقام بإنشاء القصائد التي تؤيد التميز السلالي العنصري والتي تدعو العلويين إلى العمل من أجل اشعال نار الفتن وقتل علي بن زيد بن إبراهيم الملقب بن الناصر لدين الله (بشظب)^(٢) سنة ٥٣١هـ

وأدعى بمنطقة حيدان بصعده في أثناء هذه الفترة احمد بن سليمان ٥٣٣هـ^(٣)، وهو الذي أفتى بجواز قتل القحطاني^(٤) إذا تزوج من علوية .

وكانت فتنه هاذين قد عاصرت آخر أيام سعيد بن نجاح وأيام جياش بن نجاح وابنه فاتك بن جياش ثم فاتك بن منصور وفي الجانب الآخر المكرم احمد بن علي الصليحي

(١) - نفس المرجع السابق .

(٢) - خطب قرية بحدوية السودة من محافظة عمران .

(٣) - عبد الواسع الواسعي - تاريخ اليمن

(٤) - (كما ذكر في كتاب الفتنة لأبو الحسن المدائني تحقيق محمد علي الأكوخ) .

والداعي سبأ بن المطرف أثناء حياة السيدة بنت احمد ، وأشعل الفتنة أيضاً مع حاتم بن الغشم الهمداني وقد ملك صنعاء بعد بني الصليحي

وفي سنة ٥٣٢هـ - توفيت الملكة سيدة بنت احمد الصليحي .

وأستمر بإدعاء الإمامة احمد بن سليمان ابن محمد ابن المطهر ابن علي ابن الناصر ابن احمد ابن الهادي ابن الحسين وطريقته طريقة أسلافه وزاد عليهم بفتاواه الشيطانية وأدعى في سنة ٥٣٣هـ^(١) ويقال انه دخل زبيد عندما طلب منه النجاشيون أعانتهم فاشترط عليهم أن يقتلوا فاتك بن محمد بن فاتك النجاشي فقتلوه فدخلها وهرب منها خلسة في سواد الليل^(٢) وأستمر في إشعال الحرب بتأليب القبائل ضد الصليحيين وكذلك أشعل الحروب مع حاتم بن احمد بن عمران الهمداني^(٣) وكان ملكا على صنعاء وتزامن مع ابنه علي بن حاتم وكانت بينهما معارك عديدة ودخل صنعاء واعمل فيها الخراب ومن ضمنها قصر حاتم وفر أهل همدان إلى الجبال والحصون وتزامن عهده مع الزريعيين محمد بن سبأ بن زريع بن عباس^(٤) في عدن .

(١) - عبد الواسع الرواسي - تاريخ اليمن

(٢) - تاريخ بني رسول - مؤلف مجهول "تحقيق محمد الحبشي"

(*) - دولة بني حاتم (في صنعاء) :-

٤٩٢-٥٦٩هـ	- حاتم بن علي الهمداني
٤٩٢-٥٠٢هـ	- عبد الله بن حاتم بن علي
٥٠٢-٥٠٥هـ	- معين بن حاتم
٥١٠-٥٠٥هـ	- هشام بن القتيب
٥١٨-٥٢٧هـ	- حماس بن القتيب
٥٣٣-٥٥٦هـ	- حاتم بن احمد بن عمر اليمامي
٥٥٦-٥٦٩هـ	- علي بن حاتم بن احمد
٤٧٠-٥٦٩هـ	(**) - دولة بني زريع :-
٤٧٠-٤٧٧هـ	١. النعسان بن المكرم (في حصن التمكن)
٤٧٠-٤٨٠هـ	٢. المسعود بن المكرم (في حصن الخضراء وعدن)
٤٧٧-٤٨٠هـ	٣. زريع بن النعسان
٤٨٠-٤٨٥هـ	٤. أبو الغارات بن للمسعود
٤٨٥-٤٨٨هـ	٥. أبو المسعود بن زريع
٤٨٨-٤٨٩هـ	٦. محمد بن أبي الغارات
٤٨٨-٤٨٩هـ	٧. علي بن محمد بن أبي الغارات
٤٨٩-٥٣٣هـ	٨. الداعي سبأ بن أبي المسعود
٥٣٣-٥٥٠هـ	٩. محمد بن سبأ
٥٥٠-٥٦٠هـ	١٠. عمران بن محمد بن سبأ
٥٦٠-٥٦٩هـ	١١. أبو الغار جوهري المعظمي

المبحث الرابع

استعانة الهادويون بالأيوبيين على اليمنيين (*)

ثورة الرعيبي واستعانة الهادويون بالأيوبيين :-

كان نتيجة للحروب التي أشعلها أدعياء الإمامة والنجاحيين والصليحيين والزعامات الإقطاعية أن تدهورت أحوال الناس وذاقوا وبال ذلك

الأمر الذي حتم قيام ثورة شاملة تزعمها من مدينة المهجم بتهامة على كل الفرق المتناحرة علي بن مهدي الرعيبي وابنه مهدي بن علي فبدأها على النجاحيين ودخل الرعيبي زيد وملكها ودانت له أغلب بلاد اليمن ولاحق أحمد بن سليمان وأخرجه من صنعاء ، و انتهى بأحمد بن سليمان المطاف بإصابته بالعمى ودفن بجيدان مديرية بمحافظة صعده ٥٦٦هـ.

وذكرت بعض الروايات أنه تشدد في مذهبه وكفر معارضيه وغير ذلك (١) وهذه الآراء فيها نظر لأننا اعتدنا في التدوين التاريخي المبالغة في التهم لمخالفى الهادويين واستطاع الرعيبي إزالة دولة العبيد (النجاحيين) واستولى على حصون الصليحيين ومن الأهم من الزريعيين وسيطر على صنعاء واجتث اغلب الخارجين والمدعين للإمامة أو الحسبة من العلويين ولاحق الصليحيين وبقية الزعامات في عدن وغيرها والتف حوله الناس ، وقام من بعده ابنه عبد النبي ومهدي وكانت هذه أول ثورة يمنية على من مزقوا اليمن وأشعلوا الفتن بها من أصحاب الأفكار المنحرفة حتى سقطت دولتهم عند دخول الأيوبيين .

ولم يستطع أدعياء الإمامة التغلب عليه لأنه واجه فكرهم بفكر وخروجهم بالسيف ، مما دفعهم إلى الاستنجاد بالأيوبيين ، ففي هذا الزمن قام قاسم بن يحيى بن حمزة السليماني بالتوجه إلى مصر للاستنجاد بالأيوبيين وكان لسان حالهم يقول :-

٥٦٩-٦٢٦هـ

٥٦٧-٥٦٩هـ

٦٧٩-٥٩٠هـ

٥٩٤-٥٩٩هـ

٥٩٩-٦١١هـ

٦١٢-٦٢٦هـ

(*)- دولة بني أيوب

- المعظم توران شاه بن أيوب

- العزيز طفتكين بن أيوب

- المنصور اسماعيل بن طفتكين

- الناصر بن طفتكين

- للمعتمد يوسف بن الكامل

(١) - د. السروري - المظاهر الحضارية في اليمن القرن الخامس .

لن تترك بابا أو سبيل لسفك دماء المسلمين باليمن إلا سلكتها وعلى اثر ذلك دخل
الأيوبيين اليمن سنة ٥٦٩ هـ وأخذوا زبيد عاصمة دولة علي مهدي الرعيني

دخول الأيوبيين إلى اليمن :-

(١) دخل الأيوبيين اليمن بقيادة توران شاة زبيد سنة ٥٦٩ هـ ثم سيطر على عدن
التي كانت تحت أيدي بني زريع وسيطر على صنعاء وبلغ الجوف وتصالح مع السلاطين
من بني حاتم وعاد إلى مصر سنة ٥٧١ هـ وبقيت اليمن تحت ولاية الأيوبيين وأرسل بعد
ذلك طغتكين بن أيوب سنة ٥٧٥ هـ فسيطر على جميع أرجاء اليمن وبني الدار
السلطانية غربي سائلة صنعاء ويعرف الآن باسم بستان السلطان وكثيرا من المؤرخين
ينقلون أن البادئ في تأسيس المدارس الإسلامية المستقلة عن المساجد هو الملك الأيوبي المعز
إسماعيل بن طغتكين بن أيوب حيث بنى مدارس السيفيه والمعزية أو مدرسة المليون ووصفه
كتاب الأئمة بالظلم والجور كما وصفوا كل من خالفهم أو تغلب عليهم من الملوك
والدول بالألقاب و المذاهب المارقة والأفعال المشينة.

وقام بعده ابنه إسماعيل طغتكين وظل على الأمر إلى أن قتل سنة ٥٩٨ هـ وقام بعده
الناصر أيوب طغتكين الذي قتل سنة ٦١١ هـ على يد وزيره بدر الدين غازي جبريل
ونصب نفسه فقتله مماليك بني أيوب بعد شهر وكان ذلك في عهد السلطان أيوب بن
آبي بكر بن أيوب بن شادي فوجه ابن أبيه السلطان المسعود صلاح الدين يوسف بن
الملك الكامل محمد بن الملك العادل في جيوش كبيرة وصلت زبيد سنة ٦١٢ هـ ثم
دخل تعز ثم صنعاء وبقيت في بلاد اليمن.

وقبض فيها على بدر الدين حسن بن علي بن رسول وأخويه موسى وفخر الدين
وسجنهم بتعز ثم أرسلهم إلى مصر وولى على اليمن عمر بن علي بن رسول وعاد الملك
المسعود إلى مكة ومات فيها سنة ٦٢٥ هـ .

وكان قد أذعى الإمامة محمد بن الفضل بن الحجاج بن علي بن يوسف الداعي ابن
يحيى المنصور بن احمد الناصر بن الهادي احمد بن الحسين ولقب بالعفيف وتوفي في وقش
مديرية بني مطر سنة ٥٩٩ هـ .

وعبد الله بن حمزة بن سليمان بن حمزة بن علي بن حمزة بن أبي هاشم خرج على
الأيوبيين ٥٦١-٦١٣ هـ وعاصر إسماعيل بن طغتكين ودخل صنعاء وقتل أتباع فرقة
المطرية وخرّب مساجدهم وسبى نسائهم

(١)- مجلة السار - العدد الثاني " المدارس الإسلامية في اليمن : ٥٠ .

وقد نشأت فرقة المطرفية^(١) في ظل المذهب الهادي وهي لا تختلف عن بقية الفرق إلا فيما نادى به من رأي - بالنسبة للإمامة وعدم حصرها في أبناء فاطمة الزهراء رضي الله عنها .

ظلت هذه الفرق تواجه حرباً شعواء لاهواده فيها وسلطت السيوف على رقاب أتباعها حتى أرهقتهم واستأصلت جذورهم وأفتتهم عن أحرهم .

وما زالت ديارهم بلواء حجة "وهجرهم" في بني شهاب (بني مطر حالياً) مخزبة إلى اليوم .

وقد بلغ الحقد أشده على المطرفية والكيد لهم أيام عبد الله بن حمزة الذي كان يحرم عليهم دخول المساجد ويسجل على واجهة مسجده :-

أقسمت قسمة حالف بر وفي لا يدخلنك ما حبيت مطرفي

وتغلب عبد الله بن حمزة على السلطان علي بن حاتم الياامي الهمداني وقد مثل الفكر العنصري السلالي في آجى صورته مخالفاً فيما أصله في كتابه (الشافي) وأفعاله التي قام بها كتاب الله وسنة نبيه وما قال به علي كرم الله وجهه.

وما اجتهد به علي كرم الله وجهه في حرب المسلم للمسلم في حربه مع الخوارج وفي حربه مع اتباع معاوية فقد كان علي كرم الله وجهه لا يهدم مسجداً ولا دار ولا يقتل أسيراً وحين سئل عن مصير القتلى من جنده ومن جند معاوية قال "أسأل الله لهم الجنة"

إن من أعظم الأسباب التي أشعلت الفتن بين المسلمين تكفير المخالف ذلك السلاح استخدمه الطغاة جزافاً لكل من خالفهم الرأي أو نازعهم السلطان .

ونرجح أن سبب المبالغة في التنكيل بفرقة المطرفية هو عدم إقرارها بفكر الهادي القاتل بالحق الإلهي لمن هم من البطينين .

وعبد الله بن حمزة خرج على الأيوبيين^(٢) وكذلك قام باستخدام أساليب الأئمة الذين سبقوه وأصل واجتهد ابشع صور قتل النفس التي حرم الله وسيئ النساء وهدم الديار.^(٣)

أن أعظم أنواع الاستبداد هو الاستبداد الديني المذهبي الموصل للتمييز السلالي . وقد نسبت إلى عبد الله بن حمزة بن أبي هاشم بعض المؤلفات التي أصل فيها فكره مثل

(١) - ابن الأثير وعصره "حسين أحمد السباعي و محمد بن علي الاكوع" و آخرون .

(٢) - الذين قاموا ببناء الكثير من المآثر والمساجد مثل سور صنعاء وباب اليمن

(٣) - معتزلة اليمن علي محمد زيد ، الشامي الأدب اليمني في العصر العباسي .

كتاب الشافي وهو إجابة على الرسالة الحارقة لابن أبي القبائل وهو القائل عندما سئل هل تجوز الإمامة في القحطاني إذا توفرت فيه شروط التقوى والعلم والكفاءة :-
يا قوم ليس الدر قدرا كالبحر ولا النصار الأبرزي كالبحر
كلا ولا الجوهر مثل للمرر فحا ذروا في قولكم من صقر
سبق ذكر القصيدة وفرقة المطرفيه عند ذكر فرق الهادوية
وبذاتة في الوصف ابلغ تصوير على مكانته و أخلاقه الناتجة من أساليبه الاستبدادية.

ولم يطبق أدعياء الإمامة مبدأ حرية الاجتهاد الذي قال به الفكر الهادوي إلا في اجتهاد
مررات وأساليب التنكيل بمخالفهم .
وقام بعده محمد بن عبد الله بن حمزة وتلقب بالناصر لدين الله سنة ٦١٤هـ واستمر في
سفك الدماء بتأليب القبائل . على الأيوبيين

وخرج عليه المعتضد أبو الحسن يحيى بن المحسن بن محفوظ بن محمد بن يحيى بن يحيى
بن الناصر بن عبد الله بن المنتصر ابن المختار لدين الله بن الناصر الهادي وأستمر الاثنان
في سفك دماء اليمنيين باستمالة كل واحد مجموعة من القبائل ودفعها ضد الأخرى وضد
الأيوبيين وقد عاصر الملك المسعود وتوفي سنة ٦٢٣هـ.

إنما فتنة الفكر الهادوي إنما أطول حرب عانى منها شعب وقام من بعده أخوه شمس
الدين عبد الله بن حمزة وأسمه الحقيقي احمد و انتهى أمرهما معا (أي شمس الدين مع
المعتضد بعد حروب بينهما) .

ومما أجتهد به الأئمة ابتداء من عبد الله بن حمزة إضافة إلى ما أصل بأن حكمهم حقا
إلهي هو تكفير كل من يناوئهم وإباحة دمائهم وهكذا جعلوا ديمومة فكرهم المتمثل في
أساليبهم القائمة على إثارة العداوة والاقتيال بين القبائل في شمال الشمال ،ونشر ذلك
الفكر وعزهم عن التيارات الفكرية القائمة في المناطق الغربية والوسطى من اليمن وخلقوا
حواجز تمنع التبادل الفكري بابتكار مسميات مذهبية أو طائفية ترسخ البغضاء والكراهية
بين أبناء الأمة المسلمة في الشعب الواحد بتسمية ذلك الجزء الواقع تحت نفوذهم باسم
مذهبي وبقية اليمن بمذهب آخر وبجعل اليمن عبارة عن قبائل متناحرة

حيث تم تقسيم كل قبيلة إلى قبائل اصغر وجعلوا العداوة بين القبائل الكبيرة والتنافس
ومثل ذلك فعلوه بالقبائل الصغيرة داخل القبائل الكبيرة فكان العداة بين القبائل السبب
الرئيسي في عدم رضوخ قبيلة للأخرى أو رضوخ بقية القبائل لأي زعامة من أي قبيلة
تحاول إنشاء دولة أو كيان سياسي.

والسبب الآخر التأصيل مذهبياً لعدم جواز ولاية القحطاني وهذا يفسر قيام دول وصلت بعضها إلى درجة كبيرة من الرقي والقدرة في المناطق الغربية والوسطى

المبحث الخامس

صراع أدعياء الإمامة الهاديون مع الرسوليين^(*)

وفي هذا التاريخ ٦٢٥ هـ تأسست دوله بني رسول الذين ينسبون إلى الأسد بن غوث واستمرت إلى عام ٨٥٨ هـ / ١٢٢٩ - ١٤٥٤ م .

وخرج على الرسوليين تسعة عشر مدعي للإمامة أولهم "المعتضد يحيى بن المحسن" وآخرهم "المنصور الناصر بن محمد"

وطعن الهاديون في نسب الرسوليين بأنهم غير يمتنين ورد الرسوليين بأن الهاديون هم بلخييين^(١) .

وكان الرسوليين من قادة جيوش صلاح الدين الأيوبي ، وكانوا يتميزون بالبطولة والسياسة والشهامة ، وابتدأ أمرهم بتولي عمور بن علي بن رسول بعد أن توفي الملك المسعود بمكة فضرب العملة باسمه وخطب لنفسه وتلقب بالملك المنصور .

وحارب الأيوبيين حروب كثيرة بمكة وأسس دوله قوية باليمن وظل ملكاً من سنة ٦٢٥ - ٦٤٩ هـ وهي السنة التي قتل بها في مدينة الجند وخلفه يوسف بن عمر وتلقب بالمظفر إلى سنة ٦٩٤ هـ .

(*) دولة بني رسول (في تعز):	٦٢٦-٨٥٨ هـ
- المنصور عمر بن علي بن رسول	٦٢٦-٦٤٧ هـ
- المظفر يوسف بن عمر	٦٤٧-٦٩٤ هـ
- (الأشرف الأول) عمر بن يوسف	٦٩٤-٦٩٦ هـ
- للويد كلود بن يوسف	٦٩٦-٧٢١ هـ
- الجهاد علي بن للويد	٧٢١-٨٧٤ هـ
- الأفضل عباس بن الجهاد	٧٦٤-٧٧٨ هـ
- (الأشرف الثاني) إسماعيل بن العباس	٧٧٨-٨٠٣ هـ
- الناصر احمد بن الأشرف إسماعيل	٨٠٣-٨٢٩ هـ
- المنصور بن الناصر احمد	٨٢٩-٨٥٠ هـ
- (الأشرف الثالث) إسماعيل بن المنصور	٨٥٠-٨٥٠ هـ
- للمسعود أبو القاسم بن الأشرف إسماعيل	٨٥٠-٨٥٨ هـ

(١) - عبد الله البردوني اليمن الجمهوري (بلخ هي منطقة بيلاذ فارس)

ونتيجة لقوة دولة بني رسول وما وصلت إليه من رقي في مختلف المجالات اختفى أديعاء الفتنة في جحورهم لفترة ، ثم بدعوا بالظهور كما سيأتي .

ثم قام بعد يوسف بن عمر ابنه عمر وتلقب بالملك الأشرف وأستمر حكمه إلي سنة ٧٢١هـ وقام بالأمر بعده ابنه علي الملقب بالمجاهد وحكم إلى سنة ٧٦٤هـ وخضع له أديعاء الإمامة ومنهم احمد بن محمد بن مطهر بن يحيى الملقب المظلل بالغمام وقام بعده ابنه الملك الأفضل وكان هذا شاعرا وأديباً وله كتاب نزهة العيون في تاريخ الطوائف والقرون وكتاب العطايا السننية في المناقب اليمنية ذكر فيه طبقات ملوك اليمن وفقهاؤها واختصر وفيات ابن خلكان وكنز الأخبار وتوفي في شعبان سنة ٧٧٨هـ .

وقام بعده ابنه الملك الناصر وفي عهده برز بنو طاهر بن معوضه وهذا جد الطاهريين الذين أسسوا دولتهم بعد دولة بني رسول وتوفي السلطان الناصر سنة ٨٢٩ هـ ثم قام بالأمر بعده ابنه عبد الله إلى أن توفي سنة ٨٣٠هـ وقام بعده الأشرف وكان صغير السن فعجز عن إكمال مسيرة آباءه فعين بدلاً عنه عمه يحيى بن إسماعيل الأشرف بن العباس الأفضل، بن علي مجاهد الرسولي وتزوج بابنة الشيخ طاهر ابن معوضه ومات بتعز وقام بالملك بعده ابنه الأشرف إلى أن توفي سنة ٨٤٥هـ وقام بعده الملك المظفر يوسف بن المنصور الرسولي واضطربت أحوال المملكة وظلت في ضعف إلى سنة ٨٥٨هـ إلى أن سطع نجم بني طاهر وتميز حكم الرسولين بالأتي :-

١- عم الرخاء اغلب فترة حكمهم^(١) .

٢- بنيت المدارس وكان يؤمها جميع طبقات الشعب

ولم يقتصر بناء المدارس على الملوك فقط ، فهناك مدارس أسسها الأمراء والوزراء ، والقضاة ، والحجاب ، والأميرات ، والأغنياء من الرجال والنساء ، والتجار والعلماء ، وقد عدّ القاضي إسماعيل الأكوغ المدارس في اليمن بالقرنين السادس والسابع حوالي(٨٤) مدرسة في مختلف المدن والقرى اليمنية^(٢) ، أما بعد تلك المدة فقد بلغت أكثر من (١٩٣) مدرسة ، بالإضافة إلى المساجد المنتشرة في أنحاء اليمن ، والتي كانت وما زالت مكانا للتعلّم والتعليم ، ولا شك أن تهيئة المناخ المناسب للتعلّم عامل رئيسي في تطوره ورفقيه .

(١) - تاريخ بني رسول مؤلف مجهول - تحقيق أ . محمد الحبشي .

(٢) - مجلة السار " المدارس الإسلامية في اليمن ٢٠٠ .

٣- استطاعت أن توحد اليمن في أغلب فترة حكمها

٤- لم تعتمد على التميز السلافي الموصل مذهبياً بل سعى الحكام إلى الاندماج في الشعب وافتخروا بالانتساب إلى اليمن (وسواء صح انتسابهم أم لا فقد استحقوا المواطنة في اليمن الميمون وفقاً لنهج الإسلام القائم على الأخوة الإسلامية والولاء للأمة .

٥- كان نظام الحكم وراثياً

وهذه الصفة هي التي رجحت لدينا نقل نبذة عن تاريخ دولة الرسوليين حيث أن توارث الحكم (رغم انحرافه عن الشرع إلا أنه كان سبباً في الاستقرار مقارنة بصراع أدعياء الإمامة على السلطة الذي أصله الفكر الهادي بأن السلطة " الإمامة " حق لمن قام بها ودعا إليها من هم من البطنيين فكانت هذه المنهجية الموصلية في المذهب الهادي هي السبب في تنافس الهاشميين فيما بينهم من أبناء الهادي وأبناء الأسر الوافدة إلى اليمن في تواريخ مختلفة .

وكذلك قام الصراع بين أبناء الأسرة الحاكمة من هذه السلالة فتنافس الأخوة بل وأيضاً وصلت إلى التنافس بين الابن وأبيه كما سيأتي لاحقاً فهذا الفكر جلب الويل علي الهاشميين واليمنيين معاً وصدق جل علاه { وَأَنْتُمْ أَقْتَنَةٌ لَا تُصَيِّبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } { الأنفال ٢٥

ونعود إلى محترفي الفتنه من الأئمة السلايين اللذين كانوا ينجحوا تارة ويففقون أحياناً كثيرة في إشعال الفتنه فقد حاول إثارة الفتنه (المتعضد بالله يحيى بن الحسن ٦١٤ - ٦٣٦ هـ) أيام الملك المسعود الأيوبي وبعضاً من عهد عمر بن علي بن رسول وتوفي سنة ٦٣٦ وحوال الخروج على الدولة الرسولية أيضاً أحمد بن عبد الله بن حمزة وظلوا يشعلون الفتنه في عهد الملك عمر بن علي رسول إلى سنة ٦٤٦ هـ ثم حمل راية الخروج والفتنه المهدي لدين الله احمد بن الحسين بن القاسم بن عبد الله بن القاسم بن احمد بن إسماعيل بن أبي البركات بن احمد بن القاسم بن محمد بن القاسم .

وقام بتجميع قبائل الشمال وتأليبها على الخروج على الدولة الرسولية بشن حرب عصابات على جيوش دولة بني رسول وخرج عليه أولاد الأمام عبد الله بن حمزة وكنكوا العهد^(١) وغدروا كما يفعلوا من اجل الإمامة جيل بعد جيل فأنقسم الخارجون على بعضهم واشتعلت فتنه داخل فتنه ودخلوا في طاعة الملك المظفر ضد المهدي لدين الله احمد

(١) - عبد الواسع الواسعي - تاريخ اليمن .

بن الحسين حتى قتلوه بمحل شوابه (محافظة عمران) سنة ٦٥٦هـ وقبر بذيبيين وهي الآن مديرية بمحافظة عمران .

وقبل وفاته بسنة حصل قحط وبجاعة في المناطق التي كان يسيطر عليها وتوفي بعده سنة ٦٠١هـ احمد بن عبد الله بن حمزة وأثناء هذه المدة دخل التتار بغداد فقاومهم أهالي مصر والشام حتى هزمهم واليمن معزولة عن العالم الإسلامي بشأنها الداخلي المتأجج بالفتن التي أشعلها أدعياء الإمامة في ذات الفترة وما سببوه من إهلاك الشعب اليمني و مقدراته منذ دخول الهادي يحيى بن الحسين إلى هذا التاريخ " هدم أغلب أدعياء الإمامة الكثير من الحصون وكان هدمها وسيلة استخدمها الأئمة عبر الزمن لعقاب المتمردين عليهم وكذلك صنعوا بالقرى والمدن.

وأدعى الإمامة يحيى بن محمد السراجي بن أحمد ابن عبد الله بن الحسن ، وهو سواج الدين بن محمد بن عبيد الله بن الحسن ، وقيل الحسين بن علي بن محمد بن جعفر بن عبد الرحمن بن القاسم بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب وتمرد خلال الفترة ٦٥٦ - ٦٦٠ هـ بصنعاء وأدى دوره في إشعال الفتن .

وقاتل الدولة الرسولية أيام المظفر حتى قبض عليه و سمل عيناه وأصبح أعمى^(*) و أطلقه وتوفي سنة ٦٩٦هـ وكانت اليمن موحدة أيام الملك المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول ما عدا خروج أصحاب مذهب الفتنه السلالية الذين أشرنا إليهم في عهده

وادعى الإمامة الحسن بن بدر الدين ولقب بالمنصور بالله وبدأ تمرده ٦٦١هـ وتوفي سنة ٦٧٠هـ وذكر الواسعي أنه بدأ دعوته سنة ٦٥٧هـ.

وكان الفكر الهادي لا يعرف اليأس في دفع مدعياً للإمامة أو داعياً لآخر أو محتسباً لإثارة الفتنه عبر العصور.

وأحياناً لم يكن لهذا المدعي أو ذلك أي شان في السيطرة على مساحة كبيرة من شمال الشمال بل اقتصر دوره على إبقاء شرر الفتنه إلى أن يستلمها مدعي آخر للإمامة أو تتهياً له الظروف .

(*) - ذكر الواسعي أنه قيل أن الملك المظفر يُسمع في قمره وهو يقول (مالي ولك يا ابن تاج الدين ، مالي ومالك ياسراج الدين يوكدا لا للتجبل والغلاة فمر مسجد الأحمم الذي سمي فيما بعد بمسجد الوشلي .

وهذا مدعي آخر للإمامة هو إبراهيم بن تاج الدين أحمد بن بدر الدين محمد بن أحمد يحيى والتجأ إلى القبائل ودفعها للخروج والحرب إلى أن أسره المظفر غربي دمار سنة ٦٧٤ هـ وحبسه بنزع إلى أن توفي ٦٨٣ هـ بالسجن.

ويتضح مما سبق أنهم خرجوا في فترات متزامنة أو متلاحقة على بعضهم البعض أو على الدولة الرسولية كما أصل لهم المذهب الهادي وأدعياء الإمامة على النحو :-

١-٦٤٦-٦٥٦ - المهدي لدين الله أحمد بن الحسين بن القاسم

٢-٦٥٧-٦٧٠ - المنصور بالله الحسن بن بدر الدين .

٣-٦٧٠-٦٧٤ - المهدي بدين الله إبراهيم بن تاج الدين أحمد بن بدر

الدين محمد بن أحمد يحيى .

٤-٦٥٩-٦٩٦ - الإمام السراجي .

وخرج في نفس الفترة المظفر بن يحيى بن المرتضى بن القاسم بن المطهر بن علي بن الناصر ابن الهادي ومحمد خلال الفترة ٦٦٧ - ٦٩٧ هـ وهذه الفتن كانت من صنع الفكر الهادي الذي دفع أبناء هذه السلالة للتنافس على الإمامة وهو الذي جعل القبائل اليمنية تمتحن الغزو والحروب بمناصرتها لأدعياء الإمامة ولعدم قيام أدعياء الإمامة بالدعوة والعمل على إزابة النعرة القبلية في إطار الاخوة الإسلامية ، وقد توفي المظفر سنة ٦٩٧ هـ وقبر (بذروان بمحافظة حجة ولقب بالمظلل بالعمامة) قيل أن غمامة أخفته أثناء مطاردة جيش المظفر بقرية تنعم بين سحاح من خولان) وكان قد توفي الملك الرسولي المظفر يوسف بن عمر بن علي بن رسول سنة ٦٩٤ هـ وتولى بعده ابنه عمر بن يوسف ٦٩٤-٦٩٦ هـ وقام بعد المظفر بالخروج ابنه محمد ومحمد خلال الفترة ٦٩٧ - ٧٢٨ هـ وكان ذلك أيام الملك المؤيد داوود بن يوسف الرسولي ٦٩٦ - ٧٢١ هـ وبداية ملك ابنه المجاهد ٧٢١ - ٧٦٤ هـ وتوفي محمد بن المظفر سنة ٧٢٨ هـ وقبر بذي مرمر حصن في مديرية بني حشيش مدينة صنعاء^(١) ثم ادعى الإمامة علي بن صلاح بن إبراهيم بن تاج الدين وأدعى معه في نفس الوقت الإمام المؤيد بالله يحيى بن حزة بن علي بن إبراهيم بن محمد بن إدريس بن علي بن جعفر الزكي بن علي التقي بن علي الرضى بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب وقد دعا في سنة ٧٢٩ هـ - ٧٤٩ هـ^(٢)

(١) - تم نقل قبره إلى صنعاء بقبر بجامها بالموسجة وكان يتم ذلك من قبل أبناء الأئمة لأطباء هالة وتجميل عليهم بدانتهم بالمساجد وكانت هذه سنتهم منذ الهادي يحيى بن الحسين لير مسجد الهادي بصعده إلى الإمام يحيى لير مسجد الرحمة بصنعاء ١٩٤٨ هـ، وكانوا يبنون على فيورهم مبانٍ سقوفها قباب ويشيدون على القبر داخل البين أضرحة من الخشب المنقوش ليكملوا مسيرة الإنحراف بالتميز والاستلاء أحياء وأموات فلم يتركوا وسيلة لبث التميز والاستلاء كفتافة .
(٢) وذكر الواسعي أن تراب قبره يقضى على التعابين وما زال ذلك منتشر بين العامة وتبعنا ذلك الموضوع فوجدنا أن الهاديون يقومون بنقل تراب من أحد الجبال إلى فوق القبر ومن خصائص تلك التربة أنها تنفر اليرواحف .

وهنا نود أن نشير إلى أن هذا هو من سلالة جديدة دخلت اليمن من الهاشميين والذين يدعون الانتماء إلى الحسين بن علي بن أبي طالب وهو ثاني إمام من الحسينيين وقبله علي بن صلاح .

وكان هذا الأمام أكثر العلويين في اليمن ورعا وتقوى وكان معتدلاً في آرائه وله الكثير من المؤلفات وتوفي بذي قار سنة ٧٤٥هـ -

وذكر في ترجمة المؤلف في كتاب (تصفية القلوب من ادران الأوزار والذنوب) أن والده قدم من العراق في القرن السابع الهجري وتزوج بأخت الإمام محمد بن يحيى السراجي وذكر مثل ذلك في كتاب أئمة اليمن لزبارة وعاصر أيام الملك المجاهد علي بن يوسف بن عمر بن علي بن رسول ٧٢١-٧٦٤ هـ والذي ذاع صيته في الآفاق ولقب بالتبع الأصغر.

وأدعى الإمامة يحيى بن حمزة وخرج عليه علي بن صلاح بن إبراهيم بن تاج الدين ٧٢٠ هـ وعارضهما معا.

وأدعى الإمامة الواثق المطهر بن محمد المطهر الملقب بالفصيح وعارضهما وأدعى الإمامة احمد بن علي بن أبي الفتح ونشب القتال بين اللدعيين وأشعلوا الفتن والتمرد على بني رسول حتى تغلب عليهم يحيى بن حمزة وأستمر في دعوته .

وقام بالأمر بعده المطهر بن محمد المطهر بن يحيى محتسباً من سنة ٧٣٠ - ٧٥٠ هـ محتسباً سنة ٧٤٩ هـ وإماماً في سنة ٧٥٠ هـ وخرج عليه الإمام احمد بن علي بن أبي الفتح ٧٣٠ - ٧٥٠ هـ من قرية وقش في مديرية بني مطر محافظة صنعاء .

وخرج في جهة أخرى وأدعى الإمامة المهدي علي بن محمد بن علي بن يحيى بن منصور بن الفضل بن الحجاج بن علي ابن يحيى بن القاسم بن يوسف الداعي بن يحيى بن احمد ابن الهادي ثم بايعه بن أبي الفتح والإمام الواثق.

واستمر خارجاً على الدولة حتى أصيب بالفالج وتوفي بذي قار سنة ٧٧٢ هـ وحمل منها إلى صعده وأدعى الإمامة بعده الناصر لدين الله محمد وله اسم آخر صلاح الدين بن المهدي علي بن محمد

وكان عروجه ٧٧٣ - ٧٩٣ هـ على المجاهد علي بن داود ٧٢١ - ٧٦٤ هـ وابنه الملك الأفضل عباس بن المجاهد ٧٦٤ - ٧٧٨ هـ وابنه الملك الأشرف إسماعيل بن الأفضل ٧٧٨ - ٨٠٣ هـ ودفن بمسجد صلاح الدين .

وكان من أفضح الأئمة في سفك الدماء بعد عبد الله بن حمزة حيث أثار الفتنه وجمع القبائل على قبيلة همدان وأعمل فيهم السيف والنهب وقتل منهم أعداداً كبيرة ولا يعني تسلسل مدعي الإمامة أنه كان لهم شأن في كل الأوقات حيث كان كثيراً منهم يدعي في نطاق جغرافي ضيق وأحياناً في قرية بذاتها مستغلين الطبيعة الجغرافية و ما رسخه أسلافهم للنعرات القبلية والعداء للآخر .

لكن السبب في استمرارية هؤلاء الأعداء هو انتشار الفكر الهادي كثقافة مجتمعية في شمال الشمال والذي غذى بها تبه هجر العلم التي أستوطنها المستفيدين من هذا الفكر .

وساعد على استمراره عدم مواجهته بفكر تصويبي تقوم عليه التنشقة الدينية لأبناء تلك المناطق وقد يذكر في كتب مؤرخي الأئمة فلان من الأدعياء للإمامة بغرض إثبات بقاؤهم في العصور المختلفة .

وليس من المرجح لدينا أن يستطيع أحد من مدعي الإمامة أن يسيطر أو يمد نفوذه في عهد الملك المظفر الرسولي^(١) الذي ذاع صيته ولقب بتبع الأصغر وكانت الدولة الرسولية في عهده باسطة نفوذها على جميع الأراضي اليمنية بما فيها ظفار ومكة . وكان عددا ممن يروى ادعائهم للإمامة أو يوصفوا بهذا الوصف عبارة عن عمال لدى تلك الدول ويظنون متربصين لأي طارئ يحصل لبث الفتنة .

وجاء بعد صلاح الدين بن المهدي علي بن محمد مدعي للإمامة لقب نفسه الإمام حقا المهدي لدين الله صدقاً، احمد بن يحيى المرتضى بن المفضل بن منصور بن المفضل بن الحاجج بن علي بن يحيى بن القاسم بن يوسف الداعي بن يحيى المنصور بن احمد الناصر ابن الهادي ، من ٧٥٧-٨٤٠هـ.^(٢)

وقد ادعى الإمامة وعمره ثمانية عشر عاماً وهو مؤلف متن الأزهار والذي أصل فيه الفقه الهادي إجمالاً وفي مسألة الإمامة أصل وجوب طاعة الإمام وجهه ووجوب مبايعته حيث يذكر (تجب طاعته ونصيحته أو بيعته أن طلبها . وتسقط عدالة من أباه ونصبيه من الفيء) ، (ويؤدب من يثبط عنه أو ينفى) .

(ومن عاداه فيقلبه مخظي ولسانه فاسق ويده محارب) .

ومما أصل فيه عدم كفاءة القحطاني للهاشمية وقد رد عليه الإمام محمد علي الشوكاني في كتابه السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار والذي أوضح فيه أن كثيراً مما أورده احمد بن يحيى المرتضى في كتابه متن الأزهار ما هو إلا اجتهادات شخصيه منه

لا تستند إلى أدلة من كتاب الله وصحيح السنة في كثير من المسائل التي احتواها ،

وقد أنقسم فريقاً مع احمد بن يحيى المرتضى وفريقاً مع علي بن صلاح ، وانتهت الحرب بينهما إلى أسر الإمام احمد بن يحيى المرتضى سنة ٧٩٤هـ وسجن في قصر صنعاء سبع سنوات ، وهذا من ألف كثيراً من الكتب التي ساعدت في تأصيل الفقه الهادي (وأخذ كتابه متن الأزهار أصل للمذهب)

وأدعى بعده علي بن المؤيد بن جبريل بن الأمير الخطير فقيه آل محمد المؤيد بن احمد بن يحيى ولقب نفسه بالهادي ولا هادي إلا الله وكان يتنازع مع الإمام الذي قبله علي بن صلاح إلى أن توفي سنة ٨٤٠هـ وفي هذه السنة وقع طاعون في اليمن ومات من نتيجته علي بن علي صلاح واحمد بن المرتضى وكانت دعوة علي بن المؤيد في بعض الحصون بين حجه والخويث وتوفي سنة ٨٣٦هـ وقبر في فله (منطقة مديرية حجة) وأدعى بعده ابنه محمد بن علي بن المؤيد حوالي أربعين يوماً ولم ينحجب أحداً .

(١) - عبد الواحد الواسمي - تاريخ اليمن .

(٢) - وهنا نلاحظ أن شرط العلم والاجتهاد قد خالفه ادعياء الإمامة في أغلب الأزمنة وحين حين يوجد هذا الشرط في أحد ادعياء الإمامة مثل الإمام يحيى بن حمزة أو احمد بن يحيى المرتضى فلم ينجوا من يتناصبهم في الإمامة بل وخلمهم .

وعاصر هؤلاء بقية أيام الملك الأشرف إسماعيل ابن العباس ٧٧٨-٨٠٣هـ وأيام ابنه الملك الناصر أحمد ٨٠٣-٨٢٩هـ .

وأيام ابنه المنصور بن الناصر أحمد ٨٢٩-٨٣٠هـ

وأيام ابنه الأشرف إسماعيل بن المنصور ٨٣٠-٨٤٢هـ

وأيام الظاهر يحيى بن الأشرف إسماعيل ٨٤٢-٨٥٠هـ

وخرج أواخر أيام الظاهر يحيى بن الأشرف المطهر بن محمد بن سليمان^(*) آثار الفتنة خلال المدة ٨٤٠-٨٧٩هـ ادعى الإمامة بعد موت علي بن صلاح وموت الإمام أحمد بن يحيى المرتضى وتوفي بدمار سنة ٨٨٦هـ وعاصر أيام المسعود أبو القاسم بن الأشرف إسماعيل ٨٥٠-٨٥٨هـ آخر ملوك الرسولين وبداية الدولة الطاهرية .

إن صراع أدعياء الإمامة كان نتيجة لما أصله الفكر الهادي لذلك الصراع المتمثل في مبدأ من قام بها ودعا إليها دون ضوابط أو معايير تحدد عملية اختيار الأصلاح من بينهم

إن السبب الرئيسي في استمرارية أدعياء الإمامة هو عدم قيام الرسولين بعملية التنشئة الدينية التصويبية لقبائل شمال الشمال مما ساعد على إبقاء تلك القبائل بيئة صالحة لأدعياء الإمامة .

فعمل الرسولين على ملاحقة أدعياء الإمامة وإخضاع تلك القبائل بالقوة فعملوا على مكافحة النتيجة ولم يعملوا على استئصال السبب ، فالسبب في قدرة أدعياء الإمامة على دفع تلك القبائل هو انتشار الفكر الهادي كثقافة ويؤيد ما ذهبنا إليه أن قبائل مارب والبيضاء وشبهه رغم تشابهها مع قبائل الجوف وصعده وعمران وصنعاء إلا أنها لم تنجر مع أي داع للإمامة لعدم انتشار الفكر الهادي فيها .

(*) هو المتوكل على الله ابن يحيى بن الحسين بن حمزة بن علي بن محمد بن حمزة بن الحسين بن عبد الرحمن بن يحيى بن عبد الله بن الحسين بن القاسم بن إبراهيم .
وهذا ليس من سلالة الهادي يحيى بن الحسين .

الفصل السادس
حروب وفتن الهاديون
ق ٩ - ق ١١

المبحث الأول:-

استعانة الهاديون بالمماليك على الطاهريين

المبحث الثاني:-

حروب وفتن أدعاء الإمامة أثناء الحكم العثماني الأول ٩٤٥هـ - ١٠٥٤هـ.....

المبحث الثالث:-

صراع القاسميون بعد خروج العثمانيين

المبحث الأول/

استعانة الهادويون بالماليك على الطاهريين^(١)

— خروج أدعياء الإمامة على الطاهريين :

وبدأت الدولة الطاهرية سنة ٨٥٨ هـ على يدي عامر وعلي أبناء طاهر بن معوضه ومن جاء بعدهم الذين عملوا بقوة من ذلك التاريخ على حكم اليمن كاملة.

ومنذ ذلك العام استطاع علي بن طاهر وعامر بن طاهر أن يؤسسوا دولتهم ويسيطروا من عدن إلى صنعاء وكانت دولة الطاهريين من الدول القوية التي وحدث اليمن ونمى في عهدها الرخاء والاستقرار وعمرت المدارس وقلت الفتن والحروب ما عدا ظهور أدعياء للإمامة هنا أو هناك واستطاعة هذه الدولة أن تثبت أركانها نتيجة لقدرة بنو طاهر السياسية والعسكرية على بسط هيمنتهم ونفوذهم على أغلب الساحة اليمنية ، وأستمر حكمهم قويا إلى سنة ٩٤٥ هـ والطاهريون هم يمنيون ينتمون إلى مديرية جبن محافظة الضالع .

ولكن أدعياء الإمامة كعهدهم ما أنفكوا يتحينوا الفرص للانشقاق على هذه الدولة وإثارة الفتنة بالالتجاء إلى قبائل الشمال مستغلين ما أسسوه من مذهبيه ونعرات قبلية والظروف المعيشية لتلك القبائل والطبيعة الجغرافية ، فينقضوا لإشعال فتيل الفتنة عندما تنهياً أول فرصه.

وحمل الراية على ذلك المنصور الناصر بن محمد ٨٤٠ - ٨٦٦ هـ مشعلا للفتنة وخارجا على الطاهريين ثم فر إلى ذمار ثم تحصن خوفا من بني طاهر في حصن هران فترة ثم هرب منه باتجاه صنعاء من طريق غير معتاد من وسط بلاد الحذاء فعلم به أهالي قرية عرقب فقبضوا عليه وسلموه إلى الإمام المطهر فأودعه سجن كوكبان حتى مات بعد سنتين من سجنه وقبر بمسجد صلاح الدين بصنعاء وكانت وفاته سنة ٨٦٦ هـ.

وكان ممن أدعى الإمامة زمن الطاهريين المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان وكان قد بدأ دعوته أواخر أيام الدولة الرسولية وقام بالدعوة بعد موت علي بن صلاح وموت الإمام

(١) - الدولة للرسولية مؤلف مجهول ، تأليف مجهول ، تحقيق محمد عبد الله الحبشي .

المهدي وتوفي بدمار سنة ٨٧٩هـ^(١).

وعارضه الناصر بن محمد بن أحمد بن المطهر بن يحيى ولقب بالمنصور بالله وقد قصده الإمام المهدي صلاح الدين بن علي إلى صنعاء ف وقعت الحرب بينهم في (علب) ^(٢) جنوب صنعاء بميلين فأسر الإمام المهدي بصنعاء حتى مات سنة (٨٦٦هـ).

وقد أسر الناصر أيضا الإمام المتوكل على الله المطهر وجسده في حصن (الربعة) من مغارب دمار وأخرجه صاحب الحصن بعد مده.

وأستمر الخلاف بين الإمامين حتى أسر الإمام المطهر بن محمد بن سليمان ، المنصور الناصر بن محمد في بلاد الحذاء بقرية تسمى (هداد) وقاتل بني طاهر لما بلغوا به إلى الإمام المطهر فحبسه بكوكبان حتى توفي سنة (٨٧٢هـ) عاصر هؤلاء بقية أيام بني رسول وأياما من أيام بني طاهر^(٣).

نلاحظ هنا أن المطهر بن محمد بن سليمان قد سجن المنصور بن الناصر بن محمد انتقاما من الأخير الذي سجن المطهر في حصن الربعة في دمار وقام المؤيد ابن المنصور بن الناصر بن محمد بالانتقام من أهل الحذاء بقتلهم وهدم قراهم.

وقام المؤيد محمد ابن الناصر هذا ببيع صنعاء مقابل مبلغ من المال وسلمها لعامل عبد الله بن عبد الوهاب الطاهري ، ثم غدر بعامل الطاهريين فأغاروا عليه وأخرجوه من صنعاء فحاصره الطاهريون فأستنجد بمحمد بن عيسى بن زيد من أهالي بلاد بني شهاب المعروفة الآن ببني مطهر مديرية من مديريات محافظة صنعاء ووافقت المنية عامر بن عبد الوهاب ففشلت جيوش الطاهريين في الدخول وظل المؤيد متحصنا بصنعاء وتوفي سنة ٩٠٧هـ^(٤) وأثار الفتن بعد هذه المدة أولاد المطهر بن محمد بن سليمان وكانوا ولاية للطاهريين على دمار بعد أبيهم فتمردوا ثم فروا إلى صنعاء وبعد ذلك ادعى الإمامة أيام المؤيد إمام ناصر آخر هو محمد بن يوسف بن صلاح الدين ابن حسين ابن علي بن يحيى ابن منصور سنة ٨٧٩هـ وعارضه إمام آخر هو إدريس بن عبد الله بن محمد بن علي بن وهاس ولقب بالمهدي وتوفي الناصر محمد بن يوسف في ثلاء سنة ٨٩٦هـ وتوفي الإمام المعارض للناصر محمد بن يوسف وهو الهادي لدين الله عزرا لدين بن الحسن بن الهادي

(١) - وذكر الواسعي في تاريخ اليمن - أنه توفي سنة ٨٨٦هـ -

(٢) - علب أكمة في قرية دار الحيد بمدينة صنعاء وهي منطقة أثرية .

(٣) - عبد الواسع الواسعي - تاريخ اليمن

(٤) - وقبل ٩٠٨هـ -

بن علي بن المؤيد ابن جبريل سنة ٩٠٠هـ ودفن في قلعه من قرى محافظة صعده وذكر الواسعي في تاريخه " وكان هؤلاء جامعين للشروط المشترطه للإمامة ، وطريقتهم طريقة أبنائهم وكلهم باخل الرفيع الذي يقاس بهم غيرهم " وذلك يظهر مدى ما أصله الفكر الهادوي لصراع أبناء هذه السلالة على السلطة فكلهم جامعين للشروط فقيامهم حق والمذنب هو دم اليميني الذي يسيل عند إدعاء كل إمام إن جمود ذلك الفكر قد جعل تاريخ اليمن يوم واحد تتكرر أحداثه بتكرر ظهور أدعاء الإمامة وصراعهم على السلطة فيما بينهم أو مع الدول القائمة .

ونلاحظ هنا أن كل إمام كان يدعي في مساحة صغيرة لا تصل إلى مساحة المديرية وكثيرا منهم كانوا ولاة للدولة القائمة حيث يتنافسوا كائمه في رقعة صغيرة في ظل وجود دول بحجم الدولة الرسولية أو الظاهرية .

وقام بأمر الفتنة بعده الإمام الناصر لدين الله الحسن بن عزا لدين وتوفي سنة ٩٢٩هـ وأدعى معه في نفس الفترة محمد بن علي بن محمد أحمد بن يحيى السراجي " الوشلي " . وفي هذه الفترة تم القبض على الوشلي من قبل الطاهريين وبنو الناصر ومحمد بن زيدان الملقب شارب وأخذوه إلى تعز سنة ٩١٠هـ وأنقطع أمرهم.

وكان محمد بن علي الوشلي قد خرج على عامر بن عبد الوهاب سنة ٩٠٠هـ^(١)

أما الناصر بن عز الدين فدخل في صراع مع أعمامه وأثناء ذلك الصراع ظهر مدعي للإمامة سنة ٩١٢هـ هو المتوكل على الله شرف الدين يحيى بن شمس الدين بدأ تمرده على الطاهريين من مديرية مسور بمحافظة حجة ثم من تلا . وعمل على إدخال المماليك وتحالف معهم ضد الطاهريين .

(١) - روح الروح - عيسى بن لطف الله بن للظهر بن شرف الدين.

والذين أشعلوا الفتن والحروب من أدعياء الإمامة منذ بداية الدولة الطاهرية هم :-

الاسم	مدة تمرد
- المتوكل على الله المطهر بن محمد بن سليمان	٨٤٠-٨٧٩هـ
- المهدي صلاح بن علي	٨٤٩-٨٤٩هـ
- المنصور الناصر بن محمد	٨٤٠-٨٦٦هـ
- المؤيد محمد بن الناصر	٨٦٦-٩٠٨هـ
- الهادي عز الدين بن الحسين	٨٧٩-٩٠٠هـ
- الناصر حسن بن عز الدين بن الحسن	٩٠٠-٩٢٩هـ
- محمد بن علي الوشلي	٨٨٠-٩١٠هـ
- المتوكل على الله شرف الدين يحيى بن شمس الدين	٩١٢-٩٦٥هـ

- تحالف الأئمة الهاديون^(١) والمماليك ضد الطاهريين^(*) :-

فكما استعان الأئمة الهاديون بالأيوبيين ضد علي بن مهدي الرعييني حين أرسلوا(قاسم بن يحيى بن حمزة السليماني) إلى مصر لاستدعائهم فوصلوا سنة ٥٦٩هـ كذلك قام

*المتوكل على الله شرف الدين يحيى بن شمس الدين بن احمد ابن يحيى ابن المرتضى ٨٧٧-٩٦٥هـ. بدفع المماليك لدخول اليمن .

وكان هذا الإمام هو الذي كاتب المماليك من الشراكسة وأغراهم بالدخول إلى اليمن وذلك بأن دبر مكيدة بين قائد المماليك الذي كان في جزيرة كمران بقيادة حسين بك عندما كان يلاحق البرتغاليين وبين الملك الطاهري.

والجراكسة كما يسمهم المؤرخون هم جنود سلطان مصر قانصوه الغوري " فكتابه

(١) - روح الروج - عيسى بن لطف الله بن للمطهر بن شرف الدين .

٨٥٨-٩٣٣هـ

٨٧٠-٨٥٨هـ

٨٧٠-٨٨٢هـ

٨٨٢-٨٩٤هـ

٨٩٤-٩٢٣هـ

٩٢٣-٩٣٣هـ

(*)- دولة بني طاهر

- الظاهر (الأول) عامر بن طاهر

- المجاهد علي بن طاهر

- المنصور عبد الوهاب بن طاهر

- الظاهر (الثاني) عامر بن عبد الوهاب

- عامر بن داود

الإمام شرف الدين واستعان به على عامر بن عبد الوهاب وذلك سنة ٩٢١ هـ فكانت أول حرب بينه وبين بني طاهر بتهامة^(١)

وقد أغرى شرف الدين جنود المماليك بخيرات وأملاك عامر بن عبد الوهاب وإنه سيقا تل الطاهريين مع المماليك ، ودخل المماليك نهاية سنة ٩٢١ هـ ووقعت أول حرب بينهم وبين بني طاهر فأهزم عبد الوهاب بن عامر وعمه عبد الملك بن عبد الوهاب وتبعهم المماليك إلى هناك وقاوم الطاهريين المماليك ولكن المماليك تفوقوا باقتلاهم البنادق ولم يكن اليمينيين يمتلكون البنادق ولا عهد لهم بها وقتل عبد الوهاب بن عامر إثر جرحه في معركة زبيد.

وأستمر القتال بين المماليك والطاهريين في تعز وبلاد ردا ع وفي مختلف المناطق حتى معركة قاع صنعا ٩٢٣ هـ^(٢) فالتقى الجمعان وكان الجنود اليمينيون بقيادة عامر بن عبد الوهاب وأخيه عبد الملك وقا تلوا ببطولة واستبسال شهدت لهم معاركهم بالفروسية ولكن تفوق المماليك بالبنادق كان سبب عدم تكافؤ التسليح واستمر عامر بن عبد الوهاب في المقدمة حتى استشهد بمنطقة سعوان من ضواحي صنعا وبذلك نجح الإمام شرف الدين في سفك دماء اليمينيين وإدخالهم في فتنة جديدة وهو مختبئ بمحصن مسور من بلاد حجة مواليا للمماليك وغايبته السلطة بأي ثمن كان كعهد أجداده وأسلافه حتى جاءت الأخبار بدخول السلطان العثماني سليمان خان مصر واستيلائه عليها فهيج شرف الدين الناس وبدأ بالخروج من جحره بعد أن كان قد خرج جزءا من المماليك فهاجم من تبقى في صنعا منهم فقتلهم في بيوتهم وتحصن بعضهم بقلعة صنعا فحاصرهم وأطلقهم بضغظ من همدان وحاشد بعد أن أستغاث المماليك بهاتين القبيلتين وكان في هذه الفترة كما أسلفنا الناصر بن الحسن بن عز الدين بصعدة فقام أبنة مجد الدين بن الحسن بن عز الدين وعارض الإمام شرف الدين ، وبقي الطاهريون يحكمون جنوب اليمن وتعز وإب حتى ردا ع.

وقامت حروب بين الإماميين من ناحية حتى أختبئ مجد الدين في فله بصعدة وبين شرف الدين والطاهريين.

واستعان مدعي الإمامة عز الدين بن الحسن والأمير محمد بن عبد الله الشوي ع بالجزراكسة و ألتلقوا على حرب شرف الدين ومن أجل السلطة والحكم وفقاً لما اصله

(١) - تاريخ اليمن - عبد الواسع الواسعي .

(٢) - روح فروح - عيسى بن لطف الله شرف الدين .

الفكر الهادي ضل الصراع بين أدعياء الإمامة بأي وسيلة ومهما كان الثمن والضحية اليمن أرض وإنسان ، أما أدعياء الإمامة فإذا قبض أحدهم على الآخر يعفو عنه كما رأينا سابقاً وكما كان في زمن أيام شرف الدين حيث ادعى إمام في عر الحيمة يقال له أحمد بن الهادي ويصفه عيسى بن لطف الله شرف الدين في كتاب روح الروح بأنه " أظهر عقائد فاسدة وأجاز نكاح الواحدة والعشر والمائة " وانتقل هذا الداعي إلى جبل اللوز بخولان فقبض عليه عامل شرف الدين وأمر الإمام بدخوله إلى صنعاء مقيداً وطاف به في أسواق صنعاء ثم سجنه في " مسجد قصر صنعاء " ثم أطلقه من الأسر ووعظه وزجره وأحسن إليه .

أما اليمنيين عندما يحصل منهم تمرد فتقطع رؤوسهم وأيديهم وأرجلهم وتخرب دورهم ويقطع مغروسهم حتى أطفالهم تقطع أيدهم وأرجلهم كما سيأتي : فاي بغي بلغ هذا البغي

مجازر المطهر :-

وكانت الفتنة التي أشعلها الإمام شرف الدين بيعة خصبه لأبنه المطهر وتعددت حروبه فقاتل اليمنيين والماليك والعثمانيين وأبوه وأخوه الذي كان السفاح الثاني بعد الإمام عبد الله بن هزرة حيث كان متعطشا لسفك الدماء واتسمت أفعاله بالوحشية والبشاعة وسنورد مقتطفات من أعماله البشعة حسب ما رواها ابن أخيه عيسى بن لطف الله بن شرف الدين في كتاب روح الروح فيما حدث بعد المائة التاسعة من الفتن والفتوح .

وفيها خرج المطهر لأخذ عمران ، فلما وصلها قاومه أهلها ^(١) فحمل عليهم بجنوده فأخذها أخذة رابية وأسر من فيها بعد أن قد كان قتل من قتل ، وعاد وقد تركها أطلالا دراسة وخرابات عابسة ، وغنم فيها سلاحاً ونقداً وبقراً وغنماً وخيلاً .

وقد أصيبت اليمن بالطاعون سنة (٩٢٩هـ) فلم تقتصر محتتهم على طاعون الطغاة بل ابتلوا بطاعون ذهب بأرواحهم ولا حول ولا قوة إلا بالله ، ومن المجازر التي قام بها .

- قام بدفع القبائل الموالية له لإخضاع القبائل الأخرى وبدأ ذلك مستغلاً حصول الطاعون فهاجم اليمانيتين من بلاد خولان والكيم من بلاد الحذاء وكان غير قادر عليهم قبل دخول الطاعون وكذلك صنع بعنس ونهبها وبسط على صوافيها ونهب أغنام منطقة أسناف من خولان وقبض على خمسة عشر ممن تبقى من أعيانهم وقطع أيديهم وأرجلهم

(١)- كتاب روح الروح - عيسى بن لطف الله شرف الدين .

وأتفق مع جند المماليك وتحالف معهم على قتال الطاهريين والغاية سفك دماء اليمانيين بأي وسيلة وكان قد أباح هب الممتلكات من معبر إلى بلاد الشعر ودمت ومن بشاعة أفعاله كان الناس يفرون قبل وصوله وقد أخذ من بلاد ودور بنو طاهر المكتبات التي جمعوها (وجمع من كتب العلوم في كل فن مالا يكاد يقل حامله وينوء به وقد كان عامر بن عبد الوهاب أخذها من جميع الآفاق وأستنسخها فإنه وجد في غمدان من الكتب شيئا لا يفنيه العد وأرسل به إلى تلك البلاد^(١)) ودخل رداع وأخرب قلاعها وحصونها وكذلك فعل بعراس في (منطقة يرم محافظة إب) ولم يخضع له أهالي خولان وكان المطهر قد أخذ منهم ٨٠ طفل كرهائن ولما رفضوا الخضوع له وقد تحشدوا ولم يستطيع قتالهم قام بقطع أيدي وأرجل الرهائن فأبي جريمة أبشع مما صنع فبافتراض أن أهالي خولان قد ارتكبوا أي جرم فبأي ذنب قام بقطع أيدي وأرجل الأطفال الرهائن وبأي مذهب أو دين في ناموس الإنسانية فما بالك بعدل ورحمة الإسلام الذي باسمه يفعل الطغاة من أمثال المطهر هذه الأفعال " وهم يدعون أنهم ورثة الملك والدين " ، وهذه الأفعال هم يعتبرون أنفسهم متميزون على بقية المسلمين (تبت يدا المطهر) ، وأثناء ذلك حاول أهالي خولان حرق باب اليمن والدخول إلى صنعاء ولكنه استعصى عليهم فقام بجمع القبائل لقتال خولان " ودارت بينهم الحروب فدخل بلادهم ودمر ديارهم وقطع أعناقهم وأشجارهم واستأصل المغروس والمعمر وتركها خاوية" ، فاستسلموا له فلم يكتفي بما صنعهم وأطفالهم وبلادهم فأمر بقطع أيدي وأرجل ثلاثمائة من أعيانهم ومشائخهم سنة ٩٣٤هـ ولم يقف عند هذا الحد بل الزهم بإحضار الذي قام بحرق باب اليمن فقام بالتنكيل به بأبشع صورة فسمره حيا في باب اليمن حتى أدركته الوفاة .

فمن أظلم من المطهر ورغم ذلك يتفاخر كتاب الأئمة بتلك الأفعال .. ولو لم يذكر هذه الأفعال أبناءه ما صدق بما أحد .

فبأي دين صنع ذلك فديننا الإسلامي يحرم علينا فعل ذلك في قتال الكافرين فهل يجوز ذلك في قتال المسلمين

ويعبر عن ذلك الحال إمام العلم والحق ابن الأمير الصنعائي:-

أَنَا فَسْتُمْ الْحَجَّاجَ فِي قُبْحِ فَعْلِهِ فَفَعَلْتُمْ فِي الْجَوْرِ فَعْلُ مُفْسَاخِرِ
يُفَدِيكُمْ إِبْلِيسَ حِينَ يَرَاكُمْ يَقُولُ بِكُمْ وَاللَّهِ قَسْرَتْ نَوَاطِرِي

(١)- روح الروح ليعسى بن لطف الله شرف الدين

نبتذتم كتاب الله خَلَّفَ ظُهُرَكُمْ ولم تعلموا منه بِتَنْصُّرٍ وظَاهِرٍ

وفي الجانب الآخر بصعدة يتسابق أدعياء الإمامة لسفك مزيدا من الدماء فيجمع القبائل فيها مدعي الإمامة محمد الدين أبْنُ الحسن أبْنِ عز الدين المؤيد ويخرج على الخارجين وتنشأ بينه وبين المطهر من أشجع المعارك التي تسفك فيها دماء اليمينين وتزهق أرواحهم وما هذه البشاعة في القتل والتنكيل إلا ثمرة ما بذرة الأئمة السلافيون من بذور العداوة والبغضاء بين القبائل اليمينية بشكل تراكمي حتى أصبح العداء بينها أكثر جيلا بعد جيل ثم في سنة ٩٣٣هـ دخل الطاعون للمرة الثانية خلال عهد هذا الطاغية فاستغل ما صنع القدر في اليمينين من تفشي هذا المرض فواصل حربه على صعده والجوف.

وكان قد خرج في مأرب الناصر بن احمد على طاعة المطهر وكان هؤلاء الخارجون قد جمعوا قبائل لهم وما حولهم ودهم يقودهم أشرف الجوف فهزهمهم

وإتجه إلى صعده لقتال من حشدهم المؤيد فأسر مجموعة وقطع أيديهم وأرجلهم أما أدعياء الإمامة مشعلي الفتنة فسيغفي عنهم كما هي عادتهم كما سنرى ودخل صعده وفر منها بيت المنصور (وكانهم عاقدون العزم على أن لا يقوا شير في اليمن دون أن يسفكوا فيه الدماء).

ويتضح في هذا السياق أن هؤلاء السلافيين هم الذين احترقوا الفتنة بتأليبهم هذه القبيلة أو تلك في سباق على انتزاع السلطة ففي معارك صعده تم العفو عن آل المؤيد الذين خرجوا على المطهر وقادوا القبائل لقتاله وقابلهم الإمام شرف الدين وابنه المطهر بالإجلال والاحترام "وأستاذنوه بالعودة إلى ديارهم فأذن لهم" ولما فروا بيت المنصور من صعده جمعوا قبائل سحار ما حولها إلى قرية الحسينيات بمدينة سحار بمحافظة صعده وقامت معركة بينهم وبين المطهر فقتل منهم ألف قتيل واسر ستمائة وضرب أعناقهم في تخيم أبيه وتعرف بقتلة (المخلاف) وبعد هذه المجزرة التي كانت بين بيت المنصور والمطهر والتي كان ضحاياها اليمينين كالعادة طلب

بيت المنصور العفو من المطهر فأجابهم إلى ذلك واليمينيون لا وزن لهم لدى عنصرية الأئمة الهادييه.

ويقول الناهي عن المنكر شيخ الإسلام ابن الأمير الصنعاني في وصف أمثالهم :

فيا عُصْبَةَ ضَلَّتْ عن الحق والهُدَى ومالت إلى أفعالِ طاغٍ وفاجرٍ
بأيِّ ملوكِ الأرضِ كان اقتلداؤكم فما لَكُمْ في فعلِكُمْ من مُنَاطِرٍ

وأصببت القبائل التي تقاتل مع المطهر بالمرض مات منه أكثرهم.
 قال تعالى ﴿أَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا﴾ محمد ١٠

وقال تعالى ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾ (١) وفي الجانب الآخر كان يحيى السراجي يؤلب من تبقى من الطاهريين ويحثهم على الحرب وقد وصفه صاحب كتاب روح الروح (هو ممن باع الهدى بالضلالة ونكث عهود الإمام لا أب له)، وهذا أصدق قول لوصفهم جميعا وكان قد عاد الطاهريون واستولوا على المناطق الوسطى والجنوبية من اليمن فلما علم المطهر بذلك جمع قبائل من حاشد وبكيل من مناطق صعده والجوف وعمران والتقى بالطاهريين ومعهم السراجي في قرية موكل من بني عامر مديرية رداع بمحافظة البيضاء.

فماجهم المطهر لاعتقادهم أنه سيتأخر بالوصول من نجران إلى هذا المكان وكانت الغلبة للمطهر وقد قتل أثناء المعركة (٣٠٠) من جيش الطاهريين وأستسلم (٢٣٠٠) فأمر بقطع رؤوس (١٠٠٠) من الأسرى وأمر بأن يحمل كل أسير رأسا مقطوعة وأخذهم إلى صنعاء ثم إلى صعده.

فأي بشاعة عرفتها الإنسانية أعظم من هذا الطاغية وأستمر في سفك الدماء على طول اليمن وعرضها دون أن تخضع له أي منطقه وكان للمطهر حروبا مع بقايا جند المماليك الذين بقوا بمدينة زبيد وما حولها وقامت بينهم وبين المطهر حروب أهزم.

وما ذكرنا من طغيانه إلا النذر اليسير، ومشعلوا الفتن خلال هذه الفترة ٩١٢-٩٤٥هـ :-

- المتوكل على الله شرف الدين يحيى وأبنة المطهر
- احمد بن الهادي .
- الناصر بن الحسن بن عز الدين "المؤيد" بصعدة وأبنة مجد الدين بن الحسن بن عز الدين .
- الأشراف بني المنصور وبني الشويح متحالفين مع

المبحث الثاني

حروب وفتن أدعياء الإمامة

أثناء الحكم العثماني الأول ٩٤٥هـ - ١٠٥٤هـ :-

وفي هذا التاريخ دخل العثمانيون اليمن وكان المطهر يصلحهم تارة ويقاتلهم تارة واغلب أيامه في عهد العثمانيين قضائها محتبماً في حصن ثلاثا وقد خرج المطهر على أبوه الإمام شرف الدين حين قام الإمام شرف الدين بتولية ابنه شمس الدين ودارت حروب بينه وبين والده ثم بينه وبين أخوه شمس الدين وأخوته الآخرين. فعمت فتنة هذا السفاح اليمن من نجران إلى عدن إلى تهامة، تطبيقاً للفكر المهادوي الذي أصبل لصراع هذه السلالة على الحكم وكان دخول العثمانيين سنة ٩٤٥هـ. وأياً كانت المثالب التي ترصد على العثمانيين في اليمن فإنهم لن يصلوا إلى بشاعة ما صنعه طغاة الأئمة بأي حال من الأحوال.

وهكذا استمر في إشعال الفتنة والحرب مع القبائل اليمنية ومع ملوك دولة الطاهريين ومع الماليك ومع أبوه ومع أخوته ثم مع العثمانيين إلى أن توفي سنة ٩٨٠هـ. وأكمل مسيرة التمزيق والفتن لهذه الأمة أولاده يحيى ولطف الله وغوث الدين وعبد الرحمن وحسن الدين كلا سعى إلى السلطة في حصن أو قبيلة حتى أسرهم الوزير حسن باشا، وشاركهم في نشر الفتنة المدعي للإمامة الناصر لدين الله الحسن بن المؤيد حتى أسره العثمانيون بجبل الأهنوم سنة ٩٩٣هـ وأرسلهم حسن باشا إلى القسطنطينية حتى توفوا بها.

وهذأت اليمن واستقرت في عهد الوزير حسن ، ومثلما استطاع عبدة السلطة من السلايين أن يبثوا مذهبهم كثقافة استطاعوا أن يبثوا العداوة والقتال والفرقة بين القبائل اليمنية في شمال الشمال وبين تلك القبائل وسكان المناطق الوسطى .

كذلك دفعوا اليمنيين لقتال العثمانيين فنشأت العداوة بين اليمنيين و العثمانيون فجعلوا بذلك اليمن خارجه عن الخلافة وعملاً لإضعافها دولة الخلافة وزرعوا العداوة بين اليمنيين وجند الخلافة العثمانية فكانت اليمن بصنيع الأئمة في خندق واحد مع الصليبيين في قتال جيوش الدولة الإسلامية.

وبإليت هذا الفكر وأئمتة قد صنعوا لليمنيين عدلاً أو مجدداً فلم يجد لأتباعهم تفاخراً إلا بطغيانهم .

وأشعل الحرب والفتن من أذعياء الإمامة فيما بينهم ومع الطاهرين والمماليك
والعثمانيين خلال الفترة ٩٦٥-١٠٠٦ :

الاسم	مدة ترمده
- المتوكل يحيى شرف الدين بن المهدي احمد	٩١٢ - ٩٦٥ هـ
- المطهر بن شرف الدين	٩٦٥ - ٩٨٠ هـ
- أولاد المطهر (يحيى و لطف الله و غوث الدين و عبد الرحمن و حسن الدين)	
- الحسن بن علي بن داوود	٩٨٦ - ٩٩٣ هـ
- المنصور القاسم بن محمد	١٠٠٦ - ١٠٢٩ هـ

إنهم يستنسخون أفكارهم وأساليبهم وفتنهم فتكررت أفعالهم وتكرر التاريخ ليروي
نفس الأحداث مع تغير الفاعلين فظل الأمس ومرت السنون والقرون.

وقد سفكت دماء اليمينيين في كل المعارك التي أشعلها شرف الدين وأبنة المطهر
والحسن بن علي بن داود والقاسم بن محمد أثناء حروبهم فيما بينهم وحروبهم مع المماليك
وحروبهم مع العثمانيين وحروبهم مع اليمينيين تلك هي النتيجة للفكر الهادي الذي اصل
وعمل على سفك دم المسلم للمسلم وسيستمر في ذلك كما سيأتي .

ولم يياس أذعياء الإمامة فيغيب إمام ويظهر آخر فقد ادعى الإمامة القاسم بن محمد
(مولده سنة ٩٦٧ هـ) من ذرية الناصر بن الهادي وأسمه القاسم بن محمد بن علي بن
محمد بن علي بن الرشيد كما يقال وقد اختلف في نسبه ^(١) ولقب نفسه بالمنصور بالله،
وقد طعن بعض معارضيه بحجة أنهم لم يسمعوا بأن من ذرية الهادي من سمي بالرشيد ،
وأسرة القاسم نشأة في بني مدينة من بلاد الشرف (محافظة حجة) ، وأستوطن هناك
محمد بن علي بن الرشيد في أول القرن العاشر ولم يكن هناك أية أسرة من أبناء الهادي قبل
ذلك والقاسم ابن محمد كان طموحاً فطاف بالبلاد ليظهر الورع والتقوى للناس ، فكل
إماماً يدعي أو يملك تنطلق ألسنة الدعاة من حوله تروي عنه الكرامات والشواهد على

(١) - حسين احمد السباعي و محمد علي الأكوح وآخرين - ابن الأثير وعصره .

صحة إمامته فكانوا يمتنارون القصص القريبة من أذهان الشعب التي تضيء الهالة عليه^(١) وقد ألقت الكتب التي تمجده وترد على من يتساءل عن نسبه من العلويين مثل (بغية المرید فی من ولده السيد علي بن محمد بن علي بن الرشيد) وقال في مقدمته " فإنه لما طرق سمعي من أبناء السادة الأعلام أهل الوقت يسأل عن نسب بعض أهله من عصبته ونسبه بصيغة الاستنكار علم يقينا أنه قد جهل النسب من نفسه وأهله فضلا عن غيره " وقد بدأ حياته السياسية عندما كان أحد أعوان الإمام الحسن بن علي بن داود الذي قبض عليه الأتراك وأرسلوه إلى الإستانة ومات هناك فتهيأت له الفرصة لإدعاء الإمامة .

ومن أوائل ما فعله لتحقيق مبتغاه هو إبعاد الأسر الرئيسية المنافسة الذين كان أدعياء الإمامة منها مثل (بني شمس الدين أهل كوكبان ، وأبناء القاسم العياشي وغيرهم) ذلك الهدف، هو تطبيق لفكر الهادي الذي أصل الصراع على الحكم بين أبناء هذه الأسر .

وقد تمهأت للقاسم الظروف المواتية لإدعاء الإمامة ثم تقلدها وأهمها:

- خلعت الساحة اليمنية من أي دولة أو زعامة منافسة لأدعياء الإمامة بعد أن زالت الدولة الطاهرية على يد المماليك وشرف الدين وأبنة المطهر ثم دخول العثمانيين .

- أنهكت الحرب أسرة شرف الدين والأتراك .

- وصل العداء التراكمي إلى ذروته بين القبائل اليمنية والأتراك .

فما يسر على القاسم والحالة هذه أن يستغل الظروف ويدعي الإمامة لنفسه فاستطاع إخضاع القوى المؤثرة أو التخلص منها^(٢) بحجة الغيرة على الدين ولتلك الظروف ولما قام به فما أن طل عام ١٠٠٦ هـ حتى أعلن نفسه إماما على اليمن وعمره ٤٠ سنة .

ودفع القبائل لمحاربة العثمانيين حتى إذا وقع الصلح الذي حصل بموجبه على هدنة مع العثمانيين قام بالسيطرة على منطقة شهارة وما حولها وبتحقيقه هذه المكاسب تجاهل ما أصاب البلاد في سبيل هذا المكسب .

إن هذا الإمام الذي أسس لأبنائه من بعده أساليب ووسائل سارو عليها كان أهمها الإفراط في القتل والتكثير، عن يخالفه بدفع قبيلة على أخرى الأمر الذي بث العداوات

(١) - يمكن الرجوع إلى الجرهموزي مؤلف سيرة القاسم ليرى إلى أي مدى وصلت المبالغة في عبارات هذا الإمام التي كانت تنشر على أيدى الرواة وعلى السنة الرواة عن القاسم نفسه
(٢) - الجرهموزي - سيرة القاسم .

والأحقاد بين القبائل ويظهر ذلك من كتاب القاسم إلى الشيخ أبو زيد فيصف ما فعله أتباعه باليمنيين من خصومه^(١) فيقول: (وبقية من المخذولين في بلاد وادعة صار القتل فيهم كل يوم وقد قتل جند المنصور إلى اليوم فوق مائة قتيل وتغنموا منهم غنائم حسنة من السلاح والدرهم) .

ثم لا يكفي بالجريمة التي ارتكبتها هو وجنوده في وادعة بل شاء ضميره أو شاءت له أطماعه أن ينتقل بالقتل والنهب إلى جهة أخرى .

واليك جزءاً من الرسالة تتعرف من على هذه الحقيقة :

(وكذلك إذا تفضلتم أن تتقدموا إلى حجور وتخربوا بيت ابن عرجاش وتنهبوا ماله وتأخذوه خاسماً ذليلاً خاسراً في الدنيا والآخرة وأنتم تقدرون على ذلك) .

ثم هاهو القاسم لا يريد أن يترك للرجل بقية من تردد إلى ما يدفعه إليه دفعا فيواصل رسالته : (وليس في تراخيكم وصيانتكم لبلاد أعداء الله فائدة فإن أهل البلاد لا ينجركم " لا يتركونكم " إن ظفروا بكم والعياذ بالله) .

ثم يضيف (وكذلك أخبروا أموال أهل بيت مأخوذ وبيت جحوش وسحنة أقماهم الله " أحرقهم " وبعدهم من رحمته وأسكنهم النار بحق جدي محمد رسول الله) .

أرأيت كيف كان الأئمة يدفعون قبيلة ضد أخرى وكيف كانوا يبيحون قتل المخالف لهم ونهب ماله وخراب داره وهم بهذا يسرون على نهب الهادي الذي فعل مثل ذلك بأبناء القبائل وخاصة بجران وسياقي أبناء القاسم ويفعلون نفس الأفعال .

وقد قتل القاسم بنفسه^(٢) رجلاً يخالفه المذهب (حكى الحسن بن الحسين حفيد القاسم أن صوفياً بصنعاء كان شديد الخلاعة وكان يأكل الحشيش أكل الخمار ويستبيح المحرمات عامة فكمن له الإمام القاسم في بعض الأزقة كمن الأفوان حتى إذا مر به ضربه بعمود فأخرج دماغه من بين الأذان ، ثم خرج من المدينة خائفاً يترقب) .

كأن المسألة غيرة على الدين فحسب وإزالة للمنكرات ولكن القصة إذا تناولها القارئ المدقق تكشف له بعض الضوء الذي يمكن أن ينير الطريق . فغالب الظن أن هذا المتصرف كان - القاسم يخشى منه على السياسة التي وضعها لنفسه فإذا علمنا أن بعض الرواة

(١) - بقية المرید - الجرهموزي " ابن الأمر وعصره " - حسين أحمد السياهي ومحمد بن علي الأكوخ وغيرهم .

(٢) - محمد بن علي الشوكاني الدرر الطالع " ترجمة القاسم بن محمد "

الآخرين يذكرون أن الرجل كان تركيا تكشف لنا السر في اختيار هذا الصوفي دون بقية الأتراك من القادة والمحاربين .

فقد كانت خطة القاسم أن يوهم الشعب بأن الأتراك كفار ولا صلة بينهم وبين الدين.

فإذا ظهر منهم رجل متصوف حوله الأتباع ويكثر في حضرته المریدون بدأ كثير من الناس يترددون في تصديق ما يشيعه القاسم عن كفر الأتراك .^(١) هذا هو القاسم وهذا هو فكره الهادوي الذي سار على خطاه وأضاف إليه فكرا وتطبيقا من أجل السلطة والحكم القائمة على التمييز السلالي حيث قال :

لا تعدلن بآل أحمد غيرهم وهل الحصاة تشاكل الياقوتا

والإسلام لا يعرف في الناس حصى وياقوتا ولا أسود ولا أبيض ولا عربي ولا عجمي إن المسلمين سواسية كأسنان المشط لا فضل لفرد على آخر إلا بالتقوى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) الحجرات ١٣ .

ونعود إلى زمن القاسم وأحداثه :

فقد عاصر أيام الوزير حسن الذي لاحق هذا الإمام واسر عمه عامر وحاصره في شهاره وأسر ابنه محمد وجميع أهله وحبسوا بكوكان وأستمر إشعال الفتنة في تقدم ، وتراجع خلال عهد سنان باشا إلى أن توفي الباشا سنة ١٠١٦هـ .

وجاء الوزير جعفر ولاحقه بقوة وعزيمة إلى أن اسر ابنه الحسن وظل يثير الفتنة أيام جعفر باشا وأيام إبراهيم باشا حتى قدم إلى اليمن محمد باشا فتوفي هذا الإمام بشهاره سنة ١٠٢٩ هـ .

وقام بحمل راية الخن لهذا القطر من الأمة الإسلامية ابنة محمد ابن القاسم ولقب بالمؤيد بالله وأدعى الإمامة سنة ١٠٢٩ هـ وقبر بذي مرمر مديرية بني حشيش محافظة صنعاء .

وقام بمحاولة جمع القبائل ومحاربة العثمانيين في عهد الوالي فضل باشا إلى أن توفي سنة ١٠٥٤هـ .

(١) - ابن الأثير وعصره - حسين أحمد السيافى ومحمد بن علي الأكوخ وغيرهم .

فأدعى الإمامة أخوه احمد ابن القاسم سنة ١٠٥٤ هـ بشهارة ثم تنحى لاختوة
إسماعيل ولقب بالمتوكل على الله.

المبحث الثالث

صراع القاسميون بعد خروج العثمانيين

المتوكل على الله إسماعيل :-

وكان ادعاؤه للإمامة سنة ١٠٥٤ هـ من ضروران آنس.
وخرج عليه إبراهيم بن محمد بن عز الدين من صعدة "فما زال أمره يضطرب فتارة يبايع
وتارة يبقى على دعوته وتكرر منه ذلك ولم يكن معه ما يعول به من جند ولا أتباع"^(١)
وخرج على المتوكل إسماعيل أيضا أخوه أبو طالب احمد بن القاسم من شهارة ودارت
بينه وبين أخيه حروب ولم تكن كفة الحرب في صالحه فتوسط بعض حاشيتيها فاجتمع
الأخوان وتناظرا حتى يتبين أصلحهما فحكّم بالغبلة لإسماعيل صاحب النفوذ الأقوى
والنفوذ الأكثر .

ويصف شيخ الإسلام ابن الأمير الصنعاني بقوله :

ويا عُصْبَةَ من هاشم قَاسِمِيَّةِ إلى كَمْ تَرَوْنَ الجَوْرَ إِحْدَى المفاخر

أما ابن أخيه محمد بن الحسن بن القاسم في بلاد تعز وما حولها فسرعان ما تنازل له
حتى يغمض المتوكل عيناه عما كان يفعل بالبلاد التي تحت يده وبقي من أكبر قواد
إسماعيل.

وقد سار سيرة عمه في اليمن الأسفل وكان حكمه بلاء وشقاء وقال فيه محمد بن
علي الغرбاني:-

ومثل ما يفعل بنجل الحسن في اليمن الأسفل من أرض اليمن
من حيل للمال سرا وعلن كثيرة تجري على غير سنن

(١) - البدر الطالع - عماد بن علي الشوكاني .

إلى آخر القصيدة التي شرح فيه الداعي محمد الغرباني مساوي أبناء القاسم محمد هذا وتولى أخيه أحمد ابن الحسن وضل الرجلان يعيشان في اليمن الأسفل فساداً بسفك الدماء والاعتداء على الحرمات في ظل الشعارات الدينية للمتوكل إسماعيل بقوله كفار تأويل نواصب بغاة منافقون لا يمتثلون لأحكام الشرع إلا كرها وخوفاً من جند الإمام كما لا عهد لهم ومضوا على نهج المذهب الهادي الذي أصل مذهبياً بجواز خروج إمامان في آن واحد وبذلك صرح هذا المذهب بنقض العهود والفتنه تصريحاً مطلقاً بدون ضوابط

ويعد أن ادعى إسماعيل بن القاسم وخرج عليه أخيه وابن أخيه كما ذكرنا وقاما بدورها في إشعال المشتعل من الفتن ثم اتفقوا على تقاسم السلطة.

وفي عهده خرج الأتراك من اليمن وقد عمروا بها كثيراً من الحصون والمساجد وبعض الهياكل الأساسية للدولة وتركوا بعضاً من إشعاع الحضارة بما تعلمه اليمنيين من علوم أثناء حكم العثمانيين لليمن وكذلك ما تركوه من نظام عسكري وإداري وعتاد وكانوا هم من اخضع اليمن لسلطه مركزية واحدة في أغلب هذه المرحلة من الحكم العثماني الأمر الذي هياً لهذا الإمام بسط نفوذه على اليمن من بحران ففسير فحضر موت حتى وصل إلى صلالة بظفاري بعض الفترات كذلك فإن الماليك والعثمانيون من بعدهم قد قضوا على آخر الدول اليمنية "الطاهريون" فلم يعد هناك منافس للمتوكل على الله إسماعيل .

واستمراراً لتطبيق فكر الهادي القائم على أن الإمامة تستحق لمن قام بها ودعا إليها من أبناء الحسين كان تنافس أبناء القاسم وغيرهم كما رأينا على الإمامة أو بالأقل على إبقاء مصالحهم بسيطرهم على ما تحت أيديهم ويؤيد ذلك أنه عندما استبدل المتوكل إسماعيل ابن أخيه علي بن أحمد بن القاسم بابنه الحسن وكان قد أقطعه البلاد الشامية (صعده) منذ ١٠٦٦هـ فأخضعها بالقمع والإرهاب فلما استبدله خرج عليه ودعا لنفسه واشتعلت الحرب في هذه المنطقة إلى آخر أيام المتوكل إسماعيل.

ولما أبتدعه الفكر الهادي بدعة الحق الإلهي للأئمة في الحكم وما سارو عليه من جمع السلطات في يد الإمام بشكل مطلق وما روجه الفكر الهادي لبدأ (حرية الاجتهاد) الذي تمثل في أن ما يراه الإمام هو حكم شرعي واجب التنفيذ .

فقد أبتدع المتوكل على الله إسماعيل كأسلافه بدعة جديدة حيث حكم ^(١) بتحويل أرض اليمن من أرضي عشرية إلى أرضي خراجية بحجة أن اليمن أنتزع من الأتراك ، والأتراك كفار ينطبق عليهم ما ينطبق على كفار خيبر ونرى هنا مدى تجاوز الأئمة في

(١) - غاية الأمان - محمد بن الحسين .

البغي والتعصب حتى يطلقون على دولة الخلافة الإسلامية صفة الكفر وأرض اليمن أرض كفريه فيخالفون ثوابت الشرع وسنة النبي الكريم ويجعلون لأنفسهم حق التشريع بالإضافة إلى ما أصل لهم من تميز واستعلاء في استحقاق الحكم فقد حكم هذا الإمام وطبق " حكمه الشهير " الذي يتلخص في الآتي :

- (أ) إن الجيوش التي تغير على أرض المسلمين الآمنين جيوش مجاهدة في سبيل الله .
- (ب) كل ما يفرضه الإمام على الناس عامه أو على الخاصة حق مستحق ودين لازم يقدم طوعاً أو يأخذ كرها .
- (جـ) أن يتحكم الإمام في أموال الناس وما يملكون من أرض وتجاره وحيوان تحكم السيد في عبده .
- (د) الجهاد لا يقتصر على جهاد الكفار والبغاة ولكنه يصل إلى جهاد المنافقين وهم في نظر الإمام الذين لا يمثلون لأحكام الشريعة إلا كرها أو خوفاً من صولة الأمام وجنده إلى آخر هذا الحكم الذي عارضه أحد العلماء الأحرار وهو السيد العلامة الهادي الحسن الجلال رحمه الله .

وبهذا الحكم أصبحت اليمن ملك له وأبنائها عمالاً في ملكه فهو يملك ويحكم وقراره تشريع فأى بغي أكثر من هذا .

وهم بهذا قد اغتصبوا السلطة واغتصبوا حرية الناس واغتصبوا أموالهم .. وعملوا عكس ما أراد الله بهذا الدين للناس . بأن يخرجهم من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد والله خلق الناس أحراراً وهم عملوا عكس ذلك فخالفوا ثوابت الدين ومقاصده وأصوله . واستطاعوا بهذا الجبروت أن يخضعوا اليمن كاملة بما فيها ظفار وصلالة .

ولم يطبق حكمه هذا إلا بعد أن كسب ولاء القبائل بما مناهم من مغائم وبما بث بينهم بأن طاعة الإمام هي تشيع لآل البيت وهي طاعة لله (حديث الهادي من أحبنا أحبه الله) .

والمهمة الأخرى لأي إمام هي تدعيم مركزه الروحي بين القبائل تحت ستار التشيع لآل البيت حتى يرسخ في عقلية الشعب بالقسم الأعلى أن الإمام ظل الله حقاً وأن منزلته كمنزلة رسول الله ينظم علاقته بالناس ومركزه فيهم تشريع إلهي ويؤل الآية الكريمة :

{ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا لِمُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُّبِينًا } [الأحزاب : الآية ٣٦]

فكل ما ورد في طاعة الله ورسوله ينطبق على الإمام لأنه نائب الله وخليفته وتقرن هذه التعاليم الروحية في القسم الأعلى بالحملات الطائفية ضد ما يسموهم " كفار تأويل".

والذين يدينون بالمذهب الأمامي هم أكثرية البطش والسلب التي لا بد لكل إمام من تجريدتها ضد المزارعين الآمنين من أبناء الشعب في اليمن الأسفل وقحمة^(١)

ويخاطبهم ابن الأمير الصنعاني ناهيا عن منكرهم بقوله :

أما فيكم من يستحي من إلهه أما فيكم من يهرب الغزي في غدي
أما فيكم من راقب الله ساعة وتاب فقد أفسدتم الأرض عن يد

إن إعطاء حق التشريع والاجتهاد للإمام قد استغل أشنع استغلال وضرنا لذلك مثلا واضحا بالحكم الذي أصدره المتوكل لإسماعيل والذي أدرك خطورته الهادي الجلال فعارضه مدعما رأيه بالأدلة الواضحة من الكتاب والسنة .

وسنرى فيما بعد أن هذا الحكم قد ساق الأئمة إلى ألوان من الجور والفساد كان لهما أسوأ الأثر على الشعب وعلى أسلوب الحكم حتى إذا جاء عهد المهدي صاحب المواهب ومن بعده القاسم الرهيب والمنصور حسين تحولت اليمن إلى مجموعة من الإقطاعيات يسام الناس فيها سوء العذاب .

واضطر العلماء إلى مهاجمة المتوكل لإسماعيل - حتى بعد مماته - والحكم الذي نادى به وما جره على البلاد من ويل وفساد .

ويصف الحسين بن عبد القادر الروضي ذلك الحكم بشعر يقطر سخرية وسخطا وألما للحالة التي وصلت إليها البلاد :

أفتسامهم بمقال فيه برهان	قالوا إمامهم لإسماعيل عالمهم
دانت لهم من جميع القطر بلدان	يقول إن جنود الترك كافرة
صارت إلينا حلالا بعدما بانوا	وبعدهم قد ملكناها بقوتنا
على الذي بيديه أينما كانوا	وكل شخص من الزراع عاملنا
بما أخذنا ولا والقول بهتان	أصولنا تقتضي هذا فلا حرج
إليه رغبتها فيها لها شأن	إيليس سول هذا والنفوس دعت

(١) - الإمامة وخطرها على وحدة اليمن - أبو الأحرار محمد محمود الزبيدي .

هذه الخيالات لا تجدي ليوم غد إذا قضى بين أهل الأرض ديان
 وصوره أخرى عرفناها مما سبق وهي تلك الكرامات التي كانت تقترن بكل إمام عن
 استخدامه للجن وموازرة الملائكة له والرؤى التي تدعم أصالته في الإمامة وتضفي عليه
 صفات يقبل بعضها العقل في تحفظ وينكر أكثرها في غير تحفظ .
 وكانت تعاليم المذهب تلزم الناس بالطاعة العمياء وتطالبهم بالانقياد الأعمى لكل داع
 من هؤلاء الدعاة .

حتى أصبح كل مواطن يجد حرجا في دينه ألا يلي دعوة الإمام ، وأضطرب على الناس
 الأمر اضطرابا شديدا فكانت تصلهم دعوات متعددة من عدد من الأئمة المطالبين بالحكم
 فيسارعون بالبيعة لهم جميعا خوفا من أن تفوهم إحدى البيعات فيتهمون في عقيدتهم في
 أبسط الاحتمالات أو يتهمون في ولائهم إن قدر لهذا الداعي الوصول إلى الحكم فينتقم
 لنفسه شر انتقام من فرد تأخر عن الاستجابة له ولدعوته ، وسنرى بعد هذه الفترة التي
 نؤرخ لها أن عشرات من الأئمة قاموا في وقت واحد^(١) .
 وتوفي المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم سنة ١٠٨٧ هـ وقبر بصوران آنس .

ومن بعده أصبحت الإقطاعيات الكبرى مستند لأبناء القاسم يرتكزون عليها في طلب
 الملك فإن لم يصلوا إليه فلا أقل من أن يوسع الإمام الجديد دائرة إقطاعهم .

— صراع بني القاسم على الإمامة :—

وأدعى بعد موته القاسم بن محمد بن القاسم دعا لنفسه بشهارة وتلقب بالمنصور
 أحمد بن الحسن بن القاسم بصنعاء وتلقب بالمهدي .

و علي بن أحمد بن القاسم الذي ظل على دعوته في صعبه من أيام عمه .

وباع ابن الإمام المتوفي محمد بن إسماعيل المتوكل المهدي أحمد بن الحسن وفي نفس
 الوقت ساندته الحسين بن الحسن بالمال وكان برداع ودارت رحى الحرب بين القاسم بن
 محمد وأحمد بن الحسن (ووجه القاسم أخاه إلى مدينة خمر في جند واسع وانفذ من رؤساء

(١) - ابن الأثير وعصره " حسين احمد السباغي ومحمد بن علي الاكوع " وآخرون .
 حتى الساجد لم تسلم من ظلم الأئمة ، ورحم الله القاضي علي بن صالح أبي الرجال رأى المساجد في صنعاء قد حملت أمملا شديدا حتى كادت
 تتناهى وحرمت من الفربش والأنازة والياه ومهدمت وخربت مرافق المياه فيها مع كثرة أوقافها ، ولكن الأوقاف عدا عليها السادة ممن يست
 القاسم ياكلون خبزها ولا يجدون راعيا لها يقول لهم : قد قسوم على الناس فرققا بالمساجد وسرقتهم الأحياء نغفوا عن الأموات

الأهتوم رجل يقال له أبو رابوة إلى بلاد حجة لحفظ تلك الأطراف ، وأنهم جند القاسم وقتلوا أبا رابوة^(١).

وبعد أن مات أحمد بن الحسن (١٠٩٢هـ) بدأ الصراع بين أبناء القاسم بمدف الملك فإن نجحوا فنجحوا وإلا استبقوا ما بأيديهم من الإقطاعات وكان التنافس بين القاسميين هدفه الوصول إلى إحدى أمرين :

- إما أن تمكنهم الظروف من الوصول إلى الحكم .

- وإما أن يساومهم الإمام الأقرى فيقرهم على ما تحت أيديهم ويصف ابن الأمير الصنعاني حالة البلاد بقوله :

ملاكم بلاد الله جوراً وجتتم بما سودت وجه الدفاتر

ووليتم أمر العباد شراركم وغولتم كل أعمالكم كل ماكرأ

وقام بعده ابن عمه محمد بن إسماعيل ابن القاسم ولقب بالمؤيد ويقال بأنه كان ورعاً وتقياً إلا أنه مات مسموماً بحمام علي وقبر بجوار أبيه بضروان آنس سنة ١٠٩٧هـ^(٢)

وخرج عليه الحسين بن الحسن ثم بايعه ثم التقى القاسم بالمؤيد في السودة واتفقا أن تكون البيعة للمؤيد^(٣)

وأدعى الإمامة أيضاً يوسف بن المتوكل على الله إسماعيل

ونازعه في دعوته محمد بن الحسن بن القاسم المعروف بالمهدي صاحب المواهب ودخل في دائرة الصراع خلال هذه الفترة :

- علي بن أحمد بن القاسم من صعده .

- الحسن بن الحسين بن القاسم من رداع .

- الحسن بن المتوكل إسماعيل من اللحية .

- الحسين بن عبد القادر من كوكبان .

- الحسين بن محمد بن أحمد بن القاسم من حمر .

وكان هؤلاء قد تجمعوا في صف واحد ضد صاحب المواهب و اتجهوا إلى مقره بمنطقة المعافر (الحجرية) وكان قد وصلها صاحب المواهب ١٠٦٦هـ فجمع الأموال وجار في جبايتها .

(١) نشر العرف - لرابوة

(٢) أبو طالب تاريخ اليمن -و- ابن الأمير وعصره "حسين أحمد السبيعي و محمد بن علي الاكروخ" وآخرون

(٣) - نشر العرف - لرابوة

وتقدم تحالف المنافسين له للهجوم عليه بهذه المنطقة فتغلب عليهم بعد سفك دماء اليمينيين وأرواحهم وما صاحب ذلك ونهب وسلب وخراب للمعمور .
ولما تحقق له الأمر أعمل سيفه في المعارضين وفتح أبواب السجن .

الفصل السابع
حروب وفتن الهاديون فيما بينهم
ق ١١ - ق ١٢

المبحث الأول :-

حروب أدعاء الإمامة "من زمن صاحب المواهب إلى زمن المنصور حسين

المبحث الثاني:

حروب أدعاء الإمامة "١١٦١هـ - المهدي عباس إلى ١٢٢٤هـ وفاة المنصور علي

المبحث الثالث :-

حروب أدعاء الإمامة "١٢٢٤هـ - المتوكل احمد إلى ١٢٥١هـ وفاة المهدي عبد الله

المبحث الأول

أثر فكر الهادي في حروب أدعياء الإمامة فيما بينهم

حروب أدعياء الإمامة "من زمن صاحب المواهب إلى زمن المنصور حسين" :-

هو محمد بن احمد بن الحسن بن القاسم الملقب بصاحب المواهب وفي عهده كثرت الفتن لكثرة أدعياء الإمامة وكان هذا الإمام غير سوي فكان مما روي عنه أنه كان يقول بأنه يأتيه هاتف في المنام وعندما يصحى يعزل هذا أو يقطع رأس هذا وعندما كان ينظر إلى جموع الجيش الموالي له يسجد لله شكراً فلقب بصاحب السجدة . وكما ذكرنا سابقاً فإن أهم المتصارعين على الحكم هم :-

الحسين بن محمد بن احمد القاسم وخرج عليه وبدأ دعوته من عمران ومات سنة ١١٠١هـ .

وخرج أيضاً الحسين بن عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين بن الأمام شرف الدين وبدأ دعوته من كوكبان ومات ١١١٢هـ ودفن بشيخان كوكبان.

وخرج عليه أيضاً الحسين بن الحسن بن الإمام القاسم وبدأ دعوته من رداع وسجنه صاحب المواهب نحو عشر سنين ثم أطلقه ومات بصنعاء سنة ١١٢١هـ ، وما أصدق ابن الأمير عندما يصور حالة وطنه بقوله مخاطباً أفراد هذه الأسرة

مزقتم شمل هذا القطر بينكم	كل له قطعة قفر وعمران
وكلكم رقي في الظلم قطعته	مراقيا ما رقاها قبل نحوان
فقدموا العدل والأنصاف في أمم	قد طال منكم لهم ظلم وعدوان

ولم تسلم هذه البلاد حتى من فتنة السحرة .

ففي عصر إمام المواهب كان له مواهب في سفك الدماء فقد قام عليه تمرد بقيادة أحد أبناء هذه السلالة إبراهيم الحظوري^(١) ولقبه مؤرخي الأئمة بأنه ساحر لما كثر له الأتباع والمؤيدين وقتل في هذه الفتنة أكثر من عشرين ألف مسلم حسيماً ترويه كتب التاريخ وبعد طول حرب قُتل الحظوري بصعده ومات صاحب المواهب سنة ١١٣٠هـ .

(١) - أبو طالب - تاريخ اليمن فيها بعد المائة العاشرة

وأهم العبر من حياة هذا الإمام هي :

-قام هذا الإمام بمناصرة القاسم بن محمد على أبيه بعد موت المتوكل إسماعيل وأراد الله أن يمثل ابنه معه نفس الدور فعندما وجهه إلى حرب منافسيه بمنطقة إب فإذا بابنه ينظم إلى خصومه ويبايع يوسف بن المتوكل .

-ويطلب ابنه المحسن فيحبسه ويضيق عليه حتى يموت في سجن ذمار .

ويسلط ابن أخيه القاسم على البلاد ويعلم الله كم سفك القاسم من دماء وخراب من ديار وارتكب من جرائم في سبيل عمه صاحب المواهب .

فيدهام قبائل المشرق ليلا حتى إذا أصبح الصباح عاد بالرووس محمولة والأسرى مغولة والأسلاب مسوقة .

ويشارك في حرب الناجم إبراهيم المخطوري فيفتك به وبالقبائل التي التفتت حوله فتكاً ذريعاً ثم يتولى البلاد التي كانت تحت يده .

ويذهب إلى قبائل وادعه فيخرب الديار ويقيد المشايخ ويفرقهم على السجون .

كل هذا حتى إذا أحس المهدي خطراً من ناحية القاسم حبسه في المواهب وشدد عليه .

وكان من قواده صالح بن هادي حبيش يرسله لخراب البلاد وقتل العباد فينطلق في سبيل ذلك دون وازع من دين أو ضمير ، أمره بتخريب حوث فخرها ^(١) .

وكان يعطيه العدد الكثير من الحوالات لا تدخل تحت مقدور على الضعفاء والمساكين ببلاد المغرب يحملها الرجل ويتقاضاها من الشعب أضعافاً مضاعفة .

ومع ذلك لما أحس أن الرجل قد كبر حتى أصبح يخشى منه على الملك فأوعز إلى ابن أخيه القاسم فما زال يدهانه حتى سلط عليه عبيده فاغتالوه ووضعوا سلاسل الحديد في رقاب أعوانه .

وقام بعد صاحب المواهب الحسين ابن القاسم أبو المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد الملقب بالمتصور بالله

وأدعى الإمامة سنة ١١٢٤هـ بالعصيمات من حاشد وهي الآن مديرية العشه والقفله من محافظة عمران وحلت بينه وبين إمام المواهب معارك وتوفي سنة ١١٣١ هـ .

(١)- أبو طالب - تاريخ اليمن فيما بعد لثلاثة المشرق

ودعونا نسمع شهادة إمام على ظلم إمام وهي شهادة المنصور حسين على ظلم وطغيان الإمام الذي قبله والتي أوردتها في الوثيقة التي أدعى بها لنفسه حيث يقول "أما بعد: يا أمة الإجابة ويا أيها المخاطبون بأركان الإسلام وبالتوبة والإنابة .

فأنكم تعلمون ما قد اشتهر من الضلالة والمظالم وما قد انتهك الله سبحانه مما قد نهى عنه من المحارم .

حتى لقد نبذت الشريعة الغراء واتخذت ظهريا . وعد كلام الله من القول اليقين قولاً فرياً . وتعدى على الضعفاء بهتك أعراضهم واستتصال أموالهم وتشريدهم أشتاتاً في المغارز لا يرثي لحالمهم ، ولويت الصدقات عن مصارفها الثمانية القرآنية (ولم نجد إمام منذ عهد الهادي إلى عهد أحمد حميد الدين يقوم بصرف الصدقات حسب مصارفها القرآنية) فأخذت أضعافاً مضاعفة حتى لم يبق لأرباب الأموال من الأصل بقية (١) .

وهجرت الواجبات فلا صلاة لأكثرهم تامة ، وصارت هذه المفاصد بقرى المسلمين وأمصارهم عامة . وأصبح مال الله دولا وهباً وبين الفساق وعباده خوفاً . قد استعبدتهم أهل العتور والسقاق .

والفقراء باستبداد من لا نصيب له فيها في فاقة شديدة ، والأيتام والأرامل في بلايا من الاحتياج عديدة قد حرموا جميع ما يستحقونه ، بل صودروا بأخذ ما يملكونه .

وعطلت الأحكام والحدود الشرعية وارتكبت جميع المآثم ويا لها من مصيبة على الإسلام ورزية ومثالك في اغتصاب الأموال وتضييع الشرائع من الراعي والرعية) .

وهذا هو وصف كل خارج مدعي للإمامة القائم تطبيقاً لمبدأ الهادي (الخروج على الحاكم الظالم) وعندما يصل إلى الحكم يصنع مثل الذي قبله وأحياناً أشد .

وقام معه وبعده القاسم بن الحسين بن أحمد بن الحسن بن الإمام القاسم وأدعى في صنعاء سنة ١١٢٨ هـ وأدعى في عصر إمام المواهب وموته عام ١١٣٩ هـ وقر بصنعاء .

وبدأ بتحسين صورته بالتخلص من أبناء عمه (أبناء صاحب المواهب) بزرع الفرقة وتشتيههم في المناطق المختلفة ثم قام بالتخلص من صالح بن حبيش الذي كان يشابه القاسم في البطش والتنكيل بتوجهات صاحب المواهب .

(١) - نشر العرف - للعمراني

وقد اغتال القاسم صالح بن حبيش بواسطة خدمه وعبيده فاستدعاه إلى خيمته وقصده عن أعوانه الذين حضروا معه في خيمة منفصلة واجتروا رأسه ثم انقلبوا على أعوانه يسوقونهم في سلاسل الحديد وقد شددت إلى رقابهم .

وقام القاسم بذلك ليمتص السخط الشعبي بأن يدفع ضحية تنصدر كواجهة للظلم فترة من الزمن ويظهر هو الحريص على مصالح الشعب المدافع عن الضعفاء من الناس .

وكان الصراع بين أبناء صاحب المواهب والقاسم وكان النجاح حليف القاسم نتيجة لبطشه وماله الذي جمعه أثناء عمله مع عمه فعرضت عليه الإمامة وقد تظاهر بالتعفف وأعتذر عن قبول الإمامة في البداية ^(١) [لأنه لم يكن في العلم مستوفيا للاجتهد محيطا بما يحتاج إليه في الإصدار والإيراد بل أمرهم بمبايعة الحسين بن القاسم بن المؤيد صاحب شهارة ومن أسباب عدم ادعائه الإمامة في هذه الفترة هو شهرته بالبطش والتنكيل بأبناء الشعب عندما كان أهم قادة (صاحب المواهب)].

وأجتمع بالحسين ابن القاسم ابن المؤيد بالله محمد بن القاسم بن محمد الملقب بالمنصور بالله يومين فعلم المهدي (صاحب المواهب) فسجنه في صنعاء ثم نقله إلى ذمار وكان يسانده وزير عمه الحريبي والحبيشي .

وعندما ثار الناس في صنعاء وما حولها على المهدي أرسل إبراهيم ابنه على رأس حملة فلما لم يستطع قمعها أشار الزيران على الإمام أن الأمر لا يصلح إلا بإطلاق القاسم وإطلاق يده في القبائل ومن يؤلبونهم عليه ، فخرج القاسم ثم لم يلبث أن عاد مع الثائرين على عمه حتى أنتزع الملك للحسين بن القاسم بن المؤيد بالله وكانت مسانده للمنصور بالله حسين مرحلة لتحقيق حلمه في الانقضاء على الإمامة ولل قضاء على القوي المتصارعة على الإمامة وأهلها أبناء إسحاق ومحمد بن الحسين بن عبد القادر المتربص من كوكبان ومحمد بن عبد الله بن الحسين الملقب بالمفتي ، ولما كان القاسم هو الذي قاد جموع الثائرين فإنه لم يدع السلطة تفلت من يده ولم يكن للحسين إلا اسمها فقط أو (النظر) ^(٢) .

وأشدت الصراع بين المنصور ويناصر ظاهريا القاسم وبين المتطلعون للإمامة من أبناء صاحب المواهب وأبناء إسحاق على الإقطاعات التي تحت أيديهم فكلا يحاول السيطرة على ما تحت يده والقاسم يحاول انتزاعها فبدأ القاسم بإقناع المنصور أن يغدر بالمهدي في

(١) - البدر الطالع - الشوكاني .

(٢) - نشر العرف - ربابة .

بعض الإقطاعيات مثل ريمه وبيت الفقيه^(١) وكان له ذلك فأرسل القاسم عماله لتستولي على تلك الإقطاعيات .

وأحسن المنصور بالله الحسين بن القاسم بالخطر فجمع حوله أبناء إسحاق وكان صراع دموياً بينهم وبين القاسم ، أضاف إلى محنة الشعب محن فسفك الدماء ودفع كل قبيلة أو مجموعة من القبائل .

بعد ذلك أرسل القاسم الحسن بن محمد المتوكل وأحمد بن عبد الرحمن الشامي ومحمد بن عبد الله بن الحسين بن القاسم إلى المنصور طالبا منه أن يرفع أبناء إسحاق عن جميع الأمور .

يقول صاحب نفحات العنبر " وأراد المولى العلم القاسم إقامة الحججة بهم عليه " .

وادعى القاسم الإمامة وقامة الحروب بين المنصور وبينه ولم يبق في يد المنصور إلا شهارة والسودة والشرفين ، ثم تغلب عليه القاسم ولم يزل المنصور كذلك حتى توفي .

إن تأصيل الفكر المهادوي لاستحقاق الإمامة لمن هم من البطينين وتأصيله للصراع بين أبناء هذه السلالة على الإمامة هو أعظم نكبة أصيبت بها اليمن حيث جعل ذلك اليمن ساحة حرب أهلية دمرت كل مقدراتها وحضارتها وجعلت اليمن غير فاعلة على الساحة الإسلامية بل مفعولاً بها .

ونتيجة للصراع على الإمامة والحروب والمآسي التي صاحبته عاد صاحب المواهب ليدعي الإمامة ويعدل عن تنازله ، ويضع الشعب من جديد سنة ١١٣٢هـ فيستغل بنو إسحاق ذلك فتشتعل الحروب من جديد والضحية هم أبناء الشعب وتكون الغلبة للقاسم فيزج بيني إسحاق السحجن .

ثم أحكم قبضته على الإقطاعيات التي كان يتقاسمها أبناء هذه السلالة فكلّف الشجني جمع الزكاة من هؤلاء عن الإقطاعيات التي تحت أيديهم ، ويبدو أن الشجني كان يتحصل عائداً أوقاف المساجد ويصف ذلك ابن الأمير بقوله:-

وما أخذ الأوقاف قط ولا اشتكت
فيا بمس مأمور ويا خنزري أمر

(١) - نفحات العنبر .

وكانت وسيلته في كسب الإعوان من القبائل لتنفيذ ما يريد هو جعل بعض القبائل (إجبار) أي لا يدفعون الزكاة ولهم مغام في بسط نفوذ ه .

ويقول ابن الأثير في ذلك :-

خذوها عيهم يا ولاة البنادر	وقلتم نرى الأجبار أموالهم لهم
وأعوامهم من حاكم ومـؤازر	ولكن دعوا آل الخليفة كلهم
(كرديمان) (وابن الاج) أهل العشائر	ومن خفتهم من شره وفساده
لأفنيته في الدنيا مداد المحابر	فما يفعل الدجال مثل صنيعكم
فلا تشتموا من بعد هذا بكافر	فأفعالكم لو رمت حصرا لعددا

وخرج بني إسحاق وأشعلوا الحرب عام ١١٣٦هـ ، وكان لا بن الأمير دورا في الحملة على الظلم والإقطاع وفساد الحكم .

وقد عبر عن ذلك في قصيدته الرائية :

لقول له ينفي منام النواظري	سماعا عباد الله أهل البصائر
فضمتمت العمال شر المعاشر	خراجية سيرتم الأرض كلها
وفارقت الأوطان خير العساكر	لذلك الرعايا في البلاد تفرقة

وقد حاول التوسط بالصلح بين القاسم محمد بن إسحاق الذي دعى لنفسه متلقبا بالناصر ، وسكنت الفتنة في عام ١١٣٧هـ وأستقر ابن إسحاق في حصن ظفار حتى مات المتوكل في عام ١١٣٩هـ .

واستمرارية للصراع على الإمامة فقد اتقن القاسم خطة للتخلص من محمد بن الحسن بن عبد القادر الذي كان يظن نفسه في قوة ومنعة بكوكبان وكان له عيون في صنعاء على رأسهم القاضي الزيلي وكان القاسم يعلم بذلك ، فاستدعى الزيلي وتظاهر بأنه يستشير في من ينوبه عند خروجه من صنعاء ليستحم من عناء الملك فعدد الزيلي عليه الأسماء ، ولكن القاسم يجد لكل واحد عيبا ، ثم يعقب القاسم "ليس إلا الصنو (الأخ) محمد بن الحسن بن عبد القادر" فاستدرجه إلى صنعاء أملا أن يظفر بالإمامة نائبا فما أن وصل حتى زج به القاسم في السجن ثم أطلقه في عام ١١٣٤هـ فخرج مع بيت إسحاق وقبض عليه فكان القاسم الرهيب يوقفه مع أصحابه في القيود الثقال في حر الشمس من

الشروق إلى قبيل العصر ، ثم أرسله إلى سجن زيلع بعد أن طافوا به مدن اليمن^(١) ومن ما يؤكد ظلم وطغيان القاسم هذه القصة :

" خرج القاسم من صلاة الجمعة في عام ١١٣٨هـ ووقف بميدان القصر " للعرضة " وهو استعراض درج الأئمة على القيام به واجتمعت القبائل ومثل هذا الاستعراضات جدير بأن يستهويها ويجتذبا من كل فج .

وأثناء تسابق فرسان القاسم مالت الخيل فأفزعت قبائل أرحب فأطلق أحد أفرادها النيران فسقط جندي من أتباع القاسم .

إلى هنا والحادثة عادية يمكن أن تعالج بحكمة وأناة وتعود الأمور إلى نصابها ، لكن القاسم لا يهدأ حتى يتقاضى قبائل أرحب بهذا الجندي مائة قتيل وستمائة أسير .

إن أسلوب حكم القاسم يظهر أنه كان ملكاً متجرباً طغى وظلم وتكبر وتجاوز كل حد ."

فانظر إلى هؤلاء الأئمة الذين استهانوا بدماء المسلمين وأموالهم وأعراضهم، كم سفكوا من دماء في فترة أربعين سنة منذ عهد المهدي صاحب المراهب حتى وفاة القاسم .

كم خربوا من مدن ، وكم انتهك في ظل حكمهم من حرمان ومن المؤسف أن يتبحروا وينسبون أنفسهم إلى الإسلام ، والإسلام أشرف وأكرم من أن ينتسب إليه هؤلاء السفاحون .

ومن المؤسف أن يتميز أبناء ملك يبيح القتل والنهب والظلم والرشوة وإيقاد نيران العداوة والبغضاء على المسلمين ومن المؤسف أن يجعلون أنفسهم ورثة للحكم والدين، والدين منهم براء ويدعي أنه يحكم بشرع الله ،^(٢) وأنه مجتهد وما يصدر عنه من أحكام فهي محمولة على مذهب زيد بن علي رضي الله عنه .

وزيد بن علي الذي نادى بمقاومة الظلم ومحاربة الطغيان اللهم إنا نشهدك بأننا لا نقصد بهذا البحث إلا كلمة الصدق لأخوة لنا في الإسلام والوطن والعروبة لا نهدف إلا أن نبلغ كلمة المعروف التي الزمنا بها ديننا الحنيف . ونسأله سبحانه الهداية والتوفيق .

وأدعى بعده ومعه الناصر محمد بن إسحاق بن أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد وبدأ دعوته من قرية شظلب في مديرية سفيان سنة ١٣٦ ١هـ .

(١) - نشر العرف - زيارة .

(٢) - ابن الأثير وعصره - حسين أحمد السباعي ، محمد بن علي الأكوح ، وغيرهم .

وأدعى للمرة الثانية في ظفار سنة ١١٣٩هـ ثم بايع المنصور حسين وأستقر بصنعاء حتى موته .

وهاقد رأينا أنه بعد موت المتوكل ودعوة المنصور ويوسف بن المتوكل ومحمد ابن إسحاق والقاسم وغيرهم أن الناس قد طوقوا أعناقهم بعدة بيعات .

وللناس كل العذر في هذا فإن المجر تنشط منذ عشرات السنين تلقن طلبة العلم تدعو لهذا وذاك وعلماء الأئمة يدعون لهذا ثم لذاك

وأدعى معه وبعده الإمام المنصور حسين ابن القاسم بن الحسين بن أحمد بن الحسن بن القاسم وبدأ دعوته ١١٣٩هـ وأدى دوره في إثارة الفتنه مع أقربائه وتوفي بصنعاء ١١٦١هـ .

وعاصره العلامة ابن الأمير الصنعائي المولود سنة ١٠٩٩هـ وهو قطب من أقطاب العلماء الهاشميين الأحرار ، ويمثل النضال النبيل ضد الرعة الأمامية المتعصبة ، وقد عانى خطوباً كثيرة في عهد المتوكل على الله القاسم بن الحسين ثم المنصور حسين بن القاسم ثم أيام الإمام المهدي عباس بن الحسين .

ولاه المنصور منصب الخطابة في الجامع الكبير بصنعاء فحاول أن يسقط ذكر الأئمة من الخطبة فتآمر آل الإمام مع شخص دخيل يدعى السيد يوسف العجمي ، تأمرؤا على قتل محمد بن إسماعيل في الجمعة القادمة فاعتقلهم المنصور ثم طرد العجمي من اليمن وأفرج عن الآخرين ولم يسمح للأمير بالخطبة بعد ذلك .

وقد اتهم ابن الأمير بالعداء لآل البيت رغم أنه منهم وذلك إذ يروونه يجروؤ على الاجتهاد في ما يخالف المذهب السائر وذلك كرفع اليدين وضمهما في الصلاة .^(١) ويتنقد بجراءة ظلم الأئمة وجورهم .

ونلاحظ أنه يبدأ من عهد المنصور حسين بن القاسم الوراثة ولا يقلح أي طامح من الفاطميين على انتزاع الإمامة من أبناءه ففضل في هذه الأسرة ابتداءً من زمن القاسم الرهيب ١١٢٨هـ - ١١٣٩هـ

إلى زمن علي بن المهدي عبد الله ١٢٥١ - ١٢٥٢هـ أي ما يقارب مائة وأربع وعشرين سنة تداول الإمامة على التوالي القاسم الرهيب ثم ابنه المنصور حسين ثم ابنه

(١) - الإمامة وحطرها على وحدة البين - أبو الأحرار عماد محمود الزبيري .

المهدي عباس ثم ابنه المنصور علي ثم ابنه المتوكل احمد ثم ابنه المهدي عبد الله ثم ابنه علي الذي تولى ثلاث مرات ولقب نفسه بعدة ألقاب .

ولايته الأولى " ١٢٥١ - ١٢٥٢ هـ "

الثانية " ١٢٥٩ - ١٢٦٠ هـ "

الثالثة " ١٢٦٥ - ١٢٦٦ هـ "

وخرج على المنصور حسين في ريفها محمد بن إسحاق المهدي أحمد وتوفي سنة ١١٦٧ هـ

وتلقب بالناصر وكان خروجه هذا بمنصرة قبائل من حاشد وبكيل بقيادة علي بن قاسم الأحمر وعلي بن جزيلان لكن المنصور تغلب عليهم وقتل غدراً في هذه الفتنة علي بن قاسم الأحمر في عصر غربي صنعاء وكان قتل علي بن قاسم الأحمر بالغدر والخديعة حينما اجتمع به المنصور بالخيمة للتفاوض وكان بينهما صداقة وأثناء وجوده بالخيمة كان المنصور قد دبر مع أحد مواليه "ذو الفقار" .

ودخل صنعاء حاملاً رأسه على حربه ، وكأنه قتل ابن الأحمر في مبارزة شريفة ولم يقتله عبده خيانة وغدراً ، فنارت الحمية في نفوس القبائل واتجهت إلى محمد بن إسحاق الذي وجهها بقيادة الحسن بن إسحاق وأخيه عبد الله صوب صنعاء واشتعلت الحرب فأزهقت الأرواح ودمرت الديار وحين رأى المنصور أنه لا قدرة له على هزيمة تلك الجموع استخدم الدهاء والخديعة ، فأرسل من يتوسط بالصلح وبايع الناصر محمد بن إسحاق بلسانه وأشترط لنفسه بعض الإقطاعات ، وفي الجانب الآخر كان يعد العدة ويتأهب للقضاء على خصومة ، فخرج على شروط الصلح وأعلن نفسه إماماً وكان بنو إسحاق قد خرجوا على شروط الصلح أيضاً وجرت ثلاث معارك بين الطرفين لم ينتصر فيها أي من الفريقين ولذلك لجأ المنصور حسين إلى الرشوة والد سائس وفي الجانب الآخر كان أخوه احمد ابن القاسم مسيطراً على تعز والمناطق الوسطى وقام صراع بينه وإسماعيل بن محمد بن إسحاق فتقوم حرب تارة والخديعة تارة أخرى ، حتى قبض أحمد بن الحسن على إسماعيل بن إسحاق سنة ١١٤١ هـ .

فأخذته إلى تعز ثم إلى أخيه حسين ونورد فيما يأتي ملخص للصراع بين أبناء العم على الإمامة^(١).

(١) - ابن الأمير وعصره - حسين احمد السبائي ، محمد بن علي الأكونج ، وغيرهم .

- خرج الحسن بن إسحاق من ثلث إلى حصن طيبة بوادي ظهر ومكث في هذا الحصن حوالي شهر ونصف وجيشه يضايق أهل طيبة ويسيء إليهم في أموالهم ، وفيما هو أخطر من أموالهم فاستنجدوا بأقاربهم في بلاد يام فسارع إليهم ١٢٠٠ محارب من تلك البلاد وسارع المنصور أيضا ينتهز هذه الفرصة ليقضي على الحسن ولم يلتحم المعسكران ولكن تناوشا .

وعرضت للمنصور فرصة نادرة عندئذ فقد اتفق يحيى بن إسحاق مع عبد الله ابن طالب على أن يلتقيا حول صنعاء .

وتحرك يحيى من بيت الفقيه و كان عبد الله ينتظر في زراحة (قرية بقاع جهران تتبع مديرية الحداء محافظة ذمار) ولكن يحيى كان أسرع في الوصول من ابن عمه وكان المنصور أسرع الثلاثة إذ فاجئ جيش يحيى قبل أن يستقر فقبض على قطعة من الجيش يقودها المطهر بن يحيى ثم حاصر البقية الباقية يومين حتى أدخل يحيى أسيراً في اليوم الثالث إلى صنعاء .

ولم يستطع الحسن أن يبقى بعد ذلك في طيبة يواجه عدوا في الداخل وعدوا في الخارج بمجرد شغلهم عما هم فيه من عتو واعتداء لذلك سارع الحسن إلى ثلثا .

أما عبد الله بن طالب فلما واجهه المنصور وهم بالقتال وجد الخذلان يحوطه من أنصاره فبايع المنصور ودخل معه إلى صنعاء في جند جرار وبعد يومين استدعاه المنصور وألقى به في السجن .

وتناول أهل ثلثا الحسن بن إسحاق ومن معه من القادة وتناول أهل عمران عبد الله بن إسحاق وقادته ، وقيدوا وسبقوا إلى صنعاء فوبخهم المنصور وسجنهم .

أما محمد بن إسحاق ومحمد بن الحسين فتحصن في كوكبان ودامت الحرب بينهما حتى بايعوا المنصور ١١٤١هـ .

وأقسى ما يصنع بالمنهزم هو السجن ولا يحصون حتى عدد القتلى في هذا الصراع الذي أشعله أذعياء الإمامة وهدأ الفتنة بين المنصور وبني إسحاق و بعد ذلك تشتعل بين المنصور وأخيه ، فأى محنة أصيبت بما أمة يمتد مداها لأكثر من ألف عام إنها محنة ما أصله الفكر الهادوي للتمييز السلالي وصراع أبناء هذه السلالة على الحكم .

وقد حاول المؤرخون أن يبرزوا محاسن الأئمة ويبالغون فيها ويسترون عيوبهم إلا أن حتمية الحوادث تلزمهم بذكر ألوان الفساد وما يختفي وراء كتاباتهم أضعاف مضاعفة عما دونوه .

وخروج على الإمام المنصور حسين ابن القاسم بن الحسين بن احمد بن الحسين بن القاسم أخوة احمد ابن حسن ابن قاسم بمدينة تعز.

وكان من أسباب العداء بين الأخوين هو تفضيل الإمام القاسم لأحمد على أخوه الحسين فقد أختص أحمد بتعز وما حولها وهي أكثر مناطق اليمن عائداً "

وكان أهل صنعاء يتندرون بعقوب المنصور حسين ، فلما كانت له الإمامة أذاهم الويلات ، جاء في نشر العرف نقلا عن إتخاف النبيه للعمري :

(ومما غير في وجه سيرة المنصور حسين وأورثه سوء ألا حدوثه والشين أنه كاف يبلغه عن أهل صنعاء في أيام خلافة علي والده وحل ما أبرمه الله بتوثيق معاقدة رمية بالعقوب وتحديثهم في مسامرهم ومحاضرهم بما هو مرموق فوقع في نفسه ما وقع وأنزل بهم ما رفع به الأسماع الخبير المستشع وتبحر على من لم يرتكبه من هو أجراً منه من البدع فكان يزل الجيوش إن استدعاهم منازلهم ويخرجون منها أهلها لا يرعون عالمهم ولا جاهلهم) ، وجرت بينهما حروب عانت بسببها المناطق الوسطى والجنوبية من الاضطرابات وتعرضت للنهب والسلب من قبل القبائل التي تقاتل مع المنصور حسين.

وكما جرت العادة لدى الأئمة فإنهم يدفعون تلك القبائل، للقتال ، مقابل ما يحصلون عليه من مغنم جراء النهب والسلب للفتنة المنهزمة كما أصل عبر السنين بأن إذن الإمام بالسلب أو النهب جائز.، وخروج ابن إسحاق شرعياً وفقاً للمذهب الهادي حيث يميز الخروج على الحاكم محتسباً أو داعياً إلى إمام آخر أو مدعياً لنفسه .

وخروج أخيه احمد شرعياً وفقاً لذلك ، وسفك دماء اليمينين شرعياً فإذا كان المسبب شرعياً وفق المذهب الهادي فالنتيجة شرعية.

ويجيز هذا المذهب أيضاً كما أسلفنا قيام إمامان في وقت واحد وعلى ذلك فالحق مع الإمام في ردع الخارج والقضاء على الفتنة والحق مع الخارج لأنه خرج على إمام ظالم ، والحق مع شيوخ القبائل لأنهم بناصروا من قام بالإمامة ودعا إليها وجميعهم قاموا بالإمامة ودعوا إليها والحق مع فقهاء وقضاة الأئمة بإقرارهم بأن الإمام قد اكتملت فيه شروط تولي الإمامة وأن الخارج قد اكتملت فيه شروط الخروج وكان أعلم أهل زمانه،واعجباه.

وكانت وسائل أئمة هذا الفكر السيف ، المال ، المؤامرات، تسليط الناس بعضهم على بعض يتصارعون كالذئاب الجائعة .

ونتيجة لتلك الأحداث أستغل سلطان لحج الفرصة فاستقل بمنطقته وتوفي المنصور وبقي الأمر على ما هو عليه دون حسم بين الأخوين حسين وأحمد لكن أحمد لم يدعوا لنفسه. هذا هو تاريخنا كما كان لا كما نحب له أن يكون .

المبحث الثاني

حروب أدعياء الإمامة " ١١٦١هـ - المهدي عباس إلى ١٢٢٤هـ وفاة المنصور علي "

وأدعى الإمامة المهدي عباس سنة (١١٦١ هـ - ١١٨٩ هـ)

بعد وفاة والده المنصور حسين وقد عاصر المهدي عباس أواخر أيام العالم الجليل المجدد محمد بن إسماعيل الأمير سنة (١٠٩٩ - ١١٨٢ هـ).

وفرة حياة ابن الأمير الصنعاني مرحلة من أخطر المراحل التي مرت في تاريخ الشعب اليمني لأنها خلقت من الدول والزعامات اليمنية وأشدت فيها الصراع بين أبناء القاسم على الإمامة فحولوا اليمن إلى ساحة حرب فأثر ذلك على المجتمع وظهرت بوادر الثورة على الفكر الهادي .

وقد ^(١) ولد ابن الأمير في عهد محمد بن أحمد بن الحسن الملقب بالمهدي صاحب المواهب الذي تمثل فيه الجشع والبطش وتمثل الملك المتقلب الذي لا يثبت على حال ، وعاصر ابن الأمير عشرات الأئمة الطامعين وحمسة من الأئمة الحاكمين أخرجهم المهدي عباس، وقد سار على نهج نشوأنه الحميري و الوزير والجلال و المقبلي ، وقد عاش في صراع دائم وجهاد مستمر .

حارب الأفكار المضللة بين العلماء حتى تأمروا عليه وكادوا له كيدا .

قارم الشعوذة في صفوف الشعب حتى طاردوه وهوما يقتله مرات عدة .

هاجم قدسية الأئمة الزائفة وحكمهم الظالم .

كشف الغطاء عن فساد الحكام والقضاة والعمال .

كان الإقطاع في أعنف صورة فدمغه بحكم التاريخ وحكم الإسلام.

كانت سنة رسول الله "ص" مهجورة فأحيها .

ولن يستطيع أي إنسان أن يتفهم حتمية الثورة اليمنية وآثارها ومؤثراتها دون أن يرجع إلى هؤلاء المصلحين النادرين الذين بشروا بانتفاضة اليمن الكبرى .

فمن آفاق هؤلاء الأحرار امتد بريق الثورة وتجمعت روافدها حتى تدفق تيارها هادرا في ٢٦ سبتمبر . وجاء على مهجهم شيخ الإسلام الشوكاني .

(١) - ابن الأمير وعصره - حسين أحمد السياحي ، محمد بن علي الأكوخ ، وغيرهم

وروى جحاف في تاريخه أن عصر المهدي عباس أفضل من عصر حكم والده المنصور حسين وجدة المتوكل قاسم بن حسين (ت ١١٣٩). فأبي أفضليه له إذا كان عهده أتمم بكثير من المآسي كما سنرى.

وكان مولده بمدينة إب من أم جارية ومن أعظم إنجازاته أنه كتب لنفسه صكاً بغيول صنعاء فأصبحت ملك له بعد أن قام بإصلاح مجاريها وفي عهده حصلت مجاعة أكل من شدتها البشر بعضهم.

وقام في آخر أيامه ببناء مسجد يقبر فيه كعادة أسلافه الذين كانوا يقومون بإصلاح مسجد أو بناء مسجد ليقبروا فيه وذويهم وتوفي سنة ١١٨٨ هـ.

وقد وصف الرحالة والعالم الدنماركي نيبور عند زيارته للمهدي في صنعاء (ت ١١٧٧/ ١٧٦٣) بأنه كان أسود البشرة أشبه بأمه التي كانت جارية (ولم يكن هذا الأمر بغريب فكثير من الأئمة ومن قبلهم خلفاء بني العباس كانوا يتزوجون بجواري ذوات أصول حبشية أو زنجية) (١).

وفي عهده ولد علامة اليمن ومنارها الإمام المجدد محمد بن علي الشوكاني وذلك في السنة العاشرة من حكم المهدي عباس.

ونلفت عناية القارئ إلى أن الكتابات التي أرخت للأئمة كانت إما لكتاب عاصروهم ومرتبطين بمصالح معهم أو لكتاب عاصروا أبنائهم ولا يخفى ما لسطوة الحاكم من أثر أو سطوة المنتفعين بما أصله الفكر الهادوي من تميز لهذه الفئة وما تراكم من تجهيل لعامة اليمنيين ، إلا أن مبالغة بعض الأئمة في الظلم وكثرة مفاسدهم قد جعل المؤرخون لا يستطيعون غض الطرف عنهم ، والبعض الآخر بقصد أو بجهالة كانوا يتفاخرون ببطش الأئمة وجورهم لأئمتهم من سلالتهم (٢).

وقد خرج عليه وأدعى الإمامة معه أحمد بن حسين بن عبد القادر شرف الدين في كوكبان (١١٣٢ هـ - ١١٨١ هـ) (١٧١٠ - ١٧٦٧م) وقد دعا لنفسه عند وفاة المنصور حسين والد المهدي ولقب نفسه بالمؤيد بالله ويصف المؤرخون المهدي عباس بالذكاء والفطنة ، والعدل وقوة التدبير وعلو الهمة وبأنه كان منقاداً إلى الخير (٣).

(١) - د - حسين العمري مائة عام من تاريخ اليمن الحديث .

(٢) - مثل عيسى بن لطف الله شرف الدين .

(٣) - البدر الطالع .

ووصفوا احمد بن محمد عبد القادر شرف الدين بأنه عرف عنه العلم والفضل وكان من فحول الرجال ودهاه العصر وعظماء الرؤساء ، فالاثنان كما يصفوهم أجلا وعلى المسلمين مناصرتهم وفقاً لفكر الهادي حيث يقول " فيجب ذلك على الأمة المهاجرة إليه والمصابره معه ولديه فمن فعل ذلك من الأمة ، من بعد ما أبان لهم صاحبهم نفسه وقصد ربه وشهر سيفه وكشف بالمباينة للظالمين فقد أدى إلى الله فرضه ومن قصر في ذلك (أي من المسلمين) كانت الحجة لله عليه قائمة صادعة منيرة بينة قاطعة"^(١) وبهذا الفكر فالمخطئ هو دم اليمينيين المسفوك في الصراع بين الإمام والخارج عليه .

وقد حاول المهدي أن يقتسم معه البلاد ولكن ابن شرف الدين رفض وقال: إن دعوته لم تكن لأمر دنيوي.

فجهز المهدي قبائله وأنطلق نحو كوكبان وحاصرها من جميع الجهات ووقعت حروب وملاحم عظيمة وقتلى كثيرة من الجنابين ثم آل الأمر إلى تركه للدعوة ومبايعته للمهدي عباس على شروط عامة وخاصة .^(٢)

وعاش الإمام في قصره وبجرجه وعاش الخارج عليه أميرا في كوكبان والضحية كالمعتاد هم المواطنون وأين هؤلاء من قوله عز وجل (من قتل نفس بدون ذنب فكأنما قتل الناس جميعا) .

وفي العام التالي خرج ابن شرف الدين مرة أخرى فتكررت الحروب بينهما ثم^(٣) عادوا إلى الصلح باعتراف ابن شرف الدين بالمهدي .

وهنا نود أن نشير أن كتاب تاريخ الأئمة يصفون هؤلاء المتقاتلين على السلطة بصفات تصل بهم إلى مصافي الملائكة في الزهد والتقوى ولا يذكرون في مثل هذه الحادثة وغيرها حتى عدد من قتل في هذه الفتن.

فما أنفك المهدي عباس يبيث الخلاف بين ابن شرف الدين وأخيه حتى قبض ابن شرف الدين على أخيه إبراهيم وقيده وحبسه بحجة أنه كاتب القبائل وأراد الفتنة وسجنه (١٤عام) وبقي ابن شرف الدين حتى وفاته سنة ١١٨١هـ . ١٧٦٧م ، وخلفه أخوة عبد القادر على كوكبان.

ونلاحظ أن أدعياء الإمامة كانوا يقسمون اليمن بينهم كإقطاعيات يتوارثونها ويتناسب ذلك مع تعادل القوة بين المتقاسمان فكلا يأخذ ما تحت يده ولا توجد دولة مركزية .

(١) - للإمام الهادي يحيى بن الحسين- كتاب الأحكام في الحلال والحرام " باب القول في صفة الإمام ص ٤٦٠ .

(٢) - البدر الطالع .

(٣) - نشر العرف زبارة نقلا عن ابن الأمير الصنعاني .

وتحين إبراهيم ابن شرف الدين الفرصة وقبض على أخيه وأودعه السجن.

وهكذا صراع بين آل القاسم وبين آل شرف الدين وصراع بين آل القاسم وآل القاسم وصراع بين آل شرف الدين وآل شرف الدين.
الساحر أبو علامة:-

ولم نجد تأكيدا لما نسب إليه إلا أن كثيرا من الصفات كانت تطلق على الخارجين مثل هذه الصفة وأكثر وفي عهود مختلفة .

وهذا هو أحمد الحسيني المكفي بأبي طير وقد تبعته جماعة وعظم أمره وسيطر على كثير من الحصون في بلاد حاشد وبكيل وناصرته قبائل من عسير ثم تأمروا على قتله وأرسلوا رأسه إلى المهدي^(١)

ولا توجد تفاصيل حقيقية عن الرجل وطبيعة دعواه ولكن المؤكد أنه كان شاغلا للمهدي ، ومقلقا لحكمه في صنعاء ويحتمل أن المهدي كان وراء قتل أبو طير ، ويرجح ذلك إرسال رأسه إليه وقد خرج عليه كثير من القبائل وكان يلائنهم بالعتاء أو بقمعهم بالقتال.

وخرجت في أيامه قبائل برط (ذو محمد وذو حسين) بقيادة القضاة آل العنسي وهدروا صنعاء و انطلقوا لنهب المناطق الوسطى.^(٢)

وقد تعودت هذه القبائل وغيرها على النهب والسلب لممارستها المتكررة بدفع من أدياء الإمامة فعندما لا يوجد مدعي للإمامة ويداهما القعط والجوع تمارس تلك الأفعال بلونهم.

- ويصف الشوكاني المهدي عباس بقوله (ولم يزل قامعا لحساده وأنداده حافظا لأطراف مملكته بقوة مهولة وشدة شكيمة لا يطمح فيه طامح ولا ينجح فيه خدع خادع بل يتصرف بالأمر حسب اختياره ويتفرد بتدبير المهمات) "وهو بهذا مطلق الأمر والصلاحيية بالغ الاستبداد ليس لكونه كغيره من الملوك والأئمة بل لطبيعة الرجل نفسه"^(٣) ووصف كارستن نيور (١٧٣٣ - ١٨١٥) رائد الرحلة العلمية الدنركية الشهيرة في كتابه كوبنهاجن إلى صنعاء).

وصف لنا قصر المهدي عباس والمهدي عباس وما حوله بقوله فقد اكتضت ساحة القصر بالخيول والضباط وغيرهم من الموظفين لدرجة ما كنا نستطيع أن نشق بها طريقنا

(١) - الجزائر - المقتطف.

(٢) - مائة عام من تاريخ اليمن - الدكتور حسين العمري .

(٣) - مائة عام من تاريخ اليمن - الدكتور حسين العمري .

لو لم يأتي لمساعدتنا النقيب جاز الله الذي كان عبداً - وبات رئيس الخيالة حامل في يده عصا غليظة وفتح لنا الطريق.

كانت قاعة الاستقبال واسعة مربعة لها سقف ذو عقود توسطتها بركه ماء كبيرة يقذف شذروها للماء إلى ارتفاع أربعة عشر قدماً وخلف التركة (في الواجهة) على مقربه من مجلس الإمام ارتفعت مصطبتان كبيرتان ارتفاع كل منهما قدم ونصف وقد غطى مجلس الإمام (العرش) بقماش من الحرير على جانبيه وسائد كبيرة حيث كان الإمام يجلس لافاً ساقيه على الطريقة الشرقية في الجلوس وكان القميص الذي يرتديه ذا لون أخضر فاتحاً أكماماً طويلة فضفاضة وأزرار الصدر قد زر كشت فتحاتها باللهب ، كما كان على رأسه عمامة بيضاء كبيرة وكان أولاده يجلسون على يمينه وأخواته على يساره وجلس في المقابل لهم على المصطبة الأعلى الوزير بينما كان مكاننا على الثانية الاوطى وعلى جانبي القاعة جلس عدد كبير من رجال وأعيان الحاشية وعقب دخولنا أخذنا مباشرة صوب الإمام حيث سمح لنا بتقبيل يده بطنها وظهرها^(١) وكذلك طرف ثوبه وقد تم ذلك في صمت عميق أطبق على القاعة لكن هذا الصمت كان يتبدد كلما لمس أحدنا يد الإمام - مقبلاً - بصوت يهتف (الله يحفظ الإمام ليرد الحضور بصوت عال بنفس العبارة ، وفي هذا الضحيج العالي كنت أفكر كيف ينبغي أن اعبر بالعربية التحيات والتقدير لكنني لم البث أن استعدت أنفاسي وربطت جأشي...)^(٢)

وقد أوردنا هذا لانعدام مثل هذا الوصف في أغلب كتب التاريخ اليمنية والتي لا تشير في معظمها إلا إلى وصف الإمام وتمجيد صفاته وأحداثه وفتوحاته الأمر الذي لا نستطيع تلمس الجوانب الاجتماعية المتعلقة بتفاصيل حياة الأئمة وأساليبهم في التعامل مع الناس. ومن الأسباب التي دعتنا إلى الإسهاب قليلاً في وصف عهد هذا الإمام و أبنائه خلال الفترة (١١٦٦-١٢٦٤هـ) (١٨٤٨-١٧٤٨م) هو ما قدمه الأستاذ الكبير حسين العمري من دراسة متجردة وعلمية قائمة على منهج علمي لهذه الفترة (وكان للرجل نقائص وعليه مأخذ كما كان الكثير من الحكام من قبله ومن بعده تفرضها طبيعة الاستبداد من ناحية والتفاوت في طبائع البشر وأخلاقهم من ناحية أخرى)^(٣).

(١) - يعوا الله إلى هذا التاريخ لم يكن الأئمة قد أنعموا الاخوان وتقبيل ركية الإمام .

(٢) - أنظر من كونهما إلى صمصام : ٣١٠-٣١١.

(٣) - العمري مائة عام من تاريخ اليمن الحديث .

ومن أهمها:

١- الجشع :-

فكان يجب شراء الأراضي وقد قام بشراء الأوقاف من الأموال وإخراجها عن الوقفه إلى الملكية^(١)

وقام بالتنافلة لأراضي الأوقاف المتداخلة مع أرضه في شعوب و الصافية و بئر العزب وأخرى ومال الأوقاف لا يجوز فيه ذلك .وفقا لرأي ابن الأمير الصنعاني ويرجح أن سن ابن الأمير البالغ ثمانين عاما هو الذي نجاه من سطوة المهدي عباس ، أما الآخرين فكان يصادر أملاكهم أو يسجنهم تأديبا ثم على معارضته^(٢)

٢- اعتلاك الغيول :-

فقد جعل القاضي الصديق يصدر حكما له بامتلاك الغيل الأسود وغيل البر مكى - وهما من المشاعات لعامة المسلمين بحجة انه انفق على إصلاحها من ماله الخاص وقد ذكر الرازي في تاريخه أن محمد بن خالد البر مكى والي صنعاء لهارون الرشيد سنة (١٨٣هـ - ٧٩٩هـ) هو الذي أعاد استخراج هذا الغيل وأنه بعد ذلك جمع الناس حتى اشهد فيه وحلف بالله تعالي انه ما انفق فيه من مال السلطان (الدولة) شيئا (أي أن ما أنفقه) -حلالا وتبرع به لصالح المسلمين فهذه أفعال البرمكي وتلك أفعال الإمام الذي له حق إلهي في ارث النبوة والحكم وفقا لفكر الهادي الذي يزعم ذلك بقوله .

" الذين اختارهم بعلمه وفضلهم على جميع خلقه وجعلهم الورثة للكتاب الميين الحكام فيه بحكم رب العالمين محتم بهم الرسل وجعل ملتهم خير الملل فهم آل الرسول "ص"^(٣)
(يا مسلمين أين من أحسن أحسن ابن الحسن ولا ابن برمك أحسن).

ويصف العلامة أبو الأحرار محمد محمود الزبيري ممارسات الأئمة وعدم وجود أي حق للشعب على الإمام لا في فكرهم ولا في التطبيق العملي بقوله (هذه النفسية يمارس الإمام أعباء منصبه وتكاد هذه الأعباء تنحصر في إستصفاء ثروة الشعب باسم الزكاة ، وقمع الانتفاضات الشعبية باسم الجهاد وقتال البغاة ، ثم بناء مسجد باسم الإمام تُضاف إلى جواره غالبا قبة الضريح لهذا الإمام ليمتد نفوذه الروحي حتى وهو في القبر ، ثم تركه ضخمة من الأرض يخلفها لأولاده وأحفاده بعد أن يبتزها من الشعب)^(٤) فيتقاتلون عليها

(١) - من رسالة ابن الأمير إلى المهدي - زيارة نضر العرف ١٠/٢ .

(٢) - البدر الطالع للشركاني .

(٣) - للإمام الهادي عبي بن الحسن - كتاب الأحكام في الحلال والحرام باب القول فيما كتبت به الإمامة للإمام

(٤) - الإمامة وعطرها على وحدة السن - أبو الأحرار محمد محمود الزبيري .

وعلى الحكم من بعده تطبيقاً لما أصله الهادي حيث يقول " الإمام الذي تجب طاعته هو أن يكون من ولد الحسن أو الحسين عليهما السلام"^(١) ، ثم يؤصل للصراع بين أبناء هذه السلالة بمبدأ من قام بها ودعا إليها ويجعل ذلك شرطاً لاستحقاقها حيث يقول " قائماً بحقه شاهراً لسيفه داعياً لربه رافعاً لرايته مفرقاً للدعاة في البلاد غير مقصر في تأليف العباد مخيفاً للظالمين"^(٢) .

ذلك الفكر هو الذي قسم أبناء هذه السلالة إلى قسمين إماماً ظالم ومدعي للإمامة خارج على الظالم ، إن تطبيق هذا الفكر هو الذي جعل الصراع بين أبناء هذه السلالة ثقافة منذ أحفاد الهادي إلى هذه الفترة وما بعدها كما سيأتي .

النصور علي بن المهدي:-

علي بن المهدي عباس ولادته (١١٥١ هـ - ١٧٣٨ م)^(٣) وقد حكم من (١١٨٩ - ١٢٤٤ هـ) (١٧٥٧ - ١٨٠٩ م) وأتم عهد عهده بكثير من المحن نتيجة تذبذبه وترفه الذي تمثل في البناء البذخي والإدارة الاقتصادية الفاسدة .

أما رسالة الأئمة الرئيسية التي يضطلع بها الإمام فهي بث روح الزهد والانصراف عن عمارة الحياة والتتديد بكل نزعة إلى البناء وال عمران ما عدا بناء القصور الأمامية والمساجد وقبور الأضرحة لأموالهم .

وهذا عندهم هو المفتاح السحري للسر المغلق في تاريخ اليمن منذ أكثر من ألف عام هذه الفترة الهامدة الشلاء .

لقد كانت اليمن ، والإنسانية في مهدها ، ذات مدنية وحضارة وفنون شتى في الحياة من أهمها : الفنون المعمارية وهندسة السدود التي لا حياة لليمن بدونها .

وقد مرت هذه العصور الإمامية الطويلة ولم يبق فيها سد واحد في طول اليمن وعرضها .^(٤) ولم يبن أي إمام سدّاً أو منشأة عامة كما تميز حكم النصور علي بسقوط تمامة في أيدي الوهابيين وأمتاز حكمه بتولية العبيد في أغلب المناصب ، وبدأ ذلك من عهد أبيه وكانوا يلقبون بلقب أمير وكانوا يلقبون بنفس لقب الإمام كـ (فلان المهدي و فلان النصور) وربما أن أبنائهم لقبوا بهذه الألقاب .

(١) - كتاب الأحكام في الحلال والحرام - يحيى بن الحسين بن القاسم .

(٢) - الفهرست - البدر الطالع .

(٣) - الإمامة وخطرها على وحدة اليمن - أبو الأحرار محمد محمود الزبيدي .

وكان من أسباب توليتهم الطاعة المؤكدة لسادتهم وسهولة عزلهم. وأتسم عهده بعزل وتغيير كثير من الوزراء فكان يخلعهم ويصادر ممتلكاتهم وأحياناً ينكل بهم وكذلك كان يصنع بالعبيد وكان يجسهم مع أهاليهم حتى كان يسجن من يتشفعون لهم أو يراجعون عنهم كما حصل مع القاضي علي بن حسن الاكوع وحسين بن زيد الحاربي ، وكذلك القاضي علي بن حسين الجرافي ، وكذلك فعل بوزيره الشيخ محمد بن احمد خليل الهمداني وصادر أملاكه ودوره ، وكذلك كان يعاقب الأمراء العبيد بقسوة أشد^(١) وبطريقه غير إنسانية (أن العقاب لم يكن لجرمة يعاقب عليها الشرع الذي يفترض أن الإمام هو حامي بل لطمع في مال وفي الأساس شكوك في شرعية أخذه من الرعايا .

ففي الشهر الذي صادر فيه المنصور أملاك الجرافي قام في ١٤ شعبان ١١٩٧هـ بالتنكيل بالأمير عنبر وأمر بإحضاره تحت طاقته بدار الفتوح وجرده من ثيابه وأمر بضربه وإسكانه ملة الحمام^(٢) مبالغا في تعزيره فبقى بها شهرا أما السبب في ذلك فلا يكاد يصدق فقد ذكر جحاف أن الإمام طلب منه مشاطرته^(٣) فيما أخذه من أهل العدلين ومازال به فلم يفعل ثم أخرجه من الملة^(٤) وأودعه السجن)

ويعبر عن ذلك الحال ابن الأمير فيصف الإمام والوزير بقوله :-

ملائم بلاد الله جوراً وجحتم	بما سودت منه وجوه الدفاتر
وليتم أمر العباد شراركم	وخولتم أعمالكم كل ماكر
ويا وزراء السوء يا شر فرقة	وأحبث أعوان لناه وأمر

وقد قام المنصور ببناء الدور والقصور الشاخنة وكان يملك دورا في صنعاء وضاحتها بئر العزب كدار الفتوح ودار البهمة.

وقام ببناء دار الإسعاد بحي الطواشي عام ١٢٠٠هـ وذكر المؤرخ زباره أنه كان بها من المنازل للسكن ٣٦٠ منزلا.

وربما يكون هنالك بعض المبالغة في اتساع هذه الدار وكبرها إلا أن من المؤكد أن رأي الناس كان سيئا في إسراف المنصور في البناء الذي لم يكن قائماً على أسس صحيحة من

(١) - العمري .

(٢) - ملة الحمام :- هي فرن تسخين الحمام الصنماني وكان التردد للعلقات الآدمية .

(٣) - جحاف .

(٤) - هو مكان يوضع به وقود تسخين الحمامات الصنماني (وكان هذا الوقود للعلقات الآدمية)

ماله الحلال ولهذا فقد لحقت اللعنة هذه الدار - وبالتالي صاحبها. - في زمن قريب من زماننا كما نردد ونحن أطفال ، عقب كل لعبة فاشلة سجعه تقول:- (ما منها شيء دار الطواشي) (١)

ولم تخفي على هذه الدور دون مائة سنة حتى هدمت جميعها ومنها ما بناها المنصور في صنعاء وبصرى العزب والروضة (١) تلك طبائع الاستبداد وأساليب الطغاة وأشد أنواع الاستبداد هو ما ألبس بالدين .

وما أتسم به المنصور علي هو الزواج المتكرر والاحتفالات البذخية فقد تزوج بأبنة الأكوخ وأقام احتفالا لعمره بالغ فيه بمظاهر الترف والبذخ ومثله عندما تزوج بأبنة زبيبة وبنت عبد الرحمن وأبنة النقيب محسن بن راجح بن صلاح الخولاني وأبنت خولاني آخر من قبله ، هذا البذخ والإسراف الذي ينم عن عقل غير رشيد وطغيان وفساد بينما أطراف دولته تتهاوى تحت أيدي دعاة الحركة الوهابية وهو ممتنع عن الإنفاق على الجند للذود عنها .

حيث استولى الوهابيون على المخلاف السليماني ثم التهام إلى أن وصلوا حدود مدينة الحد يده ثم بيت الفقيه وزبيد ثم حفاش وملحان محافظة الحويت وأجزاء من محافظة حجة (٢) ، وكان عماله يستنجدون به لأغاثتهم من غزو الجنود النجدية وهو غارق في ملذاته وشهوته وبناء قصوره فقد استغاث به آل خيرات حتى سقطت صبيا والعريش بعسير وكذلك استغاث به صالح ابن عثمان الوزير عامله على حفاش وملحان فلم يغثه . وعندما بدأ بالاستيلاء على أجزاء من مخاليف حجة أرسل مجموعة من قبائل ذو محمد وذو حسين وأحفقوا وهزموا ولم يعنيه الأمر في شيء كذلك حاول العلفي الدفاع عن الحد يده ثم استعادة بيت الفقيه وزبيد وماحو لها ولكنه في الأخير أهزم و تراجع والمنصور علي غارق في ملذاته وأعراسه وبناء قصوره .

قال تعالى : { قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ } النمل ٦٩

{ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ } يوسف ١٠٩

(١) - وبشيدنا للمورخ الحرزي أن حرب دور صنعاء القديم والتي منها دار الطواشي لم يتوقف إلا في عام ١٢٧٩هـ - ١٨٧٢م وذلك حين أمر ولاية صنعاء بكف حرب الدور وذلك متقبية فقد هدم للحريرين دورا كثيرة بشتروها من أهلها وبتفغوا ببيع أعضائها وأبرابها وأحجارها حين أتوا على لربب النصف من المدينة " راجع كتاب فترة الفوضى وعمدة الأثرالك صنعاء ١٤٢٧ - ١٤٣٠ للدكتور العمري

(١) - زيارة : نيل الأوطار .

(٢) - تاريخ المخلاف السليماني للدكتور العمري .

{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكُنُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا
 {فاطر: ٤٤}

{أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَّاقٍ
 {غافر: ٢١}

هكذا الاستبداد تكون نتائجه وهذا كله نتيجة للفكر المادوي الذي افترى على الله الحق الإلهي لهذه السلالة في الحكم ولتعالوا به على الأمة (وكم أهلكتنا من قرن هل تحس منهم من أحد أو تسع لهم ركزا) ، وأتسم عصر المنصور علي ابن المهدي عباس بفساد القضاء وقد قال الإمام المجدد محمد بن علي الشوكاني (فأما القاضي فهو عبارة عن رجل جاهل بالشرع ، أما جهلا بسيطا أو جهل مركبا وأن يشتغل شيء من الفقه فغاية ما يعرفه منه وكيل الخصومة وممارس الحضور في مواقف الخصومات من مسائل تدور في الدعوى والإجابة وطلب اليمين والبينة وليس له في العلم غير هذا لا يعرف مقالا ولا باطلا ولا معقولا ولا منقولا ولا دليلا ولا مدلولا ولا يعقل شيئا من أمور الشرع فضلا عن غيرها من أمور العقل ولكنه أشتاق إلى أن يدعى قاضيا ويشتهر اسمه في الناس ويرتفع بين معا رضيه وأهله فعمد إلى الثياب الحميدة فلبسها وجعل على رأسه عمامة كالخرج وأطال ذيل كمه حتى سار كالخرج ولزم السكينة والوقار وأستكثر من قول (نعم) و(يعني) وجعل له سبحة طويلة يديرها في يده ثم جمع له من الحطام قدرا واسعا وذهب به يدور في الأبواب ويتردد في السكك استعان بالشفعاء بعد أن رشاهم ببعض من ذلك المال ليشتروا له هذا المنصب الجليل الذي هو بعد النبوة في مكان يترجم عن كتاب الله وسنة رسوله الأمين ثم يذهب هذا الجليل البائس إلى قطر من الأقطار الوسيعة فيأتي إليه أهل الخصومات أفواجا ليحكم بينهم بحكم الطاغوت وهو في الصورة حكم الشرع لأن هذا القاضي المخذول لا يعرف من الشرع ألا اسمه ولا يدري من الشرع بشيء بل يجهل حده ورسمه فتتشرخه في ذلك القطر الواسع من الطواغيت ما يبكي عيون الإسلام وتتصاعد عنده زفرات الأعلام أو كيف يتبدأ إلى فصل الخصومات بالحق جاهل أشتري هذا المنصب كما يشتري ما يباع في الأسواق من المتاع".

إن نظرة المنصور علي قاصرة وفهمه لا يتجاوز الموقف السلبي لمعنى الأمن والاستقرار فقد زاد الأمر سوء تصرفاته المتناقضة واستثرا وبطائه وبعض من كان يعتمد عليهم من

الوزراء فكانت النتيجة طريقا مسدودا سقط المنصور في آخره^(١) تلك الأوضاع مثلما أدت إلى هياوي أطراف مملكته تحت أيدي دعاة الحركة الوهابية استغلها أدعياء الإمامة بالخروج على المنصور علي كعادتهم في استغلال مآسي القبائل في مختلف الأزمنة لتحقيق مآربهم فقد خرج عليه الهاشمي حسين بن علي بن قاسم الصعدي حيث دفع قبائل برط وسحار ومن حاشد بني صرم ، وخيار والعصيمات ويقول جحاف في تاريخه أن الداعي لخروجه هو الطمع في الإمام للزيادة منه عن المعتاد زيادة العائد الذي كان يعطيه ويقول: (طمع هذا السيد كان ذر يعه يخفي تحتها طموحا سياسيا) وهذا سبب تكرر عند صراع أدعياء الإمامة في كثير من الأزمنة.

وقامت الحروب بين القبائل المؤيدة للصعدي وبين القبائل المؤيدة للإمام بقيادة يحيى بن علي المتوكل ولظلم المنصور علي وفساد حكمه خرجت أيضا قبائل خولان بقيادة علي بن راجح الخفولاني ، واتجهت نحو جهران وآنس وعند عودها تقابلت مع جموع مواليه للإمام بقيادة العيد فيروز المهدي.

وتوجه حسين بن علي بن قاسم الصعدي صوب صنعاء فدفع الإمام قبيلة همدان لقتالهم ومنعهم من الوصول إلى صنعاء وكان ذلك فيما يسمى معركة سرجين.

وهزم حسين بن علي بن قاسم الصعدي وقبائل ذو محمد وهكذا كانت واستمرت أساليب الأئمة في دفع قبيلة ضد أخرى فتأصلت العداوة بين القبائل ، وكان من أسباب استحباب همدان للمنصور علي ما كان من ذو محمد وذو حسين من غزوات علي همدان بدفع من الأئمة فكان ما قامت به همدان انتقاما لما سبق وهذا يؤيد ما ذهبنا إليه من أن أساليب الأئمة هي التي راکمت الأحقاد والعداوة بين القبائل اليمنية .

ويرى العلامة الشوكاني أن الذنب ليس ذنب العامة فإنهم أتباع كل ناعق ، وأن قيل لهم هذا حق تعصبوا له ، وإن قيل لهم هذا باطل تعصبوا ضده ، وإنما الذنب ذنب الفقه الناقص الذي يرمي بالكفر كل من أراد أن يتحرر ويجتهد ويستقل برأيه .^(٢)

إن عدم قيام كل من ثاروا على حكم الأئمة باليمن بتغيير الثقافة المجتمعية بين العامة ولم يجهدوا أنفسهم بتصويب الانحرافات المذهبية التي انتشرت بين العامة وأصبحت كمسلمات هي السبب في استمرارية أدعياء الإمامة في إشعال الفتنة .

(١) - الدكتور العمري - مائة عام من تاريخ اليمن الحديث .

(٢) - الإمامة وخطرها على وحدة اليمن - أبو الأحرار محمد محمود الزبيدي .

واستمراراً للصراع بين أدعياء الإمامة من بني القاسم خراج:-
علي بن إسحاق^(١):-

مدعيًا الإمامة بنفس طرق من سبقه بالتجائه سنة (١١٩٤هـ - ١٧٦١م) إلى قبيلة أرحب القوية مستغلاً فساد حكم المنصور وتدمير القبائل منه وإسحاق هو من آل القاسم أنفسهم وذكر جحاف في تاريخه أن سبب خروجه هو زيادة مقدار الضرائب المفروضة على أملاكه بحميس من قبل عامل الإمام زياد الحبشي، فجمع ابن إسحاق القبائل من أرحب وبني الحارث في منطقة بني جرموز ودفع المنصور المقاتلين من قبائل همدان بقيادة العبد سرور وعباس المتوكل وآل خليل "مشايخ همدان" وعسكر بالقبائل في قرية الجاهلية بهمدان ووقعت صدامات بين الطرفين بدون أي نتائج وفي هذه المدة عادت خولان للثورة من جديد ضد المنصور فهاجموا الداخلين إلى صنعاء جنوب المدينة فأستمال المنصور قبائل سنحان المجاورة فغارت على خولان وأدركتها عند بلده أسناف فواجهتهم أيضاً قبائلها فوقعت مقتله مع خولان أخذ منها ما سلبت وهربت مجموعها مكثفة من الغنيمة بالإياب إلى ديارها.

ولم تكن العودة إلى البلاد إلا لجمع ما تشتت من قوتهم وعادت قبائل خولان معلنة العصيان بحجة أن المنصور قد قطع "مصاريفهم"^(٢) وتوجهوا إلى بلاد آنس "وأنتهبوا من وجدوه من أهلها وخوفوا المسافرين وقطعوا السبيل" فأستدعى المنصور العبد زياد من مواجهة ابن إسحاق وأرحب لمعاقبة خولان وكانت الدائرة عليه فقتلوه وقتلوا صهره ابن بقراط وثالثا من عبيده وتمكن بعض من تبقى من جماعة زياد من القبض على بعض من خولان وضربت رؤوس ثلاثين منهم وعلقت رؤوسهم في باب اليمن^(٣) وقد قبض على بعض من قتلوا وهم بمدينة صنعاء وليسوا ممن شاركوا في القتال ومنهم الشيخ محمد بن حسين الفهدي "ثم أمر بضرب أعناقهم وتبعوا بصنعاء جماعات خولان فوجدوا بالجامع الشيخ محمد بن حسين الفهدي فجاجوا به فأمر بضرب عنقه معهم فكان جملة القتلى من خولان ثلاثين نفراً وعلقت رؤوسهم بباب اليمن^(٤).

ودأب الأئمة هذا هو تطبيق للفكر الهادي الذي راكم العداوة بين القبائل المتجاورة وأهم العوامل التي جعلت تلك القبائل تنقاد لهم هو انتشار ذلك الفكر كثقافة مجتمعية

(١) - الدكتور العمري .

(٢) - مصاريفهم أي عائد تقدي كان يدفعه الأئمة لتلك القبائل عند دفعهم للقتال وإحضار القبائل الأخرى وعند دفعهم ليسط نفوذ الأئمة على المناطق الوسطى

(٣) - جحاف - ص ٧٦-٧٧ ..

(٤) - جحاف - ص ٧٨ .

أهملت وجوب طاعة الإمام ، طاعة مطلقة وإن طاعة الإمام هي طاعة لله تلك الثقافة تركز على آراء الهادي في مسألة الإمامة والتي تتلخص في :

١- التمييز السلالي " الإمام الذي يجب طاعته أن يكون من ولد الحسن أو الحسين عليهما السلام ، ويكون ورعاً ، تقياً ، صحيحاً" .. إلخ ، وغيرها من الصفات^(١).

٢- أصل للصراع والتنافس بين أبناء هذه السلالة فحدد ما يجب على من يدعي الإمامة فعله بقوله " قائما بحقه شاهراً لسيفه، داعياً إلى ربه، مجتهداً في دعوته ، مفرقاً للدعاة في البلاد، غير مقصر في تأليف العباد، مخيفاً للظالمين إلخ ، فهم له خائفون وعلى هلاكه جاهلون يقيهم العوائل ويدعو إلى جهادهم القبائل متشردا عنهم خائف عنهم لا تردعه ولا تهوله الأحواف فمن كان كذلك من ذرية السبطين الحسن والحسين فهو الإمام المفترض طاعته الواجبة على الأمة نصرته..." ثم يستمر في دفع أبناء هذه السلالة ومن قصر في ذلك كانت الحجة لله عليه قائمة صادعة منيرة^(٢).

٣- أصل الهادي أن الإمامة حق من الله لمن تتوفر فيه الشروط من أبناء هذه السلالة ، ويؤكد ذلك الهادي بقوله فمن كان من أولئك كذلك قد حكم الله له بذلك رضي بذلك الخلق أم سخطوا وقال وليس تثبت الإمامة بالناس للإمام كما يقول أهل الجهل من الأنام إن الإمامة بزعمهم إنما تثبت للإمام برضى بعضهم وهذا فأحول المحال وأسمح ما يقال به من المقال بل الإمامة تثبت بثبوت الرحمن لمن ثبتها فيه وحكم بما له من الإنسان رضي المخلوقون أم سخطوا شاءوا ذلك وأرادوا أم كرهوا^(٣)... إلى أن قال: "الذين أختارهم بعلمه وفضلهم على جميع خلقه وجعلهم الورثة للكتاب المبين الحكام فيه بحكم رب العالمين ختم بهم الرسل وجعل ملتهم خير الملل فهم آل الرسول "ص" وأبناؤه وثمره قلبه وأحباؤه وخلقاء الله وأولياؤه "

ذلك الفكر قد قام على التمييز السلالي والاستعلاء منحرفاً عن ثوابت الشرع القائمة على العدل والمساواة ومقاصده المتمثلة في عالمية الإسلام وخلوده ، فجعل حكمهم من الله وليس من الناس وجعلهم الورثة للكتاب وجعلهم خلقاء الله وأولياؤه ولم ينتشر ذلك الفكر إلا بعمل الأئمة الدائم على تجهيل الأمة وحكر التعلم في أبنائهم وفقهائهم ونشر ذلك الفكر ومنع أي فكر مصوب له أو مخالف .

(١) - الأحكام - الهادي بن حسين الرسي . ص ٤٥٩ .

(٢) - الأحكام - الهادي بن حسين الرسي - ص ٤٦٠ .

(٣) - الأحكام - الهادي بن حسين الرسي - ص ٤٦٠ - ٤٦١ - ٤٦٢ .

ونعود إلى تاريخ المنصور علي ابن المهدي عباس :

فقد قبل جميع شروط ابن إسحاق وهي دراهم تعطى له كل شهر وكفايات وأن يعطى له منطقة وصاب وحيس وبعد موافقة الإمام على هذه الشروط أشترط ابن إسحاق البقاء بأرحب فلم يوافق...

وهكذا نرى أن أساليب الأئمة قد زرعت عدوات بين همدان وأرحب وبين همدان وبنو الحارث وزرعت عدوة وثأر بين سنحان وخولان بالإضافة إلى ما رافق تلك التمردات من عدواة بين القبائل المتمردة والقبائل والمناطق المعتدى عليها ، وبذلك فإن هذا الفكر قد خالف أحد أصول الدين وهو الوحدة ونتيجة لعدم الاتفاق بين المنصور وابن إسحاق فقد بقي كل واحد يقوم بدورة في استمالة القبائل وبالتالي دفعها للاقتتال وهذه هي الحالة التي تكررت بأساليبها ووسائلها مع الأئمة والخارجين عليهم في أغلب الحقب الزمنية التي أحجوا فيها الفتن بين الأخوة فتأصلت النعرات القبلية وكان هؤلاء المعتنقون لفكر الهادي السلافي قد عملوا عكس ما أمر الله به في قوله تعالي {واعتصمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا} آل عمران ١٠٣. [***]

وأستمر الإمام في بذخه بصنعاء وابن إسحاق في أرحب وأثناء ذلك كان القحط والجفاف قد دفع قبائل برط إلى التوجه إلى صنعاء وعسكروا بمنطقة الرحبة شمال صنعاء فحاول استمالتهم ابن إسحاق فتوجه إليهم وطلب مساعدته للتوجه إلى وصاب حيث له أملاك بها واستغلت برط ذلك وقامت بمجمات على الأعتاب والمزارع القريبة من صنعاء وهرب سكان تلك القرى فرضخ المنصور لبرط وأعطى أموالا كثيرة لكبارهم فعادوا إلى بلادهم. وكان خوفه الأكبر من نجاح تحالفهم مع ابن إسحاق (١) ولولا ذلك لما دفع لهم وكان هنا سنة ١٩٥ هـ ذلك التعامل نبي الولاء للقبيلة على حساب الولاء لليمن ثم للأمة.

وفي العام التالي ربما كان موسم الأمطار شحيحا والمراعي مجدبة ، فانطلقت قبائل برط من أقصى الشمال وعسكرت في الرحبة في جماد ١١٩٦ هـ يقودها القاضي عبد الله بن حسن العنسي .

فأتفق ابن إسحاق والعنسي على مهاجمة صنعاء وفي جماد الآخر توجهوا من الرحبة بقبائل أرحب وبرط ومروا من جوار قاع اليهود غرب صنعاء فأمطرتهم الحراسة رصاصا فمضوا ليعسكروا في حده وجمع المنصور القبائل القريبة من صنعاء وتقدم بهم إلى صنعاء

[***] - المراجع التاريخية والأحداث " مائة عام من تاريخ اليمن " - الدكتور حسين العمري .

(١) - صحاف .

وهي قرية ملاصقة لحدّه عالية عليها، بقيادة الأمير مرجان وربحان وأبنيه أحمد ووقع من الجانبين قتلى وفر ابن إسحاق والعنسي وقبائلهما وتوجها جنوباً إلى وعلان قرية من بلاد الروس مديرية صنعاء وقاموا بالنهب خلال مرورهم إلى أن استقروا بجبل بعدان فجمع المنصور قبائل من نم وخولان ووقعت بينهم معارك وزادت العداوة بين القبائل والثارات ولتكرارها الدائم تنشئوا عليها.

فعاد العنسي وابن إسحاق إلى الشرق وعاد الأمير مرجان إلى المنصور وطالبه بأموال كان أنفقها فلم يكن من المنصور إلا معاقبته بالضرب والسجن. وبعد تلك الحروب الدامية التي عمت البلاد من أقصاها إلى أقصاها أتفق ابن إسحاق والمنصور علي بواسطة القاضي حنش فانسحب ابن إسحاق سرا من المعسكر الذي كان يجمعه مع العنسي وتوجه إلى يريم فوصل إلى صنعاء في ربيع ١١٩٩ هـ وأستقبل بجفاوة خارج المدينة وأستقبله المنصور بالبشاشة والترحاب وأنعم عليه أتم النعم حسب ما وصف جحاف والشوكاني .

وأُتفق الهاديان وكان شيئاً لم يكن من تلك الحروب والمآسي وهذا يثبت أنهما السبب في اقتتال تلك القبائل سواء بخلافهما معا أو بسبب ظلم المنصور علي وبذخه وترفه أو بسبب ما اعتادت عليه القبائل اليمنية من قبل آبائهم وأجدادهم من وقوف إحداهما مع الإمام وأحداهما مع الذي تخرج عليه، وهذه الأفعال هي من شروط الإمامة في فكر الهادي حيث يذكر من شروط الإمام : مخيفاً للظالمين فهم له خائفون وعلى هلاكه جاهدون يغيثهم الغوايل ويدعوا إلى جهادهم القبائل... الخ^(١).

بعد ذلك أستقر ابن إسحاق بالروضة وعمل على بث المغالاة في التشيع عن طريق نظم القصائد الشيعية وجعل الناس ينشدونها ويضعون لها ألحانا وكان هذا التطرف في التشيع أسلوباً لبث تمييزهم على العامة فيعملون على زيادة التشيع لعلي كرم الله وجهه وأبناءه وهم ورثتهم وفقاً للفكر الهادي حيث يقول "وفضلهم على جميع خلقه وجعلهم الورثة للكتاب المبين الحكام فيه بحكم رب العالمين ختم بهم الرسل وجعل ملتهم خير الملل فهم آل الرسول "ص" وأبناءه وثمره قلبه وأحبائه وخلقاء الله وأوليائه"^(٢) إن هذا هو الانحراف عن صحيح الشرع القائم على المساواة بين المسلمين .

(١) - يحيى بن الحسين الرسي كتاب الأحكام باب القول في صفة الإمام .
(٢) - نفس المرجع السابق - باب في القول فيما ثبت به الإمامة للإمام .

وحاول ابن إسحاق إعادة علاقته بأهالي برط ففضى عليه المنصور وسجنه لمدة ثمان سنوات. بقصر صنعاء وعاد العنسي بالخروج والتوجه إلى المناطق الوسطى بقبائله وقبائل خولان والحذاء ووصل إلى بعدان وحاول السيطرة على مناطق يريم وعمت الفتنة بقتال هذه القبائل مع من أتباع المنصور واجتزت رؤوس ثلاثة من برط وأرسلت إلى المنصور، وفي الجانب الآخر قام خمسمائة رجل من ذي محمد بالمحوم والنهب على وادي ظهر على مقربة من صنعاء.

واستمرت تلك القبائل إلى عام ١٢٠٠هـ - ١٧٨٦م في سيطرتها على المناطق الوسطى إلى أن رضخ المنصور لمطالبهم وأرسل القاضي أحمد محمد الحرازي للصلح ودفع لهم مالا واسعا.

وتبقى بعض من تلك القبائل بقيادة عنسي آخر هو أحمد بن علي العنسي ووقعت حروب بينه وبين أتباع المنصور علي في مناطق الشعر وخبان ثم خرج منها وفي عام ١٢٠٨هـ عاد القاضي حسين بن حسن العنسي بالخروج على المنصور مع قبائل من ذي محمد وتحصن بهم في حصن حمر وناصره أهالي الشعر فصالحه المنصور على دخن^(١) فقبل العنسي وأوقف أعماله لكن العنسي استأنف الخروج بعد عام حينما صعد إلى سماره واستولوا على حصن حب، وخلال تلك الأحداث غادر عبد الله بن حسن العنسي بلاده وأنضم إلى أخيه وعبر صنعاء ولم يوقفه المنصور، فكان هؤلاء يدفعهم الأئمة لإخضاع من تظلم من جورهم وقد جعل الأئمة لهم أتباع من الفقهاء والقضاة يسلطوهم ليشهروا بالعلماء الأحرار الذين يظهرون انحراف هذا الفكر ويتقنوا ظلم وجور الأئمة مثل ابن قاطن والهبل ومثل القضاة آل العنسي الذين كانوا من أكثر المغالين بالتشيع والتمسك بالفكر الهادي وهم الذين عارضوا العلامة المجدد ابن الأمير الصنعائي في دعوته التصويبية لانحراف الفكر الهادي وهددوا بالفتك به .

ويصف ذلك الحال ابن الأمير بقوله :

فيرميه أهل الرفض بالنصب فريسة	ويرمة أهل النصب بالرفض والجحد
وليس له ذنب سوى أنه غدا	يتابع قول الله في الحسل والعقد

(١) - الدخن هو نوع من أنواع الذرة يميل لونه إلى السواد

ويتبع أقوال النبي محمد وهل
غيره بالله في الشرع من يهدي
لن عبده الجهال ذنبا فحبذا
به حبذا يوم انفرادي في لحدي

إن عدم قيام الدولة بمسئوليتها لإعانة من أصابوا بالفحط والجماعات من القبائل وعدم قيامها بمسئوليتها في بث الوعي الديني لدى تلك القبائل بل كانت تعمل عكس ذلك فتقوم بتأليب قبيلة على أخرى كما لاحظنا سابقا وكما سيأتي.

ولأن الدولة كانت تجعل واجباتها مقصورة على الجباية وإنفاقها على أمورها الخاصة ببناء القصور والإنفاق على حاشيتها التي تساعدتها بالقيام بعملية الجباية أو التي توفر لها الحماية وأحيانا تقوم بدفع الأموال لدرء خطر الثائرين .

إن تعمد الأئمة تجهيل تلك القبائل بعدم قيامها بمسئولياتها بنشر تعاليم الدين الخفيف وظلم الأئمة بمختلف أنواعه وبالذات ما أصل من ثقافة الاستعلاء والتمايز ، إن ثورة تلك القبائل تعود إلى جملة من العوامل أهمها الاستبداد الديني والسياسي ، إلا أن الجهل الذي راكمه الأئمة المتعاقبين أدى إلى تحول ثورة تلك القبائل إلى غوغائية نتيجة لعدم قدرة تلك القبائل على التوحد وبالتالي عدم قدرتها على تحديد أهدافها وتنظيم نفسها.

ولهذا لم تستطع أن تحيي ثمار كل الثورات لتغيير الظلم والاستبداد تغييرا جذريا وأهم الأسباب هو تأصيل فكر الهادي لاستحقاق الإمامة لمن هم من البطنين ، كمنذهب واجب الأتباع إن حالة الجهل بين تلك القبائل قد شخصتها الشوكاني بقوله (وهي كغيرها جاهلة بأمر الدين ولا يوجد بينها من يحسن القراءة والكتابة وهم كلهم) (كلهم إلا النادر الشاذ لا يحسنون الصلاة ولا يعرفون ما تصلح إلا به ولا تتم بدونه من أذكارها وأركانها بل لا يوجد منهم من يتلو سورة الفاتحة تلاوة مجزئة إلا في أندر الأحوال)

وكان يستشعر خطر تجهيل القبائل فيدعو إلى تنويرها وتعليمها حيث يقول (لا خروج لمن كان قادرا على إصلاح هذا القسم وهم الرعايا (القبائل) إلا ببذل مال لإصلاح الرعايا وتعليمهم فرائض الإسلام وإلزامهم بها والأخذ على الولاة في الأقطار أن يكون معظم سعيهم وغاية همهم هو دعاء من يتولون عليه من الرعايا إلى ما أوجبه الله عليهم ونهيهم عما نهاهم الله عنه وانتخاب القضاة في كل قطر أولا ممن جمع الله لهم بين العلم والعمل).

فرغم تحقيق الثورة لمكاسب مادية يصعب حصرها مقارنة بما كان إلا أنه لم يكن التغير الثقافي والفكري بنفس الزخم وخاصة التصويب الديني .

ونعود إلى غليان القبائل وعدم رضوخها لحكم المنصور علي فقد خرجت قبائل يام وتوجهت إلى هامة عام ١٢١٠هـ - ١٢٩٥ م للسيطرة عليها فدفع المنصور علي قبائل حاشد وبكيل (ذو حسين) بقيادة بيت أبو منصر وبنو الأحمر ومن بكيل آل جزيلان ، وهنا نود أن نؤكد على ما أشرنا إليه سابقاً من أن عدم تكوين الأئمة لجيش هو المعول عليه ضبط الخارجين أدى بالأئمة إلى استخدام القوى القبلية الأمر الذي جعل هذه القبائل تتمرس على الغزو والقتال لكسب الرزق مما أدى إلى قيام تلك القبائل بالغزو عند تكليفها بتلك المهمات من قبل الإمام أو عندما لا يوجد أي خارج على الإمام .

ونعود إلى خروج يام فقد هزمت من قبل حاشد وبكيل ولكنها عادت في العام الذي يليه فهزمت من تبقى في هامة من قبائل ذو حسين وآل عفرأ وآل الشائف بقيادة الأمير عبد الله جوهر ، وأسرت نحو (٢٧٠) من ذو حسين وهُبت وسلبت المناطق التي وصلت إليها من هامة وكما هو المعتاد فإن معاناة القبائل من الجوع نتيجة للقطع والجفاف وعدم تحمل الحكام مسؤوليتهم تجاه رعيتهم وفقاً لشرع الله ، هي السبب في الغزو والقتال.

بالإضافة إلى عوامل أخرى عديدة سببها الفكر المهادني وأساليب الأئمة ويؤكد ذلك جحاف حيث يقول (سارت عن ديارها كعادتهم يشكون ببلادهم جوعاً وشدة ووصلوا باب الخليفة وحاصروه وتحطفوا وقتلوا وفعّلوا الأفاعيل فلم يتحرك الإمام بشيء من ذلك لاشتغاله بنفسه وكان قد أمر خولان وقلب الفكر في تدبير تدميرهم) وقد تملمت خولان وخرجت في عام ١٢١٠هـ بقيادة المثنى علي صير محاولاً انتزاع المناطق التي تخضع للإمام وخاصة المناطق الخصبية التي تدر جبايتها أموال طائلة للإمام.

فبدأ بالاستيلاء على اليمانيتين ثم عنس واستولى على خيرات تلك البلاد ثم أتجه إلى وصاب السافل وعتمه.

تلك التمردات والانتفاضات على الأئمة لم ترتقي إلى أن يقوم المتمردون بإعلان أنفسهم حكام أو أن يشكّلوا دولة نتيجة للعلة الواحدة المزمنة وهي الحق الإلهي في حكم البشر لمن هم من البيطيين (انسحقت شخصية اليمينيين في ظل الإمامة وحرمت عليهم قيادة بلدهم ، وصار التفكير فيها جريمة دينية وسياسية في وقت واحد ، وشوه التاريخ اليمني فأصبحت - لا نقرأ فيه إلا أسماء القديسين الآلهة من الأئمة وأذنانهم وأشياعهم . أما شخصية الشعب فما يكاد يرفع رأسه للعزة والكرامة بطل من أبطالها حتى يسرع به الأئمة

ويعثوا به مشيعا بلعناقم إلى قبره ، ثم لا يذكرونه في التاريخ إلا على أنه الباغي عدو الله
الفاسق الملحد كافر التأويل إلى آخر هذه الألقاب .

وهكذا استمرت عملية السحق لعروبة اليمن وشخصياتها- الشعبية وثورتها النضالية
أكثر من ألف عام^(١)..

ونتيجة لتمرّد خولان أستدعى المنصور رؤساء ذو حسين وأمر إلى كبيرهم يحيى ابن
هادي الشايف بخطته في توجيههم إلى محاربة خولان وتأديبهم وإعطائهم مالا كثيرا ،
وأطمعه في (إنالته جميع ما جلبوا به)^(٢) أي جميع ما جمعوا خولان من تلك البلاد التي
سيطر عليها وهذه ثابتة في نهج الأئمة وأساليبهم وهي تجويع جميع القبائل فإذا ثارت
قبيلة لتحصل على قوتها دفعوا بالقبيلة الجائعة الأخرى لتحصل على مبتهاها بالقتال فعند
قتال القبيلة مع الإمام فهي مجاهدة وعند قتالها ضد الإمام أو قتالها لقبيلة أخرى بدون أمر
الإمام فهي ضالة ومارقة الخ

فالتقى الجمعان وقتل من الجانبين ثم تراجع خولان وقتل منها مائتين وكانت المعركة في
قرية (عیشان) غربي دمار وعادت قبائل ذي حسين إلى صنعاء بأحمال الغنائم التي هي في
الأساس منهوبة من المناطق المنكوبة ،وقد أستقبلهم المنصور..

وأكرمهم وكان أمر جريمة استباحة الأموال والدماء التي عانى منها أبناء اليمانيّين
وعنس وأنس ووصاب وعتمه لا يعنيه فقد سلبها من أصحابها خولان وهو أرسل من
يسلبها من خولان فسلبتها قبائل ذو حسين وتقاسمتها مع المنصور علي ، فما هو الفرق
بين الاثنين وأين حق المستضعفين في نهج وممارسة هؤلاء الأئمة وأين هم من القيم
الإنسانية فما بالك من القيم الإسلامية.

أما آل العنسي وقبائل ذو محمد فإن هجماتهم استمرت على المناطق الوسطى والسفلى
بالطريقة والأسلوب نفسيهما وكان رد فعل المنصور القتال مره والمصالحة ثانية والإهمال
أخرى ورغم ذلك كله لم تسلم اليمن من داء الهادويين المزمّن وهو الصراع فيما بينهم
على الحكم حيث خرج على المنصور علي إسماعيل ابن احمد الكبسي عام ١٢٢١ هـ
ودعا لنفسه بالإمامة في منطقة ظفير وحجه وتلقب بالمتوكل على الله وبعث برسائله إلى
مختلف القبائل ولكنه لم يفلح للأوضاع السابقة إلى أن توفي سنة ١٢٢٣ هـ ولم ينجح
أيضا لعدم التجائه إلى قبيلة قوية ، واستمرارا لفتنة الصراع بين الهادويين على الحكم خرج

(١) - الإمامة وخطرها على وحدة اليمس - أبو الأحرار عماد محمود الزوي

(٢) - صحاف .

(٣) - للمزيد من المعلومات عن الأحداث وتواريخها (مائة عام من تاريخ اليمن - د. حسين العمري)

حسين ابن عبد الله الكبسي قاضي الروضة ١٢٢٢هـ - وكانت خطورة هذا الخروج لقرب موقع تمرركزه و استطاع أن يجمع إلى جواره قبائل من حولان وسانده أهل الروضة وراسل الدعاة إلى مختلف المناطق خاصة قبائل برط بقيادة عبد الله العنسي وسانده الهاشميين كبيت أبي طالب وابن أخو المنصور علي احمد ابن عبد الله ابن المهدي عباس ويبدو أنه كان طموحا لمنصب الإمامة وعلى خلاف مع عمه المنصور^(١) وكان أول ما دعاه هذا الخارج بأنه قام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر^(٢) وكان أول ما أمر به من معروف ونهى عن المنكر هو نهب دار المنصور بالروضة (دار البشائر) وبيوت أهل صنعاء المغلقة التي كان يغادرها أصحابها من المسورين في غير موسم الحزيف " موسم جني الثمار " .. وحاول المنصور علي الصلح معه بإرسال القاضي أحمد محمد الحرازي برسالة حررها الإمام الشوكاني فصمموا على ما عزموا عليه وحاول الأمير أحمد ابن المنصور علي أن يقنع آل الكبسي بالتراجع ولكنه لم يفلح .

فعمل على منعهم فاستخدم نفس الأسلوب ، وهو دفع كل واحد منهما لقبيلة أو مجموعة من القبائل حيث قام أحمد ابن المنصور بدفع قبائل بني الحارث وبلاد البستان (قبيلة بني مطر) وكان أممها (بني شهاب) وبني حشيش وهي من القبائل القريبة من العاصمة (وهذه القبائل بالإضافة إلى قبيلة سنحان وقبيلة بلاد الروس وقبيلة همدان وعيال سريح وبني بجلول وكانت على مر الزمان من أهم العوامل في قدرة الأئمة على حكم صنعاء ثم اليمن حيث تمثل هذه القبائل طوق على صنعاء وموالقها لحاكم صنعاء يردع أي خارج ، بالإضافة إلى كثافتها العددية وتمرسها على القتال لأخراط أفرادها في جيوش مختلف الدول التي حكمت صنعاء) وقد جمع أحمد ابن المنصور قبائل بني الحارث وبلاد البستان وبني حشيش في قرية الجراف المجاورة للروضة فسيطر على مداخل الروضة ومنابع المياه فلم تمضي إلا أيام قليلة حتى أستسلم الكبسي ومناصريه وأودعوا السجن حتى مات بالسجن حسين الكبسي وأحمد ابن عبد الله ابن المهدي .

ولم يدعو للإمامة من بيت الكبسي سوى هؤلاء منذ مقتل حمزة ابن أبي هاشم الحسيني في أرحب (٤٥٨ هـ - ١٠٦٦ م) والذين يدعون الانتساب إليه^(٣) .

وخرج على المنصور علي وأبنته أحمد بيت شرف الدين في كوكبان فدفع قبائل ذو حسين المحاصرة لصنعاء مع قبائل الحيمه وبني مطر وحمدان وعيال سريح بقيادة أحد قادته

(١) - الشوكاني - الدر الطالع .

(٢) - صحاف : ٤٦٠ .

(٣) - زيارة - نشر العرف .

من العبيد الأمير فيروز في حملة على كوكبان لإخضاعها وذلك سنة ١٢٢٣هـ - ١٨٠٨ م وكانت أول معركة لهذه القبائل مع أهل حبابه (وهي مدينة صغيرة ما بين مدينة تلا وشبام) فوقع عدد من القتلى ونهبت الممتلكات وحوصرت كوكبان حتى خضعت المنطقة كلها لسلطان صنعاء^(١) ونكرر ما ذكرناه سيقا من أن كثرة دفع الأئمة لبعض القبائل للقتال والغزو لفرض سلطانهم قد جعلها تمتهن ذلك في حالة القحط بدون استدعاءها (ويؤكد ذلك أن قبائل برط من ذو محمد وذو حسين التي كانت تحاصر صنعاء كان من ضمن ما أرضاها به احمد ابن المنصور هو تكليفها بإخضاع كوكبان وما حولها .

إن هذه الوسائل قد استخدمها كل الأئمة وكانت نتائجها تراكم العداء المتبادل بين القبائل اليمنية وبين القبائل والحواضر وكانت في نفس الوقت تشغل الجميع عن الإمام ونظامه وكان ذلك سببا في عدم قدرة هذه القبائل على توحيد صفوفها تحت قياده (واحدة).

خروج خولان مرة أخرى :-

لكل ما ذكرناه من فكر وأساليب الأئمة الهاديون أستمروا الغليان والعصيان فقد خرجت خولان ١٢٠٣هـ بقيادة محمد بن سعيد أبو حليقة الخولاني وهو من الذين خلقوا الاضطرابات لإدارة المنصور فقد عمل هذا مع عمال الإمام في المناطق الوسطى وأخضع أهالي تلك المناطق لعمال الإمام ورأى أساليبهم وطرائقهم الظالمة وجمع قدرا من المال وعاد إلى بلاده فجمع رجالا من خولان وتوجه إلى منطقة حبيش في المناطق الوسطى فسيطر عليها وأحتل حصن الحفاء وسيطر على غالبية المناطق الوسطى وكاد أن ينهي سلطة عمال الإمام على تلك المناطق.

وأستمر لمدة سبعة عشر عاما حتى قتل عام ١٢٢٠هـ وخلال تمرد خولان بقيادة أبو حليقة ، أستمال الإمام قبائل عمال سريح وقبائل نهم وغيرهم ودار القتال بين تلك القبائل وخولان.

والإمام المنصور علي يبني قصوره ودوره ويعيش حياة ترف وبذخ مع هوايته في مجالسه النساء من الحرائر والإماء وكانت تلك القبائل فتراجم تلك المناطق وتستولي عليها بسهولة لعدم وجود حمايات

(١) - حطاف : ٤٨٨ .

عسكرية تردعها حيث لم يكن عمل عماله سوى إخضاع أهالي تلك المناطق لجباية الأموال والتسابق بينهم على من يجمع أكثر.

وكانوا يعودون بأموال طائلة لأنفسهم غير التي يدفعونها للمنصور مما أدى بالمنصور إلى محاولة سلب تلك الأموال لنفسه أو اقتسامها معهم ومن يرفض كان ينكل به أو يسجنه أو يصادر ممتلكاته لنفسه، كل هذه الأحداث كانت نتيجة فكر الأئمة واستبدادهم الذي أدى أيضا إلى سقوط المخلاف السليماني عسير وجيزان حتى حدود الحد يده تحت يد الحركة الوهابية الذي أسسها الشيخ محمد عبد الوهاب (١١١٥ - ١٢٠١هـ) والتي أطلقت على نفسها اسم الموحدون والطريقة الحمديدية وهم من أهل السنة على مذهب الإمام احمد بن حنبل أفكارهم مأخوذة من أراء الإمام الحنبلي ابن تيميه توفي سنة (٧٢٨هـ - ١٣٢٨م) والذي هاجم بشده التزليف للأولياء وزيارة الأضرحة والقبور وتعظيمها وهذا يتفق مع أراء الهادييه في اليمن وكان الإمام الشوكاني وغيره من علماء اليمن يذكرون ذلك ويجلون ابن تيميه فكتب عنه الشوكاني كثيرا وشرح كتاب جد ابن تيميه (عبد السلام توفي سنة ٦٥٢ هـ بكتابه المشهور نيل الأوطار) وقد انتشرت الحركة الوهابية في كثير من مناطق الجزيرة العربية ووصلت إلى مدينة كر بلاء في سنة ١٢١٦ هـ وسيطرت على مكة ١٢١٨ هـ وعلى المدينة في السنة التالية وخربت الأضرحة والقباب وزحفت إلى العراق وسوريا شمالا، وعملت على توسيع نشاطها في اليمن إلى تهامة جنوبا ويرى البعض انما يؤخذ على الوهابيون الجمود نتيجة للمبالغة بحجة التقيد بأفعال السلف الصالح وتكفير من يخالفهم .

وكان المخلاف السليماني يحكم من قبل أشرف آل خيرات وكان الشريف حمود ابن محمد أبو مسمار (١١٧٠ - ١٢٣٣هـ / ١٧٥٦ - ١٨١٨م) يحكم المخلاف السليماني باسم الإمام المنصور كما كان أسلافة يفعلون باستمداد ولايتهم من حكام صنعاء وقد استغاث بالمنصور علي فلم يقته فقاتل ما استطاع الوهابيون ثم تصالح معهم وحكم باسمهم وبدأ يث منهبهم في تهامة حتى وصل إلى حدود الحد يده وأجزاء من حجة والحويث والإمام منهمك بنسائه وقصوره.

إن الظلم محرب للضران وان علقته الخراب في العمران على الدولة بالفساد والانتقاض، وبالعه عائد على الدول ولا تحسن الظلم إنما هو أخذ المال أو الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب - كما هو المشهور، بل الظلم أعظم من ذلك وكل من أخذ ملك أحد أو أغصبه في عمله أو طالبه بغير حتى أو فرض عليه حقا لم يفرضه الشرع فقد ظلمه فجباة الأموال بغير حقها ظلم والمعتدون عليها ظلمه والمتتهبون لها ظلمه والمانون لحقوق الناس

ظلمه واغتصاب الأملاك على العموم ظلمه ووبال ذلك كله عائد على الدولة بخراب
العمران الذي هو مادتها لذهاب الأموال من أهله^(١) وهذا كله وبعضه ينطبق على الأئمة
المهاديون .

(١) - ابن خلدون والقدمة : ٩٦ / ٢ .

المبحث الثالث

حروب أدعياء الإمامة ١٢٢٤هـ - المتوكل احمد إلى ١٢٥١هـ وفاة المهدي عبد الله .

المتوكل احمد ابن المنصور علي ابن المهدي عباس ابن المنصور حسين (١٢٢٤ -

١٢٣١ هـ) :-

أنتزع الحكم من أبوه وفعل ذلك طموحا في الاستيلاء على السلطة والرغبة في الحكم وكان الباعث له والمعجل لذلك ما وصلت إليه البلاد من تدهور نتيجة لحكم أبيه المستبد القائم على الأساليب الفاسدة التي أدت إلى خطر محقق على الأب والابن معا .

فكان عليه أن يتحملها رغبة وطموحا أو كرما واضطرارا^(١) وبالإضافة إلى ما سبق من فساد نظام حكم المنصور وعصيان القبائل وخروج أدعياء الإمامة عليه ظهرت مشاكل تضيف تعقيدا للأمر وإرباكا للأدارة في صنعاء وخطراً على الإمام كحركة آل الكبسي في الروضة على بعد بضعة أميال من العاصمة والتدهور الاقتصادي الذي وصل إلى حد عدم قدرة الدولة على دفع مرتبات الموظفين والقبائل وبشكل خاص المقاتلون العائدون من يزيد وبلغت الأزمة ذروتها بحصار القاضي العنسي لصنعاء بقبائل برط وكان المتوكل احمد يقود حمله لإخضاع حراز وطلب أثناءها من أبيه أن يزوده بجنود وأموال لمواصلة سيرة إلى تمامة لرد المد الوهابي ولكنه لم يلقى إجابة من والده وقيل أن ذلك بنصيحة من الوزير حسن العلفي فعاد إلى صنعاء ولقيته قبائل سنحان وبني الحارث وهمدان إلى قرية المساجد^(٢) وأصر المنصور على عدم دخول أبنه احمد صنعاء ولم ينثني أحمد ووصلت الوساطة إلى طريق مسدود ونتيجة لما وصلت إليه أحوال الناس من تردّي وخروجهم إلى المتوكل احمد وافق المنصور على دخوله فانفلتت الأمور وعاش الناس في فوضى واضطراب وارتفعت الأسعار ذلك أن المنصور كان يغير عملته كلما واجهته أزمة مالية فكانت نسبة الفضة تقل في كل صك جديد وكان يختفي الريال ويندر من أيدي الناس حتى انخفضت القدرة الشرائية لهذه العملة جدا وعندما وصل التدهور إلى منتهاه أمر بضرب عمله جديده وكان التعامل بها ابتداء من يوم الأحد جماد الآخر ١٢٢٢هـ وهذا الأجراء زاد من تدهور الاقتصاد "فخسر"^(٣) الناس أموالهم النقدية وازداد الفقراء فقرا وأصبح تجار الحبوب أكثر جشعا حتى خاف أولاد الإمام من الخروج لأداء صلاة الجمعة

(١) - المعري - مائة عام من تاريخ اليمن الحديث .

(٢) - قرية بيني مطر

(٣) - الشجني - التفتازان (ق ١٢ ب) : جفاف ٩٤٥ .

التي عقبها الإصدار وتكرر الأمر الجمعة التالية وبعد الصلاة تجمهرت الأجناد المتأخرة رواتبهم وسباراتهم وقصدوا قصر صنعاء وحاصروه وأرادوا ضبطه وفتح دار الضرب فمنعهم الشريف علي بن ناجي - ورجاله وأغلقوا الأبواب ووعدهم النصر إلى الليل وإلا عادوا.

وكانت قيمة الإصدار الجديد يعادل قيمة نصف الريال الفضي "الماريا تريزا"، أي إنقاص كمية الفضة وبالتالي قلة القيمة الشرائية إلى النصف ، ولم تسلم اليمن من خفض القيمة الشرائية للعملة نتيجة للإصدارات الجديدة للنقد إلى يومنا هذا ، وتلجأ الدول إلى ذلك لضعف الاقتصاد الناتج عن زيادة الإنفاق على الموارد بسبب سوء الإدارة وفسادها.

وأجتمع بعد ذلك بأسبوعين القاضي علي بن محمد الشوكاني وحسن بن حسن العلفي وعبد الله بن المنصور بالأمير أحمد بن المنصور لمحاولة اتخاذ إجراءات لفك الحصار الذي كان قد ضربه الجنود على صنعاء نتيجة لعدم استلامهم مرتباتهم وتدهور أحوالهم وكان هذا التمرد ناتجاً عن فساد المنصور علي وقد دبر المجتمعون الحلول لفك حصار صنعاء من قبل الجنود وبجحوا فيها وعادت الأمور إلى طبيعتها وفي بداية شهر شوال من سنة ١٢٢٢هـ وصل القاضي البر طي يحيى بن عبد الله بن حسن العنسي لما قابله الإمام المنصور وكان عازماً على قتل الوزير حسن بن حسن العلفي وتوجه إلى منزله ولم ينجح في مقصده وبعد عشرة أيام أمضاها في صنعاء مع رجاله توجه القاضي لمقابلة الإمام المنصور فخرج الوزير العلفي فطعنه العنسي طعنتين وظن العنسي أنه قتله وفر هارباً وكعادة المنصور في اتخاذ القرارات غير الرشيدة أمر بإهدار دماء ذي حسين في صنعاء فنلقفتهم العامة في الطرقات والأزقة وقتلوا ثمانية عشر رجلاً منهم نلاحظ هنا أن هذا الأسلوب من الإمام المنصور ما هو إلا استغلال لما زرع من عداوة بين أبناء الأمة الواحدة فقد كان الأئمة يستخدمون القبائل لحصار صنعاء وبالتالي لدخولها وبسط سيطرتهم عليها.

وكان يصاحب ذلك نهب وسفك دماء أهالي صنعاء ذلك هو الدافع لتنفيذ أهالي صنعاء توجيه المنصور بإهدار دماء ذو محمد وذو حسين ونفس فعل المنصور علي سيكرهه حفيده الإمام المهدي عبد الله ويهدر دماء ذو حسين في صنعاء وكأنها أساليب ثابتة يكررونها جيل بعد جيل فهذه أساليبهم تحصد ما زرعوه من أحقاد بين الأمة الواحدة عبر العصور.

وكان آخر حدث أهدرت فيه صنعاء للقبائل كان بتوجيه من آخر الأئمة الإمام أحمد بن يحيى حميد الدين حيث أهدر صنعاء للقبائل بعد مقتل والده إثر ثورة ١٩٤٨م.

ونعود إلى قصة العنسي وقبائل ذو حسين فقد التحأ القاضي العنسي إلى أحد البيوت في

صنعاء وتوجه الأمير احمد بن المنصور علي محاصرة ذلك المنزل وتفاوض مع العنسي أن يسلم نفسه في وجه الأمير احمد شخصيا فتم ذلك ووضع في السجن ولكن الإمام المنصور علي لم يراعي عهد أبته الذي قطعه للعنسي فبعد أن أعلن المنصور الأمان لذوي حسين بناء علي اتفاق العنسي مع ابته نقض العهد والاتفاق فأمر في اليوم التالي بقطع رؤوس القاضي يحيى بن عبد الله العنسي وأبنيه صالح وعمه يحيى بن حسن كان ذلك سنة ١٢٢٢هـ.

ذلك كان نتيجة ما أصله الفكر الهادي الذي جعل سلطة الإمام سلطة مطلقة، فأصبح أمر الإمام حكم قضائي بات واجب التنفيذ .

إن لاستبداد وطغيان المنصور الذي أذاق اليمن كل أنواع الخن وزاد عليها هذه الخنة وكردة فعل لما حدث قامت قبائل ذو حسين بقيادة عبد الله بن حسن العنسي بالتوجه نحو صنعاء للتأثر والانتقام فوصلت صنعاء في ٢٤ رجب سنة ١٢٢٣هـ وحاصروها وكانت اليمن تعاني من قحط وجوع مع شح وبخل المنصور ووزيره العلفي ، وقد عانى السكان شدة وضيقا لم يسبق لها مثيل ويكفي للتدليل على بشاعة ما وصل إليه الناس من جوع ما ذكره جحاف (أن امرأة ماتت فكتمت أمرها امرأة أخرى وادخرتها طعاما فجافت فعلم الناس بما فاخرجوا ما بقي منها ودفنوها وأدرك الناس الجوع الشديد ، وهلك بصنعاء من هلك ولم يقدر أحد أن يخرج الأموات إلى المقبرة وظن الظان أن ما بصنعاء سوء النسوان)، أي بغي وأي ظلم عرفته الإنسانية أبشع من هذا الحاكم يزرع الفتن ويقطع أوصال الأمة ويسفك الدماء وينفق علي بناء القصور والترف والبذخ أموال الأمة لمدة ثلاثين عاما هي مده طالت كقرون لممارسته كل هذا البغي وكأنه سلوكٌ اكتسبه من قبله وورثه لمن بعده.

تلك الحالة والوزير العلفي يرفض دفع مستحقات الجنود فما أرسل إليه احمد بن المنصور رسولا يحثه على الدفع إلا ورفض مقابلته فأمر احمد بن المنصور جنوده بالقبض علي العلفي وأقاربه وأتباعه المتنفذين في حاشية المنصور ثم اجتمع مع أعيان ووجهاء صنعاء وعمال بلاد الحيمة وبلاد البستان (مخلاف شهاب وتسمى الآن بني مطر بمحافظة صنعاء) وبحضور أخوه عبد الله وحسين وحضر معهم الوزير العلفي الذي حاول أن يبرر موقفه فاخبره احمد بن المنصور بأن الناس قد غطت عليهم المصيبة وماتوا والعلفي معرض عن هذا الأمر وكأنه لا يعنيه

وكان من مؤيدي احمد ابن المنصور القاضي احمد بن محمد الحوازي والقاضي الشاعر عبد الرحمن بن يحيى الأنسي وأمر الوزير العلفي أن يظل من النافذة ليرى جموع الجنود المحتشدة والتريبة به لتقتله فرجا الوزير العلفي الجنود أن يمهله يوما واحدا فرفضوا ذلك

إلا إذا أمر بذلك الأمير احمد فهذههم وسكنهم وأمر بحبس العلفي وأسرته وأتباعه في القصر ونتيجة لتلك الأحداث قام احمد ابن المنصور بالانقلاب على أبيه فأستدعى حراس أبيه وأبدلهم بعييد وخياله من عنده فأحاطوا بدار الجامع التي يسكنها ومنعوا الناس من الاقتراب منها وفي المساء وضع عساكر في مختلف المراكز والأماكن الرسمية الهامة في العاصمة وعمل بالإرسال إلى جميع العمال شارحا لهم الموقف ومقرا لهم على أعمالهم. هذه نهاية المنصور وأشد منها أن تكون نهاية الأب على يد ابنه ، فلم يعرف المنصور ما جرى إلا في ساعة متأخرة من الليل عندما أستدعى وزيره العلفي وقيل له انه في السجن ، فحاول الخروج بنفسه فأطلق عليه الرصاص فارتد راجعا وحاول عبد الله ابن المنصور أن ينصر أباه ضد أخوه.

فلم يفلح وأرسل احمد بن المنصور النقيب نصر الله أحد القادة الأمراء من العبيد فأراد المنصور الخروج إلى القصر فاحيره أن لا سبيل لخروجه فطلب اجتماع بكبار الأعيان فأذن الأمير احمد بذلك فتوجه إليه الأعيان وعلى رأسهم قاضي قضاته الإمام القاضي محمد بن علي الشوكاني

ويوجز لنا الشوكاني ماتم حيث يقول انه ^(١) (افصح له باستصواب ما دبره سيف الإسلام احمد واستحسان ما صنع لكن المنصور اشتكى من ذلك واعتبر الأمر مخالفة وعقوقا من ابنه) فأكد له المجتمعون بأن العكس هو الصحيح (وبأن ما عمله هو محض الطاعة وحسنوا صنيع ولده وانه الأولى بالتدبير في هذه الأمور ولولا ما صنع لكان الخطر متسعا فأبت نفسه أن تقبل الصلاح فقال له الشوكاني : إن راجعت رأيت ما تكره ! وأخاف أن يأمر ولدك بما لا يمكن تداركه وقد فعل أمرا تحمده الخاص والعام والرأي المضاو كلفعله واتخاذك له وزيرا ومدبرا فالأمر خطير فلما سمع ذلك علم انه لا مجال لشيء فيما يريد من الأحوال فرضي) وتم الاتفاق على أن يكون احمد بن المنصور وزيرا لإدارة أمور البلاد فأشترط المنصور لنفسه حقوق بلاد يرم وعلى أن الخطبة والسكة وإمارة الخلافة غير متحولة عنه فقال ولده : ليس المراد إلا حفظ المملكة والذب عن ضعفاء الناس وانتقل من دار الجامع إلى دار الإسعاد حتى مات بعد ثلاثة عشر شهرا.

وبعد ثلاثة أيام من سيطرة احمد ابن المنصور قام اخوة عبد الله بحركة مضادة لأخيه ظاهرها الدفاع عن أبيه وحقيقتها تكمن في الخلافات والتنافس القديم بين الأخوين وتم الصلح بينهم بواسطة القاضي محمد بن يحيى السحولي.

هكذا كان فساد المنصور علي سببا فيما عاناه الشعب خلال فترة حكمه وما تبعه من

(١)- الشركاني : البدر الطالع : ٤٦٦.

أحداث متتالية كانت لهايتها استيلاء أنه على السلطة ولكننا نلاحظ من الأحداث أن قضية الوصول إلى سدة الحكم (الإمامة) ظل يسيرها فكر الهادي (لن قام بما ودعا إليها) هذا الفكر هو أحد الأسباب في صراع أبناء الأسرة الحاكمة وتنافسهم على الإمامة ، وهذا ما حصل بين أبناء الأئمة في الأزمنة المختلفة ابتداء من عهد أبناء الناصر أحمد بن يحيى ابن الحسين القرن الرابع الهجري إلى الصراع بين أبناء الإمام يحيى من ناحية وبينهم وبين حفيده البدر القرن الرابع عشر إن فكر الهادي في حصر حق الحكم في سلالة معينه لم يواكبه اجتهادات تطويرية تتواكب مع تغير الزمن وزيادة عدد أبناء هذه السلالة خاصة مع توافد من ادعوا انتمائهم إلى هذه السلالة من خارج اليمن ، ويظهر خلال فترة ١١٦ - ١٢٦٤هـ / ١٧٤٨ - ١٨٤٨م حيث اتسمت هذه الفترة بظهور أعلام في الفكر أمثال ابن الأمير الصنعائي والإمام المجدد محمد ابن علي الشوكافي ويحيى السحولي وأبنة محمد والشاعر والأديب عبد الرحمن الألسي فبرغم معاصرة هؤلاء الأعلام المجددين بفكرهم والمكانة التي احتلها في بحريات الحياة السياسية كلاعيين فاعلين إلا أنهم لم يؤثروا أو يجددوا أفكار الهادي في مسألة الإمامة حيث أن مبدأ الهادي في حرية الاجتهاد لا يطبق إلا في حرية الإمام في اجتهاد الأساليب والوسائل التي توصله إلى الحكم وليصبح ما يراه الإمام أو ينفذه على الشعب من حقه في نطاق هذا المبدأ ولو خالف ثوابت الشرع وما اجمع عليه وهذا ما جعل المتوكل على الله إسماعيل يصدر حكمه الجائر على اليمن أرضا وإنساناً وما جعل الأئمة يحكمون بقتل النفس التي حرم الله بدون حكم قضائي .

وتطبيقاً لمبدأ الهادي القائم على استحقاق الإمامة لمن قام بما ودعا إليها من هم من البطنين ذلك الفكر الذي أصبح كثافة هو الدافع وراء طموح عبد الله ابن المنصور علي في منافسة أخيه أحمد وجعل أيضا أحاهم الثالث محمد رافضاً لتوجيهات أخوه أحمد في فك الحصار عن عامل يريم وأطلق يده في المناطق الوسطى دون توجهات من أخيه .

كذلك نلاحظ انه في اجتماع علماء وصفوة صنعاء مع احمد ابن المنصور علي لم يقولوا بخلع المنصور علي رغم اتفاقهم على عدم قدرته على إدارة البلاد بل واتفقهم على أنه السبب فيما وصلت إليه البلاد من فساد سياسي وتدهور اقتصادي وبرغم موافقتهم على ما قام به احمد ابن المنصور من انقلاب عسكري على أبيه كل ذلك ولم يروا خلع المنصور من الإمامة وتنصيب ابنه .

أوردنا ذلك لإظهار مدى تسلط الفكر الهادي كموروث عبر الأجيال ومدى قدرة المستفيدين من هذا الفكر على كبت وإسكات أي فكر تجديدي .

وبعد وفاة المنصور ١٢٢٤ هـ - ١٨٠٩ م ، بويع المتوكل أحمد وكان أول من بايعه الإمام الشوكاني وهي بيعه كتحصيل حاصل فكان الحاكم الفعلي وبيده مقاليد الأمور.

وبدل بعد توليه الحكم وزرائه وأركان نظامه من أبناء وزراء أبيه أو من أبناء الهاشميين الذين كانوا يعملون مع أبيه كالعلفي والجرافي والمتوكل وعين ابنه الأكبر عبد الله البالغ ثمانية عشر عاماً عاملاً على ربه وما حولها.

عودة النزاع بين بيت القاسم وشرف الدين :

واستمراراً للصراع بين أديعاء الإمامة الناتج عن الفكر الهادي الذي ينطلق من مبادئ توجج الصراع أهمها ، أن الإمامة لمن قام بها ودعا إليها شاهراً سيفه ، وجواز قيام إمامان في آن واحد والخروج على الحاكم الظالم ذلك أوجب الصراع فيما بين أديعاء الإمامة فأضر بالهاشميين كما أضر بأبناء الشعب لأن كل إمام كان لا يُمكن الهاشميين من المناصب الهامة و يبطش وينكل بمن يعلوا شأنه منهم خوفاً من منافستهم على السلطة إلا أنه وجد خارج أو محتسب على أغلب الأئمة ونتيجة لهذا الفكر الذي أصبح ثقافة مجتمعية ، فقد عاد الصراع بين الأُسرتين وكان ذلك الصراع بين بيت القاسم وبيت شرف الدين منذ انتزاع بيت القاسم الإمامة ١٠٥٤ هـ بعد القضاء على بيت شرف الدين على يد العثمانيين ، وظل هذا الصراع في عهد جد المتوكل احمد المهدي عباس وأستمر مع المنصور علي وهامو الآن مع ابنه المتوكل احمد فبعد أن وجه جموع القبائل عام ١٢٢٣ هـ لإخضاع كوكبان وما حولها قبل وفاة أبيه بشهر واحد عاد آل شرف الدين للتمرد والصراع من أجل السلطة بوسائل عدة منها - التحالف مع الشريف حمود خيرات ومحاولة الاستقلال بدوله مستقلة وذلك عند شروعههم بصك عمله باسم أمير كوكبان وان يُخطب له في المساجد ونتيجة لذلك أرسل المتوكل احمد القاضي محمد بن يحيى السحولي فتفاوض مع أمير كوكبان وتم إيقاف صك العملة باسمه وان يُخطب في المساجد للإمام المتوكل وان يقطع علاقته بالشريف حمود وكان أمير كوكبان قد سمح لجنود الشريف حمود باستخدام الأراضي التي يسيطر عليها للانطلاق منها إلى حجة لنشر الدعوة الوهابية بتلك المناطق .

وأرسل إليهم أيضاً المتوكل احمد ، عبد الله بن محمد الأمير برسالة كتبها الشوكاني وهدأت الأحوال إلى مطلع ١٢٢٨ هـ - ١٨١٣ م.

فعاد آل شرف الدين وعادت آمالهم بالاستقلال من جديد فكيف يكون خضوعهم وقد توارثوا حكم هذه المنطقة كما توارث آل القاسم الإمامة و وفقاً لفكر الهادي لهم الحق الإلهي في الحكم وهم دعوا إلى الإمامة وقاموا بها فأين ذلك الفكر ، وأين أفعال

هؤلاء من قوله تعالى : ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ { الأنفال ٤٦ .
 وغاية وهدف المتصارعين هو الإمامة (السلطة) مهما كانت النتائج .

فتسفك الدماء وترهق الأرواح ويتصالح الطرفان والكاسب إحداهما والنتيجة هي نفسها يتحملها هذا الشعب ولوقوف بني شرف الدين جمع المتوكل احمد في صفر ١٢٢٨ هـ القبائل وتوجه إلى المناطق التي يسيطر عليها بيت شرف الدين^(١) كوكبان وما حولها" واستمرت الحملة ثلاثة اشهر وعاد ومعه شرف الدين بن احمد وأخاه عبد الله مع آخرين من كبار الأسر المنتفذة في المنطقة وكان الإمام الشوكاني مرافقا للمتوكل احمد في هذه الحملة كما رافقه في حملته الأولى وقد سجل لنا وصفا لما حصل لآل شرف الدين ليعتبر به أولي الألباب حين أنزلهم من كوكبان إلى مدينته شبام:

ويوم شبام قد رأيت مراعظ	تخبرنا أن الحياة غرور
رأيت السدھر طأطأ منهم	وطار بهم والطائرات تدور
وأنزلهم من معقل شامخ السدري	وعُطِّل منهم منير و سرير
ومن يأمن الدنيا يكن مثل قبايض	دخان وإمساك الدخان عسير

وأمنى آل شرفا الدين عاما أو أكثر قليلا في ضيافة المتوكل في صنعاء شبه مأسورين فآه ثم أه كيف يحكم الأئمة على الخارجين على طاعتهم من القبائل بضرب رؤوسهم بحكم سريع وبات وغير قابل للنقض كما رأينا سابقا عند أغلب الأئمة ويحكم على المتمردين من سلالتهم باستضافتهم أو استقبالهم بترحاب أو الخضوع لمطالبهم والإغداق عليهم بالهدايا والعطايا

وبعد ضيافة المتوكل احمد لبني شرف الدين عفا عنهم سنة ١٢٢٩ هـ .

وفوض شرف الدين في إداره المنطقة باسمه وكان شيعيا لم يكن وما يجدر بنا بإيلائه عناية هو وساطة الإمام محمد بن علي الشوكاني لآل شرف الدين لدى المتوكل (بإرجاعه بلاده على ما كان عليه ، وكثرت وساطته في ذلك حتى الهمة الله إلى ذلك)^(٢) والشوكاني كان كما ذكر قد نصح المتوكل بترك غزوته على حصن كوكبان (لأنه لاسبب شرعي يقتضي ذلك فصمم ولم يقبل).

(١) - زيارة - نيل الوطر .

(٢) - الشوكاني : الدرر الداللة .

إن رأي الشوكاني هذا كان نابعا مما أصل له الفكر الهادي والهادويون من بعده وذلك بجواز قيام إمامان في وقت واحد وفي هذه الفترة انتشرت ظاهرة بناء وتشيد القباب المرتفعة على القبور وكان الأئمة غالبا يقبرون في أماكن ملحقة بالمساجد أو في مقابر خاصة بهم ولا يقبرون في مقابر المسلمين ليضفي عليهم هالة من التبجيل والتميز حتى بعد موتهم (كثيرا من مساجد صنعاء مقبور بها أئمة أو أقربائهم مثل مسجد الأجر، وقبة المتوكل، مسجد الوشلي، مسجد صلاح الدين، وغيرها مثل مسجد الهادي في صعدة أو قباب تبني على القبور منفردة وبين ضريح نحشي مزخرف داخل القبة أعلى القبر مثل قبر أبو الفتح الديلمي بقرية خرابه الحاج ببلاد عنس، وقبر ابن القاسم في مدينة ريده وغيرها) لقب (بمهدي ريده).

رغم أن ذلك يخالف آراء الهادويه ومذهبهم، ولذلك طالبهم الوهابيون بهدم تلك القبور .

وذكر الإمام الشوكاني أن المتوكل ووالدة المنصور علي بل والشوكاني نفسه تلقوا رسائل من الأمير سعود يدعوهم إلى التوحيد وهدم القبور المشيدة والقباب المرتفعة، وقد قام المتوكل بهدم القبور والقباب المشيدة في صنعاء وفي كثير من المناطق المجاورة لها في دمار وما حولها وربما استجاب المتوكل لذلك ليؤكد للوهابيين بأنه لا يوجد خلاف فيما تذهب إليه الحركة الوهابية باستثناء التكفير للأخريين أو التعصب^(١) وكان ذلك عام ١٢٢٨هـ.

وفي عام ١٢٢٩هـ أرسل المتوكل أحمد حملة إلى تهامة بقيادة وزيره علي بن إسماعيل وأمر عامل حجة يحيى بن علي سعد بالزول من جانبيه.

ووقعت معارك بين قوات الشريف حمود خيرات والقبائل الموالية للإمام وعلى رأسها قبائل بكيل من ذو محمد وذو حسين انتصرت جموع الإمام في المعارك الأولى ولسبب أو لآخر أنسحب جزء من جموع الإمام وقد يكون لسوء القيادة أو لتراخ بين القبائل، فجمع الشريف حمود قواته وكانت الغلبة له وقد كاتب المتوكل احمد، - محمد علي باشا- وأظهر تأييده لحرب محمد علي باشا للدعوة الوهابية بإرساله السفن المتوفرة بالسواحل اليمنية حيث قال المتوكل احمد ردا على طلب محمد علي باشا لهذه السفن (إن هذا يسير غير عسير ومرام ليس بالكثير وقد أمرنا عماننا المحافظين على بنادرننا بأن يحملوا صحبه رسولكم الأغا يوسف كل ما وجدته هناك منها).

(١) - الدكتور العمري - مائة عام من تاريخ اليمن الحديث .

وقد وجد من ينوب عنه في إعادة المخلاف السليماني من يدي الشريف حمود وللقضاء على الدعوة الوهابية التي كانت وراء الشريف حمود ولم تعد قمامة إلى حكم صنعاء إلا بعد قضاء قوات محمد علي باشا على الدعوة الوهابية وسيطرتها على قمامة بعد ثلاث سنوات من وفاة المتوكل.

وفي عام ١٢٢٩هـ أيضا تمردت على المتوكل برط وأرحب ونهم وقبائل أخرى من بكيل وتوجهوا إلى قرب صنعاء ولكنه استطاع أن يشتتهم بالقبائل الموالية له وفي عام ١٢٣٠هـ ثارت قبائل من نهم يقودها هادي أبو لحوم وحاولوا الهجوم على صنعاء واستطاع أن يرجعهم إلى بلادهم^(١).

وقام في هذا العام أيضا بحمله على اليمن الأسفل حيث تمرد عليه احمد بن علي سعد الجماعي وحاول السيطرة على تلك المناطق نتيجة لعدم وجود حاميات بها لأن هذه الحاميات ستكلف الأئمة وهم يريدون جباية أكبر عائد ممكن من تلك البلاد.

المهدي عبد الله ابن المتوكل احمد ابن المنصور علي :-

ونورد هنا فترة حكمه مقارنين وسائل وأساليب حكمه بوسائل وأساليب من سبقوه التي تتمحور ديمومتها من تأثير فكر الهادي الذي تحول مع الأزمنة إلى سلوك يمارسه الأئمة بدون تغيير أو تطوير يتناسب مع تغير الزمان وتغيير احتياجات الناس وواقعهم. نُصّب المهدي عبد الله إماما عام ١٢٣١هـ / ١٨١٦م لم يتجاوز عمره ، الثالثة والعشرون ، وقد بدأ ولايته كوريث لأبيه مجسدا بذلك توارث سلالي بدون مرارة^(٢) وتحفي خلف شروط الهادي وبه والتي تنص على العلم وأن يبلغ مرتبة الاجتهاد وضرب بها عرض الحائط .

ونلاحظ ذلك في ترجمة الشوكاني له في البدر الطالع حيث قال (في كل حين يزداد كمالا) ،وأضاف (مع عقل تام وخصال محمودة وهو أكبر أولاد أبيه) وليس في هذه الصفات أي أشارات إلى علمه أو مشائخة ولا إلى بلوغه مرتبة الاجتهاد وغيرها من الشروط التي حددها الفكر الهادي فليس به غير شرط الذكورة والنسب وهذا يؤكد انحراف الأئمة عن الفكر الهادي مع الزمن ، فإذا كان الفكر الهادي قد أشترط شروط استحقاق الإمامة لمن هم من ذرية الحسن والحسين ، كتميز سلالي مخالف به ثوابت الدين الحنيف في العدل والمساواة فإن إمامة المهدي هي مخالفة المخالف بشكل تراكمي فقد

(١) - زياره - نيل الوطر .

(٢) - مائة عام من تاريخ اليمن - د. حسين العمري .

كانت توليته ناجحة عن الملك والوراثة والقوة وحب السلطان لا شروط الخلافة (الإمامة وشورى الأمة).

وكان يتصف بسرعة الانفعال واستخدامه عادة تغيير وزرائه وإبنائهم كما وصفه الجراح الإنجليزي (روبرت فينيلي) الذي زار صنعاء سنة ١٢٤٣ هـ - ١٣٢٨ م وعالج المهدي.

وقد بويغ كعادة أسلافه من قبل حاشية هذه الأسرة من وزراء وفقهاء وهؤلاء كدأهم المحللين للحكام، والمرتبطين معهم بمصالح والمنشأين على الفكر الهاودي وخاصة في الاستحقاق السلالي للإمامة فيمن هم من البطنيين لأن هذا الفكر أثمر علاقة تقوم على الشك والريبة والترص بين الإمام وأقربائه وبين الإمام والهاشميين.

وعليه فأن خوف الإمام هو ممن هم من نفس سلالة، وخاصة ممن هم من أسرته لأنه يحق لهم الخروج بالحسبة أو بالإدعاء للإمامة ولهذا فمبايعتهم للإمام عند تنصيبه أمر مهم وركيزة أساسية وأما بقية الشعب فهم تبعاً لذلك فمن يبايع من زعماء القبائل يكون مصدر قوة ضد من لم يبايع إذا خرج عن طاعة الإمام (التمثلة في دفع الجباية والقتال مع الإمام) ووفقاً لسلوك الأمة فأن أي متمرد أو خارج عن طاعة الإمام ولو حتى لم يبايعه أصلاً وحب قتاله لأن الإمامية لا تقوم ببيعة أبناء الشعب للإمام فهي حق إلهي لأبناء هذه السلالة رضي الناس أو سخطوا.

يقول الهادي^(١) "وليس تثبت الإمامة بالناس للإمام كما يقول أهل الجهل من الأنام إن الإمامة بزعمهم إنما تثبت للإمام برضا بعضهم وهذا فأحول الحال وأسمح ما يقال به من المقال بل الإمامة تثبت بتثبيت الرحمن لمن ثبتها فيه وحكم بما له رضي المخلوقون أم سخطوا شاعوا ذلك وأرادوه أم كرهوا" وإن من يرفض بيعة الإمام أو يخرج على طاعته يجب قتاله وينكل به أحياناً إلى درجه أعظم مما يوجب على الكفار. ودرجة العادة أن من يسموا بأهل الحل والعقد هم أبناء تلك السلالة وفقهاء الحاكم وشيوخ القبائل ذات القوة المؤثرة لفرض الإمام، أما بقية أفراد الأمة وخاصة المناطق الوسطى والغربية فليس لهم في هذا الأمر شيء واستمراراً لمسيرة النزاع بين أبناء الأسرة الحاكمة أو ممن هم من نفس السلالة عبر الأزمنة بدأ عصر المهدي عبد الله منذ أول يوم أنشاء تلقيه البيعة في قصر صنعاء إذ حضر بيت المهدي عباس على رأسهم طالب ابن المهدي عباس ورفضوا الدخول لمبايعته إلا إذا أطلق أملاكهم من الصوافي (المساحة الكبيرة من الأرض التي لا يخالطها أملاك

(١) - الأحكام "كتاب السير - الهادي يحيى بن الحسين .

الغير). وغيرها ويسلمهم البصائر (هي وثائق الملكية) ، ويبدو أن تلك الأملاك صودرت في عهد أبيه أوجده وغالباً في عهد جده وهذا أحد معالم النزاع داخل الأسرة الحاكمة فتوسط الإمام الشوكاني لدى المهدي عبد الله فوافق على مطالبهم لأن عدم تلبية طلباتهم سيتطور إلى قضية أكبر لأنهم من نفس الأسرة والسلالة كما أشرنا سابقاً وفي اليوم الثاني خرج إلى الروضة ووزع قطع الذهب والفضة عليهم بسخاء وبدخ .

ملاحح من بغى المهدي عبد الله:-

وفي الجانب الإداري فقد شابه جده في اتخاذ القرارات الطائشة في عزل وزرائه وقادته وعماله ومصادرة أملاكهم^(١) وبدأ ذلك بعد شهرين من توليه الإمامة وكانت هذه سمة لفترة حكمه ، التي بلغت عشرين عاماً وكان أول ضحية له وزير والده الحسن ابن علي بن عبد الواسع الذي نصحه بعدم توزيع المال والكسوة والهدايا فأرسل فتاه الأمير ميسور في ذي الحجة ١٢٣١ هـ فقبض على الوزير وصادر عليه سبعة آلاف قرش بدعوى أن الوزير سجن عامل صهبان حسن بن محمد الاكوع أيام التوكل بحجة أن لدى الاكوع دين لبيت المال .

ورغم تكذيب الوزير لهذا ورغم أنه ربما لا يستحق ما حل به .

إلا إن السلطة المطلقة مفسده مطلقة لأن حكمهم لا استئناف له ، وفي نهاية الأسبوع بعد صلاة الجمعة (١٨) ذي الحجة ١٢٣١ هـ خرج المهدي من الجامع راكبا فرسه وأتجه بالناس في موكبه حتى وصل إلى باب اليمن وهناك سابق وزيره عثمان بن علي فارغ ولعب معه بالحربة ساعة ثم توجه إلى ميدان القصر حيث وقف مع حاشيته مقابل جامع البكريه مستعرضاً للجنود وأهل البوادي ثم رجع إلى القصر وفي المساء أمر الأمير العبد فيروز المتوكل بأن يقبض على الوزير عثمان بن علي فارغ وأمر بتسمير وأقفال بيوت آل فارغ في صنعاء وجبله وذي سفال في أن واحد كما أمر الأمير العبد بفتح الله المتوكل بإخراج النساء من البيوت وتم مصادرة محتوياتها التي تم نقلها على الجمال إلى قصر المهدي وكانت آخر مفاجآت ذلك المساء هو تعيين حسن بن حسن العلفي وزيراً وإدخال الوزير فارغ السجن ولو كان عزل ذلك الوزير واتخذ معه تلك الإجراءات وعين بدله رجل صالح لرأينا في تصرفه بعض الرشد ولكنه عين بدلا عنه وزيراً عرف عنه الفساد في عهد جده المصور علي كما ذكرنا سابقاً ، كذلك قام المهدي بتغيير معظم المسؤولين في إدارة والده ونقل بعضهم إلى مناصب أخرى.

(١) حاف .

وكان يعزل ويصادر وأحيانا يسجن ثم يعيدهم إلى مناصبهم وقد حدث هذا عدة مرات ، وكان ممن عمل مع المهدي القاضي محمد بن علي العمري والفقير علي محمد العمري والفقير قاسم بن علي العفاري والفقير حسين بن محمد حنش وعين الأمير العبد ربحان المتوكل قائدا للجنود بدلا من ابن عمه احمد محمد المنصور وعزله بعد شهر مع قائد حرس القصر الشريف علي بن ناجي الجوفي^(١)

يلاحظ من ذلك تمتع الإمام بسلطات مطلقة وأن أوامره أحكام لا تقبل الاستئناف. وفي عهده يقول جحاف انه أعاد سنة ختان الصبيان ففي محرم عام ١٢٣٢هـ تم ختان صبيان المسلمين وكان قد ترك ذلك منذ أعوام.

وهذا مؤشرا على عدم قيام الأئمة بتوعية الناس بالسنن المحمدية ، وهذه سنة أجمع عليها المسلمون ، يختلف مذاهبهم وهذا مؤشر على تركيز الفكر الهادي وأتمته على بث ما يؤيد مصالحهم وييجل مكانتهم متغافلين عن تطبيق أحكام الشريعة الإسلامية وفي ذي الحجة ١٢٣١هـ قام بقطع رؤوس أهل قيفه (وهي قبيلة كبيرة من قبائل محافظة البيضاء) وعددهم ثمانية بأمر مباشر منه.

جلد وضرب الشريف علي بن ناجي حتى لقي حتفه

ومما حصل في عهده ترمد الشريف علي بن ناجي واعتصامه في ذهابان وذلك في صفر عام ١٢٣٢هـ وقد ذكرنا أنه كان قائد حراس القصر فأمر المهدي بعزله وحبسه في بيته (إقامة جبريه) وبعد ذلك عين المهدي الأمير علي بن مسعود الماس عاملا على المخا وأمر الشريف علي بن ناجي الجوفي أن ينظم إلى الأمير الماس في مهمته الجديدة لكنه تلمظ في الاعتذار ولكن المهدي أصر فنتظاهر الجوفي بالموافقة وخرج ليلحق بالماس ولكنه توجه شمالا إلى قرية ذهبان وكان يملك فيها بيتا على حصن وارض وبعد مضي أسبوع جاءت قبائل لهم وقضاة برط وذبحوا عقيرتين شفاعا للشريف علي بن ناجي فقبل المهدي على شرط أن يعود إلى بيته في صنعاء محبوسا ثم ينظر في أمره فذهبوا لأخبار الجوفي ثم عادوا واقترحوا عودة الرجل بضمانتهم وفي وجوههم على أن يكون من جملة الخيالة فزكى الاقتراح احمد ابن علي الجوفي واغلظ له الإمام القول فهرب من صنعاء وقصد الشريف علي إلى ذهبان .

(١) - جحاف .

وفي اليوم التالي أرسل المهدي أربع مائة جندي بقيادة حسن ابن يحيى المتوكل والفقهاء حسين بن محمد حنش ومعهم المدافع فهدموا البيت واستمر القتال فترة ثم أستسلم أصحابه وتمكن الجوي من الفرار إلى أرحب وتم إدخال ثلاثة وعشرين من أصحاب الشريف مغلولين إلى صنعاء ويبدو أن الشريف احسن الظن بالمهدي وسلم نفسه فأمر المهدي بسلب الرجل ونهبه ثم كانت نهايته المحزنة كما كتبها جحاف - قال:-

(ثم ضرب اسواط كثيرة ووطأ الخدم بأرجلهم - لعدم إحسانه إليهم وإطلاق لسانه عليهم) لعل ذلك كان أيام إمارته) فشاهد الموت عيانا ثم أقيم فلم يتم فحمل على رجل اسود ضربت عليه المرافع (الطبول) وطيف به بيتر العزب فمات في السائلة من صنعاء وجرى به إلى باب الإمام فأمر بدفنه (١)

قال "ص": (إذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة).

إن رحمة الإسلام شملت الحيوان فأين ذلك من أفعال المهدي عبد الله. ونلاحظ هنا قرارات المهدي عبد الله في جميع المجالات تتسم بالتهور والاستبداد والقسوة والانفعال فهو يبطش بسبب أو بدون سبب وهو لا يقبل النصيح من أحد كما فعل مع وزيره فارغ قال تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ أَخَذَتْهُ الْعِزَّةُ بِالْإِثْمِ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَيْسَ الْمُهَادُّ { البقرة ٢٠٦

كما أتسم عهده بتولية وتعيين العبيد الأمراء في مختلف مناصب الدولة ويلاحظ من تسييره للأمر بأنه الحاكم المطلق ولا يوجد قضاء أو قضاءه يصدر من الأحكام وفقا لأحكام شريعة الإسلام الحنيف ويؤكد ذلك اتخاذ قراره بإعدام أهل قيفه المتهمين بقطع الطريق بدون حكم شرعي وبدون إحالتهم إلى قاضي كون ما صنعوه إن ثبت حسب رواية جحاف فيه حكم شرعي لا يجب تنفيذه إلا بمحاكمه وحكم.

أن الحق الإلهي في الحكم لهذه السلطة الذي أصله فكر الهادي قد أوصل مثل هذا الإمام إلى درجة لا يقبل معها النصيح من أيا كان قال تعالى: (قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ { غافر ٢٩

وإن الهالة والتبجيل التي نشئ عليها المجتمع على أيدي فقهاء الحاكم وبالذات في مسألة الإمامة واستحقاقها وصلاحيات الإمام قد أدى إلى تكميم أفواه العلماء وتشقة المجتمع على القبول والطاعة كمنذهب ديني الراض له يصل وصفه إلى حد الكفر. ويظهر ذلك من البيان الذي أصدره المهدي في صنعاء بعد انتصاره على عمران والجنات

(١) - سورة المهدي: ١٠-١١ حوليات: ١٥.

التي رفضت الخضوع لحكم المهدي عبد الله حيث قال (الحمد لله الفاتح لمغلقات الحصون المبرم للأمر بين الكاف والنون ، مانح النصر والظفر ومبيد من جحد النعمة وكفر والصلاة والإسلام على المؤيد بنصر الله وفتحته، محمد الذي جعل الله رزقه تحت ظل الرماح والسيوف الباترة الليوث العار به الكاسرة . . الخ) ونلاحظ أن المهدي قد وسّم من خالفه وخرج على ظلمه بأنه جحد النعمة وكفر وأكمل متباهاً بالتنكيل بالقتلى مخالفاً شريعة الإسلام حيث قال (واهتزرت رؤوس شياطينهم امتلأت البيطحاء بأشلاء أساطينهم وأحضرت الرؤوس إلى الحضرة) وواصل دفع القبائل الموالية له وعلى رأسها بني جبر من خولان فدخلت مدينة عمران ووافقت على دخولها تحت طاعة الإمام وأن تفتح أبوابهم بشرط استبعاد بني جبر من خولان من الدخول وفي ١٤ ربيع أول ١٢٣٢هـ قامت القبائل الموالية للإمام بالمحجم على الجنات ودك تحصيناتها وماريسها بالمداغ وحرت معركة قتل فيها عامر الشنبيكي ومحمد رضوان ومقبل الشجمه وآخرين .

وبعد ذلك قام المهدي بالتوجه إلى حاشد وفي طريقه هدم دار احمد بن علي الضلعي في عيال سريخ وزار الجنات وريدة وحمة وأمر بدم القلاع والتحصينات من بينها حصن شاجر الذي قاتل به شيخ خارف القفيلي.

وبعد استسلامه أخذه معه خمسة وثمانون وضعوا مع آخرين من الجنات في سجن عمران.

وصل المهدي إلى شاجر فأطلع على عدد القتلى وعلى التحصينات التي أمر بدمها وكان قد أمر بدم سور عمران ثم تراجع وأرسل السيد علي بن حسن الدرّة لهدم حصون عيال يزيد فوجد مقاومة فدفع النقيب هادي ابن علي بن ابي حوم مع ألف مقاتل من أصحابه فرضخت عيال يزيد وهدمت الحصون والقلاع وفي أثناء ذلك حصل قتال بين أهالي قيفه فأرسل المهدي أبو حليقه ومعه ألف من مقاتلي خولان لإيقاف القتال وكان قد توسط لحل القضية علي بن ناجي القوسي شيخ الخداء والشيخ سعد مفتاح غير أن عامل رداغ لم يعجبه ذلك ، وربما كان له مصلحة في العراغ فنفذ أوامر المهدي وسجن المصلحين وواصل أهل خولان قتال أهل قيفه وبعد ذلك قام هذا الإمام المتقلب المزاج بسجن أبناء عمه ثم عم أبيه.

وفي يوم الخميس ١١ شعبان ١٢٣٢ هـ تجمعت قبائل أرحب واتجهت للمحجم على صنعاء يصحبها الشريف علي بن ناجي الجوفي فهجموا على شعوب وبعض ضواحي

صنعاء ، فخرجت لهم جنود المهدي والقبائل الموالية فترجعوا إلى جدر شمالا .
 ونتيجة لذلك دفع المهدي ثلاثة آلاف من حولان^(١) بقيادة النقيب حسين أبو حليقة نصفهم
 تحت قيادة النقيب الصوفي ونصفهم تحت قيادة النقيب القري وجمع أيضا قبائل من جبل
 عيال يزيد وعيال سريح وقبائل همدان وبني مطر وسنحان وأستعرض هذه القوات في
 الروضة يوم ١٨ شعبان وكانت أرحب قد تحالفت مع بني جرmoz ونتيجة للجمع الكبير
 الذي جمعه المهدي توسط أهالي أرحب بمظفر خليل شيخ من همدان على أن يقدموا
 العقاير والرهائن ويدخلوا في طاعة الإمام وإرجاع من تحالف معهم وهم بني جرmoz
 ولكن المهدي رفض فاستغاثت أرحب بقبائل بكيل فساندها ذو محمد وذو حسين فإذا
 كان الله قد أمرنا بوقف القتال والجنوح إلى السلم إذا طلب الصلح من لا يشاركنا الملة
 من الكفار والمشركين قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْتَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ
 السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ الأنفال ٦١

{وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ }
 البقرة ١٩٠

فإذا كان هذا منهج الله في حرب المسلم مع الكافر فالأجدر الخضوع له والعمل به في
 حرب المسلم للمسلم وحدد الرحمن ما يجب على المسلمين فعله في مثل هذه الحالة ، قال
 تعالى :

{وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى
 فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَبْغِيَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءتْ فَأصلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ
 اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ } الحجرات ٩

فهاهي أرحب توسط مظفر خليل شيخ من همدان وتلتزم بتقديم العقاير والرهائن
 وتلتزم بالدخول في طاعة الإمام وإرجاع من تحالف معهم إلا أن الإمام يصبر على الحرب
 ومن خلال الآيات السابقة يتضح أي من الفريقين يجب على الناس قتاله .

ولرفض المهدي عبد الله الصلح قامت المعركة ونجح في إشعال فتنة من أكبر الفتن بين
 القبائل مزقت الممزق فدمر حصون وقرى أرحب ودفع لمن أحضر أول رأس من أرحب
 عشرة ريالات ومشخصين ذهب وقد قامت معارك بين همدان وأرحب وبين ثم
 وأرحب وشارك ضد أرحب سنحان وبني مطر ولم تستطع تلك القبائل هزيمة أرحب

(١) - مائة عام من تاريخ اليمن - د. حسين العمري .

لتحصنها وشدة بأسها إلا بعد ضرب حصونها بالمدافع وكان المهدي قد أحر إحضار المدافع التي كانت ستحسم المعركة مما أدى إلى قتل أكبر عدد من الجانبين.

ويوم الاثنين ٢٩ شعبان شددت القبائل حصارها وهجومها على أرحب فقتل (١٨٠ قتيلًا).

وعاد المهدي في ٤ رمضان وذكر جحاف أنه أحضر معه الأسرى من كبار أرحب وأحفظ بقليل منهم وقطع رأس الشيخ العذري ولم يصم رمضان لأنه كان منهكا.

فأين هذا الإمام مما سنه علي كرم الله وجهه في حرب المسلم للمسلم . الذي لخصه في الآتي :-

لا نقاتلهم حتى يقاتلونا (لا نبدأهم بقتال إذا تركونا) لا يقتل أسيرهم هم ولا يتبع مديبرهم ولا يؤسر مهزومهم ولا تسي ذراريهم ولا تنهب أموالهم ويصلى عليهم ووصفهم بقوله "إخواننا بغوا علينا" ولم يكن علي كرم الله وجهه يمنع مخالفيه من دخول المساجد .

فلما لم يتميزوا باقتفاء أثر علي كرم الله وجهه بتطبيق أقواله وأفعاله .

غدر المهدي عبد الله بذو محمد وذو حسين :-

(١) وتساعد بخي المهدي وظلمه من القسوة والبشاعة فأضاف لما سبق المكر والخديعة فأرسل إلى قبائل بكيل (ذي محمد وذي حسين) وطلب منهم التوجه إلى صنعاء بغرض إعداد حملة عسكرية ضد الشريف حمود لاستعادة تهامة التي كانت تحت سيطرة هذا الشريف الخاضع للدعوة الوهابية بقيادة ابن سعود فوصلت أعداد كبيرة من القبيلتين وأستقبلهم المهدي وأكرم وفادتهم وقرر لهم مرتبات كافية، إلا أن القبائل بعد أن أمرهم المهدي بالتوجه إلى تهامة طالبوه بالمزيد من المال وغالوا في الشروط فمنع المهدي مغادرتهم العاصمة حينئذ استشعروا الخطر وأنهم أصبحوا أسرى داخل أسوار المدينة وقام زعيمهم النقيب علي بن عبد الله الشايف بكتابة رسالة إلى المهدي يهدده فيها بأنه ما لم يسمح للقبائل بمغادرة صنعاء إلى ديارها فليس لهم من خيار غير القتال وأن دار المهدي نفسه ستكون أول أهدافهم.

وذكر صاحب الحوالياث أن اعتقاد القبائل كان قائما على أن المهدي ووزيرة العفاري خائفان منهم ولن يتخذوا ضدهم أي أجراء.

(١) - جحاف - حوالياث .

وفي يوم ١٧ ربيع الأول ١٢٢٣ هـ الموافق ٢٦ يناير ١٨١٨م أستدعى المهدي كبار رؤساء القبائل وحصل بينهم حوار شديد أمر على أثره بحبسهم إلى الليل بأسفل داره ثم ساقهم إلى السجن ثم حاول في اليوم التالي إرسال القبائل بقيادة أحد الموالى الأمير فتح إلى تهامة لكنهم رفضوا .. مضت خمسة أيام فلم يتوصل إلى حل فأستدعى المهدي الشايف وأمره بالتوجه إلى تهامة فكان رده بالرفض وأجاب مهدياً بأن صنعاء مملوءة بأولاد غيلان وأنهم غير ممتثلين للأمر وكانوا منتشرين في حارات الوادي وشعوب وسمرة وصمموا على إطلاق سجنائهم واستعدوا للقتال فأمر المهدي بلوره الجنود لمحاصرتهم وأرسل المدافع إلى حارة سمرة ثم أمر بالصائح عليهم (أي هدر دمائهم) وكان شيخ الإسلام الأمام الشوكاني يستعذ من هذا الأمر ويكرر الكتب إلى الإمام ويعرفه عواقب ذلك وأنه لا يتم ما يراد منهم.

مضى ذلك اليوم والحصار شدد على القبائل وفي الليل أرسل من أوهمهم بأن باب شعوب مفتوح فشدوا رحالهم وأمتعتهم وتوجهوا صوبه فإذا الرصاص منهمل عليهم وسدت عليهم مضائق الطرقات والحارات فقتل منهم خلق كثير ولم يجدوا من تبقى بجالا للفرار فالتقوا بأنفسهم من الأسوار إلى خارج المدينة فجرحوا وتكسروا وأصابهم من البلاء ما لا يعرفون وبقيت منهم بقية من بني الشايف وبني جزيلان وغيرهم في بيوت وسماسر ففروا تلك الليلة ولحقوا بأصحابهم إلى أرحب يطلبون الأمان وخلفوا ورائهم مائتان من الخيول العربية النجبية وستمائة ناقة من البيض المهجان وكمية كبيرة من الأسلحة والعتاد بالإضافة إلى ما انتهبه العامة من المتاع وبعض البضائع كانوا هم أنفسهم انتهبوا من أهل صنعاء وبقي منهم في صنعاء خمسمائة سجين معظمهم كبرائهم .

ويظهر شدة العداء المتبادل بين أهل صنعاء وبرط من استجابة أهالي صنعاء لدعوة الهادي وهذه مرحلة أصبح فيها المجتمع نتيجة لبغي وصراع الأئمة على الحكم في حالة عداء وتربص المدينة للقبيلة والعكس والقبيلة للقبيلة والشمال للوسط والغرب ولم يكفي المهدي بذلك فأمعن في التنكيل بهم ثم طلب المهدي خولان فوصلت إليه بأعداد كبيرة فأكرمهم بالمال وأعطاهم الخيل.

وهكذا يغدر ويقتل وينكل قبيلة ويحتمي بالآخرى ومن المرجح أنه لم يفعل ما فعله بنو محمد وذو حسين إلا بعد أن ضمن ولاء خولان أو لوجود عداء بين خولان وهذه القبيلة وهذا دأب الأئمة .

وبعد ثلاثة أيام من الحادث عمم المهدي بيانا على عماله يشرح ما حدث ويعد ويتوعد حتى يهرب بذلك بقية القبائل وبكيل نفسها إذا حاولت الانتقام .

ونورد مقتطفات من هذا التعميم الذي يظهر بكل جلاء فكر الهادي الذي رسخ في فكر وخطاب الأئمة جيل بعد جيل بالإضافة إلى إظهار خشونة الأوصاف وعدم لياقتها برسول الله (ص) والتي تصور أسلوب الحاكم وعقله وتفكيره حيث يقول في تعميمه ((الحمد لله القاهر فوق عباده المنتقم من حاد عن طاعته وارشاده والصلاة والسلام على الماحي لرسوم الكفر، الكاسر لأوتاده، نبينا محمد القامع لأعدائه وحساده وعلى آله الذين جعلهم الأئمة لعباده في بلاد)).

ويوصف المهدي ما فعله برجال بكيل في البيان الذي أرسله إلى عماله في كافة المناطق (وأبجنتهم للخاصة والعامة وأوقعوا بهم قتلٌ وسلباً وأزلبوهم طعنا وضربا فناحت عليهم النوائح وضربت الأزقة عليهم الصوائح).

وحامت الطير على جثثهم وما زالت تمجم عليهم الغوائر والكثير منهم القوا أنفسهم الليل من الدوائر فوقوا على الذل والهوان وتكسروا من أعلي البنيان) هذا ما تباهي به المهدي من أفعاله برجال ذو محمد وذو حسين.

وفي يوم الخميس (١٥^(١) ربيع الثاني / ١٢ فبراير أمر بإحضار النقيب علي بن عبد الله الشايف من سجنه في القصر إلى بستان المتوكل وفي آخر النهار أمر بقطع عنقه وعلقت جثته لثلاثة أيام.

ولزيد من الإذلال ولأهانه فقد دفنت بعد ذلك في محل القذارات والنجاسات في مكان بين باب شعوب وبئر البانيان خارج سور المدينة.

وتجدر الإشارة إلى أن آل الشايف عملوا فيما بعد ربما في مطلع هذا القرن على أقامه ضريح مرتفع في هذا المكان وقد بقي معروفا حيث زحفت حوله المباني الحديثة.

جر عمل المهدي هذا (الذي كان فتاكا لا يبالي بالعواقب كما وصفه الكبيسي إلى نتائج وخيمه وقد عمل زعماء برط إلى إثارة القبائل وطلبوا العون والتأييد من حلفائهم للثأر وغسل العار الذي حل بهم وسيطر الخوف والقلق على صنعاء وضواحيها وأستدعى المهدي القبائل وعلى رأسها خولان لحماية شعوب والجراف والروضة شمال صنعاء متوقعا هجوم قبائل بكيل من هذه النواحي وهي الجهة المتوقع الهجوم منها وقد طالت مدة الانتظار حيث مر شهران ولم يظهر أي ردة فعل من بكيل وفي يوم خمسة عشر جماد الآخر ١٢٣٣ هـ قامت قبائل بكيل بقيادة النقيب حسين بن عبد الله الشايف بالهجوم في منتصف الليل من الجهة الغربية جهة باب القاع وتسلقوا الأسوار بسلام أحضروها

(١) - مالا عام من تاريخ اليمن - الدكتور حسين العمري .

ونقبوا في السور وعبروا منها إلى بئر العزب وكان هذا عنصر مفاجئ للذين كانوا يدافعون عن المدينة حيث لم يتوقعوا الهجوم من هذا الاتجاه لأن أهالي بئر العزب لم يشاركون في استباحة قبائل برط ولأن سكان بئر العزب هم جزء من قبيلة بني مطر.

وليسوا من أهالي صنعاء إلا أنه يوجد بينهم عدد من أهالي صنعاء الميسورين قد بنواها بيوتا وامتلكوا بساتين.

وهكذا هجمت قبائل برط على بئر العزب وبدأو بنهب منازل اليهود ثم المسلمين وقتلوا أكثر من خمسين رجلا وعددا كبيرا من الجرحى. وكان يحيط بصنعاء سور آخر يفصلها عن بئر العزب وبه بوابات لا يمكن اقتحامها .

وكان انتقام بكيل في غير محله فالإمام وحاشيته داخل قصورهم محتمين بأسوار صنعاء أما قبائل خولان التي جاءت لمساعدة المهدي في حماية صنعاء فقد شاركت أهالي برط في نهب بئر العزب وتكرر هنا ما ذكرناه سابقا من أن القبائل وصلت لدرجة من الجهل لا تفرق بين النتيجة والسبب ولا بين الجاني والجني عليه.

ذكرنا ذلك ليس لمجرد التباكي على ما وصلت إليه الأمة نتيجة لمثل هذه الأحداث بل للدراسة المنهجية الجادة ولأخذ العبر من التاريخ .

وبالذات العمل على إزالة المفاهيم المنحرفة للفكر الهدادي القائم على التمييز السلالي والصراع من أجل السلطة⁽¹⁾ وبعد ذلك كتب مشائخ برط إلى شيخ الإسلام الشوكاني يهنؤونه بسلامته وقد كان من سكان بئر العزب (واستطاع النجاة إلى صنعاء قبل أن تصل إليه قبائل برط) وطلبوا منه السعي لإطلاق السحناء وإرجاع خيلهم وأبلهم وسلاحهم الذي أخذ منهم في صنعاء المرة السابقة.

ورجعوا إلى بلادهم فقام الشوكاني بتلك المهمة وقام المهدي بعزل الوزير العفاري وسجنه وعين بدله حسين حنش على اعتبار أن العفاري هو السبب فيما حل بقبائل برط في صنعاء لتعامله معها بحماقة ودون تروي أو استشاره وهذه نفس الأعدار التي استخدمها المنصور علي جد المهدي بسجن الوزير العلفي لتهدئة ذو حسين بقيادة القاضي العنسي كما سبق .

ويبدو أن هؤلاء القضاة والفقهاء كانوا الأئمة يستخدمونهم كواجهات يلقون عليهم عواقب أخطائهم.

(1) - مائة عام من تاريخ اليمن - د. حسين العمري

كما كانوا يستخدمونهم عبر الأزمنة لبث الفكر الهادي ولتبجيل الأئمة وإضفاء الهالة عليهم .

إن تحميل العفاري المسؤولية ماهو إلا مكيدة سياسية لأن المهدي هو صاحب الأمر والنهي وكما رأينا فيما سبق أنه لا يقبل حتى المشورة.

ولإكمال الاعييه أمر بقطع رأس العفاري لولا تدخل الشوكاني الذي رأي سجنه يكفي لتهدئت من خواطر برط وهكذا نجح المهدي في تهدئة برط وبعد أخذ ورد توصلوا إلى اتفاق يتم بموجبه إطلاق سجناء بكيل وسمح لكبار برط وبينهم النقيب عبد الله أحمد الشايف.

وأعاد معظم ما أخذ منهم وتم ذلك في ٣ رجب ١٢٣٣هـ فخرج من في السجن وانظموا إلى أصحابهم في بئر العزب وغادروا إلى بلادهم بعد ثمانية عشر يوماً عانى فيها أهالي بئر العزب الويلات وهكذا زرع الفتنة الهادي فسفكت دماء أهالي برط في صنعاء وعاد أهالي برط وانتقموا من أهالي بئر العزب بلا ذنب فليس لهم في العير ولا في النفير.

والمهدي في قصره المنيف ، كل تلك الفتن قد امتتها الأئمة كمنهج جيل بعد جيل وكرسوا جهدهم في تجهيل هذه الأمة وزرع العداوة و البغضاء بين أبناءها عملاً بالفكر الهادي ونتيجة لذلك لم يؤثر الزخم الفكري وخاصة منه التصويبي والتجديدي لعلماء أمثال الشوكاني وابن الأمير الصناعني وغيرهم.

وهم من عاصروا هذه الفترة لعدم وجود المتلقي لهذه الأفكار لأن نتاج العلماء كان يدور في نطاق الإقطاع الفكري المحصور في سلالة الأئمة وفقهائهم وقضاةهم والمؤطر في نطاق فكر الهادي لما يجب بثه في العامة.

إن حقوق الإنسان اليمني المسلم التي ضمنها دين الإسلام الخنيف قد قضى عليها بعاملتي الجوع والخوف هذان العاملان كانا وسيلة وهدف الأئمة عبر العصور للوصول إلى السلطة وحقن الأئمة ذلك بوسائل وأساليب عده على رأسها الجهل وزرع العداة المتبادل بين أبناء اليمن.

وانقسمت اليمن إلى قسمين جائع وخائف، فأهل المدن خائفون يحتمون بأسوارهم من جوع القبائل وأهل المناطق الخصبية خائفون من سلب عمال الإمام وأتباعه وخائفون من غزوات القبائل الجائعة .

وجوع القبائل القاطنة في البلاد غير الخصبة جعلهم يتحصنون في الجبال والحصون والقلاع خوفاً من تأليب الإمام للقبائل الأخرى عليهم والتي كانوا قد هجموا عليها ،

والكل جائعون والكل خائفون والأئمة وحاشيتهم في القصور مترفون ، وكل شيء واجب على الشعب نحو الإمام ولا واجب على الإمام نحو الشعب.

ومما يلفت الانتباه أنه لم يتم مهاجمة قبائل بربط وما يتبعها في منطقة الجوف على أرضها خلال أغلب العصور وكانت هي المنطلقة للهجوم كل تلك الأحداث والفن التي سببها بغبي وحماقة أغلب أئمة آل القاسم وخاصة المنصور علي وحفيده المهدي عبد الله وجزء كبير من اليمن قد أنتزع منهم وسيطرة عليه الدعوة الوهابية بقيادة ابن سعود.

ولو كان لديهم أدنى حكمة لفظنوا إلى أن أسلم الحلول هو إخراج القبائل المتذمرة والناثرة على حكمهم إلى القتال لإعادة هامة والمخلاف السليماني وكان هذا هدف كافي لهم شمل تلك القبائل تحت راية واحدة بدلا من تدميرها فيما بينها ولو سخرت الأموال التي أنفقت ببذخ وترف في بناء القصور من قبل الأئمة ووزرائهم لتعليم الناس منهج الله القائم على العدل والحرية والمساواة والوحدة ، عاشت اليمن في سلام وكان لهذه البقعة من أرض الإسلام ماكان غيرها (دمشق، بغداد ، القاهرة ، إسلامبول) من رقي وتقدم ورخاء .

إن دفع الأئمة للقبائل الشمالية والشرقية للقتال مقابل ما سينالونه من مغائم نتيجة لنهب وسلب المناطق التي يوجههم الإمام إليها أصبح ناموسا يمارسه الأئمة .

ذلك كان السبب في رفض المهدي إعطاء قبائل بربط نفقات للتوجه لقتال الوهابيين في هامة .

إن هذه الجموع البشرية الهائلة للقبائل وقدرتها القتالية العالية والزرعة الثورية لديها لو أحسن استغلالها من أحد الأئمة وخاصة لو أشعروا بالمساواة وأن الإمام منهم واليهام ونزعت من أفكار الأئمة نظرة الدونية لهم ولو استطاع أي إمام أن يجمعهم على هدف غايته نبيلة لكان قادرا أن يطلق بهم إلى خارج اليمن وبذلك كان يمكن أن يجعل من اليمن مركزا للخلافة .

وقد توفرت العديد من الفرص عند ضعف مركز الخلافة (كما فعل المماليك عندما جمعوا المصريين ووقفوا أمام التتار وهزمهم).

ويثبت لنا التاريخ أن استغلال جموع القبائل اليمنية في الفتوحات الإسلامية كان عاملا رئيسيا في النصر زمن الخلفاء الراشدين والدولة الأموية والعباسية .

ولكن عدم وجود فكر ونهجا ديني قويم للأئمة جعلهم غير قادرين على جمع اليمنيين وتوحيد صفوفهم تحت قيادة أي منهم .

وقد توفرت الفرصة لبعضهم مثل المتوكل إسماعيل والإمام يحيى إلا أن عدم توفر صفة الزعيم القدوة القائم حكمه على العدل والمساواة واستخدامه أسلوب إخضاع فئة من الشعب بفتنة أخرى قد جعله في حرب مستمرة مع أبناء هذه الأمة فلا تهاداً منطقة إلا وتثور وتمرد عليه منطقة أخرى .

وعودة إلى حالة اليمن في عهد المهدي عبد الله فقد استمرت تهامة تحت سيطرة الدعوة الروهابية بقيادة ابن سعود إلى أن تم القضاء عليها بدخول العساكر المصرية بزم من محمد علي باشا واسر زعيمها الأمير الوهابي عبد الله بن سعود ثم أخذ إلى الأستانة حيث أمر السلطان محمود الثاني بإعدامه (*) وقبل ذلك بقليل توفي الشريف حمود خيرات بتاريخ ١٤ ربيع ١٢٣٣هـ .

وبذلك انتهت الدعوة الروهابية والدولة السعودية الأولى وبالتالي انتهى دور أسرة الأشراف من آل ابي مسمار في منطقة عسير والمخلاف السليماني.

وحينها دخلت قوات محمد علي باشا ولاحقت من تبقى من أبناء الشريف حمود واستولت على أبي عريش بمنطقة عسير إلى أن وصلوا زبيد جنوباً.

وأرسل محمد علي باشا في ربيع آخر ١٢٣٤ هـ إلى المهدي عبد الله يزف بشرى هزيمة احمد ابن الشريف حمود ويعترف له بأن مراسلته مع والده المتوكل تؤيد حق صنعاء في تهامة ، إلا أن من الضروري دفع مبلغ من المال كل سنة مقابل إعادة كل ما كان تحت سيطرة الشريف حيث يقول (فالذي عندنا من الصواب أن ما كان يرسل به في الزمن الأول تجنوه وتزيدون ثم أبلغه أن قائدة خليل باشا هو المسؤول عن التفاوض في أمر التسليم لتهامة وكل الأمور المتعلقة بالموضوع^(١)).

وكلف المهدي قاضي قضاته الشوكاني بالتفاوض مع مندوب محمد علي باشا وكان محمد علي باشا قد طلب مائتي الف ريال فرانسى وثلاثة ألف قططار من البن ترسل سنويا إلى مطبخ السلطان مقابل إعادة المخلاف السليماني و تهامة وبعد تفاوض ومراسلات وافق المهدي على طلب محمد علي باشا وكان التفاوض يدور حول تخفيض كمية البن وان تسلم المئتي ألف ريال ، على دفعات ولكن محمد علي باشا رفض تخفيض البن وقال (لقد أعطيته بدل البن بلادا واسعة في نظير المقدار من البن المتفق عليه).

(*) - الرافعي (عبد الرحمن) تاريخ الحركة القومية .

(١) - ذكريات الشوكاني .

أما المال فقد سُلمت المائة ألف ريال الأولى المعجلة بواسطة مندوب المهدي القاضي محمد بن احمد الحرازي لمندوب القائد العثماني خليل باشا وحرر صك الاستلام بالمبلغ بتاريخ شهر شوال ١٢٣٤ هـ^(١).

وتم استلام المنطقة كلها من خليل باشا بإسثناء أبي عريش التي وافق المهدي أن يحكمها باسمه الشريف علي بن حيدر وعادت سيطرة إمام صنعاء على كل أراضي تهامة قرابة ١٤ سنة حتى ١٢٤٨ هـ .

ونود أن نشير هنا أن هؤلاء الأئمة كان اختصاصهم الرئيس هو دفع الأخ لقتل أخيه، بتأليب قبيلة على أخرى دون أدنى مسؤوليه في الدفاع عن محكمون بل يستدعون من يغزوا هذه البلاد إذا كان في مصلحتهم كما رأينا ما قام به شرف الدين من استدعاء المماليك وكما استدعوا الأيوبيين ولا هم لهم إلا الوصول إلى سدة الحكم والترف في قصور صنعاء .

فقد انتزعت تهامة والمخلاف السليماني من عهد المنصور علي إلى عهد حفيده المهدي عبد الله ولو كان جمع حمايتها ما جمع لحرب أرحب من القبائل لكان كافيا لإعادة المخلاف السليماني وتهامة إلى اليمن.

إن نظرهم الضيقة في حكم هذه البلاد والتمثلة في حماية أماكن إقامتهم وجباية الأموال جعلت اليمن مفعول به وليست فاعل منذ دخول الهادي .

فكما ذكرنا أستمروا تخضوع تهامة والمخلاف السليماني لحكم المهدي عبد الله حتى العام ١٢٤٨ هـ عندما ثار ضباط جيش محمد علي من الترك بقيادة بلماز علي والي الحجاز حور شيد بك في أثناء خروج محمد علي على الأناضول واندلعت الحرب بين جيش محمد علي وجيش السلطان العثماني في بلاد الشام فأمر السلطان العثماني بتولية بلماز لكن محمد علي باشا، أرسل قوة عسكرية إلى جده فهرب تركي بلماز إلى عسير فتهامة فاستولى على مدن الحد يده والمخا وزبيد.

(وهزم عساكر الإمام بسهولة لقلة أعدادهم نتيجة لعدم اهتمام الإمام بتلك المناطق ولشحة في الإنفاق على تسليح وتأهيل الجيش لأن الأئمة إعتادوا على تسخير القبائل لإحضار تهامة مقابل ما يسلبونه.

(١) - المنار واليمن - ص ٨٥ - ٣١١ - الدكتور حسين العمري .

إن ذلك ناتج عن النظرة الضيقة للمهدي عبد الله بأهمية إنشاء حاميات في هامة وهي منفذ اليمن على البحر الأحمر وكان هذا دأب الأئمة من قبله كما ذكرنا).
 وقبض بلماز على عمال الإمام وأعدم منهم ولم يجرئ الإمام ساكن ولم يستشعر مسؤوليته أمام الله حتى أخرجت هذه الشرذمة قوات أحمد يكن باشا والي الحجاز من قبل محمد علي باشا في العام التالي ١٢٤٩ هـ مع قوات الأمير العسيري علي بن مجتهد حيث حاصروا تركي بلماز في المخا حتى استسلمت جماعته وهرب هو مع أحد السفن البريطانية ثم حاول، الأمير علي بن مجتهد السيطرة على المنطقة فأجبره القائد المصري على تسليم المخا لقواته.

واستمرت قوات محمد علي باشا في السيطرة على هامة واتخذت الحد يده قاعدة لها إلى ما بعد وفاة المهدي.

* استمرار صراع القاسميون على الإمامة :-

وفي الجانب الآخر فإن فكر الهادي الذي أصل لصراع أبناء الأسرة الحاكمة بمبدأ الخروج والسياف على الحاكم لمن هم من أبناء هذه السلالة ولتأصيله لمبدأ جواز قيام إمامان ، ولتهيؤ المناخ نتيجة لبغي وهثور المهدي عبد الله وتذمر القبائل ولعدائها فيما بينها نتيجة لما زرعه الأئمة من تسليط قبيلة على أخرى .

فقد خرج وأدعى الإمامة يحيى ابن المنصور علي سنة ١٢٤٥ هـ - ١٨٢٩ م وهو عم المهدي عبد الله (والتجأ إلى أرحب وحاولت أرحب التوسط بينه وبين المهدي ولكنه رفض وجمع القبائل على أرحب وقتل العديد من الجانبين وهزمت أرحب وفر يحيى ابن المنصور إلى هامة^(١))

وكانت حملة المهدي بقيادة الشريف علي بن ناجي الجوفي الذي قاتلت أرحب من أجله في المرة الأولى ، وهذا الشريف وأقربائه قد أعدمهم المهدي وصادر أملاكهم وقطعت رؤسهم في ٢٥ صفر ١٢٤٥ هـ ، وكذلك خرج عليه أحمد بن السراجي وكان هذا من أهل الخيبر والتواضع إلا أنه من المبالغين في التشيع مثل محمد بن صالح السماوي المشهور بابن حريوه المبالغ في خصومته للمعتدلين من العلماء مثل الشوكاني وعلماء أهل السنة فغادر السراجي صنعاء سنة ١٢٤٧ هـ ومعه مجموعته من هذه السلالة وبعض فقهاء الهادويه.

وقام بالتجول بين القبائل ودعا إلى الرضي من آل محمد (وبما بثه الفكر الهادي في أدبيا

(١) - حواريات ٤٤ - المجلد

ته أن آل محمد هم هذه الأسر التي وفدت إلى اليمن منتسبة إلى الحسن والحسين ويرى إجماع المسلمين أن آل محمد هو كل من قال لا اله إلا الله محمد رسول الله وعمل بحقتها) ويؤكد ذلك نشوان الحميري بقوله:

آل النبي هم أتباع ملته من
الأعاجم والسودان والعربي
لو لم يكن آله إلا قرابته صلي . المصلي على الطاغني أبي لهب

وعودة إلى السراجي :-

فبعد ثلاثة أشهر من دعوته ناصرته قبائل من خولان وارحب ونهم وحاشد وبكيل^(١) ولقب نفسه بالهادي وجمع القبائل وتوجه إلى صنعاء من نهم. ولكن المهدي استطاع أن يشتت جموع القبائل من حول ، صنعاء بإقناعهم ببطلان ما يدعوا إليه هذا الخارج وأهمها إغراق العطايا على رؤساء القبائل فعاد السراجي إلى نهم وانتهى أمره بقتله سنة ١٢٥٣هـ وقيل أن أنصاره قتلوه وقيل ، أن فقيه من الحيمه قتله. وقبل وفاة المهدي بعام توفي قاضي القضاة شيخ الإسلام محمد بن علي الشوكاني آخر عظماء علماء اليمن المجتهدين وكان لوفاته وقع وأثر كبيرين لدى مختلف طبقات الناس^(٢)

وهناك ملاحظات لايد من ذكرها :-

- إن الفترة الممتدة من بعد خروج العثمانيون من اليمن (حكم المتوكل على الله إسماعيل) كانت فترة استقلال لليمن عن التبعية
 - من ذلك التاريخ لم يوجد على الساحة أي دولة يمنية تنافس القاسميون .
 - كان لما تركه العثمانيون من آلات عسكرية خاصة المدافع أثر في تمكين بعض القاسميون من السيطرة على كثير من المناطق .
 - أزداد عدد أذعياء الإمامة من هذه الأسرة وبالتالي زادت الحروب والفتن .
 - لم يترك القاسميون أي مآثر عمرانية تحسب لهم علماً أنهم الوحيدون من أذعياء الإمامة الذي حكم بعضهم غالبية البلاد .
 - أتسم عهدهم بالظلم وجور الجباية .
- نتيجة لظلمهم فقد أفنى اليمنيون أغلب قصورهم .

(١) - الجرائن المقتطف .

(٢) الجرائن - المقتطف

- أتسم عهدهم بالأحكام الجائرة وعلى رأسها حكم المتوكل إسماعيل على أرض اليمن وأهلها بعد خروج العثمانيين .
- أتسم عهد القاسميين في بعض فتراته بالتشيع المبالغ به .
- ليس على أئمة بني القاسم أي واجب تجاه الشعب ولا حتى أبسط حقوق الشعب وهو حق الأمن والحماية (وهي أبسط حقوق للشعوب ظهرت فيما يسمى العقد الاجتماعي)^(١)
- وكل الواجبات على الشعب .

(١) - مثل جان جاك روسو ، هوبز وغيرهم .

الفصل الثامن

حروب وفتن الهاديون

بيع تعز للمصريين و سقوط عدن في يد الإنجليز

ق ١٢-ق ١٣ هـ

المبحث الأول:-

بيع القاسم بن المنصور لتعز واحتلال الإنجليز لعدن

المبحث الثاني:-

ثورة الفقيه العنسي

المبحث الثالث:-

ثورة أهل صنعاء على أئمة القرى والحارات

المبحث الأول

بيع القاسم بن المنصور لتعز واحتلال الإنجليز لعدن

وجاء من بعد المهدي علي أئمة أتسم عهدهم بالصراع على الحكم والفوضى الداخلية مما سبب في سقوط عدن في أيدي الأوربيين وبالتالي طلب اليمانيين من الخلافة العثمانية حكم اليمن.

وكان أول هؤلاء علي بن المهدي عبد الله ونصب ثاني يوم من وفاة والده ٧ شعبان ١٢٥١ هـ وتلقب بالمنصور أولاً وقد حكم وعزل أربع مرات وكان يغير لقبه في كل مره يعود فيها إلى الحكم.

إن تنصبيه وخلعه المتكرر يوضح شخصيته أولاً ثم يوضح المدى الذي وصلت إليه الأمور من تمرد وغلغان وكان مبدراً في صرف الأموال في غير محلها ، وثار عليه الجنود ولم يكن له شخصيه وحكته سياسية ودراية إداريه^(١).

وقد تضععت في عهده الدولة ولم يبق إلا المدخر في خزائن الحكام من آلات الحرب والذخائر وكان ينفق منها ويعول عليها وعادت تهامة ثانية بمختلف موانئها إلى سيطرة الإدارة المصرية والتي عززت مراكزها بقوات جديدة من الحجاز ومصر عام ١٢٥١ هـ الموافق ١٨٣٥ م^(٢).

وأصبحت اليمن بقحط وجفاف لم يشهد له مثيل منذ سنوات بعيدة في مختلف المناطق وكانت مصيبة صنعاء وماحو لها أكبر فقد أصيبت بوباء بعد حكم المنصور علي ابن المهدي عبد الله بأشهر وهلك خلق كثير من سكان صنعاء حتى كانت النساء تخرج الجنائز^(٣) ونتيجة لهذه الظروف ولما خلفه أبائه وأجداده من تدمر وغلغان بين الناس وزاد على ذلك توليته لوزراء قلبي الخبرة أو فاسدين فكان حتمياً أن ينازعه على الحكم بعض أبناء سلالته كما درجوا عليه في مختلف الأزمنة وفقاً لفكر الهادي الموصل لمبدأ الخروج والسيف.

(١) - الكبيسي ٣٧٨ - ٣٧٩ ..

(٢) - العفلي - تاريخ الخلافة السليمان .

(٣) - وقد ذكر أن عدد الجنائز التي كانت تخرج من أبواب صنعاء لا تقل عن (١٥٠) جنازة في اليوم بالإضافة إلى نحو (٣٠) بمن يموتون من الجوع.

وقد خرج عليه قاسم بن منصور:-

وقد أخذ من تعز مقرا لدعوته ودعا إلى الإمامة وتلقب "بالهادي" وذكر صاحب الحوليات أنه خرج إليه من صنعاء خلق كثير ومن موالي الإمام بأسلحتهم وغيولهم وأجابه أكثر الناس ، ولأن خروج هؤلاء وادعائهم للإمامة أو ادعائهم للحسبة ما هو إلا نابع من رغبتهم المتوارثة في الجاه والمال متخلين في سبيلها عن قيم الدين وثواب الأخلاق فقد قام قاسم بن المنصور بالتفاوض مع القائد المصري إبراهيم يكن واتفق الطرفان أن يسلم قاسم بن منصور تعز وماحو لها مقابل عشرة ألف ريال وراتب شهري مقداره أربعة آلاف ومسكن بالمخا^(١).

نسي هذا الخارج كل ما خرج من أجله من فساد حكم المنصور علي ابن المهدي عبد الله وحالة المسلمين في صنعاء وماحو لها التي وصلت إلى أشد أنواع المآسي والبؤس المتمثل في حكم فاسد وجماعة ووباء.

وحتى نسي أيضا من خرج معه وناصره ، ونسي المبادئ الهاديوية في الحق الإلهي له في الحكم وباع كل ذلك بعشرة آلاف ريال. ويرر عمله هذا كتاب الأئمة بأنه لما علموا قلة ما بيده تركوه ووهن أمره وأستدعى عساكر محمد علي.

ولكنه لم يستطيع إتمام دعوته فأستدعى عساكر محمد علي باشا الموجودة في المخا وهامة ودخلوا مدينة تعز وتصلحوا مع القبائل الموجودة بتعز من برط وغيرها وأصلحوا في المدينة الخراب واطمننوا إليهم مشائخ الحجرية وشرع وسيطرت هذه القوات على قسم كبير من المناطق الوسطى.

وخرج على المنصور علي بن المهدي عبد الله ، حسين بن علي المؤيدي وكان من المغالين في التشيع فقد كان من أنصار الإمام السراجي ومن خرج معه من صنعاء وقاتل المهدي عبد الله سنة ١٢٤٧هـ ولما فشل السراجي عاد فيمن عاد إلى صنعاء ^(٢) فبقى فيها حتى ١٢٤٩هـ فغادرها إلى صعده مع مجموعه ممن يعتقدون فكره وكان هذا الخروج لمؤامرة مسبقة لأصحاب هذا الاتجاه الذي قاده أولا السراجي ثم المؤيدي وذكر زيارة أن خروج المؤيدي إلى صعده سنة ١٢٥٢هـ وقيل ١٢٤٩هـ وأختلف في كونه دِعا إلى نفسه أو كونه دعا بتتصيب عبد الله بن الحسن بن احمد بن المهدي عباس.

(١) - الطريق : من تاريخ اليمن ٧٩.

(٢) - زيارة - نيل الوطر .

وظل بصعده بدعوته يهيم بها للخروج على المهدي عبد الله ثم على ابنه على حتى توفي
١٢٥٢هـ .

وقبره بحجره حيدان (مديرية من محافظة صعده) .

ان المحيط الحقيقي لأي تغيير جذري في حياة اليمنيين هو ما أصل كفكر ديني وبالتالي سلوك ممارس رسخ حق هذه السلالة في الحكم وأصل للصراع بين أبنائها حتى أصبح ثقافة مجتمعية جعلت من المستحيل ان يفكر أي يمني في الحكم (انسحقت شخصية اليمنيين في ظل الإمامة وحرمت عليهم قيادة بلادهم وصار التفكير فيها جريمة دينية وسياسية في وقت واحد) (١) الأمر الذي ابعده من لديه القدرة في تفسير دفة الحكم من أبناء هذه الأمة .

ونكرر ما ذكرناه من أن تنصيب المنصور علي وأبوه المهدي عبد الله كان قائما على مبدأ الوراثة الملكية ومخالفا لشروط الهادويه في استحقاق الإمامة فلم ينطبق منها عليهم إلا السلالة والذكورة .

إن انتشار الفكر الهادوي بين قبائل شمال الشمال كثقافة مجتمعية وبالأخص ما يتعلق بوجود مبايعة من قام بها ودعا إليها ممن هو من أولئك ومبدأ الخروج على الحاكم الظالم هذان المبدآن أفرزا الولايات على الإمام والشعب معاً ، لأن ذلك الفكر قد تمكن كثقافة حتى لم يستطع أي إمام أن يجتهد مبادئ أو أفكار تمنع خروج أدعياء الإمامة رغم دعوة هذا الفكر لحرية الاجتهاد يقول الرحمن عز وجل {وَأَتَقُوا فِتْنَةَ لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } الأنفال ٢٥

ومثلما يتصعد النماء والتطور بركائزه الأساسية العدل والمساواة والعمل الصالح بمختلف أنواعه يتنامى ويتطور إنحطاط وتقهقر الدولة لاختفاء تلك الركائز واصبح واقع الحال استبداد وسلطة مطلقة وصراع بين أبناء هذه السلالة على السلطة وجور في الحياة وتقسيم اليمن بين المتصارعين إلى إقطاعات .

تلك الأسباب تمثلت في أساليب وممارسة اغلب الأئمة لاسيما منذ عهد المهدي عباس إلى عهد علي ابن المهدي عبد الله إلا أن هذا الأخير قد ورث تركه من الظلم والفساد والتمزق الناتج عن صراع أبناء القاسم على السلطة بالإضافة إلى عدم كفايته فكان إجماع الناس على خلعه وهذا تطور إيجابي مقارنة بما حصل في عهد جد أبيه المنصور علي فكلاهما أجمع على أهمهما حاكمان غير صلحان .

(١) - الإمامة وعطرها على وحدة اليمن

وثارث عليهما الجنود لعدم دفع رواتبهم وعاش الناس في مجاعة وظلم إلا أن المنصور علي بقي إماماً سورياً وقام بأمر الحكم ابنه أحمد إلى أن توفي أما علي ابن المهدي عبد الله فتم خلعه بعد عام وثلاثة أشهر وتكرر في عهده نفس الأحداث من تدمير الجنود وحصار صنعاء من قبائل برط وقادتها من بيت العنسي.

فقد وصلت هذه القبائل واستولت على حصن عطان وبدأ بحصار صنعاء وأستنجد علي ابن المهدي بخولان بقيادة النقيب علي بن حسن أبو حليقة ولكن نجدة خولان لم تصل إلا وقد تجمع الجنود وبجثوا عن البديل فرشح الفقهاء البالغين في التشيع من أنصار المؤيدي والسراجي أحد أنصار المغلاة في التشيع وهو عبد الله بن حسن بن أحمد بن المهدي عباس وكما هي حالة الصراع داخل هذه السلالة من أجل الحكم فقد كان هذا مرشح سرا منذ عامين لكنهم كانوا منتظرين الفرصة السانحة.

وما أن كان يوم ٣ ذى القعدة ١٢٥٣هـ حتى قاد الأمير العبد الجنود النائرة بقيادة النقيب بيت الشاوش أصحاب جدر وسعد هديان من الرحبة وتوجهوا إلى دار الإمام في بستان المتوكل بعد أن اجتمعوا على خلعه^(١).

وفي طريقهم أخذوا البديل وتركوه ينتظر في أحد منازل مسجد حجر القريب من دار الإمام وقبضوا على المنصور علي ابن المهدي عبد الله ونهبوا ما في الدار وأحضروا الإمام المرشح فأرسل لأنصاره من الهاشميين والفقهاء وحرس داره .

وفي الصباح أرسل للعلماء والأعيان فحضروا وبايعوه وكانوا قد أحضروا علي ابن المهدي ليشهد نهايته بعينيه وأحضروا أحمد ابن المتوكل فقال صاحب الخوليات يسخر من الموقف (وأشرقت لهم الأرض ببلوغ الأمل وظنوا أنهم قد ملكوا الأرض إلى أقاصي جبل قاف) .

ونلاحظ هنا تطوراً في أسلوب التدمير تمثل في خلع الإمام بدون خروج مدعي للإمامة مشعلاً للحرب.

وهكذا تمت البيعة ونصب عبد الله بن حسن بن أحمد بن المهدي عباس ولقب نفسه بالناصر وأول عمل قام به هو سجن الإمام المخلوع وكان الإمام الجديد قد عانى في حياته

(١) - الخوليات ٦٥.

فقرا وحرمانا وعاش مع طلبة المنازل^(١) وهو من سلالة بيت القاسم ،ولكنه كان من الفرع الذي أقصى عن السلطة والجاه ولذلك اتسمت قراراته بالغرابة والتشدد .

شخصية الناصر عبد الله بن حسن بن احمد بن المهدي عباس:-

ولد سنة ١٢٢٦ هـ ونصب الإمامة ١٢٥٢ هـ ودرس في الجامع الكبير على يد احمد بن علي السراجي والقاضي عبد الرحمن بن عبد الله المجاهد والحسين بن علي المؤيدي وغيرهم ممن هجوا المغلاة في التشيع وكانوا قد خرجوا مع السراجي على المهدي عبد الله سنة ١٢٤٧ هـ .

وكانوا هؤلاء شديدي الخصومة لعلماء الزيدية وجمهور أهل السنة^(٢) ومنهم الإمام الشوكاني .

ولاشك أن الناصر قد تأثر هؤلاء وكان مغاليا في التشيع وقد كان (أسود اللون في بدنه ووجهه آثار الجدري آثر جلبي)^(٣) إن معاناته وتنشئته على يد المغالين قد آثر على شخصيته فقد كان غير متسامح مع أعدائه أو معارضيه ويظهر ذلك من قسوته على قريبه المخلوع على ابن المهدي وعمه وكذلك كان مع المخالفين لمعتقداته وآرائه التي كان بعضها غريبا،وهذه هي طبائع الاستبداد الناتجة عن السلطة المطلقة .

وبدأ بإلقاء القبض على من كان له منصب أو عمل أو علاقة بسلفه علي ابن المهدي ، وأمر بحبس الجميع ومنهم أمناء الشريعة والوكلاء (المحامون) وحاكم الحضرة وقد أستبشر الناس به خيرا لما عانوه من شدة المرض والخوف والجوع وربما اعتبروا ما صنع بعمال وموظفي سلفه سياسة وقائية دعتها الحكمة أو الضرورة ولكنهم استغربوا وأنكروا بعض التصرفات الشاذة بالإضافة إلى اعتماده على أصحابه الذين صادروا أموال الناس حقدًا لكونهم كانوا معسرين ودونما وجه حق وذكر صاحب الحوليات بعضا من تلك التصرفات الشاذة (...) وكان جلساؤه جماعة من الطلبة الفقهاء الذين كانوا في المنازل وغيرهم الذين لا عقول لهم وإنما همهم غير أنفسهم وأظهروا الكامن في صدورهم على الناس وحملوا الناس غير السلامة والإمام طبعه كطباعهم (وشبه الشيء منجذب إليه) فمن أشوارهم ربط اليهود فوق قبور الهاشميين والعلماء ومن ذلك أنهم أشاروا بنيش قبر شيخ الإسلام الشوكاني رحمه الله وإخراجه من القبر ثم تحريقه ! نعوذ بالله من أن يكون وأشار إليهم بعض أهل الرأي بعدم هذا الشور ومع ذلك حد الفقيه محسن العصامي وجلده على

(١) - وهي غرف تلحق بالمساجد يسكنها الطلبة الفقراء.

(٢) - دكتور حسين العمري - الشوكاني فقه وفكره .

(٣) - حوليات ٦٦ ، زيارة نيل الوطر ٧٠ / ٢ ، مجلة عام من تاريخ اليمن - ٢٥٤-٢٥٥ .

رؤوس الأشهاد حد ماله رأس (أي غير صحيح)^(١) ولا أقر بالزنى ولا الشرب وأستخلص الإمام الحاج سعد علي وعلي بن احمد السقا وكان مدار الأمور الخاصة عليهم والفقهاء محسن الجبري الأعمى صاحب المشورة وغيره ومع ما مضى من المجاعة والقحط فقلوب هولاء بالجوع مغذاة وفي أنفسهم على من كان ذا مهنة أو حرفة لا يسأل الناس فلم يزلوا ينقلون بالناس إلى الإمام وهو مؤمن بصدقهم في أقوالهم وأفعالهم ،وما صلحت أحوالهم وحسن ظنهم بالناس إلا بعد مده طويلة وقد صاروا هم الأغنياء دون غيرهم وشبعت بطولهم وتنعمت أجسامهم باللباس فتيقنوا أن الناس لا ذنب لهم يوجب أذيتهم لهم)^(٢)

وقد أشار الحافظ محمد بن علي العمري (توفي سنة ١٢٦٤ هـ) في كتابه [إتحاف النبيه] بتاريخ القاسم بن محمد وبنه عن قيام الناصر الذي كمال له التهم وانه رافضي وخيبث كما ذكر سجنه لآل الشوكاني وغيرهم .

وقد ذكر المؤرخ والكاتب الكبير د. حسين العمري أنه حصل على هذا الكتاب من حفيد الحافظ العمري العلامة محمد بن إسماعيل العمري الذي كان ممن له الفضل في نقل رفات الشوكاني وحملها إلى قبره الجديد في جامع الفليحي وذلك عام ١٣٨٧ هـ .

١٩٦٧م

وقد نقله من مقبرة خزيمة إلى مسجد الفليحي في مراسم جنازته مهيبه عندما تقرر تأسيس نادي الضباط الحالي وقد ذكر صاحب الحوليات أن من مناقب هذا الإمام منع الزمائر والدفوف والمعازف ومنع النوبة^(٣) ومنع النساء من الحمام وخروجهن وقت المغرب ودخولهن السوق.

أدت السلطة المطلقة بهذا الإمام إلى التحريم على الناس ومنعهم مما أباحه الله لهم . هذه شخصية الناصر التي أضافت بغي وتعقيدات إلى ما هو قائم من ظلم وواقع مرير قبل وصوله إلى سدة الحكم.

وكان أول ما فعله الناصر هو إرضاء قبائل برط وأرحب المرابطين في حصن عطان فصالح القوم بمال وأدخلهم صنعاء^(٤) وقصد بذلك ردع الجنود الذين كان لهم الفضل في إيصال الناصر إلى سدة الحكم حيث قال صاحب الحوليات ان الأجناد يحسبون أن لهم الحل والعقد بعد أن أخذوا ما في بيوت الأموال لنفوسهم "، فقد أدخل هذه القبائل لكبت

(١) - حويليات

(٢) - حويليات ٦٧-٦٨ .

(٣) - نوع من أنواع الزمائر

(٤) - حويليات ٦٨ .

جماح العسكر وأنصاره الطامحين للحجاه والمال وفي نفس الوقت وصلت جماعة من ذو محمد إلى منطقة حمراء العلب بأحماها التي أنتهتتها من المناطق الوسطى فأرسل الناصر أتباعه فحاصروهم في أطراف جبل نغم فاستسلم عقابهم واقتسموا ما أنتهروه من اليمن الأسفل مع الناصر وسجن بعضهم كرهائن وصرح لبعضهم أن يعودوا إلى ديارهم.

وفي الجانب الآخر كانت القوات المصرية تمد نفوذها في المناطق الوسطى فقد ذكر قائد الحملة إبراهيم باشا^(١) في رسالة إلى محمد علي باشا بأن نجح أمره يرجع إلى رغبة الناس عن حكم الأئمة ونفورهم منهم ومشايعة أنصار الأئمة للمصريين .

والثاني: خروج قاسم بن المنصور على المنصور علي ابن المهدي.

والثالث: بمساعدة القاسم ابن المنصور القيمة بضم القبائل ووجوه مدينة تعز إلى المصريين ضد إمام صنعاء.

يو كان تعاون القاسم ابن المنصور وتسليمه تعز ، وقد ذكر إبراهيم يكن أنه نفحه بمبلغ كبير من المال ليسهل مهمة الحملة في إقليم تعز تمهيداً للتقدم نحو صنعاء .

و فعلاً تم في يونيو عام ١٨٣٧م (ربيع الأول ١٢٥٣هـ) تسليم تعز للحاكم المصري ، وتم الاتفاق بين إبراهيم يكن وقاسم عم الإمام^(٢) على أن يتخذ قاسم المخا مقراً لسكنه ، في نظير منحه مبلغ عشرة آلاف ريال ، ومرتباً شهرياً قدره أربعة آلاف قرش^(٣)

فبالمال باع ما خرج من أجله ، وبالمال باع وطنه ، فلا قيم ولا ثوابت عند أديعاء الإمامة فغايتهم المال والسلطة مهما بلغ الثمن أيا كان.

ونتيجة لذلك بدأت الحملة المصرية في يونيو ١٨٣٧ هـ ربيع أول ١٢٥٣ بالسيطرة على تعز وبدأ بالتقدم بضم المناطق الجاورة فلم يكن للناصر بد من أن يقوم بحمله لإيقاف اضطرابات المناطق الوسطى وإيقاف الزحف المصري وقد جمع العديد من القبائل بعد أن تصالح مع قبائل برط بقيادة العنسي وأرحب اللتان كانتا تحاصران صنعاء وضم إليها قبائل من حاشد وبكيل بالإضافة إلى عساكره وتوجه نحو المناطق الوسطى ١٢٥٣هـ وعسكر أول ليله في وعلان (قرية من قرى بلاد الروس جنوب صنعاء) ودعا إليها مشائخ سنحان.

(١) - مائة عام من تاريخ اليمن - د. حسين العمري .

(٢) لم يكن عملاً للإمام علي بن المهدي وذكر أن المبلغ تسعة آلاف دفعة واحدة ثم ثلاثمائة راتباً شهرياً وهو المعقول ، كما ذكر أن هذا المبلغ (الذي كان مقابل الحياة القرضه إبراهيم باشا من تجار المخا بسبب المعجز للثاني عنده) كما إنه أخذ سبعة رهائن من رئيس الجماعة التي عندها مائتين والتي كانت مع قاسم ورائقت القوات المصرية إلى تعز وذلك خوفاً من الغدر وكان لها نصيب من المبلغ المذكور وقد حمسى بغير رئيس القبائل في حين ذكر المورخ التهامي التهامي أنه عمده بن أحمد بن صماج الحمدي وأنه باع تعز بثلث عشر ألف ريال .

(٣) - البطريق : ٧٩ .

ووصل إلى جهران ودعا قبائل آنس ووصل ذمار وعين وزيرا له القاضي محمد بن علي الإرياني ومكث بها شهر ونصف ووصل يريم ومكث بها شهر واخرج متمردى بكيل، من جبل رباب وبين مسلم وبعث برسائل للقبائل المسيطرة على المناطق الوسطى فلم يستجيب منهم إلا القليل ووصل إلى إب وهناك كان امتحانه الكبير كما قال الكبيسي.

إن ما عاناه اليمنيين من بغي واستبداد وفقر منذ عهد المهدي عباس حتى المنصور علي ابن المهدي عبد الله قد جعلهم ثائرين على حكم الأئمة خارجين على طاعتهم الأمر الذي جعل الناصر يلاقي مقاومة من القبائل المسيطرة على المناطق الوسطى ومن أهالي المنطقة الذين لم يخضعوا للمصريين.

والقبائل التي خضعت للمصريين قاتلت بجوار المصريين ضد الناصر.

وفي أوائل جماد الأول عام ١٢٥٣ هـ - أغسطس ١٨٣٧ م وجه الناصر جيشا إلى تعز بقيادة زعماء القبائل حسين بن يحيى العنسي البرطي والنقيب علي بن سهل الهيال الحميري صاحب خولان والنقيب مثنى الأعوج من كبار فم وتوجهوا مع قبائلهم نحو تعز وربما احتفظ الناصر بكثير من جنده لحمايته وقد أشاعت بعض القبائل المقيمة بتعز بأنها ستقاتل مع الناصر وعندما وصلت قوات الناصر إلى قرب تعز قاتلت تلك القبائل مع المصريين.

وقد ذكر صاحب الحوليات ان المصريين ومن معهم انهزموا وتراجعوا إلى المدينة في بداية الأمر وأرسلت الرؤوس إلى الناصر حيث علقت في باب إب (قد عجب الناس من كثرتها وشناعة خلقها ثم يعزو إلى إدارة الناصر ووزرائه في عدم موافاة القوات فيما بعد بالمدد والتموين) كان هذا سبب التراجع والهزيمة بحيث لو وقعت معركة أخرى لانهى أمر المصريين (ولكنه وقع المكر من عدم الإرسال لمن في المطرح بالعتاء والمسيرة) .

في حين ذكر الكبيسي (فخرج من في تعز من العساكر المصرية والتفرو أصحاب الناصر إلى محل يقال المشمه وحصلت حروب عظيمة قتل فيها القاضي حسين بن يحيى بن عبد الله العنسي والنقيب علي بن سهل الهيال الحميري والنقيب مثنى الأعوج .

وانهزم جيش الناصر وتوجهت القوات المصرية جنوبا وقد أيدهم سعيد بن أحمد علي سعد واستدعاهم وخان أمانته وهو عامل من جهة الإمام فنهض من العجم قدر ألفين حتى وصلوا مدينة العدين وفتحت لهم المدينة وأظهروا القوة والزينة .

وتراجع الناصر إلى جبله وأرسل خمسمائة من الرماة بقيادة الأمير الماس قتل فيها بعض المصريين ولكن النتيجة كانت لصالحهم .

تراجع الناصر مخذولاً مهزوماً قال الله تعالي (إن الله لا يصلح عمل المفسدين) وأثناء تراجعهم واجه من عاد من القبائل وهم ناقمون سائحون ، واستعادت قبائل ذو محمد مواقعها في الحصون القريبة ومنها القبائل التي في بعدان حيث طردت حامية الناصر وقتلت عدد من رجاله .

وجاءت القبائل التي أخذ الناصر منها رهائن قبل أسابيع مطالبة بالإفراج عنهم .

وأصبح الناصر في محنة ولم يعد معه إلا ألفان من القبائل لم يكن تحتهم طائل^(١) وأصبح أمه الخروج والهروب من الصعاب ويصف لنا صاحب الحوليات (كان يوم خروجه يوماً عبوساً فكل فرد من أصحابه أيقن بالهلاك بسبب انقطاع جميع المسالك وكل واحد يريد أن يذهب الآخر وما وصل الإمام إلى المخادر إلا بشق النفس وكثره الأتقال بقيت في مدينته إب ... ورجع بخفي حنين ونعق بينه وبين اليمن (الأسفل) غراب المحن.

ولم يزل الخوف والفساد وراءه حتى وصل صنعاء^(٢) أما الرواية المصرية لما حدث فقد وردت بصيغته تقريريه متفاخرة في الرسالة التي بعث بها قائد الحملة المصرية إبراهيم يكن إلى محمد علي يشره بإتمام فتح إقليم تعز بأكمله قالت الرواية (بعد ست معارك قاتل الجيش المصري فيها قتال الأبطال والآن تحتل جنودنا المنصورة كل الأماكن التي استولت عليها حيث يربطون معتزتين بما أحرزوا من مجد وشهرة بعد ما ولى الإمام الناصر القرار إلى صنعاء مدحوراً خائب الرجاء^(٣))

إن الفكر الهادوي الذي سار على نهجه الأئمة في حكم اليمن وما أدى من تمرس الأئمة على أساليب الظلم والاستبداد والركود المتمثل في تخصص رئيسي قام به الأئمة ألا وهو سفك دماء اليمنيين بمختلف الوسائل، وأخرها دفع الجموع اليمنية للمعركة وقطع عنهم المدد وقد تكرر هذا قبل ذلك مراراً مثلما حدث أيام المنصور علي وأيام المهدي عبد الله في تهامة وتكرر بعد ذلك أيام الإمام يحيى حميد الدين في تهامة أثناء حربه مع الدولة السعودية.

إن الفساد التراكمي الذي نشأ نتيجة للفكر الهادوي المنحرف عن شريعة الله السمحاء

(١) - الكبيسي .

(٢) - حوليات : ٧٩ ، الكبيسي : ٣٨٠ ، زيارة : نيل الوطر : ٧٢/٢ .

(٣) - البطريق : من تاريخ اليمن ٨٠ .

أدى إلى ممارسة الأئمة وسائل وأساليب في الحكم تميزت بالجور والاستبداد والتجهيل لهذه الأمة ، فاتسمت الملامح العامة لليمن ، بنماء التخلف السياسي و الاقتصادي والاجتماعي بشكل تراكمي ، وزاد على ذلك الناصر تعصبه ومغالاته في التشيع وقد داب الأئمة على عدم الاعتاظ بمن قبلهم بالقيام بعملية التقويم والتعديل والمراجعة للماضي و الوضع القائم ونتائجه وعواقبه ولم يفتنوا لقوله تعالي (أولم يسروا في الأرض فينظرون كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) . (الروم ٩)

إن النهج الإسلامي يفرض علينا أن نسجل التاريخ ونصنع منه عظه وعبره في الحاضر والمستقبل بالنقد والتقويم وفقا لمعايير القرآن وصحيح السنة سواء بثوابت القيم أو من القصص القرآني القائم على التعليل وبيان الأسباب وربطها بالنتائج والعواقب .

إن الثقافة التاريخية من أهم العوامل في التشكيل الثقافي للأمم وإن من أكبر الأسباب في بقاء الفكر الهادي لأكثر من ألف عام هو تحوله إلى ثقافة مجتمعية رغم عشرات المحاولات في الأزمنة المختلفة للقضاء على النظم السياسية المتمثلة في الأئمة وقد أستمروا اختفاء الأئمة الهاديون في بعض فترات لأكثر من قرنين ككيان مؤثر إلا أن بقاء هذا الفكر كثقافة يتسلق ويحيا على الجهل بين العامة هو السبب في محاولة المستفيدين منه بعثه كلما أتاحت لهم الفرصة عند أي اختلال أو تدهور في نظم الحكم المضادة لهذا الفكر .

إن من أعظم الأخطاء التي أرتكبها الثوار على الفكر الهادي عبر الأزمنة المختلفة هو الاكتفاء بتغيير نظام الحكم الهادي وإهمالهم العمل على تغيير جذري للثقافة المجتمعية لهذا الفكر .

عن طريق التنشئة الدينية السوية القائمة على ثوابت الشرع في العدل والمساواة والمظهرة لانحراف الفكر الهادي بنشر دعاوية وتأويلاته المتعلقة بالاستحقاق الإلهي للحكم وإرث النبوة وما يتبعها والرد عليها وتفنيدها والعمل على تصويب ما يدرس من مناهج في المهجر .

تلك المهجر التي كانت البذرة التي ينبت منها هذا الفكر كلما أجدبت أرضه وقل أتباعه .

ونعود إلى الناصر وطريقته في إدارة أمور البلاد التي اتسمت بالجور والاستبداد بالإضافة إلى ما ورثه من نتائج الجور وظلم أسلافه والتي أدت إلى سقوط سواحل اليمن الغربية في أيدي الدولة المصرية بقيادة محمد علي باشا وبالتالي سقوط تعز والمناطق الوسطى عند هزيمة الناصر .

هذا الوضع مهد للدخول جزء عزيز من اليمن تحت أيدي الاستعمار الأجنبي وهو سقوط عدن في أيدي الاستعمار الإنجليزي سنة ١٢٥٤ هـ / ١٦ يناير ١٨٣٩ م .

ونعود إلى الناصر فقد عاد إلى صنعاء بعد هزيمته أمام الجيش المصري في تعز وبعدها والعديين وهروبه من حصار القبائل له في إب .

وخلال ذلك توفي أخيه علي بن محمد بن حسن وكان معتمداً في صنعاء (١) سنة ١٢٥٤ هـ .

وقرر في مطلع العام أن يقوم بإعدام الإمام المخلوع علي ابن المهدي عبد الله وعمه محمد المتوكل (وكان يصحبهما معه عند نزوله إلى المناطق الوسطى ثم أودعهم في سجن ذمار وأكمل مسيرته) .

ولابد أنه أراد بقرار إعدامهما أشغال الناس عن هزيمته أمام المصريين وعصيان القبائل بعد مرور أربعة عشر شهراً له في الحكم .

وقد أراد صيغه شرعية لإعدام الرجلين فجمع العلماء ليتنزع منهم موافقة على إعدامهم ولكنهم نصحوه بعدم القيام بذلك .

(وكان للناصر آراء غريبة حيث كان يطرح على فقهاء عصره هل تصح الصلاة في المساجد التي بناها الظلمة ؟ وهذا سيقود إلى خلافات خطيرة ومناهات كتحديد من هو الظالم وأي مسجد بناه ، وإذا كانت الصلاة لا تصح فهل يهدم ؟ ثم من قال هذا الكلام الغريب على الإسلام وروحه (٢) مع التسليم بوجود حكام ظلمه في اليمن وغيرها ومنهم أسلاف الناصر نفسه وكذلك رأى أن القضاة أكثر من حاجة الدولة فكلف وزيره القاضي إسماعيل بن حسين جغمان المغالي في التشيع ويحيى بن محمد الأخفش باختيار الحكام في مدى التزامهم بوجهة النظر الإمامية والهادوية .

تضافرت آراء أكثر العلماء الناظرين في التاريخ الطبيعي للأديان على أن الاستبداد السياسي متولد من الاستبداد الديني (٣) .

(١) - حوايات: ٧٧ .

(٢) - حوايات .

(٣) - طباع الاستبداد - عبد الرحمن الكروكي

ويقول صاحب الحوليات أن هذا قطع لدابر دولة هذا الإمام وتبتلك الآراء كسب عداوة جمهور العلماء وكثير من الناس فقد أظهر مع أصحابه تعصبا ومغلاة في التشيع (حب أهل البيت الذين يجهم ويجهلهم كل المسلمين).

مصراع الناصر :

إن مصراع إمام على يد قبيلة نائرة أو خارجة عن الطاعة نادر الحدوث لما أتقنه الأئمة من أساليب تمثلت في دفع قبيلة أو قبائل على القبيلة النائرة أو المتمردة وبالتالي تحويل نزق التمرد أو الثورة من القبيلة باتجاه الإمام إلى القبيلة باتجاه القبيلة وما يصاحب ذلك من عنف وسفك دماء وبالتالي عداة تراكمي بين القبائل.

وكان أيضا من أساليب الأئمة في امتصاص غضب وتمرد القبيلة هو مرضاقتها بالمال كما حدث مع قبائل برط وغيرها في عهد المهدي عباس وأبنة وحفيده. وكذلك استخدام الأئمة إلقاء المسؤولية على أحد الوزراء ومعاقبته لتهدئة القبيلة النائرة أو التظاهر بذلك .

وذكر المؤرخون أن الناصر كان له عداة واضح لنفر من الباطنية الإسماعيلية وكانوا يعيشون في جبل طيبة المطل على وادي ظهر القريب من صنعاء ، فقد حدث في شهر صفر ١٢٥٤ هـ مايو ١٨٣٨م أن خرج الناصر للتعزّه إلى وادي ظهر فاجتمعت همدان ورتبوا الجبال ومنعوه من المرور.

ولم يذكر المؤرخون أي سبب مباشر لموقف همدان هذا فلم يتخذ الناصر ضدهم أي شيء.

وأما بالنسبة لما ذكره بعض المؤرخون من أن همدان تنمذهب بالمذهب الباطني فلم نجد له أي أثر في معاشتنا لأبناء قبيلة همدان ولا يعرف المسنون من أهالي همدان أي شيء عن هذا المذهب ويمكن أن يكون وصف المؤرخون همدان بالباطنية أو الإسماعيلية أو المكارمه من الدعايات التي كان يطلقها الأئمة على مخالفيهم ، فما كان من الناصر بعد منع همدان له من المرور إلا أن عسكر في تلك المنطقة ووجه صنعاء بإرسال المدافع والجنود وطلب قبائل بني الحارث فهبت لنجدته وتقاتل الطرفان وسقط العديد من القتلى من الجانبين وانتهى الأمر بالصلح وأن يعود الناصر إلى صنعاء وتسلم همدان أربعة من صغارها بحتجزهم الناصر كرهائن .

وترك ذلك آثار سيئه لدى الطرفين فقد أحس الناصر بالإهانة والمرارة لإرجاعه وكان أكثر القتلى من بني الحارث وزادت همدان فجزت رؤوسهم وعاد الناصر إلى صنعاء ودير

للانتقام فاستخدم أساليب أسلافه في دفع قبيلة على قبيلة وكان هذا الأسلوب قد أتخذته الأمة كمنهج واجب التنفيذ.

فقد دفع أرحب بجوار بني الحارث ثم دفع بسنحان وتوجهت الجموع إلى وادعة همدان والجاهلية ووقعت حرب شديدة راح ضحيتها من الجانبين.

ثم هزمت همدان وقطعت رؤوس من قتلها وعلقت على باب شعوب وخضعت همدان لشروط الصلح وأحضرت العقائر (البقر) ونحرت بين أيدي الناصر وسلموا شيئا من المال إليه وأدخلوا قبائل إليه في الزناجير من وادعه حتى يسلموا المعين عليهم.

ويؤكد هذا ما ذهبنا إليه من أن الدافع في استحابة قبيلة أو مجموع قبائل للإمام لقتال القبيلة أو القبائل المتمردة أو الثائرة هو للانتقام ففي زمن المهدي عبد الله كانت قبيلة همدان على رأس القبائل التي هاجمت أرحب والمواليين لها بني الحارث وكان أول رأس أحتز من قتلى أرحب كان على يد أحد مشايخ همدان دفع فيه المهدي عبد الله عشرة ريال ومشخصين^(١) إن أفعال الأئمة بزرع الأحقاد والثارات بين الأخوة هو عكس ما أمر الله به في قوله تعالى (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا) آل عمران ١٠٣ وقوله تعالى {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} الأنبياء ٩٢

صنع الهادويون بتلك السياسات الصراع والثارات بين القبائل فالتجثوا إلى قبيلة ودفعوها ضد الأخرى ونشروا أفكارهم وجعلوا للصراع مبرر مذهبياً فتراكمت العدوات وأصبحت القبائل مهياة لاستخدام إحداها ضد الأخرى وخاصة في مسألة إحياء الجوانب السلبية للقبيلة والقبيلة على حساب ما قام به الإسلام من استغلال للجوانب الإيجابية للقبيلة والقبالية كمكون أساسي للمجتمع على أساس المساواة والأخوة الإسلامية والولاء للأمة تحت هدي الإسلام .

وقد عانت همدان من ناصر آخر هو صلاح الدين بن علي بن محمد (ت ٧٩٣هـ - ١٣٩١م) حيث خرجت عليه همدان وجمع عليها القبائل بنفس الكيفية والأسلوب إلا أن هذا الأخير كان أبشع في التنكيل بهمدان كما ذكرنا عند ذكر سيرة هذا الإمام. وكانت سلطة الناصر عبد الله في صنعاء ومنطقة الشمال وجنوباً إلى يرم حتى رداع وغرباً إلى حراز ففي أثناء حربه مع همدان اضطربت الأوضاع فنارت رداع على عامل الإمام بما

(١) - المشخص : قطعة من الذهب مستديرة أكبر من الجنيه تستخدم زينة للنساء .

عبد الله الخولاني الذي عين من أيام المهدي عبد الله فقتل وقطعت رأسه وقد أرسل إلى الناصر بصنعاء (صلب قدر نصف شهر)^(١).

ويؤكد ذلك أن للناصر رغبة في مقتله وخرجت قبائل يام من سكان نجران في عام ١٢٥٥ هـ وانضمت إليهم قبائل جشم والعجمان وآل فاطمه وهاجموا تهامة نتيجة لخط ووجدب شديدين في مناطقهم^(٢) فواجههم بعض العساكر المصريين ووصل بعضهم بالمال وتوجه نحو آلفين منهم إلى حراز بناء على رغبة أهلها الذين كانوا يشتركون مع يام في مذهب الباطنية (بأن أهل حراز ما لاقوهم (يام) إلا من شدة ماناهم من جور العمال والوزراء حتى أهانوهم وأغلظوا عليهم فهان عليهم الفرقة الكافرة والباطنية وأقبلوا لطاعتهم في السر والعلانية) .

واقتربت نهاية الناصر ففي أول عام ١٢٥٦ هـ الموافق ١٨٤٠م شرع في أعداد حملة إلى المناطق الوسطى وبعث إلى مختلف الجهات يطلب فيها مقاتلين.

وفي ٩ ربيع الأول عسكرت بعض الجموع في سيان (قرية من قرى سنجان جنوب صنعاء) وفوجئ أصحابه بتوجه الناصر إلى الوادي بدلا من أن يلحق بالحملة وفي العصر خرج عائدا إلى صنعاء فأعدت له همدان كميناً عند مدخل الوادي في شعب يحيط به بعض الجبال وتسيطر عليه وعند وصوله أطلقت النيران فأصيب الناصر بثلاث رصاصات وقتل أحد مرافقيه فرجعوا هارين إلى دار الحجر وتبين همدان أنه لم يقتل فلحقوا به إلى الدار وذبحوه وقتلوا من معه وقد حمل رأس الناصر وطيف به على مشائخهم وأظهروا البشارة وأوقدت النيران.

وقد تواتر النقل عن العلامة العمرواني أنه قال وهو في منفاه في زيد أن مقتل الناصر هو يوم عيد المسلمين أما علماء ذمار ممن سجنوا في زيارة الناصر لمدينتهم في طريقه إلى المناطق الوسطى فقد عبر عن سرورهم العالم الأديب القاضي محمد بن حسن الشجفي في قصيده مشهورة بمقتل الناصر تنفس الصعداء علماء صنعاء مع زملائهم في مناطق أخرى واضطربت أحوال البلاد (وأصيب أصحاب الناصر والمتحمسون لمغالاته بخيبة الأمل والقنوط).

لكن بعض من نجح من أصحاب الناصر فروا إلى أرحب ومن بينهم يحيى بن محمد حميد الدين جد الإمام يحيى حميد الدين ، والوزير الأرياني والفقهاء الغفاري^(٣) .

(١) - حوايات : ٨٣ .

(٢) - حوايات : ٨٥ .

(٣) - الجرائل : المقتطف : ١٩٧ .

أما أنصار الناصر فقد نجحوا في دفع أرحب ونهم وخولان وحاشد للهجوم على همدان فأثخنوا في قتل همدان وأنتهبوا جميع القرى والمواشي وكان وقع ذلك قاسياً على همدان وأرسلت إلى صنعاء ستة وعشرين رأساً من همدان ، والحاصل أن القبائل يذبحون أنفسهم بأيديهم بسبب الفكر الهادوي وأئمتهم ، الذين عملوا على تجهيلهم.

"ولهذا كان الاستبداد يستولي على تلك العقول الضعيفة للعامة فضلاً عن الأجسام فيفسدها كما يريد ، ويتغلب على تلك الأذهان الضئيلة فيشوش فيها الحقائق بل البديهيات كما يهوي فيكون مثلهم في انقيادهم الأعمى للاستبداد ومقاومتهم للرشد والإرشاد (١) "

وأشعل الناصر الفتنة حياً وميتاً وكان أكثر من ركب موج التعصب من الأئمة.

* أسباب ودوافع الإستعمار البريطاني لعدن :-

وفي هذه الفترة انتهت الدعوة الوهابية وأميرها ابن سعود كما ذكرنا وتنامى طموح محمد علي باشا في إنشائها دولة عربية قلبها مصر وامتدت إلى بلاد الشام والجزيرة العربية فقد سيطر على السودان عام ١٨٢١م و ١٨٢٣م ووجه حمله على سوريا ١٨٣٨م وأخرى ١٨٣٩م.

وكان قد بنى قوة عسكرية وهدد الأناضول تهديداً فعلياً فأحس الأوربيون بخطور نشوء دوله عربية قوية فوققوا ضد محمد علي باشا لإيقاف تطور هذه الدولة عسكرياً واقتصادياً وصناعياً وعملوا مع العثمانيين على إعادة هذه الدولة تحت الولاية العثمانية فكانت اتفاقية (كوتاهية ١٨٣٣ م ومعاهدة لندن ١٨٤٠م وبذلك أنحصر حكمه على مصر التي عمل على النهوض بها وتنميتها ومثل هذه الأعمال هي التي يجب أن يقوم بها حكام المسلمون . وكان محمد علي باشا قد شكل عقبه في طريق تنفيذ بريطانيا مشاريعها البعيدة بما في ذلك احتلال مصر ، ولم تقدم بريطانيا على إظهار أي خطوة عدائية نحوه وقد كان محمد علي باشا يؤكد للبريطانيين أنه سيحافظ على المصالح البريطانية في الجزيرة العربية والبحر الأحمر .

فوافق للبريطانيين أن يقيموا محطة للفحم في جزيرة كمران عام ١٢٥٢هـ / ١٨٣٧م وكانت تحت سيطرته.

إلا أن توغل قوات محمد علي باشا داخل اليمن في مدينة تعز وما بعدها أدى إلى تخوف

(١) - طبائع الاستبداد - عبد الرحمن الكواكبي .

بريطانيا من استيلائه على ميناء عدن وكان لها محطة لتزويد بواخرها بالفحم منذ عام ١٢٤٥هـ / ١٨٢٩م إلا أنها فشلت لعدم توفر الأيدي العاملة^(١) وكانت الحكومة البريطانية قد أرسلت س. ب. هتزر عام ١٢٥٠هـ - ١٨٣٤م لدراسة المواقع التي تصلح لبناء محطات لتزويد السفن بالوقود في خليج عدن وللقيام بمسح ساحل حضرموت ورفع تقريراً يظهر فيه مزايا عدن كميناء.

وأكد تقرير جيمس ماكيمزي نوايا محمد علي في السيطرة على تلك المناطق بعد أن زار مدن جده والحديدة والمخا وأواخر عام ١٢٥٢هـ - ١٨٣٦م ، وإن عدن ليست مستعصية على محمد علي ولا صنعاء.

ولأن بريطانيا كانت تدبر لذلك منذ زمن فقد اشتعلت حادثة السفينة التي كانت تحمل علمها والتي جنحت في عدن وهبت في شوال ١٢٥٢هـ / ١٨٣٧م ذريعة للسيطرة على عدن .

فجاء الكابتن هتزر للتفاوض مع سلطان لحج على التنازل عن عدن ثم عاد مرة ثانية في شعبان ١٢٥٤هـ / ١٢٤ أكتوبر ١٨٣٨م لمحاولة الاستيلاء على عدن دون مقاومة فانتظر ليصل الأسطول البريطاني والذي وصل ٢٥ شوال ١٢٥٤هـ - ٢٦ يناير ١٨٣٩م فقصفت الأسطول البريطاني عدن بعد ثلاثة أيام من وصوله فهدم الحصن وفر السلطان محسن بن فضل إلى لحج وأصبح هتزر أول معتمد بريطاني.

وهكذا كان نتيجة صراع القاسميون على الإمامة وظلمهم واستبدادهم وأساليبهم الجامدة والمتخلفة قد أدت إلى سقوط عدن في أيدي الاستعمار الإنجليزي وساعدت على بقاء الاستعمار بأشغال اليمنيين بالافتتال فيما بينهم من ناحية وانشغالهم بمقاومة الحكم الأمامي من ناحية أخرى.

أما دخول القوات البريطانية عدن فكان بداية لنهاية نفوذ محمد علي على اليمن والجزيرة ولم يبق محمد علي بمقاومة الوجود البريطاني في عدن لكسب ود بريطانيا لكي لا تتدخل في صراعه مع الأناضول.

وبعد أن تحالفت عليه الدول الكبرى الخمس عقب هزيمة الجيش العثماني في موقعة (نزيب) في ربيع الأول ١٢٥٥هـ - ٢٤ يونيو ١٨٣٩م وانحياز الأسطول التركي إلى محمد علي فبعد ذلك أصدر محمد علي أمره بانسحاب قواته من اليمن عام ١٢٥٦هـ / ١٨٤٠م

(١) - ماكرو اليمن والغرب .

إن صراع محمد علي باشا مع العثمانيين كان أكبر ضربه للخلافة الإسلامية ونتيجة لذلك زاد نفوذ الدول الاستعمارية وانسحبت القوات المصرية من هامة وسلمتها للشريف حسين بن علي حيدر^(١).

ويبدو أن من أسباب تسليم محمد علي حكم هامة لهذا الشريف انه كان قد أرسل بعثه إلى الإمام يطلب طرد البريطانيين ولكن الإمام وقف عند رأيه القائل باستحالة ذلك عليه لأن هذا خارج عن نطاق تخصص الأئمة فهم محتصون بظلم وسفك دماء اليمنيين فقط.

ويصفهم ابن الأمير بقوله :

ملاثم بلاد الله جوراً وحتتم بما سودت منه وجوه الدفاتر^(٢)

المبحث الثاني / ثورة الفقيه العنسي

فكما جاء الجند بالناصر ونصبوه إماماً أخرجوا محمد بن المتوكل من السجن ونصبوه إماماً فلقب نفسه بالمتوكل ثم غير لقبه إلى الهادي بعد ثلاثة أشهر^(٣) وأطلقوا معه الإمام المخلول علي ابن المهدي .

تولى الهادي وأستوزر وزراء الناصر محمد ابن احمد العقفاري ومحمد بن علي الإرياني. وحبس الأخير بعد شهر ثم عينه ثم عزله أكثر من مرة وأعدم نهاية الأسبوع الأول محمد الكوكباني أحد قادة الجنود الذين فروا من أصحاب الناصر حيث التقاهم بذهبان ثم عاد وكان منه إطلاق نار باب قصر صنعاء وقتل حارساً أو أكثر كان مقتل الناصر وانسحاب القوات المصرية من تعز ثم من اليمن عام ١٢٥٩ هـ جعل المناطق الوسطى مفرغه من أي سلطه للدولة فاستولت على تلك المناطق قبائل بكيل وبعض مشايخ المنطقة المتنفذين وعانى السكان الأمرين من الظلم والاستغلال وانتهاك الحرمات.

كل تلك الأوضاع هيأت قيام ثورة بقيادة الفقيه سعيد العنسي :-

(١) - البطريق: ١٠٢ - مائة عام من تاريخ اليمن .

(٢) - ابن الأمير وعصره - حسين السياقي و محمد بن علي الأكواع وغيرهم . ص ٢٣٩

(٣) - زيارة : نيل الوطر .

هو سعيد بن صالح بن ياسين العنسي وكان فقيهاً متصوفاً في قرينته الدنوة بين حبش ونعمان غربي إب .

وقد تطور حاله من العزلة الصوفية إلى مصلح اجتماعي وناظر من صفوف الشعب ثم إلى داعي سياسي لقب نفسه إماماً .
ويقول فيه صاحب الحوليات :-

(كان في بدء أمره ظاهر الصلاح داعياً الناس إلى الخير والفلاح ، ودعا الناس إلى الهجرة إليها (الدنوة) فأجابه أرذاذ الناس والتجأ إليه كل غريب ولاذ فما زال مشتغلاً بتقواه موافقاً في سره ونجواه وكان له في الزهد الحظ الوافر لو عرضت عليه الدنيا بأسرها فما تأملها (ردها) وترينت بين يديه ما تمثلها حتى صارت حضرته محلاً لأهل الدين ومحط رحي المهاجرين .

وكان فيهم للصغير أبا وللكبير أخوا بسجته تنجلي عنها الظلماء ويخلق مزاجه غسل وماء فأقام على هذا أربعين عاماً معتكفاً على الدراسة معتزلاً لأهل النفاسه والرياسة مقبلاً عليهم بموعظة وخشوع وكثرة سجود وركوع فسمع به القاضي والداني...^(١) ذلك كان شأن الفقيه سعيد وسيرته بين الناس حتى حلت الفوضى بشكل خطير فالتجأ إليه الضعفاء والمطرودين من أراضيمهم وبيوتهم فكان التحول في حياة هذا الرجل استجابة لهؤلاء من أجل التصدي لما حل بالناس .

فهل كان ذلك دافع ديني للقيام بدور إيجابي بدل من الخضوع الصوفي وقبول المشيئة ؟ أم أنه كان يعد نفسه لعمل قيادي وطني .

ويعلن الفقيه سعيد نفسه إمام الشرع المظهر وقد ذكر كتاب الأئمة أنصار الفكر الهادي بأنه سما نفسه مهدياً منتظراً واهتموه بالسحر والشعوذة .

وهذا دأب الأئمة وفقهائهم فكانوا يتهمون الخارجين عليهم أو الثائرين على ظلمهم بتهمها أدناها (ناصبي) وأعلىها (كافر تأويل) فكيف بمن يثور عليهم ويلتف حوله أغلب أبناء المناطق المضطهدة ولولا الخديعة لشكل خطراً حقيقياً على الأئمة ولأتباعهم ، وأخطر ما في ثورة العنسي أنها قامت على أساس ديني نابع من علمه وورعه ، وبمذهباً استطاع أن يقف أمام الفكر الهادي بإخراج أهالي تلك المناطق من حالة المفعول بهم منذ نهاية الدولة الظاهرية إلى فاعلين ، وهذا حدث له أهميته .

(١) - حوليات ٩٢ .

وإذا أفترضنا صحة ما روي من أنه ادعا الإمامة فهذا أنكر المنكرات وفقاً للفكر الهادوي الذي أصل الحق الألهي في الإمامة لمن هم من البطين .^(١)

و كانت دعوة العنسي للثورة ضد ظلم عمال الإمام والقبائل المسيطرة على مصائر الناس واستتجاب لدعوته كل الناس وأخذ كل ما لبه عمال الإمام والقبائل وأعادته إلى الناس واستطاع إخراجهم من معاقلمهم وأمرهم بالارتحال وضرب باسمه السكة من الفضة الخالصة .

وكان الأئمة يجعلون جزءاً من السكة فضه والأغلب نحاس ، وأمتد سلطانه من زبيد غرباً إلى يافع شرقاً وشمال منطقتي تعز وإب وأقرب شمالاً إلى يريم وبدأ الخوف والقلق ينتاب إمام صنعاء الجديد ودولته كلها .

إن عدم انتشار الفكر الهادوي في المناطق الوسطى والجنوبية والغربية جعلهم يستطيعون أن ينظموا ثوره وأن يقيموا دول قضت على الإمامة الهادويه أحياناً أو حجمتها أحياناً أخرى حتى بقيت الإمامة الهادويه لفترات زمنية تمتد إلى قرن فأكثر في نطاق جغرافي ضيق .

إن الفكر الهادوي وأتمته قد زرعا الفتن والعداء المتبادل بين قبائل شمال الشمال وبينها وبين المزارعين من أبناء المناطق الوسطى وأدى ذلك الأسلوب إلى وجود مصالح لمشاخ تلك القبائل عند تسليطهم من قبل الإمام على المناطق الوسطى زد على ذلك نجاح الأئمة في جعل المناطق الشمالية على مذهبه الذي يقوم على مبدأ استحقات الإمامة لمن هم من البطين حتى وإن كان بعض المشايخ أقوى من الإمام فإنه يبحث عن أحد أبناء هذه السلالة لينصبه إماماً ، ذلك لما أنتشر كثافة مجتمعية تحرم على أبناء اليمن حكم بلادهم هذه الأسباب وغيرها لم تكن كثافة اجتماعيه بين أبناء المناطق الوسطى والغربية مما جعلهم يلتفون حول رجل اتصف بالتقوى والصلاح ونادي بتخليصهم من ظلم واستبداد الأئمة والقبائل الغازية كيف لا وقد التفوا حوله حبا لا خوفاً وأصبح في نظرهم منقذاً وولياً وكان يطعم الطعام لمن وفد إليه وأرتعب المشرق والمغرب حين رأوا بكيلاً قد فارقوا تلك الحصون وارتحلوا إلى ديارهم مرعوبين^(٢) .

ولكن الهادي محمد ابن المتوكل استطاع القضاء على هذه الثورة لا بحول منه ولا قوه لكن بغدر وخديعة قبائل بكيل التي كانت ضمن جيش العنسي وقد فعلت ذلك نتيجة لما

(١) - كتاب الأحكام - باب القول فيما ثبت به الإمامة لإمام ، وباب القول في صفة الإمام -

(٢) - الشماخي : اليمن : ١٥٨ .

تشأت عليه قبائل الشمال من جهل واعتقاد بأن الإمامة لا تصح إلا فيمن هم من البطينين ولأن هذه الثورة ستحرم الزعامات القبلية من العائدات التي كانت تحصل عليها من تلك المناطق سواء بتوجيهها من الإمام لإخضاع تلك المناطق أو لانتزاعها من مدعي الإمامة الخارج على الإمام أو بغزو تلك المناطق مباشرة .

وإجمالاً فإن قيام ثورة الفقيه سعيد العنسي قد قضت على مصالحهم .

تلك الأسباب جعلت قبائل بكيل التي كانت متنفذة على تلك المناطق تتظاهر بالخضوع للعنسي حتى استطاعوا خداعه بدخول بعض تلك القبائل ضمن قوات العنسي المقاتلة وكذلك بعض قبائل خولان وعلى رأسهم النقيب حسين بن سعيد أبو حليقة والنقيب علي بن علي سهل الهيال .

وكان خطأ الفقيه العنسي الاستعانة بهذه القبائل في حربه مع الهادي إذا أصبح السبب الأول في هزيمة عسكره الذين وصلوا إلى يرم وحاصروا الإمام وأنصاره في أول شهر شوال ١٢٥٦ هـ - وحينها تم الاتصال بين الهادي والنقيب أبو حليقة وأصحابه وانفقوا على أن يقوم النقيب أبو حليقة وأصحابه بالقبض على قادة جيش الفقيه سعيد ويفشلونه من الداخل وبعد ذلك تم الهجوم من قبل أنصار الإمام ففاجئوا جيش الفقيه سعيد والمفاجئة الثانية قيام أبي حليقة وأصحابه بالقبض على قادة جيش الفقيه سعيد ووقع القتل والنهب والسلب ولكنها لم تكن القاضية للفقيه سعيد فأعد جيشاً كبير ووصل للهادي دعم من قبائل خولان ونهم وهمدان والحدا وصعدت قوات الهادي صوب سمارة والتقى الفريقان يوم ١٨ شوال ١٢٥٦ هـ - ١٨٤٠م ودخلوا الدنوه ووقعت معركة أخيره وقبض على الفقيه فأمر الهادي بضرب عنقه وصلبه ويرى المؤرخ عبد الله الشماحي أن سبب فشلها إنما سبقت ولم يمهد لها من ناحية ولكن خيانة قبائل الشمال وجهلها كان السبب الأكبر .

قال الله تعالي (إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وساعد العنسي الهادي على مد نفوذه بالمناطق الوسطى عندما قام بالقضاء على القبائل المتنفذة في تلك المناطق ، أما بالنسبة لتلك القبائل وقادتها التي خانت الفقيه سعيد وعلى رأسها خولان بقيادة أبو حليقة فكان من نفس العمل فلم يمهله الهادي فبدأ بقتلهم وسجنهم أثناء عودته في الطريق إلى صنعاء فقطع رؤوس كبارهم وعلى رأسهم النقيب حسين بن سعيد أبو حليقة الذي كانت حياته لقوات الفقيه سعيد هي السبب الرئيسي في انتصار الهادي ومن ثم

دعاه للقضاء على الفقيه سعيد وقد تم قطع رأس أبو حليقة وسجن أهم أصحابه في حصن الدامغ بضوران آنس.^(١)

وبعد فتره من الهدوء قرر السفر إلى المناطق الوسطى للكشف على أحوال عماله ثم عاد إلى صنعاء بعد شهرين إلا أن قبائل خولان أصحاب النقيب حسين بن سعيد أبو حليقة أعدوا له كميناً ثاراً لما حل بصاحبهم في العام السابق إلا أنه غير طريقه وتحصن في حصن الدامغ ١٢٥٨ هـ - ١٨٤٢ م.

وفي العام التالي بلغه أن الشيخ حسن يحيى عباد أعلن العصيان بيرم فخرج الهادي على رأس جملة لتأديبه ولما وصل جهران أنه كتب ابن عباد بالسمع والطاعة ولكنه صمم على ضرب حصنه فضربته المدافع ولكنها لم تدمه.

وعادة بلاد حراز إلى حكمة وقد دخلتها قبائل يام عام ١٢٥٥ هـ فقد أرسلت حراز من يبلغ الإمام بطاعتها نتيجة لظلم وتسلط قبائل يام فأرسل الهادي بعض القبائل فاستقبلت في حراز بالترحاب والضيافة.

إلا أن بعض المناوشات تفاقمت إلى حرب بين الجانبين وقامت قبائل يام بتأديب من قاموا بفتح بيوتهم للقادمين.

ولم تكن بين الأئمة وعمالهم ثقة وأمانة فقد رأينا فيما سبق أن الأئمة يقومون بسجن وزرائهم وخلعهم وكذلك يفعلون مع عمال المناطق بسبب تحفظهم على المبالغ المحصلة من الرعية لأنفسهم حيث كان الإمام يتمتع بصلاحيه مطلقه في تحصيل وأنفاق تلك الأموال وكذلك كان عماله في مناطقهم يتمتعون بصلاحيه مطلقه ولم تطلع لأي من مؤرخي الأئمة أي ذكر لنظام مالي قائم على مبدأ مركزية الإيرادات إلى بيت مال المسلمين ومركزية المصروفات بل كان كل عامل يصرف مباشرة مما تحصله من تلك المنطقه والمتبقي يحضره للإمام وكان يعود أغلب العمال بثروات طائلة ثم يحصل النزاع والخلاف بينه وبين الإمام على تلك الأموال فكان الإمام حيناً يعزل العمال وحيناً يسجنهم وحيناً يصادر أموالهم وحيناً يعذبهم وينكل بهم.

وقد يكون كل ذلك دون محاكمه، وقد تكرر ذلك منذ عهد المهدي عباس حتى عهد الهادي محمد ابن المتوكل.

(١) - مادة عام من تاريخ اليمن - ٥. حسين العمري .

وكان الأمراء العبيد يتآمرون على بعضهم البعض تارة وتارة يتآمرون على الوزراء والعكس، وأحياناً يسلم الإمام هذا على ذلك.

وبقيت أراضي واسعة باسم بعض الأمراء العبيد^(١) وبعض الوزراء إلى يومنا هذا مما يدل على ثراء كان لهم .

وكانت تنشأ الحروب بين أبناء القاسم على عائدات المناطق الخصبة وكان يبدأ الخارج بإدعاء الإمامة ثم يتفاوض مع الإمام على ان يترك له عائدات ماتحت يده

ونعود إلى عهد الهادي محمد ابن المتوكل أحمد^(٢) فقد عاد القاضي يحيى بن علي الأرياني والذي كان قد عينه الهادي على المناطق الوسطى بعد هزيمة الفقيه العنسي مع الأمير فتح محمد ، فسجنه بعد وصوله صنعاء وصادر ممتلكاته بعد أيام وعين خلفاً له حسين محمد الشامي وعزله في العام التالي كما سجن الأمير فتح محمد وقد لقي الاثنان معاناة من الأمير العبد فيروز.

وكان هذا الأمير قد نصب له كمين من أهالي خولان أعده له النقيب احمد الرويشان وأصحابه بني ضبيان من خولان تمكنوا فيه من نهبه وأسره ولكنه خرج في اليوم التالي بعد قتال دار بين أصحابه وخولان في قرية (وعلان) قرية من بلاد الروس وكان الأمير فيروز راجعاً من بلاد إحلال بآنس بعد أن رافق الهادي محمد ابن المتوكل لتأديب أهالي إحلال المتمردين.

مضى حكم الهادي الذي بلغ ثلاث سنين وثمانية أشهر ولم تقم بكيل بحصار صنعاء أو تهديده وذلك لسببين:

- انشغالها أول هذه الفترة في المناطق الوسطى.

- وثانيها نزول الأمطار وما عم من الخير حتى شهر شعبان ١٢٥٩ هـ سبتمبر ١٨٤٨م فجمعوا بقرية السواد من بلاد سنحان جنوب صنعاء ثم في قرية الظير التي تليها بمسافة فتم إرضائهم ببعض المال (ولا يتم مرضاتهم بالمال من قبل الأئمة إلا عندما يكونوا غير قادرين على مواجعتهم بقبيلة أخرى) إن سياسات الأئمة وأساليبهم تتكرر في الحوادث المتشابهة فيمضي الزمن والسياسات والأساليب نفسها فيبقى الأمر هو اليوم ولا غد.

(١) - ظهرت وثائق لمساحات كبيرة من الأراضي باسم الأمير المناس وهو أحد موالى بني القاسم .

(٢) - د. حسين العمري - مائة عام من تاريخ اليمن .

إن الجمود وعدم التطور في السياسات والوسائل يثبت جمود الفكر الذي سارو عليه والذي هو في الأساس فكر منحرف عن شرع الله فأين ما يدعون من أن المذهب الهادوي يميز حرية الاجتهاد .

أن بعد فكر وحكم الأئمة عن النهج القويم لدين الإسلام الحنيف جعل الفتن وسفك الدماء على إمتداد الساحة اليمنية ، حتى أصبحت الهوية العامة والسمة السائدة لحكم الأئمة هي إشعال الحروب من شرق اليمن إلى غربة ومن جنوبه إلى شماله بسبب الفكر الهادوي المرتكز على الاستحقاق السلالي للحكم والموصول لدوافع الفتن والذي سار عليها الأئمة مطبقين منه ما يثبت حقهم في الحكم ومخالفين فكره الذي يضع العدل أصل من أصول التشريع فحادوا عن التفكير والتدبر في كتاب الله وصحيح السنة .

إن الشريعة الإسلامية قائمة على العدل والمساواة ودافعة للنماء والتجديد والتطور في كل مناحي الحياة و ليست الفكر الذي يقوم على التميز السلالي والصراع على الحكم بإشعال الحروب وسفك الدماء .

إن الفكر الهادوي قد عم ظلمه حتى على الأئمة أنفسهم فقد جمدوا بفكرهم وأساليبهم وجمدوا فيض المبدعين من العلماء المعاصرين لهم بكبت تلك الإبداعات وحصرها في دوائر ضيقة وأحياناً قاموا بإخراس المبدعين أو تشريدهم وعملوا عكس ثوابت القرآن والسنة الداعية إلى توحيد الأمة ونشر المعرفة بين العامة وأهلوا قيمة العمل وحصروا العلم والمعرفة في العلوم الدينية واختصوا بها سلالتهم وأبناء صفوهم وانعزلوا بتلك العلوم في نطاق علوم اللغة وفقه العبادات والمعاملات وجدليات علم الكلام (القولوثغرائيه).

وكان السبب الرئيسي في النتائج الكبير للعلماء اليمنيين فكراً هو إبداع الرافضيين له رداً على المؤيدين لهذا الفكر (مثل كتاب من الأزهار - للمرتضى) ورد الشوكاني عليه (بكتاب السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار)..ذلك الرفض اليمني لهذا الفكر أغمر آلاف المخطوطات خلال أكثر من ألف عام والذي أثرنا المكتبة اليمنية بل ودخل بثبات إلى المكتبات العالمية المهمة إلا أن حصر التعلم في سلالات بعينها أدى إلى عدم الاستفادة من هذا النتاج الفكري وتمثل ذلك في الآتي:-

- ١- ندرة وانعدام المطلق فقد ظلت دائرة نشر ذلك الفكر ضيقة جداً لاحتصارها في سلالة الإمامة وصفوهم ولا يدخل في هذه الدائرة إلا نسبه أئمة من أن تذكر.
- ٢- عدم قيام الحكام بمسؤوليتهم الدينية في نشر المعرفة بين عامة الشعب جيل بعد جيل بل تعمدوا تجهيلهم حتى تراكم الجهل وأطبق لدرجه أنه كان لا يوجد من يقرأ ويكتب في قرى بأكملها ، وقد وصف ذلك الوضع شيخ الإسلام الشوكاني عند وصفه لحالة الجهل

التي عمت في قبائل برط البكيليه في عهد المنصور علي

٣- أدت الأسباب السابقة إلى انتشار الفكر الهادي كثقافة للمجتمع توارثتها الأجيال كعادات وتقاليده مما قيد عملية تغيير الفكر رغم ثورة الجماهير على ظلم وجور الأئمة ورغم ضعف كثير منهم لأن المجتمع وصل إلى حال لم يفرق بين السبب والنتيجة.

*- إن عدم تحديد وضوح الكيفية والآلية لتنصيب الإمام ممن هم من تلك السلالة جعلهم يتصارعون على الحكم بالإضافة إلى وجود مبدأ الخروج على الحاكم الظالم بدون ضوابط قوية ومحدودة ذلك شرع مذهبياً للقبومة الصراع بين أبناء هذه السلالة وبالتالي بين أنصارهم.

*- إن جمود نظم حكم الأئمة أدى إلى عدم التطور الذي يتوافق مع تغيرات الزمان والمكان ولا مع تطور وتزايد النتاج الفكري وساعد على ذلك الحجر على التجديد والاجتهاد في مسألة الإمامة من حيث استحقاقاتها وصلاحيات الإمام ومدة حكمه بالإضافة إلى أن الإمامة حق من الله أما المسلمين فليس لهم حق البيعة وفقاً للفكر الهادي (وليس تثبت الإمامة بالناس للإمام كما يقول أهل الجهل من الأنام)^(١) وانعدام نقد الذات التصويبي.

*- إن التأصيل لتمييز سلالة بذاتها لحق استحقاق الحكم أدى لاستعلاء هذه السلالة بالنسب وكان انعكاس ذلك على المجتمع انقسامه إلى طبقات كل طبقة اختلقت لنفسها المبررات لتمييزها على الطبقة التي تليها حتى عمت كثقافة متخلفة كان أدنى هذه الطبقات المهتمون للأعمال اليدوية والحرفية ووسم أصحابها بالتحقير والدونية وهذا ما جعل النمو الفكري والإبداعي للصناعات والإنشاءات والزراعة ينحدر وفي أحسن الأحوال تتوارث كمهن جامدة على التقليد رغم ما كانت تتميز به اليمن من إبداعات وصلت غاية من الرقي في مجال الزراعة والصناعة والعمارة وهذا ينطبق على حواضر اليمن وبعض بواديها الزراعية.

أما سكان المناطق الأقل خصوبة والبعيدة عن الحواضر فقد أوصلتها أفكار وأساليب الأئمة إلى درجة البربرية المغذاة بدفع تلك القبائل لإخضاع المناطق والقبائل المتمردة على الإمام القائم وللوقوف مع الإمام المدعي

ونعود إلى حروب وفتن هذه الفترة :-

فبعد مصالحة الهادي لبكيل بعض المال حدث أن قام القاضي يحيى الأرياني وبعض

(١) - كتاب الأحكام - يحيى بن الحسين الرسي .

الناقمين على الهادي بالالتجاء إلى قبائل ارحب وبني الحارث وبني حشيش وهم وحاشد وجددوا التحالف و اتفقوا على محاصرة صنعاء ودخولها للقضاء على حكم الهادي ثم ينصبون إماما غيره ولم يذكر صاحب الحوليات من هو وهنا بداية لنمط فكري جديد هو خلع إمام وأستبدال بإمام آخر بواسطة فقهاء الأئمة .

وتجمعوا في الروضة وحاولوا مراسلة ذي غيلان من بكيل المرابطة جنوب صنعاء إلا أنهم لم يستجيبوا وأنضم إليهم بعض العساكر المرابطين خارج صنعاء وتم الهجوم على صنعاء في أواخر رمضان عام ١٢٥٩ هـ .

ولكنه فشل لعدم الإعداد له وخاصة عدم تحالفهم مع الجنود والقبائل المدافعة عن صنعاء (وحاولوا دخول صنعاء لكنهم فشلوا لقوة الدفاع بكثافة إطلاق النار ففترقوا أو عادوا إلى ديارهم)^(١)

وبدأت الأخبار تصل عن عودة الاضطرابات والمشاكل في المناطق الوسطى وتدهورت صحة الهادي حتى توفي في ١٨ ذي الحجة ١٢٥٩ هـ ولم يكن قد تجاوز الأربعين .

فبعد أن توفي الهادي محمد بن المتوكل في يوم ١٨ ذي الحجة ١٢٥٩ - ١٩ يناير ١٨٤٣ م ، نصب علي بن المهدي عبد الله إماما للمرة الثانية وقد تلقب هذه المرة بالمهدي ولم تقم خلال مدة حكمه أي أحداث هامة التي زادت على مدة حكمه الأولى ثلاثة أشهر، باستثناء قيامه بحمله مع الوزير الأرياني إلى يريم لمعاقبة بعض القبائل ثم توجه إلى المناطق الوسطى ووصل إلى قطعه فأوجس الإنجليز في عدن خيفة إلا إنه عدل عن ذلك ورجع إلى صنعاء في شعبان ١٢٦٠ هـ - ١٨٤٣م فلا يعنيه سقوط جزء من بلاد المسلمين في أيدي النصارى ولا يعنيه ما أوجهه الله عليه من قتال المعتدين على ديار المسلمين .

فالأئمة سريعي الغارات شديدي البأس على المسلمين إذا تدمروا من دفع جباية وامتنعوا عنها ولكن احتلال غير المسلم لأرض المسلمين وحكم النصارى للمسلمين أمر لا يعينهم وستستمر مهارتهم في قتل المسلمين في عهد هذا الإمام ومن يليه .

إن فكر الهادي أرتكز على خروج المسلم على المسلم بدون ضوابط أو معايير وأرتكز على جواز تقسيم المسلمين بجواز قيام إمامان في آن واحد فطبق الأئمة هذا الفكر بخروجهم على راية الخلافة وطبقوه بالقتال فيما بينهم على الحكم وفي قتال من يخالفهم هذا الفكر أو من يتمرّد على ظلمهم وأصدروا لذلك الأحكام والفتاوى التي تبيح دمايتهم

(١) - حويات .

وأموالهم وأطلقوا عليهم مسميات "كناصي" و"كافر تأويل" وغيرها الكثير وجعلوا فريضة الجهاد ضد هؤلاء وأسقطوا فريضة الجهاد على المشركين المعتدين على أرض المسلمين، وغفلوا عمداً عن مقاصد الشارح في الجهاد وعلى من يجب .

إن القرآن الكريم قد أظهر لنا كل ذلك وأمرنا بأن نعد العدة فقد يعتدي علي المسلمين معتدي أو يظنهم البعض ضعفاء غير قادرين ولهذا طالب القرآن بأن تكون دولة الإسلام هي دولة الأقوياء وأن تتخذ دوله الإسلام من القوة السبيل إلى إقرار السلام فإن اعتدي أحد على دين الله أو على الإسلام أو على المسلمين أو على أرضهم فهنا يجب إعداد العدة لمواجهة ذلك وهذا فرض واجب على كل من يتولى أمر المسلمين إجمالاً أو أمر ثغر من تفرغهم يقول الله تعالي في سورة الأنفال : { وَأَعِدُوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ } الأنفال . ٦٠

وهنا يجب على المسلمين أعداد القوة... بل ويجب استمرارية تلك القوة ليشعر بها العدو وتكون رادعا له ، كما أن الله تعالي يأمر في آياته بأقوى ما تومر به دعوة للقتال في سبيل الله ، يقول الله تعالي { وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ، وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقْتُلُوهُمْ وَأَخْرِجُوهُمْ مِنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَوكُمْ فِيهِ فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ } (١).

كما طالب القرآن الكريم بالمحجوم وعدم التراجع إذا ما اعتدي الأعداء وأمر بأن لا يكون الانسحاب إلا لمصلحة القتال واختيار مواقع أفضل يقول عز وجل { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ، وَمَنْ يُوَلَّهُمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِعَضْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ (٢) الْبِئْسَ الْقُرْآنُ الحِمَاسَةُ ويرفع من رُوح المسلمين المعنوية بالآيات التي تبشروهم بالنصر إذا ما قاتلوا في سبيل الله يقول عز وجل { إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ } (٣)

ويقول جل جلاله { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ } (٤) ويقول سبحانه { أَدْنِ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ بِنَاهِمٍ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ } (٥) ويدعوا

(١) سورة البقرة - آية ١٩ وما بعدها.

(٢) - سورة الأنفال آيات ١٥-١٦.

(٣) - سورة غافر آية ٥١ .

(٤) - سورة محمد آية ٧ .

(٥) - سورة الحج آية ٣٩ .

القرآن المسلمين إلى عدم رهبة العدو مهما أزداد عدده يقول الله تعالى: (كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ) سورة البقرة آية ٢٤٩

فأين هؤلاء الأئمة الذين سيرهم فكر الهادي في التمييز على إخوانهم وأبناء دينهم في سعيهم إلى الحكم والسلطة وجباية الأموال والصراع فيما بينهم ويعبر عن ذلك ابن الأمر بقوله :

أتيتم بأصناف الضلالة كلها

و جتتم بأنواع الأمور المناكر^(١)

أضعتم وصايا المصطفى و هجرتم

طريقته في نهي الأمور

أين منهجهم من تلك الآيات البينات المحددة لشرع الله وأولوياته فإراهم يتركون المعتدي الآثم يحتل أرض الإسلام والمسلمين ويفرغون للصراع فيما بينهم على الإمامة وفي فرض ظلمهم وجبروتهم على مسلمي هذا القطر من أرض الإسلام .

فأين دعاويهم في أرث النبوة واستحقاق الإمامة وأين دعاويهم بأنهم حماة الدين والقائمين به .

هذا ما رأيناه في عهد هذا الإمام الذي يصل إلى قعدة بجيشه قريبا من عدن المغتصبة من النصارى ويعود وكان الأمر لا يعنيه

ومثلما رأينا أساليب ووسائل الأئمة في الظلم تتكرر سنرى أن تخاذلهم وعدم قيامهم بواجب الجهاد للذود عن أرض المسلمين يتكرر عند الأئمة الذين سيأتون بعده ، وسينشغلون عن ذلك بما أنشغل به أسلافهم فهذا محمد بن يحيى بن المنصور يقوم بالخروج وإدعاء الإمامة على الإمام القائم علي ابن المهدي عبد الله رافعا راية الفتنة الهاديوية ومكملا لما بدأه أبوه يحيى ابن المنصور الذي خرج على المهدي عبد الله والتجأ إلى أرحب فلم يفلح في مسعاه فهرب مع أبنه إلى قحاة عام ١٢٤٥ هـ ١٨٢٩م والذي توفي والده بهذه المناطق ولكنه واصل السعي من أجل الوصول إلى الحكم بأي وسيلة .

فخلال العشر سنوات التي قضاها محمد بن يحيى بن المنصور متقللاً حاول الاستعانة بالمصريين لكن تسارع الأحداث وسحب القوات المصرية من اليمن أحبط أعماله فلم

(١) - ابن الأمر وعصره - حسين السياحي وعبد الأكوخ وغيرهم .

يأس فسافر إلى القاهرة بعد انسحاب المصريين بعامين ليستعين به بوالي مصر على حكم اليمن وبقي هناك من عام ١٢٥٨ هـ الموافق ١٨٤٢م حتى عام ١٢٦٠ هـ - ١٨٤٤م لكنه لم يظفر بما كان يأمله لتغير أحوال محمد علي ودولته فعاد أدراجه إلى تهامة^(١) وكان يحكمها حسين بن علي حيدر فعندما عاد محمد بن يحيى بن المنصور علي قصد الشريف حسين بن علي حيدر فتحالفا وكلا له طموحه.

فدعم الشريف محمد بن يحيى هدفه كان قتال إمام صنعاء وبالتالي إضعافه الذي سيؤدي بدوره إلى مد نفوذ هذا الشريف جغرافيا وبالتالي ضعف نظام صنعاء سيقود إلى عدم تفكير الأئمة بضم تهامة ، وربما لأسباب وتحالفات أخرى ، وقد ساعد على هذا التحالف جور عمال إمام صنعاء على ريمه فقد وصل بعض مشائخ ريمه إلى أبي عريش لاستدعاء الشريف حسين ليتولى أمور بلادهم حين وصل محمد بن يحيى^(٢)

(نتيجة لظلم الأئمة نجد اليمنيين يفرون منهم إلى أي حاكم آخر)

وفي عام ١٢٦١ هـ - ١٨٤٥م جهز جيشا بقيادة محمد بن يحيى أنطلق من مدينة زبيد ليستولي على ريمه.

وكان معظم الجيش من سحار^(٣) فاستولى على ريمه وسار جيش من يام بقيادة أخويه هزاع وأبو طالب فاستولوا على حيس ثم تعز وكان عامل الإمام علي تعز عبد الله بن علي الإرياني.

وكما هي عادة الأئمة في عدم تجهيز قوى للدفاع عن أطراف البلاد فكانت أسرع ما تسقط هذه المناطق في أيدي أي غازي والسبب الآخر هو جور وظلم عمال الإمام الذي كان سببا في عدم دفاع أهالي تلك المناطق وأحيانا كانوا يناصرون القادمين

ويصف ابن الأمير الصنعاني جور العمال بقوله :

ووليتم أمر العباد شراركم وخولتم أعمالهم كل ماكرأ

وواصل الشريف حسين تقدمه فسيطر على الحجرية وذو سفال ففي شهر جماد الآخر ١٢١٦ هـ - ١٨٤٥م أكمل سيطرته على اليمن الأسفل وأخرج القبائل البكيلية.

(١) - العقبلي تاريخ المحلاف السليمان .

(٢) - زيارة نيل الوطر - الجران - للقطف .

(٣) - قبائل حوّل صعدة .

أما محمد بن يحيى بن المنصور علي فاستولى على ريمه ثم أنس ثم عمته وأستقر في حصن الدامخ بضوران أنس ووالاه عامل ذمار وكبارها وعقال القبائل المحيطة وكبار برط من آل العنسي ولم يبق أمامه إلا التوجه إلى صنعاء لإسقاط إمامها علي بن المهدي عبد الله ، أما الشريف حسين بن علي حيدر فقد عاد إلى زبيد وترك أمور اليمن الأسفل لمحمد بن يحيى.

أما الإمام المهدي علي بن المهدي عبد الله فقد أنشغل عام ١٢٦١هـ بخروج قبائل بلاد البستان (بني مطر) قبيلة غرب صنعاء لتذمرهم من ظلم وزيره. فجمع عليهم قبائل بني الحارث وهمدان وسنحان لكنها تراجعت لدفع هذه القبيلة بعض المال.

المبحث الثالث

ثورة أهل صنعاء على أئمة القرى والحارات

اضطربت الأحوال بين أهالي صنعاء وثاروا على الأوضاع وخاصة ماتم من تعزيز لرجل من أهل سوق الحب بأمر من وزير المهدي القاضي يحيى بن علي الأرياني فثار أهل صنعاء ثائرين إلى المهدي في بستان السلطان فأصدر لهم كتابا ليمنح الأرياني من أن يخاطبهم بشيء فتوجهوا إلى دار الأرياني وأهملوا به إلا أنهم لم يجده ، وعبر ابن الأمير عن جور الوزراء بقوله :

ويا وزراء السوء ويا شر فرقة وأغبث أعوان لناه وأمر

ونجح عن ذلك أن عاد أهل الأسواق وعقدوا اجتماعا رأوا فيه اختيار شيخ مستول عن كل سوق من أسواقهم وأربعة مشايخ يلمون شعث أهل صنعاء ويكرونون مسؤولين عن الدفاع عنهم وعن مصالحهم^(١) وكانت الأوضاع العامة سيئه فانقطعت التجارة والواردات التي كانت تصل إلى العاصمة نتيجة سيطرة الشريف حسين ومحمد بن يحيى على هامة والمناطق الوسطى واليمن الأسفل أما الوزير الأرياني فقد ضاق بالمهدي وبما يجري حوله فغادر صنعاء ولزم داره في الروضة ولم يقبل وساطات المهدي ورسله للعودة

(١) - حريات : ١٢٣.

إلى صنعاء فعين بدلا منه القاضي يحيى بن علي الردمي^(١).

قيام الثورة في صنعاء وسقوط تعز وما حولها في يد الشريف حسين واستيلاء محمد بن يحيى ابن المنصور علي على ريمه وعتمه ووصابين وخروج قبائل صنعاء على طاعة المهدي كل تلك الأوضاع نتيجة لسوء إدارة هذا الإمام وتدني قدرته على اتخاذ القرار السليم مما أدى إلى فساد وظلم وزاد على ذلك أن قرر عام ١٢٦١هـ جمع القبائل لمواجهة تقدم محمد بن يحيى.

والتقى الجمعان في معركة غير فاصلة في قرية ضاف وفي اليوم التالي في قرية نقيب يسلم هزم فيها المهدي وتنازل عن الإمامة لمحمد بن يحيى وتلقب بالمتوكل وضم إليه الجموع التي خرجت مع المهدي.

وهكذا ذهبت أرواح المسلمين من الجانبين ولا يهم أبناء هذه السلالة سوى سلامتهم. وكما هي عادتهم فهم رحما فيما بينهم وأشداء قساة على بقية المسلمين ، فالقارئ للتاريخ يجد أن قتل اليمنيين قد تكرر بكثرة عند كل صراع بين أبناء هذه السلالة على الحكم وفقاً لفكر الهادي المؤصل للصراع على الحكم

ودخل المتوكل محمد بن يحيى بن المنصور قصره في بستان السلطان وبعد بضعة أشهر خرج عليه أهالي حصن آريان في رأس جبل بني سيف من بلاد يرم فجهز المتوكل حملة كان على رأسها وخرجت عليه أيضا خبان وحبيش وكعادة الأئمة أول ما يبدأ ون يهدم الحصون.

وكذلك ثارت عليه وصاب فتوجه إلى وصاب وفعل بها ما فعل بالمناطق الأخرى وهكذا يستمر ظلم وجور الحكام وتستمر ثورات وتمرد اليمنيين. فاليوم مثل أمس بل أكثر ظلمه ولا غد في حياة اليمنيين وعاد المتوكل إلى صنعاء (وهو في مواقفه السياسية لائمه إلا منفعتهم ومصالحه الشخصية ولو غير بسببها مواقفه وصدقاته).

أمل الناس فيه أن يغير فساد وظلم وضعف حكم المهدي علي ابن المهدي عبد الله فإذا بهم يجدون تغييرا من سيئ إلى أسوأ وكان هذه الأمة لم تفقه إن سياسة الأئمة من آل القاسم لا تتغير وإن تغيرت الأسماء والأزمنة لأن الذي يسيروهم هو فكر جامد منحرف سيطر على الحاكم والمحكوم.

(١) - حوليات: ١٢٤.

فيا عصبة ظلت عن الحق والمهدى ومالت إلى أفعال طاعٍ وفاجر^(١)

فبعد عودته إلى صنعاء وجد خروج وتمرد بكيل فأخذ أسلوب أسلافه وهو الفتنة بين القبائل فدفع القبائل المحيطة بصنعاء لمنع قبائل بكيل من المرور من أراضيها ولكن بعض قبائل بكيل استطاعت أن تمر لكنه تفاوض معهم وأدخل كبارهم إلى صنعاء وظلوا فيها طيلة شهر رمضان ١٩٦٢م وفي شوال توجه بقبائل بكيل من ذو محمد لإخضاع قبيلة عيال سريخ وعمران.

واستعان أيضا بقبيلة همدان في حملته هذه ، ودمر قرَاهم ومراكزهم ، بني ميمون وبيت الضلعي ثم عمران وعاد إلى صنعاء وأراد الخروج بقبائل ذو محمد إلى تهامة فرفضوا فأمر بمنعهم من الخروج من أبواب صنعاء كما فعل المهدي عبد الله سابقا باستثناء من أراد للحاق به فيمنح مصروف ويترك أحد أقاربه رهين حتى لا يفر فما كان منهم إلا الخضوع للآمر ولحقوا به في اليوم التالي .

وعاد التمرد في وصاب وريمه وحوصر عماله فقاد جملة لإخافتهم وما كان تمرد تلك المناطق إلا لجور الجباية ويتكرر ظلم عمال جميع الأئمة ، منذ عهد المتوكل على الله إسماعيل.

وخضعت العمال شر المعاشر	خراجية صيرتم الأرض كلها
وفازقت الأوطان خوف العساكر	لذلك الرعايا في البلاد تفرقت
وتسعة أعشار تصير لعاشر	وقد رضيت بالعشر من مالها لها
حوته وما قد أحرزت من ذخائر	فلم تقنعوا حتى أخذتم جميع ما

(١)- ابن الأثير وعصره - حسين السيفي ومحمد الأكرع وغيرهم ص-٢٣٨.

إذا سئلت عن جوركم وفعالكم أجابت علينا بالدموع البوادر (١)

ولطبيعة هذا الإمام الذي لا يهمه إلا مصلحته فقد بدأ يعد العدة لحرب حليف الأمم الشريف حسين بن علي حيدر.

فأعد المتوكل جيشاً لغزو هامة واستعادة سيطرته عليها وخاصة بعد أن راسله الشيخ علي حميدة ووعده بالنصرة بالأموال وبقتال أصحابه قبائل القحري وكان قد حصل بين الشريف والشيخ علي حميدة حروب ثم اصطلحا ولكنه ظل خائفاً من فتك الشريف حسين به، وكانت القبائل اليمنية هي جيش الشريف حسين والمتوكل فقبائل يام وقبائل من همدان وغيرها مع الشريف حسين.

والقبائل المجاورة لصنعاء همدان وسنحان وبلاد الروس وبني الحارث وبلاد البستان وخورلان جيش المتوكل، وأنطلق المتوكل بمؤلاء عام ١٢٦٤ هـ - ووصل إلى باجل وأنضم إليه قبائل القحري وقبائل الجرائح.

ووقعت معركة هزم فيها الشريف حسين في منطقة القطيع وتشتت جيشه ثم أسر الشريف حسين وأمر إلى أبنائه وعماله بالتسليم للمتوكل، فأظهر أبنائه الموافقة للمتوكل وأبطنوا أمراً آخر وذهبوا للاستنجاد بقبائل يام وترك المتوكل محمد بن يحيى ابن المنصور علي أسيره الشريف بقرية يشه تحت حراسة ذي حسين وأنطلق بجزء من الجيش إلى المخا فسلموا له بدون قتال بعد أن دفعوا مبالغ من المال وقام جيش المتوكل بنهبهم. وبقيت الحديدية تحت أيدي أبناء الشريف.

تشتت جيش المتوكل في المدن والمناطق التي استولى عليها وجاءت قبائل يام فترجع الشيخ علي حميدة بقبائله التي كانت محاصره الحديدية فالتحمت قوات الأشراف مع قبائل يام وزحفوا على مدينة زيد فاستباحتها قبائل يام ١٢٦٤ هـ / ١٨٤٨ م.

وأعملوا القتل والسلب وإباحة الإغراض وسلمت قبائل ذو حسين الشريف المأسور وبلغت المتوكل الأخبار فهرع إلى نجدتهم ولكنه لم يستطع فاستغاث بابنه غالب وكان بتعز (٢).

فحضر على عجل ومعه القاضي يحيى الإرياني ومعهما قبائل، ذي محمد البر طيه بقيادة النقيب احمد بن صالح ثوابه.

(١) - ابن الأثير وعصره - حسين السيفي ومحمد بن علي الأكوغ وغيرهم ص ٢٣٧

(٢) - العقبلي للمخلاف السليمان.

والمستقرئ للتاريخ يلاحظ أن قبيلة يام كانت تقف ضد الأئمة غالباً ، ونرجح ان السبب في ذلك هو عدم انتشار الفكر الهادي بها .

ولتهور هذا الإمام وتسرع فقد مكاسب انتصاراته السابقة لعدة أسباب: (١)

أولها :- هافته على المال والغنائم التي سيكسبها من دخوله المخا أما صاحب الحوليات فيرى أن سبب فشله الأخطاء التالية:-
- عدم نقل الشريف حسين إلى صنعاء فتركه في هامة بعث الأمل والدافع لأبنائه وأتباعه في إنقاذه.

- سوء الإدارة التي كانت سمه لحكم أئمة آل القاسم وذلك بأن عامله الفقيه أبكر شرف أساء إلى الناس فأحلوا بالأمن وقطعوا الطرق.

- ونضيف سبب رئيسي وجوهري هو سياسة أئمة بيت القاسم القائمة على إخضاع المناطق التي يسيطرون عليها بالقوة وإباحتها لجيوشهم وما تميزت به من وحشية يقول ميكافيلي في كتابه الأمير:

إذ أن من السهل ، على الإنسان ، أن ينسى وفاة والده من أن ينسى ضياع إرثه وممتلكاته.

- إن هولاء الأئمة كانوا يغروا القبائل للقتال معهم بالمغانم الناتجة عن السلب والنهب لأنهم لا يمتلكون الحججة القوية ولا الدافع الديني لكسب ولاء تلك القبائل ودفعهم للقتال .

ونتيجة لقيادة المتوكل الفاشلة فقد عانى الأمرين من شدة الحصار لبعده عن العاصمة وإخراجه قبائل ذو حسين معه للقتال (٢) ، بتلك الطريقة التي ذكرناها حال خروجه من صنعاء.

وكعادة مؤرخي الأئمة فقد أعادوا السبب إلى القبائل وذكروا أن قبائل ذو حسين نالوا مالا وفيرا من الشريف حسين الذي مالت الكفة لصالحه بوصول قبائل يام وخولان وخذلان القبائل ، للمتوكل وعلى رأسها ذو محمد فلم يجد للمتوكل حيله وخديعة إلا إيهام ذو محمد بقيادة النقيب صالح ثوابه بأن يوفروا له الحماية حتى يعود إلى صنعاء وسيمنحهم يرم إقطاعا خاصا اعترافا بجميلهم ومساعدتهم له في الخلاص وما أن أوصلته تلك القبائل

(١) حوليات

(٢) - مائة عام من تاريخ اليمن - د. حسين العمري .

إلى يريم حتى أستدعى قبائل المناطق الوسطى كالرياشيه من قبائل رداع والأعماس من قبائل الحدا وعمار وخبان وعتس ودفعهم ضد ذو محمد الذين أنقذوه وأمرهم بالرحيل ، وقبض على النقيب صالح بن ثوابه ووضع في سجن ذمار وعاد إلى صنعاء ولا يخفى أن الدافع في وقوف تلك القبائل ضد ذو محمد هو العداء التراكمي لدى تلك القبائل لذو محمد وغيرها من قبائل الشمال بسبب دفع الأئمة لقبائل ذو محمد وذو حسين وغيرها في فترات سابقة لإخضاع تلك المناطق أما تهامة فقد تركها دون شعوره بأدق مسئولية نحو عماله وأتباعه بعد سقوط زيد وبيت الفقيه وخروج من فيها خائبين مهزومين فعيروا ربه إلى صنعاء وأما الأمير المملوك فتح محمد فقد فر عن طريق البحر وعاد الشريف حسين وسيطر على تهامة من جديد.

إن هذا الإمام قد جُبل على نكران الجميل فنراه جاحدا لصنع الشريف حسين بن علي حيدر الذي ساندته وأخضع له تعز وإب وحتى أوصله إلى سده الحكم فعاد فحاربه ثم أسره وهؤلاء ذو محمد الذين ساعدوه وحموه حتى أوصلوه إلى بر الأمان في يريم ينكر صنيعهم وينكل بهم ويسجن تقيهم صالح ثوابه.

إن الصراع على الحكم والاستبداد هو المحرك الأساسي لتلك الفتن والحروب سواء فيما بين أبناء القاسم أو بينهم وبين الأشراف آل حيدر وغيرهم.

إن ما آلت إليه أوضاع اليمن في شرقها وغربها وشمالها وجنوبها من فتن أشعلها الأئمة نتيجة لفكرهم وأساليبهم المتحمدة وعلى رأسها الصراع بين أبناء هذه السلالة على الحكم يجعل نكبة هذه الأمة ومحتتها أعظم محنة عانت منها أمه عبر التاريخ ، كيف لا وقد استمرت أكثر من ألف سنة.

تمثلت في استبداد الأئمة للشعب وإشعال الفتن بالصراع على السلطة فيما بينهم وفقا للفكر الهادوي الموصل للخروج على الحاكم الظالم وإدعاء الإمامة فتكرر منذ أحفاد الهادي في ٤ هـ إلى هذا الزمن إمام ظالم وخارج عليه .

١- خروج احمد بن هاشم الويسي :-

وهو من المغالين في التشيع ومن جماعة الناصر عبد الله بن حسن وكان قد خرج من صنعاء إلى صعدة مع المؤيدي قبل خمسة عشر عاما ، حيث خرج إلى صعده ودعا لنفسه بالإمامة في شعبان ١٢٦٤هـ - سبتمبر ١٨٤٨م فأدعى في صعده ويبيع فيها ولم يهتم بأمره المتوكل فقيام إمامان جائز وفقا للفكر الهادوي

أما القبائل والعساكر المنسحجة من قمامة فسببت بعض القلاقل بصنعاء وبدأت القبائل الجاورة لصنعاء بالتمرد على المتوكل وفي نفس الوقت خرج الأمير حسين بن المتوكل أحمد فقد دعا لنفسه بالإمامة من يرم الذي عينه المتوكل عاملا عليها فلقب نفسه بالمهادي واستعان بقبائل ذو محمد مستغلا ما صنع بهم المتوكل محمد بن يحيى واستعان أيضا بالشيخ علي مثنى الجراودي وقبائله.

إن السلطة المطلقة والمكاسب المادية التي يحصل عليها الإمام بالإضافة إلى الاستلاء وما يترتب عليه من هبالة وتبجيل كانت الدافع وراء الصراع بين أبناء هذه الأسرة على الإمامة جيل بعد جيل بأي وسيلة نتيجة لما أصله الفكر الهادوي وأصبح كثقافة مجتمعية .

وبدأ حسين بن المتوكل الإمامة من قرية رخمة وتقدم لمحصرة ذمار في ذي الحجة ١٢٦٤ هـ نوفمبر ١٨٤٨م وقد تفرق بعض من حوله لتقديم العيد ونتيجة لذلك توجه المتوكل محمد بن يحيى ابن المنصور علي إلى ذمار وأول ما فعله هو إحضار النقيب احمد بن صالح ثوابه فوبخه ثم أمر بقتله فقتل شر قتله^(١) بعد ذلك أرسل بعض القبائل بقيادة الفقيه احمد بن محمد العفاري لمحصرة حسين بن المتوكل في رخمة وأشتعل القتال بين الجانبين وكان مع حسين بن المتوكل احمد مدفعا وسفكت دماء المسلمين من الجانبين

وكالمعتاد لا يعني محترفي سفك الدماء وقتل اليمنيين شيء فقد تصالحوا على أن يسمح لحسين بن المتوكل احمد بالسكن في دار الحجر بوادي ظهر.

أما أبناء النقيب صالح بن احمد ثوابه فقد راضاهم بأن اقتطعهم قرية البخاري قريبا من المخادر^(٢) بلواء إب، وهذا أسلوب اتخذه الأئمة لإرضاء تلك القبائل أو لدفعها للقتال . وعاد إلى صنعاء ١٢٦٥ هـ وصادر أملاك الذين وافقوا الداعي الويسي (أمر بتسمير بيوت الذين وافقوا الداعي بصعده احمد بن هاشم الويسي) وقام بسجن حسين بن المتوكل أحمد وتمكن الويسي من جمع القبائل وإشعال الفتن حتى حاصر صنعاء عام ١٢٦٧ هـ .

وبلغ عدد أهم من أشعل الفتن والحروب من أدعياء الإمامة المتصارعون عليها منذ القاسم بن محمد واحد وعشرين هم :-

(١) - زيارة - نيل الوطر ، الجرائد / ٢ / ٢٤٥ .

(٢) - حوليات ، ١٦٦ .

- المنصور القاسم بن محمد ١٠٠٦-١٠٢٩هـ
 - المؤيد محمد بن القاسم ١٠٢٩-١٠٥٤هـ
 وقد ادعى أخوه احمد بن القاسم ١٠٥٤هـ وتنجى لـ...
 - المتوكل إسماعيل بن القاسم ١٠٥٤-١٠٨٧هـ
 وخرج عليه إبراهيم بن محمد عز الدين من "صعده".
 وخرج عليه أيضاً أخوه أبو طالب احمد بن القاسم " بشهارة"
 وخرج عليه ثم تنازل ابن أخيه محمد بن الحسن بن القاسم في تعز.
 وخرج عليه ابن أخيه علي بن أحمد بن القاسم من "صعده- ١٠٦٦هـ" عندما استبدله
 بأبنة .

- المهدي احمد بن الحسن بن القاسم ١٠٨٧-١٠٩٢هـ
 وأدعى معه القاسم بن محمد بن القاسم بشهارة .
 وخرج عليه أيضاً علي بن احمد بن القاسم وظل خارجاً منذ عهد المتوكل إسماعيل.
 - المؤيد محمد بن المتوكل إسماعيل ١٠٩٢-١٠٩٧هـ
 وخرج عليه الحسين بن الحسن وظل خارجاً عليه القاسم بن محمد .
 وخرج عليه يوسف بن المتوكل على الله إسماعيل ، ونازعه محمد بن الحسن بن القاسم.
 - المهدي محمد بن أحمد بن الحسن بن القاسم ١٠٩٨-١١٣٠هـ
 " صاحب المواهب " وقد خرج عليه :-

- علي بن أحمد بن القاسم من صعده .
- الحسن بن الحسين بن القاسم من رداع .
- الحسن بن المتوكل إسماعيل من اللحية.
- الحسين بن عبد القادر من كوكبان .
- الحسين بن محمد بن احمد بن القاسم من حمر .
- الساحر إبراهيم المحظوري "بصعده"

- المنصور الحسين بن القاسم بن المؤيد ١١٢٧-١١٣١هـ -

- المتوكل القاسم بن حسين ١١٢٨-١١٣٩هـ -

وخرج عليه أبناء صاحب المواهب .

وخرج عليه أيضاً بني إسحاق .

وخرج عليه أيضاً محمد بن الحسن بن عبد القادر " بكوكبان" .

وأدعى بعده ومعه الناصر محمد بن إسحاق بن أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد وبدأ دعوته من قرية شظب في مديرية سفيان سنة ١٣٥ هـ .

- المنصور الحسين بن القاسم ١١٦١-١١٣٩هـ -

- الناصر محمد بن إسحاق ١١٣٥هـ -

وأدعى للمرة الثانية الناصر محمد بن إسحاق بن أحمد بن الحسن بن القاسم بن محمد في ظفار سنة ١١٣٩هـ ثم بايع المنصور حسين وأستقر بصنعاء حتى موته .

وخرج على المنصور حسين محمد بن إسحاق المهدي أحمد وتوفي سنة ١١٦٧هـ وتلقب بالناصر .

وخرج على الإمام المنصور حسين ابن القاسم بن الحسين بن أحمد بن الحسين بن القاسم ، أحمد ابن الحسن ابن القاسم بمدينة تعز . وقد كان مسيطراً على تعز والمناطق الوسطى وقام صراع بينه وإسماعيل بن محمد بن إسحاق ، حتى قبض أحمد بن الحسن على إسماعيل بن إسحاق سنة ١١٤١هـ .

وخرج عليه أيضاً الحسن بن إسحاق من ثلا إلى حصن طيبة بوادي ظهر .

وخرج عليه يحيى بن إسحاق و عبد الله ابن طالب ظل خارجاً عليه إلى أن بايعه .

- المهدي عباس بن المنصور حسين ١١٦١-١١٨٩هـ -

وقد خرج عليه وأدعى الإمامة معه أحمد بن حسين بن عبد القادر شرف الدين في كوكبان (١١٣٢هـ - ١١٨١هـ) (١٧١٠م - ١٧٦٧م) وقد دعا لنفسه عند وفاة المنصور حسين والد المهدي ولقب نفسه بالمؤيد بالله .

وخرج عليه أيضاً الساحر أبو علامة و هو أحمد الحسيني المكفي بأبي طير .

- المنصور علي بن المهدي عباس ١١٨٩-١٢٢٤هـ -

خرج عليه الهاشمي حسين بن علي بن قاسم الصعدي
وقامت في عهده الحركة الوهابية.

وخرج عليه أيضاً علي بن إسحاق^(١) سنة (١١٩٤هـ - ١٧٦١م) بأرحب
، وخرج على المنصور علي إسماعيل ابن احمد الكبيسي عام ١٢٢١ هـ ودعا لنفسه
بالإمامة في منطقة طفير وحجه وتلقب بالمتوكل على الله.

وخرج عليه أيضاً ابن أخو المنصور علي احمد ابن عبد الله ابن المهدي عباس

وخرج على المنصور علي وابنه أحمد بيت شرف الدين في كوكبان

- المتوكل احمد بن المنصور علي ١٢٢٤ - ١٢٣١هـ

وخرج عليه شرف الدين بن احمد وأخاه عبد الله سنة ١٢٢٨هـ

فقد خرج عليه وأدعى الإمامة يحيى ابن المنصور علي سنة ١٢٤٥ هـ

وقد خرج عليه قاسم بن منصور بتعز في يونيو عام ١٨٣٧م (ربيع الأول ١٢٥٣هـ)

وخرج على المنصور علي بن المهدي عبد الله ، حسين بن علي المؤيدي كان من
أنصار الإمام السراجي ومن خرج معه من صنعاء وقاتل المهدي عبد الله سنة ١٢٤٧هـ.

وذكر زبارة أن خروج المؤيدي إلى صعده سنة ١٢٥٢هـ وقيل ١٢٤٩هـ

وأختلف في كونه دعا إلى نفسه أو كونه دعا بتنصيب عبد الله بن الحسن بن احمد بن
المهدي عباس

وظل بصعده بدعوته يهيم بها للخروج على المهدي عبد الله ثم على ابنه علي حتى توفي
١٢٥٢هـ .

- المهدي عبد الله بن المتوكل احمد ١٢٣١ - ١٢٥١هـ

- الهادي احمد بن علي السراجي ١٢٤٧هـ

- المنصور علي بن المهدي عبد الله ١٢٥١ - ١٢٥٢هـ

- الناصر عبد الله بن الحسن بن أحمد

بن المهدي ١٢٥٢ - ١٢٥٥هـ

(١) - الدكتور العمري .

- الهادي محمد بن المتوكل احمد ١٢٥٦-١٢٥٩هـ
- المتوكل محمد بن يحيى بن المنصور ١٢٦٠-١٢٦٥هـ
- المنصور احمد بن هاشم ١٢٦٤-١٢٦٥هـ
- المؤيد عباس بن عبد الرحمن ١٢٦٦هـ

المبحث الرابع: دخول العثمانيين سنة ١٢٦٥هـ :-

إن هذه الحالة التي وصلت إليها اليمن ببغي وفساد الأئمة وإشعال الحروب نتيجته للصراع على السلطة في ما بين أبناء هذه السلالة المعتمد على دفع القبائل للاقتتال وما ترتب عليه من سلب ونهب وتدمير لمعمور هذه البلاد خلال فترة حكم أبناء القاسم عموماً

ويعبر عن ذلك ابن الأمير بقوله^(١) :

ويا عصابة من هاشم قاسمية
إلى كم ترون الجور احدى المفاخر
وأحللتهم ما حرم الله جهرة
وشر ذنوب الخلق ذنب المجاهر
وجوزتم أخذ المكوس بأرضنا
وتسوفيرها ظلماً على كل تاجر
وقلتم نرى فيها مصالح للورى
وربكم أدرى بكسل الضمائر
تساويتم في كل قبح فعلتم
أكابركم في فعلهم كالأصاغر

وما وصلت به الحال خلال حكم محمد بن يحيى ابن المنصور وخاصة قتاله مع الأشراف بتهمة أدى ذلك إلى عزيم الشريف علي بن حسين في طلب العثمانيين الأتراك

(١)- ابن الأمير وعصره - حسين السيافى وعهد الأكوغ وغيرهم ص ٢٣٨

للمحجى لحكم البلاد فما كان من الباب العالي إلا أن أصدر الأمر إلى والي الحجاز توفيق باشا وأمير مكة الشريف محمد بن عون بالتوجه إلى اليمن على رأس جيش عثمانى من ثلاثة ألاف رجل فوصلوا للحيه ثم الحديده عام ١٢٦٥هـ - ١٨٤٩ م.

فرحب بهم الشريف حسين مقدما كل التسهيلات^(١) ولما وصل الخبر إلى صنعاء لم يرغب المتوكل أن يتفرد خصمه بالتزلف إلى الأتراك فأرسل القاضي عبد الله بن أحمد العماري بالهدايا النفيسة من بينها بخائب الخيل وعاد رسوله بالأجوبة ثم أرسل العثمانيون خور شيد ورحب به الشيخ علي حميدة وولده^(٢).

وقد رأى العثمانيين نزول المتوكل إلى الحديده فوافق المتوكل وتوجه إلى الحديده ١٢٦٩هـ - ووافق لتوفيق باشا والشريف محمد علي دخول القوات العثمانية إلى صنعاء مقابل مبلغ من المال ومرتب شهري وهكذا باع كل شي، وعلى رأسه وأهمه دماء وأرواح اليمنيين التي ذهبت حتى وصل إلى الحكم.

إن المتوكل بأسلوبه السياسي ومذهبه النفعي في انتهاز الفرص في التعاون مع العثمانيين وإحضارهم بنفسه إلى صنعاء قد برر له مؤرخو الأئمة ذلك بقولهم (ليستريح من تعنت القبائل وتخبطهم وأستطالتهم في المطالب مع عدم النفع منهم)

وقد أعلن الفرمان العثماني في خطبة الجمعة ٢١ شعبان ١٢٦٥هـ وأمر المتوكل بتفريغ قصر صنعاء وتكثافتها لاستقبال الجند الأتراك^(٣) وبذلك أدخل هذا الإمام العثمانيين وسيقوم إمام آخر بتأليب الناس على العثمانيين وقتلهم وبث الشائعات بفسقهم وكفرهم وحدث ذلك أيام المتوكل على الله إسماعيل .

ومثلما بث الفكر الهادوي كثقافة مجتمعيه وخاصة في استحقاق الإمامة لهذه السلالة وما ترتب على ذلك من أساليب الأئمة منذ الهادي وعلى رأسها إعادة الروح القبليه وتأصيل العدوات والثارات بين القبائل بدفع قبيلة على أخرى ودفع قبيلة أو بمجموعه قبائل لإخضاع مناطق اليمن بالقوة لنفوذهم بخدمهم يستقدمون العثمانيين وغيرهم في مختلف الأزمنة عندما يكون ذلك في مصلحتهم ثم يقومون بدفع اليمنيين لقتال العثمانيين فتكون ردة الفعل لدى العثمانيين قتال القبائل اليمنية وهكذا فعل وردة فعل والسبب أئمة الفكر الهادوي الأمر الذي أدى إلى عداوة تراكمية بين اليمنيين والقوات العثمانية.

(١) - الجرائد : المقطع .

(٢) - حوليات : ١٦٨ .

(٣) - حوليات ١٧١ - ١٨٦

ولم ينسى الطرفان ما دار بينهم من معارك قبل أكثر من قرنين لازالت أثارها ماثلة في أذهانهم متناقلة قصص وأساطير إن الفكر الهادي وأساليب معتقيه من الأئمة كانت السبب الرئيسي في عدم استفادة اليمن من خيرات ورقي الدولة الإسلامية بوسيلتين:-

بمخروجهم على دولة الخلافة بإدعاء الإمامة وبالتالي هيجوا اليمنيين لقتال العثمانيين نتيجة لما يثوه من تفسيق وتكفير للعثمانيين وعندما انسحب العثمانيون قاموا بإزالة ما تركه العثمانيين من تطور فكري ومادي.

إن اليمن قد عزلت عن العالم الخارجي بحكم الأئمة القائم على تجهيل أبناء هذه الأمة وبث الفرقة بإشعال الحروب حتى ما ظهر من ومضات فكرية تجديديه وتصويبيه فإنها كانت محصورة في نطاق صفوه أهل المدن ولا تصل حتى إلى الصفوة في مختلف المناطق ولا إلى غالبية أبناء الشعب لما عم بينهم من الجهل ولأن أفكار المحددين والمصوبين كانت تقابل بأفكار ومذاهب الحكام وهذا بطبيعته هو صوت السلطة القادر على الانتشار بين العامة مما جعل اليمن تقتات على ما تبقى من تراثها الحضاري قبل الإسلام أما بالنسبة للمناطق التي لم تتمذهب بالفكر الهادي فقد أخضعها الهاديون بالقوة والتفكير والتجهيل بإتقال الجباية عليها بواسطة عمال الأئمة أو بإقطاعها لشيخ القبائل وأغرقت في بحر من الفتن خلال فترات حكم الهاديين.

بذلك فقد محوا أغلب ما خلفته الدول التي قامت في تلك المناطق ابتداء من الزيادة حتى الطاهره ، لامتداد أمد هذه الحالة المتردية لليمن ، وما صمود بعض معالم الحضارة اليمنية القديمة كالزراعة والعمارة والصناعة إلا لقوة تلك الحضارة التي حفظت بالتوارث دون أي وسيله لتعلمها أو حتى تدوينها.

إن الخلافة العثمانية هي أول من أدخل ومضات العلم والمعرفة بمختلف أنواعها إلى اليمن ولولا الحالة التي وصلت إليها اليمن وأهمها حالة عدم الاستقرار وتمرس القتل والقتال بسبب صراع الأئمة الهاديون على الحكم ولانعدام تنشئة اليمنيين على مبدأ الأخوة الإسلامية والمساواة نتيجة لانتشار التمايز والعداء وثقافة الحق الإلهي للأئمة في الحكم الذي جعل الشعب مهياً للفتك بالعثمانيين.

لولا ما سبق لكان اليمنيين قد نعموا بما هو جديد في مختلف المعارف التي جلبها العثمانيون إلى اليمن.

ولاستمرارية الأئمة في الصراع على السلطة قام علي بن المهدي عبد الله وبعض الفقهاء الذين ارتبطت مصالحهم ببقاء الإمامة بتأليب أهالي صنعاء والعساكر على

العثمانيين الواصلين وعلى المتوكل بيث الإشاعات عما سيكون من العثمانيين وهذه وسيلة
أستخدمها الأئمة خلال فترات الوجود العثماني واستخدمت هذه الوسائل ضد كل من
حكم اليمن من غير هذه السلالة أو خرج على الأئمة.

وبعد ستة أيام من قراءة فرمان في الجامع الكبير وصلت القوات العثمانية في
٦ رمضان ١٢٦٥ هـ / ٢٤ يوليو ١٨٤٩م فدخل قسم كبير منهم قصر صنعاء والعسكر
الباقين في ميدان البكريه وقرر للمتوكل أربعة ألف ريال شهريا ومرتبات لمن معه.
ونتيجة للأسباب السابقة فقد قال زبارة في نيل الوطر(و)يقن كل من سمع من المتوكل
صدق الأقاويل وعلموا بخديعته لهم وخيائته لأمانته وأعلم الناس بعضهم بعضا وعلموا أن
الأمر صعب صعب).

وفي اليوم الثاني أنتشر بعض الأتراك للتسوق وقد عقد أهالي صنعاء والجنود اجتماعا في
مسجد أزدر باشا القريب من باب صنعاء الشمالي (وأجمعوا رأيهم على الفتك بالأتراك
وئارت العامة معهم فأوقعوا بكل من وجدوه في صنعاء وبثر العزب وبلغ القتلى من
الأتراك نحو مائة قتيل وأخذت خيلهم وأمتعتهم).

وحاصروا المتوكل في بستان السلطان واستمروا في مطاردة الأتراك وحصلت بعض
القتال في صنعاء من هب بعض المتاجر والبيوت وأستمر تبادل الرماية بين الأتراك في
القصر والناس من الدور المرتفعة وخارجه^(١)

وفي الليل رأى المستفيدون من نظام الأئمة انتهاء صلاحية الإمام السابق وضرورة
تنصيب إمام جديد فنصبوا على ابن المهدي عبد الله الذي كان قد خلع مرتين وآخرها
عند هزيمته على يد المتوكل قبل أربعة سنوات وبضعة أشهر فتنازل المتوكل له عن الحكم
وأستقر مؤثراً العافية في صنعاء.

وأستمر حصار الأتراك في قصر صنعاء وأصبح علي بن المهدي إماما من يوم السبت ٨
رمضان ١٢٦٥ هـ والمتوكل محاصر في بستان السلطان رمزا للخيانة.

وأخذ المتوكل إلى سجن القصر ونشر الإمام وأتباعه أخبار حصار الأتراك بين القبائل
فتوافدت القبائل القريبة من العاصمة لتساهم في تشديد الحصار ولغنم قد دنا لهم وفتحت
لهم أبواب صنعاء وقلت مؤن الأتراك داخل القصر وتفاوضوا مع الإمام علي ابن المهدي
علي أن يزودهم باحتياجهم ويتهبأوا للرحيل وأن تؤمن لهم الحماية عند خروجهم (فطلبوا

(١) - زيارة.

الطعام والعلف وثلاثمائة وخمسين جمل لنقل أثقالهم على أن يمنحوا الأمان والحماية حتى يصلوا الحديده ومقابل ذلك يتركون رهائن إذا هم سوفوا في الرحيل فقتلهم مباح كما أنهم سيدفعون التكاليف كافة).

وفي يوم عيد رمضان ١٢٦٥هـ - ١٨ أغسطس ١٨٤٩ أقلت أبواب صنعاء وفتح باب صنعاء الجنوبي (باب ستران) فخرجت القوات التركية وكتب المهدي للقبائل التي سيرون منها تأمين انسحابهم حتى يبلغوا مأمنهم.

وبقي العثمانيون في قمامة وقد تعاونوا لوقت قصير مع الشريف حسين بن علي حيدر ثم عاد إلى أبي عريش وأقام بقصره المسمى نجران ثم صدرت الأوامر من الأستانة بترحيله إليها فلما وصل بخير في الإقامة في أي محل أراده من البلاد العثمانية فاختر الإقامة في مكة إلى أن أدركته الوفاة ١٢٩٣ هـ - ١٨٧٦ م.

أما صنعاء فقد بدأ عصر الإمام علي ابن المهدي عبد الله بمواجهة الفوضى والفتن التي كانت قائمة في أماكن كثيرة.

وخوفا على السلطة وانتقاما من المتوكل محمد ابن يحيى فقد قام بسجن بيت المتوكل وصادر أموالهم وأعدم المتوكل يوم ٢٤ محرم ١٢٦٦هـ - ١١ ديسمبر ١٨٤٩ م.

وتستمر فتنة الصراع على الإمامة فهاهو خطر الهادي الويسي وفتنته تمتد من صعده باتجاه صنعاء فوصل عمران ثم إلى بيت ردم^(١) أما المهدي علي ابن المهدي عبد الله فلم يستمر إلا أشهر بعد إعدام المتوكل حتى خلع ودخلت البلاد في فترة تعتبر من أكبر المحن التي مرت علي اليمن بسبب صراع الأئمة حتى عاد العثمانيون .

انعدام السلطة المركزية وتعدد الأئمة :-

زاد عدد المتنافسين على الإمامة جيل بعد جيل وكثر عدد المتنافسون في هذه الفترة وكان منهم علي بن المهدي الذي أعيد تنصيبه مرة رابعه حتى المحرم ١٢٧٤هـ وأستمر احمد بن هاشم الويسي بجمع القبائل ثم حاصر صنعاء وفي صنعاء اجتمع فقهاء وقضاة الأئمة وقرروا تنصيب العباس ابن عبد الرحمن ينتهي نسبه إلى القاسم بن محمد ويقال له أبن شمس الحور نسبه إلى أمه وتلقب بالمؤيد بالله وعم الاضطراب في صنعاء فقام نفس الفقهاء والأعيان بمبايعة احمد بن هاشم الويسي فقام العباس بن عبد الرحمن بسجنهم فعادوا إلى طاعته.

(١) - قرية من قرى بني معتر بخلاف شهاب .

وهكذا أصبح نقض العهود التي يمارسها الأئمة في خروجهم على بعضهم البعض
ويعملونها فقهاهم بإعطاء البيعة أكثر من واحد.
وقد قال ابن الأثير:-

ويا علماء الدين مالي أراكم
تغاضيتم عن منكرات الأوامر
أما الأمر بالمعروف والنهي فريضكم
فأعرضتم عن ذلك إعراض هاجر
فإن هم عصوكم فاهجروهم وهاجروا
تنالوا بنصر الدين أجر المهاجر
فقل لقضاة سوء لا در درهم
أما لكم في نصحتهم سهم قامر
أما أخذ الميثاق ربي عليكم

بأن تنصحوها بالحق أهل المناكر^(١)

وتمسك العباس بن عبد الرحمن بالإمامة وشد الويسي الحصار على صنعاء ودخلت
القبائل صنعاء وتحصن ابن شمس الحور في قصر صنعاء بعد أن جمع النفائس من دور
بستان السلطان ودار الطواشي واشتعلت الفتنه وسط صنعاء وأنقسم الناس فريقين وراح
ضحية هذا النزاع على السلطة أبناء هذا الشعب وكالعادة أصطلح الإمامان وبيع ابن
شمس الحور أحمد بن هاشم الويسي وفي سنة ١٢٦٧هـ سجن الويسي العباس ابن شمس
الحور وفر علي ابن المهدي من صنعاء ومعه العلامة احمد بن محمد الشوكاني والقاضي
عبد الرحمن العمراي.

وحاولوا جمع القبائل حولهم وأدعى الإمامة علي ابن المهدي وتلقب بالمتوكل فامر
الويسي بأخذ ما في بيوتهم التي في صنعاء.

وتدهور الحال في صنعاء ولم يكن احمد ابن هاشم الويسي أهلا للحكم أو لديه قدره
وفي نفس الوقت فقد مل الناس ادعاءات وأكاذيب الأئمة فلم يبق فيهم ولاء لأي منهم

(١)- ابن الأثير وعصره - حسين السيفي وعهد بن علي الأكموع وغيرهم - ص- ٢٣٧.

فلم يستجيبوا للقتال مع هذا الإمام أو ذاك بل قاموا بالهجوم على صنعاء فتجمعت جميع القبائل على صنعاء و دخلوا بحر العرب ونهبوا جميع ما فيها ولم يتركوا فيها إلا الأحجار .

أما أهل صنعاء فقد خرجوا عن طاعة الويسي لسوء الحال الذي وصلوا إليه وأعلنوا ولائهم لعلي ابن المهدي .

أما احمد ابن قاسم الويسي فقد بقي في بستان السلطان مع حرسه وحاشيته ثم هرب إلى قرية دار أعلى بقبيلة أرحب .

إن الفكر المهادوي لم يتواكب مع زيادة عدد أبناء هذه السلالة وجميعهم لهم الحق في الإمامة لأنهم من البطينين (حسب فكر المهادي .

وهذا هو الشرط الوحيد من شروط الإمامة عند المهادي الذي تمسك به هؤلاء المدعين للإمامة بالإضافة إلى شرط الذكورة وتستمر فتنة الصراع على السلطة والحكم بين أبناء هذه السلالة فقد ادعى الإمامة في الروضة غالب بن محمد بن يحيى بن المنصور علي الذي أعدم والده علي ابن المهدي .

وأصبح حال اليمن وأبنائه تعجز عن وصفه العبارات والكلمات فتهامة والمخلاف السليماني تحت حكم العثمانيين وحراز تحت سيطرة قبائل يام والمناطق الوسطى تحت سيطرة قبائل بكيل وعلي ابن المهدي يدعي الإمامة بالوادي وغالب بن محمد بن يحيى يدخل ، صنعاء في شهر شوال ١٢٦٧هـ .

وينتشر الطاعون في مكة في موسم الحج ولا حول ولا قوة إلا بالله فبأي دين حكم هؤلاء الأئمة .

الفتن قائمه والسبل مخائفة والشرائع عاطلة ثم عزم المهادي إلى بلاد حراز لمحاربة المكرمي فحارهم وأخذ عليهم مناخه^(١) ثم أخرجه منها قبائل يام فتوجه لجمع الأموال إلى حفاش (مديرية بمحافظة الحويت) والناس في هذه الحال والإمام الآخر علي ابن المهدي أنتقل إلى مدينة يريم يدعو الناس إلى طاعته والإمامان ما خرجا إلى هذه المناطق إلا لسلب الأموال وجمعها من تلك المناطق بتسليط القبائل ، التي جمعها كل واحد إلى جواره وفي نفس الوقت يخرج العباس بن عبد الرحمن الملقب بابن شمس الحور إلى ضلاع (قرية بمديرية همدان محافظة صنعاء) يدعي الإمامة لنفسه ومن ضوران (مدينة بآنس محافظة

(١) - تاريخ اليمن : عبد الواحد الواسمي .

ذمار) يدعي الإمامة العباس بن المتوكل أحمد ويقوم بجمع القبائل حوله ويتوجه إلى صنعاء ويدخلها.

فأنقسم الناس في صنعاء وهم منقسمون في كل مكان بين مؤيد للعباس بن المتوكل أحمد، ومؤيد لغالب بن محمد بن يحيى بن المنصور علي واشتعلت الحرب في صنعاء بين الفريقين ورتب العساكر في منارات المساجد والدور الكبار فالجانب الشرقي في صنعاء مع الهادي غالب بن محمد والجانب الغربي مع المهدي عباس ابن المتوكل أحمد وحوصر الناس في بيوتهم وأغلقت الأسواق والمساجد وأغلق الجامع الكبير نحو شهرين والهادي غالب بن محمد مستمر في جمع الأموال من أقوات أهالي حفاش.

ثم عاد من حفاش إلى صنعاء فهرب منها المهدي عباس ابن المتوكل أحمد ومن بايعه إلى قرية ضلاع همدان وفي هذه الفتنة تمخر بت الدور الكبار في صنعاء مثل دار المخداه ودار الحجر في الوادي وحي بستان السلطان وسيطر على صنعاء غالب بن محمد أما خارج صنعاء فكل قبيلة تحكم نفسها ونفس الفقهاء يتناوبون مع هؤلاء الأئمة وفي نفس السنة ١٢٦٩هـ حصلت فتنة وقاتل بين الهادي غالب بن محمد وأحمد عبد الله أبو طالب عامله على حفاش بسبب ما تحصله من أموال.

وقامت الحرب في صنعاء ثم خلع الهادي نفسه وتوفي أحمد بن هاشم الويسي ودفن في بلاد أرحب.

وأدعى الإمامة أحمد بن عبد الله أبي طالب وتلقب بالمهدي وبايعه أهل صنعاء وكلا أدعى وكلا بايعوا.

واضطربت الأمور المضطربة وزادت الفتن المشتعلة وكلا يدعو وكلا يدعي الإمامة ليسلب ويحبي الرعية وكل ما يفعل هؤلاء جائر وفقا لبدع الهادي يحيى بن الحسين :-

وفي سنة ١٢٧٠هـ أدعى الإمامة محمد بن عبد الله الوزير من قرية السر قبيلة بني حشيش مديره من مديريات محافظة صنعاء ولم يذكر مؤرخو الإمامة إلا لهذا المدعي أنه بلغ من العلم مرتبه ودخل صنعاء في ٧ صفر من هذا العام.

وفي سنة ١٢٧١هـ أدعى الإمامة حسين بن المتوكل في الروضة وساندته قبائل أرحب وتلقب بالمتوكل وتجمعت قبائل بني الحارث وأرحب وحاصروا صنعاء وهجموا على بئر العزب وظلوا محاصرين لصنعاء.

واستمرت الحرب قائمه بين من في صنعاء والقبائل، التي حولها ثم ألتفق المشايخ والأعيان من أهل صنعاء والقبائل على خلع الإمامين المنصور الوزير وحسين بن المتوكل، ونصبوا إماما محسن بن احمد الشهاري وتلقب بالمتوكل وفي هذا العام ذكر عبد الواسع الواسعي في تاريخ اليمن (أن الشيخ مقبل الصعر وجد في خرابه أمام بيته تماثيل من النحاس من جميع الحيوانات من بني آدم والفرام والسباع والطيور وإلى ذلك ثلاثة صناديق من الذهب والفضة ثم بعث بذلك إلى المنصور بالله الوزير .

وبعد تنصيب محسن بن احمد الشهاري إماما فإن المنصور بالله الوزير لم يتخلع نفسه ولم يبائع بل عزم إلى السر في ٢٧ شهر شعبان ويذكر الواسعي أنه سمع من بعض المشايخ أن حال خروج الوزير من صنعاء كان يدعوا على أهالي صنعاء فأعقب ذلك موت البقر وحصل في العنب عاهة تسمى باليمن "الذحل" ففسدت وارتفعت البركة من الطعام بسبب فساد الناس وهكذا تم تجهيل الناس ثم بث فقهاء الأئمة هذه الأساطير.

ومثل هذه الخرافات كانت تنشر بين الناس، وبالذات بين القبائل في عهود الأئمة المختلفة وهذا أمر طبيعي فإذا جهل الإنسان سهل خداعه بإسقاط الهالة والقدسية باستحابة دعاء هؤلاء لما لا؟ وقد تراكم تجهيل الناس بشكل مقصود وبألية مكرره من قبل الأئمة الهادويون.

ويلخص حال بعض المدعين الواسعي بقوله ^(١) أما الذين كانوا ادعوا (الإمامة) أولا خلعوا أنفسهم وذهبت بسببهم نفوس وأموال وحدثت غصص وأحوال، فاجتمعوا بالروضة منهم غالب بن محمد يحيى والعباس بن المتوكل وحمد بن عبد الله أبو طالب وأجمع رأيهم على نصب إمام منهم وقيام الآخرين بالأمر معه والإعانة له ويكونون كالبنان أو كالبنيان يشد بعضه بعضا).

ثم قام بالأمر غالب بن محمد وتلقب بالهادي ونهض من الروضة وقد كان مستقرا هنالك من عند وصوله من حفاش ثم بايعه أناس من بني الحارث وهدان ثم نهض من هنالك ومن معه إلى بلاد حضور ^(٢) في الجنوب الغربي من صنعاء على بعد أربع ساعات.

: إن الفترة التي امتدت من عام ١٢٥١هـ إلى ١٢٧٢هـ وما شهدته من صراع الأئمة على الحكم سواء بالخلع أو بالخروج، أبتداً من عهد علي بن المهدي عبد الله إلى أن تولى أمر صنعاء الحاج احمد بن احمد الخيمي عام ١٢٧٢هـ قد وصلت باليمن إلى مرحله من

(١) - تاريخ اليمن - عبد الواسع الواسعي .

(٢) - منطقة من مديرية بني مطر محافظة صنعاء .

التفكك وعدم الاستقرار الأمر الذي أدى إلى تدهور أحوال الناس اقتصاديا وسياسيا وإجتماعيا بشكل لم يسبق له مثيل وهذا أمر طبيعي لانحراف الأسس التي قامت عليها الدولة القاسمية وهو الفكر الهادي القائم على الحق الإلهي في الحكم لهذه السلالة واستحقاق الإمامة لمن قام بما ودعا إليها ولجواز الخروج على الحاكم الظالم بدون قيود أو تحديد موجبات الخروج ولجواز قيام إمامان في وقت واحد.

إن فكر الهادي باعتماده على هذه المبادئ قد وضع الأسس الأساسية للصراع بين أبناء هذه السلالة على الحكم وبالتالي إلى ديمومة الفتنه والاقتيال بين أبناء الشعب اليميني ورويت تلك الفتنه بدماء اليمينيين وأرواحهم خلال تلك الفترة وما سبقها.

وجر ذلك الأئمة وأدعياء الإمامة إلى استخدام أساليب ووسائل اتصفت بالظلم والقسوة في استبداد الناس وجباية أموالهم بطرق تخالف شريعة الإسلام.

ذلك الظلم التراكمي أدى إلى التجاء الناس إلى خلع هذا الإمام ومبايعه الآخر نتيجة لظلم المخلوع وعدم قدرته فإذا بالخلف أكثر ظلما وأقل قدرة وزاد الطين بله إدعاء الإمامة عدة أفراد من هذه السلالة في آن واحد حتى قام الناس بتنصيب الحاج احمد بن احمد الخيممي كماقل لصنعاء ولم ينصب كحاكم أو إمام أو أي مسمى ويرجع ذلك إلى فكر الهادي وأساليب الأئمة التي تمحورت في تجهيل الشعب وبث مبادئها في ذلك المحيط المظلم من الجهل والتخلف حتى أعتقد الناس بأن صلاة الجمعة لا تجوز إلا بقيام إمام من هذه السلالة فينصبونه قبل الصلاة ويخلعونه بعدها (نشهد أن الهادي أتقن اللعبة).

إن هذه الحالة قد أدت إلى محو أ بسط نواميس العدل وهي مسائله مسيبي هذه الفتن، وهذا يُظهر ركود وجود قيم فقهاء وعلماء هذه الفترة إما لانحراف كل القيم أو للقهر والإذلال الذي مارسه الأئمة وأدعيائها عليهم إن أبلغ دليل يظهر ظلم الفكر الهادي وأئمتة هو عدد الأئمة وأدعيائهم حيث بلغ عدد المتصارعين على الإمامة أكثر من ثلاثين خلال الفترة ١٢٥١هـ إلى ١٢٧٧هـ. وهم:-

١- علي بن المهدي عبد الله :

بصنعاء - نصب إمام ١٢٥١ - ١٢٥٢ هـ أدعى الإمامة أربع مرات.

٢- حسين بن علي المؤيدي :-

بجيدان من بلاد صعده أدعى الإمامة ١٢٥١هـ

٣- عبد الله بن الحسن بن أحمد :

بصنعاء و نصب إمام بعد خلع علي بن المهدي ١٢٥٢ - ١٢٥٦ هـ قتلته همدان وتلقب بالناصر.

٤- محمد بن المتوكل أحمد :-

بصنعاء تلقب بالهادي سنة ١٢٥٦ - ١٢٥٩ هـ

٥- علي بن المهدي :- ١٢٥٩ - ١٢٦٠ هـ

٦- محمد بن يحيى المنصور :-

تامة - ونصب بعد حرب بينه وبين علي بن المهدي انتهت بخلع الأول وتنصيب الثاني لقب بالمتوكل ١٢٦١ هـ - ١٢٦٥ هـ وقام بإدخال الأتراك.

٧- الحسين بن المتوكل أحمد :-

يرعى - أدعى الإمامة وقامت حرب بينه وبين الإمام محمد بن يحيى بن المنصور انتهت بالصلح.

٨- دخول العثمانيين :-

أدخلهم المتوكل محمد بن يحيى بن المنصور ١٢٦٥ هـ وخرجوا بعد شهر من دخوله صنعاء.

٩- علي ابن المهدي :-

صنعاء - نصب إمام للمرة الثالثة بعد ثورة أهالي صنعاء والجنود على المتوكل محمد بن يحيى الذي أدخل ، الأتراك وقام بسجن الإمام القدم ثم أعدمه ١٢٦٥ - ١٢٦٦ هـ وأعدم

١٠- ابن شمس الحبور(العباس ابن عبد الرحمن) :-

نصب إمام بصنعاء بعد خلع علي ابن المهدي عام ١٢٦٦ هـ وبعد أشهر بايع أهل صنعاء أحمد بن هاشم الويسي - لقب بالمؤيد بالله

١١- غالب بن محمد بن يحيى :-

لقب بالهادي - من الروضة - ١٢٦٧ هـ ثم استولى على صنعاء

١٢- العباس ابن المتوكل أحمد :-

ضوران - آنس - أدعى الإمامة ١٢٦٨ - لقب بالمهدي - ودخل صنعاء وأنقسم الناس

بينه وبين الهادي - غالب بن محمد بن يحيى وقامت الحرب بينهم داخل صنعاء شرق صنعاء مع الهادي غالب بن محمد وغر بها مع المهدي عباس بن المتوكل احمد ثم عاد الهادي من حفاش فهرب المهدي من صنعاء إلى ضلاع.

١٣ - اقتسمت صنعاء بين الويسي والعباس ابن عبد الرحمن وقامت الحرب بينهم وبعد الخراب تنازل العباس للويسي.

١٤- احمد بن هاشم الويسي :-

صعده - تلقب بالمنصور - ١٢٦٩ هـ

١٥ - احمد بن عبد الله أبو طالب :-

صنعاء- وكان عامل للهادي غالب بن محمد ١٢٦٩ هـ وقامت الحرب بينه وبين الهادي غالب بن محمد وانتهت بجلع الهادي ثم ادعى الإمامة احمد بن عبد الله أبو طالب ولقب بالمهدي

١٨- محمد بن عبد الله الوزير :-

السر- ١٢٧٠ هـ - ولقب بالمنصور ودخل صنعاء بنفس العام.

١٩ - حسين ابن المتوكل :-

الروضة - ١٢٧١ هـ ونهبت صنعاء في عهده .

٢٠- محسن بن محمد الشهاري :-

صنعاء - ١٢٧١ هـ لقب بالمتوكل وخرج من صنعاء المنصور بن عبد الله الوزير وخرج في السر^(*)

٢١- اجتماع الأئمة في الروضة ونصبوا غالب بن محمد ولقب بالهادي.

٢٢- الحاج احمد بن احمد الخيمي صنعاء - ١٢٧٢ هـ.

٢٣- حرب بين وزيري الهادي غالب بن محمد والمتوكل .

وكان وزير الهادي غالب بن محمد الحاج احمد الخيمي ووزير المتوكل محسن بن احمد الشهاري هو احمد بن علي الشامي ، وبقيت الحرب شهرين ونصف ثم أصطلحا ثم قامت حرب بين أرحب وهمدان قتل فيها مائة قتيل وكانت الغلبة لهمدان .

٢٤- دخول علي بن المهدي عبد الله .

(*) - وعندما رفضوه خرج وهو يدهو على أهل صنعاء فأصاب الله البقر وحصل في العنب عاعة قليل أنه من بركة دعواته .

صنعاء - ١٢٧٤هـ - وقام بإدخاله الحاج احمد بن احمد الحيمي وخلعوا غالب بن محمد وكان علي بن المهدي بدار سلم ونتيجة لذلك قام المهادي غالب بالالتجاء لقبائل أرحب وبني الحارث وهاجم صنعاء فجاء وقد أغلقت أبوابها فحاصرها ثم ذهب إلى خولان ليستنجد بقبائلها ففر علي ابن المهدي إلى الحيمة ثم وقع الصلح على خلع علي بن المهدي.

٢٥- محسن احمد الشهاري:-

كحلان - ادعى الإمامة - ١٢٧٤هـ - وأستنجد بقبائل بني الحارث وبني حشيش وأرخب وهلم احمد الحيمي أكبر دار بصنعاء وهي دار الطواشي التي بناها الإمام المنصور علي ابن العباس وكان الحيمي يحكم بصنعاء والمهادي محمد بن غالب في الروضة والمنصور محمد بن عبد الله الوزير إماما بالسر وتعاضمت الفتن وتطاولت الحن بقطع السبل وانتهاك الحرم في جميع القبل.

٢٦- خلع احمد الحيمي .

كعاقل لصنعاء وذهابه لاستدعاء الأتراك ١٢٧٤هـ ونصب أهالي صنعاء عبد الله يوسف حيدر.

٢٧- حسين بن احمد :-

الطويلة - ١٢٧٥هـ تلقب بالمهادي وكان يدعي أنه يستخدم الجن ويخبره بالوقائع وأمسك أتباعه احمد الحيمي وحبسه في صنعاء إلى أن توفي بعد سنه بالحبس ودخل حسين بن احمد المهادي صنعاء وأنتشر بها طاعون عظيم حتى عدمت الأكفان وصلبي على عشرين جنازة في وقت واحد ووقع برد شديد أئلف الزرع والأشجار.

ويعبر عن ذلك العلامة أبو الأبحر محمد محمود الزبيري بقوله:

جهل وأمراض وظلمٌ فادحاً وخافةٌ ومجاعةٌ وإمام

وفي ١٢٧٦ هـ ثار أهالي صنعاء وحاصروه في القصر ونصب أهل صنعاء لهم شيخا هو محسن بن علي معيض وأخرجوا حسين بن احمد (المهادي) وسيفه يحيى الأبيض وأتباعهما فالتحقوا لبني بملول وجاؤ بهم إلى جنوب صنعاء وكان محسن معيض قد بايع محسن بن أحمد الشهاري ووقعت الحرب بين أهالي صنعاء وبين بني بملول ومعهم المهادي حسين احمد وكانت الغلبة لأهالي صنعاء.

ذي مرمر ببني حشيش (مديرية بمحافظة صنعاء) سنة ١٢٧٧ هـ - قام فقهاء الأئمة وعلى رأسهم حسين بن عبد الرحمن الأكرع - واحمد بن عبد الرحمن المجاهد - وحسن بن يحيى الديلمي من ذمار بدعوة قبيلة ذو محمد وذو حسين وقبائل حاشد وجمعوهم إلى ريده (مديرية بمحافظة عمران) وتشاورا فيمن يصلح للإمامة فأيد بعضهم محمد بن عبد الله الوزير وأيد بعضهم محسن بن أحمد الشهاري ثم نصب محسن بن احمد الشهاري فأنتقل من ذي مرمر إلى صنعاء وخرج بمجموع القبائل إلى الحيمة وكان قد سيطر عليها مشايخ حراز وقامت الحرب بين الطرفين وكانت الغلبة لمشايع حراز ففر الإمام محسن بن احمد الشهاري إلى صنعاء ثم إلى حصن ذي مرمر ببني حشيش وفوق تلك المحن أصيبت الأبقار بمرض وقحط وغلاء وفي نفس العام خلع شيخ صنعاء محسن معيض الإمام محسن بن احمد ونصب حسين بن المتوكل احمد فجمع الإمام محسن بن أحمد القبائل فحاصرت صنعاء حتى خرج حسين بن المتوكل احمد منها وتم الصلح بين الإمام محسن بن احمد ومحسن معيض على أن تقام في صنعاء الخطبة والجمعة - وفي ١٢٨٥ هـ جمع الإمام محسن بن احمد الشهاري القبائل من أرحب وغيرها لقتال أهالي حراز المسيطرين على الحيمة فأهزم إلى قرية حزيز بسنحان جنوب صنعاء وتارت القبائل وخرجت على طاعة الإمام.

تلك الأحداث أدت إلى انفلات أمني وتدهور أحوال المواطنين نتيجة للصراع بين أبناء هذه السلالة على الإمامة فإن ضعف هؤلاء الأئمة كان فتنة بالتجاء كل واحد منهم إلى قبيلة أو إلى منطقة ودفعها للقتال من أجله وإن قوي شأنهم كانوا طغاة سفاحين إلا أنهم في كل الأحوال ، قد نجحوا في سفك دماء اليمينيين وإزهاق أرواحهم ويخرجون سالمين فتراهم يشعلون الفتن بدفع قبيلة على أخرى وينصبون أئمة ويخلعون وهم سالمون ويخرج هذا المدعي على ذلك الإمام ويقتل اليمينيون وهم سالمون.

ويدفعون الغرباء لدخول اليمن منذ الأيوبيين حتى العثمانيين .

ويعبر عن ذلك بإيجاز أبو الأحرار بقوله :

نثروا بأخاء البلاد ودمروا د عمرائها فكأنهم الغنم

الفصل التاسع

حروب وفتن الهاديون

الحكم العثماني الثاني ١٢٨٩هـ - ١٣٣٦هـ

ق ١٣ - ق ١٤ هـ

المبحث الأول :-

استقبال الأئمة للعثمانيين

المبحث الثاني :-

الولاء العثمانيين و ادعاء الإمامة

المبحث الثالث :-

الإمام يحيى حميد الدين

المبحث الأول استقبال الأئمة للعثمانيين

(١) فبعد أن أشعلوا تلك الفتن ونحن يتجمعون لاستقبال العثمانيين شهر صفر ١٢٨٩هـ فعند وصول الوالي احمد مختار باشا أرسل الإمام علي بن المهدي احمد بن محمد الكبسي وزيد بن احمد الكبسي وحسين بن علي غمضان وغيرهم من أبناء هذه السلالة وقضاةم وفقهائهم (العثمانيين) مناخة شاهدوا سطوة العساكر الشاهانية فسره ذلك غاية السرور.

وهكذا يستقبلون العثمانيين ويستبشرون بقوتهم لإخضاع اليمنيين ويحصلون على الحظوة والمكانة والمال بموقفهم مع الأتراك وكان هذا على ابن المهدي قد أعدم المتوكل محمد بن يحيى عام ١٢٦٦ هـ بسبب أدخاله الأتراك وكان هذا عند دخولهم صنعاء للمرة الثانية عام ١٢٦٥ هـ .

قال الله تعالى: (كبير مقتنا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون).

لاتنه عن خلق وتأتي مثله

عار عليك إذا فعلت عظيم

وهو الذي حرض أهل صنعاء على الفتك بالعساكر العثمانية في ١٢٦٥هـ فلا ثوابت ولا قيم يسير عليها هذا الإمام فهو بأفعاله السابقة قد أجاج غل العثمانيين على اليمنيين ولاسيما على أهل صنعاء فهم الذين يستقبلون الأتراك اليوم وهم الذين سيلفعون الشعب لقتالهم عندما تنتهي مصالحهم مع العثمانيين وهم الذين دمروا كل مقدرات هذا الشعب وأشعلوا الفتن بين أبنائه بظلمهم وصراعهم على السلطة حتى أصبحت اليمن منهكة ومهياة لاستقبال أي غريب لعدم قدرتها على تنظيم صفوفها لما بث من ثقافة في عدم جواز حكم أحد أبناء الشعب .

وهكذا وصل العثمانيين وقد طلب الفریق المكلف من علي بن المهدي باستقبال العثمانيين من الوالي أحمد مختار باشا (أن يحضر صنعاء حسب أمر السلطان ليربي العصاه المتمردين وبعد تربيتهم يرجع من حيث أتى فهز لهم رأسه وتكلم بكلمات تركية لا يفهمونها فظنوا أن الأمر كما يريدون).

(١) - تاريخ اليمن - عبد الواسع الواسعي .

ويبدو أنهم الذين سعوا إلى دخول العثمانيين عندما لم يفلح أحدهم في دفع قبيلة قوية لفرض سلطته.

إن هؤلاء هم سبب الفتنة بفكرهم الهادوي وصراعهم من أجل السلطة وحكمهم الباغي فهم أوصلوا اليمن إلى ما وصلت إليه لفشلهم وعدم قدرتهم على السيطرة وحكم اليمن فعملوا على إدخال العثمانيين وقاموا بتأليب العثمانيين على اليمنيين بقولهم للعثمانيين أن يحضروا إلى صنعاء ليربوا العصاة ثم يعودوا وهم الذين سيؤلبون اليمنيين لقتال العثمانيين. ، فكر أبليلس في التميز وفعله في إشعال الفتنة ، يقول أبو الأحرار :-

ما كان ضرهم وهم من هاشم

لو أنهم مثل الجدود كرام

لكنها الأخلاق أرزاقها

يجري القضاء وتقدر الأقسام

وإكمالاً لمسيرة التزلف لاسترضاء العثمانيين فقد قام الأئمة علي بن المهدي عبد الله والإمام غالب بن محمد والإمام حسين بن المتوكل وغيرهم من هذه السلالة وفقهائهم باستقبال أحمد مختار باشا إلى نقييل عصر غربي صنعاء .

وتسابقوا على تسليمه قصر صنعاء والمعافل المحيطة بصنعاء (وكان دخولهم صنعاء، ١٦ شهر صفر ١٢٨٩هـ)^(١) وكان هذا دخولهم للمرة الثالثة وتوزع الجنود بقصر غمدان وعلى أبواب صنعاء العشرة.

وبعد ذلك قام أحمد مختار باشا بطلب الدفاتر المالية الموضحة حجم الإيرادات والتي كانت لدى الإمام علي بن المهدي وأعوانه ، ولكن الشيخ محسن معيض أشار على أحمد مختار باشا أن يضرب المتمردين بقيادة الدفعي الذي كان يقيم بشعوب شمال صنعاء والذي كان يقوم بقطع الطرقات والنهب والقتل وإنه إذا ضرب الدفعي أيده الخاصة والعامه . وبعد ذلك يتسلم الدفاتر وتدين له البلاد ، وتم ضرب الدفعي وكان متحصناً في النوبة (بيت مستدير مبني من الطين " الزابور") مع أعوانه وقد كتب له الوالي أن يحضر لكنه أبي قامات القوات التركية بضرب البيت المتحصن فيه .

(١) - تاريخ اليمن - عبد الواسع الواسعي .

وقبض على الدفعي وأعوانه ثم طلب الدفاتر وشكل حكومة من الأتراك موظفين ومأمورين ومنع الأتمة من الاختلاط برؤساء العشائر وحددا لهم مرتب ثلاثة ألف قرش وقطع العائدات التي كانت لهم ومنعهم من استخدام الخدم والعساكر حتى يبدأ في بيع أملاكهم وبعد أربعة أشهر خرج الجيش التركي إلى كوكبان لإخضاع أميرها أحمد محمد شرف الدين وجميع المناطق الواقعة ما بين كوكبان إلى تمامة فتحصن بالحصون وحاصره الأتراك سبعة أشهر، ووقعت معارك عديدة بين الطرفين سفك فيها دماء اليمنيين والعثمانيين.

وانتهت بتسليم احمد محمد شرف الدين كوكبان وسكن بها إلى أن توفي سنة ١٣١٤هـ .

(وكانت هذه الأسرة تحكم كوكبان وحاولت الاستقلال بما عدة مرات وكانت في كل مره تحاول فيها الاستقلال تشتعل فيها الحرب بين هذه الأسرة وإمام صنعاء وكان ثمن طموح هذه الأسرة بالاستقلال دماء وأرواح اليمنيون ويخرج أمراء كوكبان من بني شرف الدين سالمين كل مره فمثلا امتهنوا إشعال الفتنة احترفوا التفاوض المثمر لخروجهم سالمين وقد تكرر ذلك خلال حكم أئمة بني قاسم)
وفي هذا العام ١٢٨٩ هـ اشتعلت الحرب بين قبيلة الحدا والعثمانيين وكانت الغلبة للعثمانيين ودخلت الحدا في طاعة العثمانيين .

وكانت طريقة العثمانيين باستخدام القوة لإخضاع تلك القبائل هي من الأخطاء التي ارتكبوها وجرت عليهم الويلات والتي كانت سببا في هزأت تلك القبائل لمقاومة وقتال العثمانيين والسبب الآخر ممارسة بعض ولاة العثمانيين نفس أساليب الأئمة في قمع القبائل المتمردة دون مراعاة للظروف المعيشية والفكر الهادي الذي أصل النزعة القتالية والعداء للآخر ذلك كان السبب في تمرد تلك القبائل في أغلب الأحوال ، أضف إلى ذلك جهل بعض الولاة بطبيعة المجتمع اليمني لعدم قيام العثمانيين بدراسة المجتمع اليمني وتركيته القبلية من ناحية ومن أخرى لم يقم الولاة العثمانيين بدراسة العوامل التي جعلت تلك القبائل ، تمتهن الغزو والقتال لكسب رزقها.

وكانت تلك القبائل قد تمرس على ذلك نتيجة لدفع الأئمة قبيلة على أخرى أو دفع قبيلة على منطقته نائرة أو متمردة على سلطه الإمام أو بدفع الإمام قبيلة ضد الخارج عليه والمدعي للإمامة والعكس.

وكذلك لم يتعامل بعض الولاة العثمانيين بموضوعيه مع القدرة القتالية لتلك القبائل والطبيعة الجغرافية لمناطقهم بالإضافة إلى كون أغلب الولاة قاده عسكريين فلم يستخدموا

أسلوب الإرشاد والتوعية الدينية بين القبائل بنشر تعاليم الدين التصويبية لما بث من قسيم دينيه منحرفة عمقها الفكر الهادي حتى أصبح الخروج عليها خروجاً على الدين وخاصة أن الأئمة وفقهائهم هما مصدر الإرشاد الديني الوحيد الموثوق به لدى العامة بل استطاعوا أن يقنعوا أبناء القبائل بأن حيههم والوقوف معهم واجب ديني لأنهم ورثة الدين والنبوة^(١) (فقد استطاعوا أن يقنعوا الشعب بأن لا ينتظر من وراء نصرهم وخدمتهم أي جزاء وشعارهم المأثور: من أحبنا أهل البيت فلن يستعد للبلاد جليبا)، فإذا كان المذهب الهادي يحرم على اليمني حكم بلاده فكيف سيكون تأثير ذلك المذهب على الناس عند حكم التركي، وبهذا الفكر ولامتلاك المستفيدين منه القدرة على التأثير على العامة (بواسطة المهجر) مستغلين ما تمرست عليه تلك القبائل من القتل والقتال فيما بينها وفيما بينها وبين سكان المناطق الخصبية بدفع من الفكر الهادي وأتمته الأمر الذي جعل ثقافة تلك القبائل هي العداء للأحر حتى أصبحت كيانات تمتهن الحرب والقتال لكسب أرزاقها وكان يساعد الأئمة في تحقيق مقاصدهم المشائخ لما كان يتحقق لهم من مكاسب ومكانه بالحروب.

إن الوسيلة التي يمكن من خلالها إخضاع وتسخير تلك القبائل هي الوسيلة الدينية للحب المتأصل لدى اليمنيون للدين والتدين (أي إعادة التنشأة الدينية على أساس العدل والمساواة والأخوة الإسلامية).

ولا يدوم خضوعهم لأي حاكم بالقوة مهما بلغت قوته، ويؤيد ذلك ما ذكرناه من مقاومة اليمنيون وعدم خضوعهم للأيوبيين والمماليك والحكم العثماني الأول وقدرة الأئمة على دفع القبائل باسم الدين.

وسيتضح ذلك من المقاومة الشرسة للحكم العثماني خلال هذه الفترة ١٢٨٩هـ.^(٢)

وفي السنة الأولى للحكم العثماني تمردت حولان على العثمانيين ووقعت حروب بينهما كانت الغلبة للعثمانيين ثم دخلت في الطاعة

وفي عام ١٢٩٣هـ تمردت أرحب وحاشد وكان ذلك مع وصول الوالي مصطفى عاصم، ووقع قتال ومعارك شديدة ذهب ضحيتها عدد كبير من الجانبين وتم الصلح بين الطرفين ودخل مشائخ تلك القبائل إلى صنعاء وأنعم عليهم بالعطايا وتمردت على العثمانيين بلاد المخادر بمحافظه إب وأرتكب العثمانيون خطأ باستخدامهم نفس أساليب

(١) - الإمامة وخطرها على وحدة اليمن - أبو الأحرار محمد محمود الزبيري.

(٢) - تاريخ اليمن - عبد الواسع الواسع.

الأئمة بدفع قبائل، من ذو محمد للقضاء على ذلك التمرد فسفكت دماء ونهبت أموال ولم يجد اليمينيون فرق بين ما كان يصنعه الأئمة وبين ما يصنعه العثمانيون.

ثم قام الوالي مصطفى عاصم بسجن مجموعة من فقهاء الهادييه وأرسلهم إلى الحديدية وظلوا بسجنهم سنتين منهم والد الإمام يحيى محمد حميد الدين وأحمد محمد الكبسي وزيد بن أحمد الكبسي وحسين بن علي غمضان وكانوا أربعين فردا.

ومات بعضهم أثناء فترة السجن مثل محمد بن محمد المطاع وعلي بن محمد الجديري ومحمد بن إسماعيل عيشيش.

فإن كان مقصد الوالي هو عزل هؤلاء العلماء كي لا ينشروا الفكر الهاديوي وخاصة مبدأ عدم جواز الحكم والإمامة لغير العلويين والذين كانوا به يهيجون القبائل ضد العثمانيين إذا كان ذلك فكان يجب أن يقوم بإحلال البديل أي علماء ينشرون بين الناس فكرا ونهجاً تصويبي وتجديدي وهذا لم يكن.

وأستمر مصطفى عاصم في اليمن إلى عام ١٢٩٥ هـ وخلفه إسماعيل حقي باشا وقام بإطلاق المساجين بالحديدية. وتوفي في هذه السنة محسن بن أحمد الشهاري أحد الأئمة المتصارعين على السلطة ودفن بمحوت (مديرية من محافظة عمران).

المبحث الثاني

الولاية العثمانية و ادعاء الإمامة

و عاد سنة ١٢٩٦ هـ ادعاء الإمامة بالسعي من أجل السلطة فقد ادعى الإمامة شرف الدين محمد وتلقب بالهادي ودعوته من جبل الأنوم ، وبعد ثلاث سنين أنتقل إلى صعده وجمع بعض القبائل حوله وحاول السيطرة على ظفير حجه وما حولها وأستمر في إشعال الحروب إلى سنة ١٣٠٧ هـ وتوفي بهذه السنة^(١).

وبعد وصول الوالي إسماعيل حقي باشا نشر العدل والإنصاف فحمد له اليمينيون وأجبهه واستقرت له الأمور وشكل أول جيش من اليمينيين ودرهم ونورهم فكربا على مبادئ الدين السمحاء واستطاع هذا الجيش أن يخذل الفتن فأحب اليمينيون هذا الجيش وخضعوا له.

(١) - تاريخ اليمن - عبد الواسع الواسعي .

وبوجود ذلك الجيش عم الأمن والسكون وكانت هذه أول مره يتكون فيها جيش يعني منذ نهاية الظاهريون وتجدر بنا الإشارة إلى جملة من الملاحظات :-

١- إن إنشاء ذلك الجيش على أسس سليمة من التدريب والتنشئة الدينية الصالحة أثبت قدرة اليمنيين على الانتظام والانضباط وأثبتوا أنهم اقدر الناس على فرض هيئة الدولة في اليمن.

٢- إن خضوع قبائل اليمن ومناطقها لهذا الجيش ليس لقوته فقط وإنما لتعامله معهم بأساليب وطرق إنسانية لا تعتمد على سفك الدماء والنهب والسلب فخضع الناس له بدون قتال أحيانا وهذا يؤكد ما ذهبنا إليه من أن أساليب الأئمة في إخضاع قبائل ومناطق اليمن عن طريق سفك الدماء ونهب الأموال كانت توجج التمرد والثورات ولم تؤدي إلى انقياد الناس وطاعتهم سواء في عهد الأئمة أو عهد العثمانيين أو غيرهم. وأراد ذلك الوالي الصالح أن يزيد قوات الجيش من اليمنيين ويرسل ، العساكر التركية إلى الأناضول ، لزيادة قوة الدولة العثمانية في مناطق أخرى فأرسل رسالة بذلك إلى الأناضول.

ولكن يبدو أنهم فهموا الأمر بشكل مغلوط أو قد يكون أحدا أو عز إلى الباب العالي بدسيسة من حاشية السلطان أو من اليمن فعاد الجواب من السلطان بعدم الموافقة على المقترح وبإلغاء ذلك الجيش وعزل ذلك الوالي الصالح وعين بدلا عنه محمد عزت باشا سنة ١٢٩٩ هـ فوصل صنعاء وقلوب الناس وجهه ومستاعين من تغيير ذلك الوالي الصالح فحاول تقريب مشائخ القبائل ولكن دون جدوى .

فعاد التمرد والخروج من قبل القبائل التي كانت قد خضعت واستقامت أمورها للجيش اليمني فخرجت خولان عن طاعة العثمانيين ووقعت حروب راح ضحيتها العديد من القتلى من الجانبين.

وقد يكون أحد دوافع خروج خولان إدعاء شرف الدين محمد للإمامة والذي ذكرناه سابقا.

وهذا الإمام قام بجمع القبائل وبدأ التمرد من محافظة صعده فتوجه محمد عزت باشا بالقوات العثمانية للقضاء على هذه التمردات وذهب ضحيتها اليمنيون والعثمانيون واستمر هذا الوالي حتى توفي بصنعاء عام ١٣٠٢ هـ ودفن بجوار جامع البكريه.

احمد فيضي باشا :-

وعين واليا سنة ١٣٠٢ هـ وكان مسؤولا عن عسير قبل ذلك واتسمت أدارته بعدم الحكمة وباستخدام القوة والسلب والنهب وصادف مجيئه انقطاع الأمطار وانتشار الجراد وغلاء الأسعار فأرسل قواته على همدان وسنحان وبيي مطر وغيرها لإخراج الحبوب المخزونة لدى تلك القبائل.

وربما أن العثمانيين كروا ذلك مع أرحب فئارت أرحب وحصل قتال بين تلك القبائل والعثمانيين كان ضحيتها قتلى من الجانبين ولو اتعظوا بمعرفة تاريخ وطبيعة المجتمع اليمني لعلوا أن هذا الشعب لا يخضع بالظلم والقوة، ونتيجة لتصرفات هذا الوالي رفع أمراء العساكر ما أصابهم واليمنيون إلى الباب العالي فأمر السلطان بعزله وعين.

عزيز باشا :-

عين سنة ١٣٠٣ هـ وبدأ أمره بحزم وعدل ونظر في مظالم الناس.

وفي زمن هذا الوالي زاد نفوذ المدعي للإمامة شرف الدين بن محمد فأنظمت إليه قبيلة عيال يزيد (مديرية بمحافظه عمران) فخرجت القوات العثمانية للقضاء على دعواته وكانت الغلبة للقبائل اليمنية وأهزم الجيش العثماني وتراجع إلى مدينة عمران وأخطأ هذا الوالي بتحميل سبب الهزيمة الشيخ عبد الله بن احمد الضلعي.

وكان يحضى بمكانته لدى اليمنيين ولدى دولة الخلافة وقد منح مرتبة باشا، وبعد ذلك عزل هذا الوالي وعين بدلا عنه.

عثمان باشا:- (١)

وذلك سنة ١٣٠٥ هـ واتسمت إدارة هذا الوالي بقراراته غير الصائبة فعمل ، على إبعاد عبد الله باشا الضلعي من إدارة البلاد وانتشرت في عهده الرشوة وابتزاز المشائخ وعلى رأس الأعمال غير الصائبة قيامه بنهب بيت القاضي يحيى الجهاد بعد سجنه.

فقام القاضي الشماحي بإصدار شكوى ضد هذا الوالي إلى السلطان وذهب إلى هناك فدبر هذا الوالي رفع مضبطة تحت توقيع أمراء الجند العثمانيين إلى السلطان فأمر السلطان بإقامة القاضي في أسطنبول وبقي بها حتى توفي وكذلك سعى هذا الوالي بالمكائد لدى السلطان حتى وافق على نفي الشيخ عبد الله باشا الضلعي إلى عكا بالشام.

وقام قبل ذلك بسجن الشيخ عبد الله الضلعي بصنعاء ثم أرسل الجنود لنهب أمواله وتهدم داره ، فقامت القبائل نتيجة لذلك الفعل بقتال الأتراك وزهقت الأرواح من الجانبين وزاد في إشعال الفتنة في تلك المنطقة الصراع بين مدعي الإمامة الهادي شرف الدين بن محمد وبين مدعي الإمامة السابق محمد ابن المتوكل محسن.

(١)- نفس المرجع السابق .

وكان أهم سبب للصراع فيما بينهما أن محمد ابن المتوكل محسن الشهاري تحلى عن مساندة مدعي الإمامة باتفاقه مع الأتراك أن يعود صنعاء ويعطي له ألف ريال ولأخوته شهريا وعزل ذلك الوالي بعد سنتين من ولايته وعين

عثمان باشا نوري (١٣٠٧هـ) :-

ولقب بالفقيه لعذله وتواضعه وصدقاته وأجمع الناس أنه لم يأتي لليمن والي مثله وكان ينصف الضعيف والمظلوم وكثرت في عهده الخيرات وانقطعت الفتن فتضرر من أفعاله أصحاب المصالح والمتنفذين من العثمانيين واليمنيين فرفعوا إلى الباب العالي بمكيدة فصدر الأمر بتعيينه على مكة فحزن الناس عليه حزنا كبيرا وعين بدلا عنه في نهاية العام

إسماعيل حقي باشا :-

سنة ١٣٠٧هـ وفي هذه السنة توفي مدعي الإمامة الهادي شرف الدين بن محمد - وقام في عهد خروجه معارضا له ومدعيا للإمامة محمد بن قاسم الخوئي وتلقب بالمهدي وأدعى الإمامة من بلاد برط (محافظة الجوف)، و أدى محمد بن قاسم دوره بإشغال الفتنة بين العثمانيين واليمنيين حتى توفي سنة ١٣١٩هـ .

وبعد ثمانية أيام من موت الإمام الهادي شرف الدين بن محمد خرج من صنعاء الإمام محمد بن يحيى حميد الدين وهو والد الإمام يحيى حميد الدين .

وهو الإمام محمد بن يحيى بن محمد بن يحيى بن محمد بن إسماعيل بن محمد بن الحسين ابن القاسم ابن محمد وتلقب بحميد الدين لزواجه من بيت حميد الدين ، وهكذا نرى أنه من بني القاسم ولكن من الفرع الذي لم يتولى الإمامة ولم يدعو إليها أبائه وأجداده أي أن حوالي ستة أجيال من حدوده لم يقوموا بالإمامة لبالدعوة لأنفسهم أو لغيرهم ولم يقيم أحد منهم ولا حتى بالحسبة ولم يثر مؤرخي الأئمة إلى أسباب ذلك وقد يكون لعدم قدرتهم أو لقتوعهم عن أي دور سياسي أو عدم اقتناعهم بمبادئ الهادي المؤصلة للصراع على السلطة.

ولد هذا الإمام بصنعاء سنة ١٢٥٥هـ وخرج من صنعاء في شوال ١٣٠٧هـ وأدعى الإمامة بصعده في ذي الحجة من تلك السنة وقد استخدم المنصور محمد في خروجه على العثمانيين نفس الأساليب التي اتخذها الأئمة من قبله وهتبات عوامل ساعدت على ادعائه للإمامة أهمها:-

- استغلال فساد بعض الولاة العثمانيين.

- نشر واث الدعائات والإشاعات عن فسق ومعاصي العثمانيين.

- قام بجمع القبائل مستغلا ظروفهم المعيشية وحالة العداء التي سادت بين القبائل والعثمانيين.

وساعد على دعمها استمرار ظهور مدعي الإمامة ويؤكد ذلك استقرار أحوال اليمن أثناء تولية الولاة الصالحين مثل عزيز باشا "١٣٠٣ هـ" وعثمان باشا نوري (١٣٠٧ هـ).

- اعتماد العثمانيين على الجنود الترك وعدم إشراك اليمنيين في قوات الجيش ويؤكد ذلك استقامة الأوضاع وخضوع القبائل في المناطق اليمنية للجيش العثماني المكون من اليمنيين الذي أنشأه إسماعيل حقي باشا.

- تمركز العثمانيين غالبا بالمدن الرئيسية وبعض المدن الثانوية وأحيانا في بعض الحصون على الطرق الرئيسية^(١).

وأهم الأسباب التي ساعدت أديعاء الإمامة على أثارة القبائل ضد العثمانيين هو عدم قيام العثمانيين بنشر الفكر والثقافة الدينية التصويبية في أوساط الجماهير وكان قد أثار العثمانيين ثقافيا في صفوة المدن وهم ممن عملوا مع العثمانيين ولم يكن لهم أثر فعال في الوقوف أمام الفكر المهادوي.

تلك الأسباب وغيرها ساعدت محمد بن يحيى على تجميع القبائل ضد العثمانيين، وكان قد سجن في الحديد من قبل الوالي مصطفى عاصم لمدة عامين سنة ١٢٩٣-١٢٩٥ هـ، ثم عمل هذا الإمام مع العثمانيين قبل خروجه عليهم الأمر الذي مكنته من معرفة قدراتهم وأساليبهم بالإضافة إلى تزامن خروجه مع ضعف دولة الخلافة العثمانية وبدأ دعوته بصعده، كما ذكرنا سنة ١٣٠٧ هـ وفي العام الذي يليه أنتقل إلى المدان (مديرية بمحافظة عمران)^(٢) وجمع حوله قبائل الأهنوم وحاشد وغيرهم وسيطر على حصن ظفير ومسور والشرف بمحافظة حجة ثم على مناطق جيفاش وملحان وأرسل دعواته مع جموع القبائل إلى تعز، وسفكت الدماء في مختلف مناطق وقبائل الشمال وحاصره العثمانيين في بلاد العشة والقفله من محافظة عمران وذادت عنه قبائل عذر والعصيمات (وهما بطنان من حاشد) وساعده على الصمود وعورة التضاريس (جبال وحصون منيعة وشاهقة) ومن أهم المعارك التي دارت معركة بلاد الشرف بحجة تراجع فيها الأتراك وقتل منهم الكثير سنة

(١)- تاريخ اليمن - عبد الواسع الواسعي .

(٢) - وعده من المعارك التي تركت فيها أنصار الفكر المهادوي وكان يلزمها أشياح الأمة .

١٣٠٧هـ وثارت همدان سنة ١٣٠٨هـ بقيادة يحيى بن يحيى دوده وفي نفس السنة وقعت معركة في منطقته قاعه بـمدان (مديرية من صنعاء) وكان هذا في ولاية إسماعيل حقي باشا^(١) (وكان يجري الأمور على مقتضاها ومنع المأمورين من الارتشاء ثم توفي في صنعاء نهاية سنة ١٣٠٨هـ ودفن بازاء جامع البكريه).

وتمردت بني مطر وتوجهت صوب صنعاء للهجوم عليها سنة ١٣٠٩هـ وسميت بمعركة عصر تراجع على أثرها العثمانيين إلى باب قاع اليهود غربي صنعاء يسمى الآن ميدان العلفي فتجمعت القبائل لحصار صنعاء وهجمت القبائل على مراكز قيادة الأتراك وفي شهر محرم وقعت حرب بين الفريقين في جبل نغم ثم اقتربوا لحصارها ، تلك الثورة التي قام بها اليمنيون لم يجنوا منها إلا سفك دماثهم لما أصل مذهبياً بعدم جواز قيامهم بأمر هذه البلاد وفقاً للفكر الهادي فإذا صحت رواية مؤرخي الأئمة من أن سبب هذه الثورة هو ظلم العثمانيين وإجحافهم في الجباية فإن القبائل الثائرة ستسلم راية الحكم لمن هو مساوي في ظلمه لهذا الظلم أو أكثر منه كما رأينا في عهد الأئمة السابقين أو كما سيأتي.

وتمردت سنحان وتوجهت صوب صنعاء ونشب القتال بينها والعثمانيين في معركة الجرداء (قرية من قبيلة سنحان جنوب صنعاء) وقد اتخذ أهالي سنحان طريقة وأسلوباً مكنهم من الفتك بالعثمانيين وذلك بأن توقفوا عن إطلاق الرصاص عليهم واليهود وسكنوا حتى أعتقد العثمانيون أن المقاتلين وأهلها قد تركوا القرية - وهربوا فهجموا على القرية فلما وصل الأتراك إلى القرية خرجوا لهم خروج رجل واحد مستخدمين الجنابي والسيوف ففتكوا بالعثمانيين ومن معهم من اليمنيين وفر نحو صنعاء من تبقى منهم.

وكان مع العثمانيين قبائل أرحب بزعامة عبد الوهاب بن راجح ومن حاشد بقيادة مقبل بن يحيى أبو فارغ ومن بني الحارث بقيادة محمد الشويح وشيخ صنعاء علي بن محمد البليلي.

ونلاحظ من ذلك أن للعثمانيين أنصار وأعوان وان لمُدعي الإمامة أنصار وأعوان والعداء تراكم وزاد بين العثمانيين واليمنيين وبين اليمنيين واليمنيين وسفك الدماء وإزهاق الأرواح يستمر وأهم أسبابه:-

(١) - الراسمي - تاريخ اليمن .

- جرى أديعاء الإمامة للاستحواذ على السلطة ولو لم يوجد العثمانيين لاستمرت مسيرة الفتنة وسفك الدماء وإزهاق الأرواح بين إمام وخارج عليه أو بين قبيلة مواليه للإمام وقبيلة متمرده وتعددت أشكال وصور الفتن والسبب واحد هو الفكر الهادي.

- ونعود إلى مسيرة الفتنة فقد تجمعت القبائل بالجرف فخرج العثمانيين لتفريقهم فتراجعوا إلى صنعاء وأستمر حصار القبائل لصنعاء.

وتجمع مع محمد بن يحيى الملقب بالمنصور قبائل حاشد ومن بكامل ذو محمد وذو حسين وبعض القبائل المحيطة بصنعاء.

وقد منى الإمام تلك القبائل بالغنائم التي سيحصلون عليها من صنعاء عند سقوطها.

ويصف كتاب الأئمة تلك القبائل عند خروجها مع الإمام بأنهم^(١) (ثاروا على الأتراك لشدة الظلم واستحلال المحرمات وترك ما أمر الله به من الواجبات وارتكاب المعاصي والفجور وظهور البغي وشرب الخمر) وعندما لم ينجحوا في دخول صنعاء أرجعوا السبب إلى (فساد القبائل وخبث طويتهم).

ونرى أن أقلامهم اعتادت على وصف القبائل اليمينية بهذه الأوصاف فلم يفرقوا حين تكون تلك القبائل مع الإمام أو ضده وكان هذا الوصف للقبائل أثناء حصارها لصنعاء بدفع من الإمام المنصور محمد بن يحيى.

أما نتائج فتنة المنصور محمد بن يحيى من أجل الحكم والسلطة وفساد بعض الولاة العثمانيين، فقد أدت بالإضافة إلى ما سفك من الدماء وإزهاق للأرواح وما صاحبها من نهب وسلب وخراب للمعمور وخوف زاد على ذلك انتشار الطاعون سنة ١٣١٠هـ . وفي العام التالي قلت الأمطار وغليت الأسعار فزاد ظلم العثمانيين للمدن والمناطق التي يسيطرون عليها قيام بعض اليمينيون بتلغيم دورهم بوضع البارود في أسفل هذه المنازل.

وفي عام ١٣١٤هـ أنتشر داء الجدري فحصد أطفال اليميين وكسدت التجارة وفي هذا العام عرف اليمينيون (المبها) التي تعمل، على القاز وفي هذه السنة وصل من الإستانة السيد محمد الرفاعي الحسيني ناصحا للإمام المنصور بعدم قتال الدولة وحثه على الصلح.

فرد عليه الإمام (بأن الولاة العثمانيين لا راعوا حرمة ما حرم الله ولا غضبوا يوما على معاصي الله ولم يعملوا شيئا من كتاب الله ولا سنة رسول الله... وعدد المعاصي التي

(١) - الراسمي - تاريخ اليمن .

يرتكبوها) ثم استدل بالآيات الموجبة للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ثم الآيات الموجبة لقتال الكفار.

ثم أظهر حقيقة فكرة الهادوي فذكر التميز لهذه السلالة وذكر الآيات والأحاديث التي يروجها الهادويون لتأصيل تميزهم السلالي في أرث النبوة وفي الحكم وفي العلم حيث قال مخاطباً السيد محمد الرفاعي بعد أن أضفى عليه هالة من التبجيل والتفخيم كونه هاشمي ثم قال (وإن أنكرت أيها السيد أن ذرية الرسول هم الحجة في الفروع والأصول صاح بك قوله تعالى { ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ } (فاطر ٣٢) .

وقوله تعالى (قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى) (الشورى ٢٣)

ونحو قوله ﷺ : ((إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا من بعدي أبدا كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أهمما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض)) .

وقوله ﷺ : ((أهل بيتي أمان لأهل الأرض)) .

وقوله ﷺ : ((أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وهو)) .

وغير ذلك مما لا يتحمله المقام فالظهور أبين للحجة وأوضح للحجة ، ثم قال (ولمنعه من محاربة العترة النبوية التي هي بضعة من الذات الشريفة المحمدية ، ولأوفى جدنا الأعظم أجر تبليغ الأبناء المشار إليه بقل (لا أسألكم عليه) "الآية" ولتباعده عن مشاهمة من قال فيهم خاتم النبيين (من قاتلنا آخر الزمان فكأنما قاتل مع الدجال) .

وعن الدعوة النبوية في قوله لأهل بيته ((أنا حرب لمن حاربتهم وسلم لمن سالمتم)) وقد أمر الله تعالى بالكون مع الصادقين في قوله تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ } (التوبة ١١٩)

وثبتهم بقوله تعالى { إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ } (المجرات ١٥)

{ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ } (يوسف ١٠٨)

{ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيَجْعَلَكُمْ مِّنْ عِبَادِ اللَّهِ } (الاحقاف ٣١)

{وَيَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى التَّجَاةِ وَتَذَعُونَني إِلَى النَّارِ { (غافر ٤١)}

فإذا وجدت أيها السيد خلاصاً من أوامر الله أفدنا من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ ودع عنك التخويف بالمخلوقين.

قال الله تعالى {وَوَترِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ } (القصصه)

فنحن من وعد ربنا على يقين ، والعاقبة للمتقين .

وقال (وما سارعوا "أي العثمانيين " إلا باليمن التي بأيدي أولاد رسول الله ﷺ) هذا هو رد الإمام القائم في فكره وأسلوبه على الفكر الهداوي القائم على التمييز وأبلغ رداً عليه رد الرحمن على من يدعون التمييز بقوله تعالى (وقالت اليهود نحن أبناء الله وأحباؤه قل ليس بأمانيكم ولا بأمانى أهل الكتاب من يعمل سوءاً يجزى به)^(١) فهو يصف نفسه وهذه السلالة بأنهم العتره النبوية والسلالة العلوية وأنه يجب طاعتهم وفقاً لفهمه القائم على هذا الفكر الذي ما أنفك يردد ييث كثيراً من الآيات القرآنية والأحاديث بحجه أنها تؤيد حقهم في الحكم والتمييز فيستدل على أن هذه السلالة هي الحجة في الفروع والأصول بآيات من الذكر الكريم لا تعني دلالتها ولا مقصدها على ذلك ، بقوله تعالى {ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُأْتِنَ اللَّهُ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ } { (فاطر ٣٢)

فكيف تدل هذه الآية على سلالة بعينها وكيف وصل بهم الاعتقاد بأنهم هم من أصطفى الله والآية أيضاً توضح أن من أختارهم الله بينهم الظالم وبينهم المقتصد وبينهم السابق بالخيرات (الحكام).

أما الاستدلال الآخر بقوله تعالى {قُلْ لَأَسْأَلَنَّكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى} (الشورى ٢٣)

فلا تعني بدهاءة التمييز والاستعلاء لذوي القربى وإنما نزلت هذه الآية أنشاء خطاب الرسول الكريم لكفار قريش حين كذبوا آيات الله فقال لهم " لا أسألكم على هذا الدين أجراً إلا المودة لقربائكم منكم ومراعات قربائكم لكم وقربائكم لي وأما سياق الآية فنرجح بأنها تعني أن الرسول لا يريد منهم جزءاً على تبليغهم هذا الدين وإنما جبه ومودته لقربائه بهم هو الدافع في التبليغ " وإذا أخذنا المعنى كما يريدون فهي تعني الرد والمحبة والخير لهم ولا

(١) - أرجع إلى الفصل الأول ، أوردنا به الرد على ذلك الفكر بنوات الشريعة الإسلامية من الكتاب والسنة وكذلك أرجع إلى كتاب الإمامة الخلافة للمؤلف .

تعني كما قال هذا الإمام أنهم ورثة النبوة ولا تعني حقاً إلهياً لهم في الحكم . فلم يكن رسول الله ﷺ أباً أحداً ولم يترك رسول الله ﷺ لهم ملك أو أمباطورية تورث من بعده قال تعالى : { مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا } (الأحزاب: ٤٠)

وأما الدين وعلومه في القرآن والسنة فهو خطاب شامل عالمي لكل المسلمين ولم يكلف به الرحمن ولا الرسول طائفة أو سلاله بعينها ولم يحدد تلك السلالة بالذات وكان خطاب الرحمن يبدأ يا أيها الذين آمنوا ، يا أيها الناس ، يا أيها الذين كفروا).

أما ما أورده عن الرسول ﷺ فهي تخالف نص وروح الشريعة الإسلامية وقد ضعف تلك الأحاديث علماء من المتقدمين ومن المتأخرين متنا وسندا وأما وصفه هذه السلالة بأنها بضعة من الذات الشريفة المحمدية فهي توضح بجلاء ما وصل إليه هؤلاء الأئمة من تكبر واستعلاء باعتبار أنفسهم جزء من ذات الرسول ﷺ.

ويعضي هذا الإمام بالانحراف بفكره وقصده بأن يسقط على نفسه الآيات التي خاطب بها الرحمن رسوله لقتال الكافرين فقد جعل جند الخلافة الإسلامية والمسلمين من اليمينيين كفارا.

وأسقط الجهاد عليهم فقد قال: ((ولما لم نجد عن أمر الله بدا استعنا وتوكلنا عليه وبذلنا في الجهاد جهداً أمثالاً لقول الله عز وجل { وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونََ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ } (البقرة: ١٩٣)

وغيرها من الآيات التي تدل على وجوب قتال الكفار))

وأين هذا الإمام من كل الآيات المحكمات والأحاديث المتواترة التي تدل على المساواة بين المسلمين في كل شيء ، وإين هم من قول علي كرم الله وجهه في الخارجين عليه وهو أمير المؤمنين وخليفة المسلمين حيث قال " إخوان لنا بغوا علينا " (سبق الرد على حجج وتاويلات المادوية لاستحقاق الإمامة لمن هم من البطينين وما أصله هذا الفكر من صراع بين أبناء هذه السلالة (في التأصيل المذهبي للتمييز السلاطي والطائفي) ويخالف ذلك أبسط قواعد العدل بإعطاء تميز واستحقاق للحكم (الإمامة) لمن هم من البطينيين وبذلك يناقض الأئمة المادويون منطق العدل وأصل العدل كأصل من أصول الدين ويناقض العقل الذي به يعرف أن التمييز ضد للعدل وليس منه ، وعند المادويه أن العقل يعرف به القرآن وصحيح السنة ولا يعرف العقل بهما.

وإذا كانت هذه الجدلية المستندة على علم الكلام قد دخل بها الهادويون في حشد الحجج والأسانيد لتأييد آراءهم فإنهم يخالفون مبدأ العدل ، ويخالفون قيمة العقل ، بتأصيلهم الحق الإلهي في الحكم لذرية الحسين أو أي حق يأتي لهم دون عمل مكتسب ويلغون دور العدل ، كقيمه عليا تنبثق منها المساواة لمن أعتنق الإسلام والتي هي أساس العالمية والتي يويدها العقل بمختلف مراتبه وتؤديها القيم الإنسانية، إن الانحراف الناتج عن الذاتية الفردية أو القبيلية أو السلالية في الممالك القديمة كان الإسلام قد قضى عليها بمحملة وتفصيله وارتكزت عوامل ديمومة الفكر الهادوي المنحرف على إلغاء الدعوة والممارسة لقيمتي العلم والعمل بمعناهما الشامل وقيمتها لمعرفة الدين والدنيا في الأولى والأخرى، وبذلك فقد هيئوا مجتمعاً متخلفاً فكرياً ومادياً واستقراء التاريخ كوجوب ديني لتمحيص سلبياته وإيجابياته يفرض حقا على كل من يؤمن بالله ربا وبالإسلام ديناً أن يعمل على احتثات مارا كمة الهادويون كثقافة مجتمعيه للشعب اليمني تلك الثقافة التي تغلفت بالدين وسرت كعادات وتقاليد وامتزجت بحياة الإنسان اليمني كملازمات له استحال معها بلوغ الثورات تحقيق مقاصدها في التغيير.

أوردنا رد هذا الإمام على خطاب السلطان لنوضح فكر الأئمة في هذه الفترة وأثر الفكر الهادوي في خطابهم وأساليبهم الكلامية التي تبين بجلاء انحرافهم عن ثوابت الإسلام في العدل، والمساواة.

وكانت غاية هذا الإمام كعادة أسلافه هي الملك والسلطان فلم يتعظ بما ذكر من قيام دولة الخلافة بأمر المسلمين وقاتل ، الكافرين والقيام على خدمة بيوت الله والحجيج بل رد على ذلك برغبته بالانفصال بهذا الإقليم ، ومن الأمور الموجبة للاستنكار من ذوي الألباب أن هؤلاء الأئمة يصفون المسلمين بالكفر ويثون أفكارهم المنحرفة بين العامة لقتال المسلم للمسلم، واعدن يحنلها المستعمرون من غير المسلمين ولم يحرك أي إمام ساكنا لا بالقول ولا بالفعل، فبتركون مواطن الجهاد ويحولون هذه الرقعة من أرض الإسلام إلى ساحة للقتال بين المسلمين تحقيقاً لرغباتهم .

ونعود إلى تاريخ هذه الفترة فقد عزل الوالي أحمد فيضي عام ١٣١٥ هـ وعين بدلا عنه حسين حلمي باشا^(١)

وكان عالماً يحب العلم وأهله ورحيماً وقد وصل هذا الوالي وكانت حالة اليمن حرب وعدم استقرار وفقر مدقع فوصلت أخبار حالة اليمن إلى سلطان المسلمين بالباب العالي

(١) - تاريخ اليمن - الواسمي .

فأرسل هذا الوالي الأموال فوزعها على الفقراء وصرف لكل فقير ريالاً مجيدياً وسجن من ثبت عليه الأجرام من أمراء الأتراك.

أما أهم منجزات هذا الوالي فقد أسس إدارة المعارف والمكاتب ودار المعلمين ومكتب الصنایع - المدرسة الأعداد به وأجرى الناس على التعليم وقرب إليه أهل العلم والفضل .

وقام حكمه على الشورى فكانت حوله هيئة من أهل العلم والسياسة لا يفعل الوالي أمراً إلا بمشاورتهم فيما يصلح اليمن وأهله وكان رئيس هذه الهيئة حسني بك ، ومن محاسنه أيضاً أنه قام بشراء الكتب المخطوطة من أصحابها وأستنسخها وكان يشتري الكتاب بأضعاف ثمنه حتى أسس مكتبه نفيسة من الكتب الخطية ومن حكمة هذا الوالي أيضاً ، أنه راعي شعور اليمنيين فأمر جميع الموظفين بلبس العمام عرباً أو تركاً .
فأيا كانت سلبات العثمانيين فإهم كانوا يقيمون أنفسهم فنلاحظ أنه إذا جار أحد الولاة استبدلوه بوالي عادل فاضل وكانوا يقيمون سياستهم ويجددونها فتارة يستخدمون القوه وتارة يميلون إلى الصلح ولا يعاملون اليمنيون باستعلاء واستكبار بل كانوا يدبجونهم في نسيج هذه الدولة .

حتى وصل بعض اليمنيون إلى مرتبة باشا وكانت هذه مرتبة تمنح للقادة والسياسيين (ولا نعني بذلك مثاليتهم فلهم أخطائهم إلا أنهم لا يقولون بالحق الإلهي وأنهم ورثة الحكم والدين .

كذلك فإن ما قاموا به في مجال تنوير وتعليم اليمنيين كان أعظم منجز في كسر طوق الجهل التراكمي الذي سببه حكم الأئمة الهاديون وأكثر من ذلك ما قام به هذا الوالي من جعل التعليم إجباري ، وكان الأئمة يجعلون التعليم محصوراً في سلالاتهم وسلالات فقائهم ، وبذلك الأعمال نجد أن العثمانيين يشعرون بأن عليهم واجب تجاه من يحكمونهم وهذا ما لم نجد عند أي إمام سابق .

فماذا أُنجز الأئمة لهذه الأمة مادياً أو معنوياً ؟

فمن يجب جهادهم هؤلاء أم هؤلاء؟

فأي إمام فعل ما فعلوا وأي إمام أنشأ ما أنشأوا؟

وقد خرج العثمانيون من اليمن وجاء بعدهم القاسميون فكانوا أكثر ظملاً وأشد استبداداً ! حتى حكم المتوكل على الله إسماعيل حكمه الشهير يجعل أرض اليمن خراجية وأهلها عمالاً له ، وقال الحسين بن عبد الله الكوكباني :

قالوا أمامهم اسماعيل عالمهم
يقول ان جنود الترك كافرة
وبعدهم قد ملكناها بقوتنا
وكل شخص من الزراع عاملنا
ابليس سول هذا والنفوس دعت
فأيهما صنع ذلك إبليس أم الفكر الهادوي؟ .

وقد قال ابن الأمير :-

خراجية صيرتم الأرض كلها
وضمنتم العمال شر المعاشر^(١)

هذا ما صنعه الأئمة بعد خروج العثمانيين وذلك ما صنعه العثمانيون
باليمنيين برغم ما لاقوه من مقاومة وحروب وما سفك من دماهم بتحريض
من أذعياء الإمامة.

وبحلال عهد الوالي حسني بك سكن أذعياء الإمامة في جحورهم وخلال هذه الفترة
هدأت أمور الناس وأمنوا في صنعاء وما حولها وبقية المناطق اليمنية ، وقد حاول
المتضررون من عدل ، وحكمة هذا الوالي اغتياله فحاول أحد الموظفين العثمانيين اغتياله ،
بإطلاق النار عليه من مسدسه فأصيب في غير مقتل وأحاط الجند بالفاعسل ، وقتلوه ،
وحصل في هذا العام تغير في الطقس على غير المعتاد فترل الثلج وانخفضت درجة الحرارة
فهلكت الأشجار والثمار ومات الكثيرون.

وفي عام ١٣١٧هـ حصل خلاف بين الوالي حسين حلمي باشا وقائد الجند المشير
عبد الله باشا بسبب عزم القائد إرسال مجموعته من السجناء مع أربعمائة جندي إلى
طرابلس الغرب فرفض الوالي واصفا هذا الأمر بأنه سببا لتمرد البلاد.

فلم يؤخذ برأي الوالي الصالح وأتى الجواب بعكس ذلك من الباب العالي وكان بعض
المحيطين بالسultan العثماني من أنصار هذا القائد قد حاكوا بعض الوشائيات ضد الوالي فتم
عزله سنة ١٣١٨ هـ.

وعين المشير عبد الله باشا سنة ١٣١٨هـ:-

(١)- ابن الأمير وعصره - حسين السباغي وعهد الأكرع وغيرهم .

ومن ميزات هذا الوالي اهتمامه بنظافة المباني الحكومية والشوارع وكان مهتماً بالموسيقى والألحان وانشاء في عهده التلغراف وربط بين صنعاء وتعز.

وأقام مجسماً عند باب اليمن في هيئة عمود طويل على شكل أسطوانة في رأسه هلال ، من النحاس وأطواق من النحاس على بعض الأحجار من أجل أن يكون تذكارا وهدم بعد عشر سنوات من قبل المفسدين وأعداء هذه الأمة كما هدمه كثيراً من مآثر العثمانيين ومن قبلها الآثار والحصون اليمنية .

أما في زمن هذا الوالي فقد استمر الأمن والاستقرار ووقفت الفتن ماعدا بعض الحوادث كان أهمها:

وقوع قتال ، بين جند الأتراك واليمنيين في منطقة بوعان مديرية بني مطر محافظة صنعاء، ووقع بعض التمرد من قبيلة الزرائق وهي قبيل كبيرة شديدة البأس من قبائل تهامة أشهر أبنائها بالقدرة القتالية العالية وقوة الصبر والاحتمال على الظروف المناخية القاسية وخاصة القدرة على القتال في درجة الحرارة المرتفعة واشتهرت هذه القبيلة بالثورة وعدم الخضوع.

توفيق باشا :-ولي اليمن سنة ١٣٢٠هـ بدلا عن عبد الله باشا وقيل أن عزله بسبب تعدي الإنجليز على الضالع ولم يتخذ هذا الوالي أي إجراء .

المبحث الثالث

الإمام يحيى حميد الدين

وفي عام ١٣٢٢هـ. توفي الإمام المنصور بالله محمد بن يحيى ونصب ابنه يحيى ولقب بالمتوكل على الله رب العالمين.

ولد سنة ١٢٨٦ هـ بصنعاء وكان قد خرج من صنعاء مع والده سنة ١٣٠٧هـ وعمره ٢١ سنة ونصب للإمامة وعمره ٣٦ سنة وقد مارس إشعال الحروب مع والده لمدة ١٠٤ عاما ونصب من منطقة عذر بطن من حاشد (مديرية العشة محافظة عمران). وكان ذلك في ٢٠ ربيع أول ١٣٢٢هـ.

- أهم أعماله :-

بدأ بإشعال الحروب من أول عام تولى فيه الحكم:-

- جمع القبائل وشرع بمحاصرة المناطق والمدن التي فيها الأتراك في شمال اليمن بالمحاصر صنعاء فقام أهلها الأهوال والويلات ومات أهالي صنعاء جوعا خلال فترة الحصار وعم اليمن مجاعة وكان لدى الإمام مخزون من الحبوب وكانت هذه بداية حكمه.

(خلت إحدى الجماعات الإمامية الرهية باليمن ومات أكثر أهلها بعد أن أكلوا الكلاب والقطط ، وكانت خزائن الحكومة ملاء بالحبوب وراح الناس يسألون الإمام النجدة فصعر خده لهم وقال كلمته المشهورة :-

"من مات فهو شهيد ومن عاش فهو عتيق" (١)

وقد وصف الواسعي الحال بقوله (وقاسوا ((أي أهل صنعاء)) عظيم الأهوال فباعوا جميع الأمتعة والأموال والفراس وكان الثمن في غاية الرخص لعدم وجود المشتري حتى إن بعضهم يؤجر الحامل إلى السوق ويعجز عن إجرته ثم لا يجد مشتريا ثم يأخذ الحامل نصف ما حمل وعم الجوع جميع اليمن بسبب الفتن والمحاصرات ترك الزراع الزراعة وارتفعت الأسعار.

والإمام أيده الله أخرج لجميع القبائل الحبوب من بيت المال لمحاصرة الأتراك ومات البقية جوعا آلا من له أجل ممدود وخلت من اليمن قرى كثيرة مات أهلها جوعا وذكر أعداد كثيرة ماتت من الجوع والإمام يحيى لديه الحبوب لا يوزعها إلا على جنوده والقبائل

(١) - حياة عالم وأمر - محمد بن علي الأكواع .

الحاصرة لصنعاء والمدن الأخرى ووصل الحال بالناس أن يأكلوا لكلاب والحمير ويصف ذلك الواسعي بقوله (ومات من الجوع عسكر كثير وبعض عساكر الأتراك من المراكز قبل الإستسلام هربوا إلى عساكر العرب فسلموا من سلطان الجوع ثم أستلم العرب جميع مراكز اليمن التي فيها الأتراك وهي بضع عشر مدينة ومن نعم الله الجليلة وأياديه الجزيله لما أشد القحط والجوع خرجت بواخر مملوءة طعاما إلى الحديدية من الحبشة والسودان وذلك أن التجار الذين بالحديدية كتبوا لطلب الطعام فحصل للناس بذلك غوث عظيم ومن هنالك كانت ترحل، القبائل من الحديدية إلى سائر محلات اليمن ولولا ذلك كان الناس هلكوا مره واحدة ولم يبق لهم باقيه إلا من كان جنديا للإمام فكانت بيوت الأموال والحبوب بها كثيرة وبذلك أستلم الإمام مراكز اليمن وأنتصر على الأتراك).

فيأي دين صنع ما صنع بإخوانه المسلمين وجهاد من يجب العثمانيين اللذين يوزعون الصدقات على الضعفاء والمساكين وينشؤون المدارس ويجعلون التعليم إجباريا لأطفال اليمنيين وغيرها من المحاسن أم على هذا الإمام الذي يُميت المسلمين من الأتراك واليمنيين جوعا.

إن صفة البخل قد لازمت هذا الإمام طوال فترة حكمه وروي عنه ما لا يصدق عن بخله فكان يأخذ الصدقات من الناس وهو إمام وكان يأخذ المال من المواطنين مقابل أن يقرأ لهم القرآن حتى يأخذ القليل من الطعام من الفقراء مقابل الدعاء لهم .

ويمكننا القول أن فترة حكمه عزلت اليمن عن العالم وأرجعها من القرن العشرين إلى ما قبل العصور الوسطى وقد تمها له بعد الحرب العالمية الأولى فراغا سياسي وفرصه لو كانت لغيره لحكم الجزيرة العربية وخارجها.

حيث كانت اليمن أول دوله عربيه استقلت وقد أمل فيها المسلمون في الأقطار العربية آمال كبيره وصلت حتى حلموا فيه بالعمل على إعادة الخلافة إلى أن عرفوه على حقيقته وأعظم المصائب التي حلت باليمن على يديه هي تنازله عن جزء من اليمن للدولة السعودية بعد هزيمته وتركه جنوب اليمن للبريطانيين يمدون نفوذهم عليه والجزء الآخر قسم إلى مشيخات.

ونعود لإيجاز أهم المآسي التي صنعها الإمام يحيى بن محمد حميد الدين ،فكما ذكرنا فقد بدأ عهده عام ١٣٢٢هـ بالبؤس والشقاء وموت المئات والآلاف من اليمنيين جوعا عند حصاره صنعاء وهو لا يطعم إلا الموالين له من القبائل ولديه مخزونا من الأطعمة وقد ذكر الواسعي في كتابه تاريخ اليمن من أهوال ما عاناه اليمنيين(ص ٣٠١) من الجوع ونتيجة

لذلك سلم الأتراك صنعاء للإمام يحيى فخرجوا لمقابله الإمام بكركبان وتسليمه صنعاء بما فيها من السلاح والذخائر وأنتقل ، الإمام إلى قرية القابل.

ودخل الإمام صنعاء سنة ١٣٢٣هـ وكانت خرابا ، ولم يوجد من أهلها إلا القليل.

ولما دخل صنعاء استغنى عن تلك القبائل ونسي ما قامت به فرد عليه وجهاء تلك القبائل، بأن الأتراك لم تخرج إلا بقوتنا وشدة بأسنا وأرادوا منه أن يقطع كل قبيلة بخلاف أو منطقته من المناطق الوسطى ولم يتفق الجانبين على تقسيم مغنم قتل المسلمين بالجموع.

ولم يمهلهم العثمانيين للاتفاق أو الاختلاف فقد وصل ، احمد فيضي باشا سنة ١٣٢٣ هـ إلى الحديدية بقوات كبيرة ثم توجه إلى مناخه فدفع الإمام بعض القبائل، لمخاصرة مناخه فخرج منها وشتت جمع القبائل.

وواصل طريقه إلى أن وصل إلى عصر^(١) ففر الإمام من صنعاء وخلال ، مرور أحمد فيضي باشا مازال الإمام يدفع بالقبائل لقتال الأتراك.^(٢)

فقتل الكثير من الجانبين وأستمر الإمام يحيى في إشعال نار الفتنة سفك دماء المسلمين من العثمانيين واليمنيين على شكل حرب عصابات وكان يزيد إشعاله للفتن كلما زادت الظروف المحيطة بالخلافة الإسلامية سوءاً بتكالب الدول الاستعمارية عليها وانشغالها بالذود عن نفسها فكان هذا الإمام والدول الاستعمارية على حلف واحد .

ونعود إلى مسيرة سفك الدماء فقد وقعت معركة شديدة في قرى الأشمور وما حولها سنة ١٣٢٤ هـ ووقعت معركة بين القبائل المهيجة من قبل ، الإمام بمنطقة حولان سنة ١٣٢٩ هـ ومثل ذلك في رجام والحيمه من محافظة صنعاء وفي قرية المصنعه في محافظة ذمار ورأفة من السلطان العثماني بالمسلمين لحقن دماهم أرسل جماعه من أكابر العلماء إلى صنعاء ينصحوا الإمام فكتبوا إلى الإمام ينصحونه بالصلح وعدم سفك دماء المسلمين خاصة في هذه الظروف التي تميزت بتكالب الدول الاستعمارية على دولة الخلافة الإسلامية .

وما كان منه إلا الرد غير المبالي بأحوال ، اليمنيين وما يجري لهم وغير مباليا بأحوال أمة المسلمين ودولتهم وكان رده شبيه برد أبيه القائم على نفس الفكر الهادوي الموصل للتمييز السلالي وبالذات في مسألة الحكم .

(١) - قرية غرب صنعاء هي الآن من ضواحي صنعاء.

(٢) - حياة عالم وأمر - محمد بن علي الأكواع

مصدرا رده بأنه لم يقم بذلك طمعا في درهم أو سلطان وإنما يقوم بإشعال الحرب والفتنة بحجة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (الذي تمثل في أمهى صورته في إبادة المسلمين جوعا عند حصار صنعاء كما ذكرنا سابقا).

ونوجز رد الإمام يحيى على العلماء الذين أرسلهم السلطان العثماني وعددهم عشرة (فبعد البسملة والحمد والصلاة على الرسول الكريم أسرد عبارات الجملة هؤلاء العلماء ثم ذكر بعض من مضمون كتاب هؤلاء العلماء إليه (ووافقهم إلى مطابقة مراد سلطان الإسلام وحامي حى الدين القويم متضمنا للنصيحة معروفا بما دهم الإسلام من تكالب ذوي الملل القبيحة ، ومعروفا بما هو المعروف من حق و قدر سلطان الإسلام أيد الله به الدين ورسوله ونصره على الكفرة والمشركين) ثم يسرد ما مر بالأمة الإسلامية من صراع سياسي ومذهبي ثم ذكر ما قامت به الدولة العثمانية من خير لهذه الأمة بقوله: (ومكن الله الدولة العثمانية من الحماية للدين وحفظ حوزته من الكفرة المعتدين) وأضاف مذكرا للحق السلالي لمن هم من البطنين وفقاً للفكر الهادوي ثم أقر بخروجهم على كل من حكم اليمن وصراعهم على السلطة بإثارة الحروب.

فقال : (وكانت بلاد اليمن بيد أسلافنا من الآل الأكرمين من المائة الثالثة إلى التاريخ ولم ينفك قائموا الحق عنها إما متوليا لجمعها أو بعضها كما هو معروف في تواريخ اليمن وكانت المعارك مستمرة بين أسلافنا ومن ناوهم - لرغبة أهل اليمن في ولاية ساداتهم وأولاد نبيهم رضي الله عنهم و اعتقادهم وجوب توليهم ونصرتهم وكما يعرفونه من أحوالهم وأن لا إرادة لهم غير الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر المخوف).

إن أسلوب ومضمون رد الإمام يحيى لا يختلف كثيرا عن رد أبيه على العثمانيين وكلاهما يعبران عن الفكر الهادوي وهذا يؤكد مضي هؤلاء الأئمة على نفس الفكر والأسلوب الذي يجمد الحمود بالتقليد والتكرار لنفس المبررات لأثارة الفتنة ولهدف واحد هو وصولهم إلى السلطة بأي وسيلة فهو يعرف من التاريخ تاريخ دخولهم إلى اليمن وصراعهم من أجل الحكم ولكنه لا يقرأ ماذا حققوه لليمن واليمنيين سواء عند حكمهم لجزء من اليمن أو كلها ولم يقرأ ما جرّه سعيهم إلى الحكم من فتن وما ترتب عليه من مآسي اقتصادية وسياسية واجتماعية بل نجد نبرات التعالي والاستكبار في وصفه لهذه السلالة بقوله: (ساداتهم وأولاد نبيهم) وهذا يوضح النظرة الدونية لليمنيين التي بثتها الأئمة وأنتشر بين العامة مخالفا بوصفه لهذه السلالة بالسادة ألفاظ وجوه آيات الذكر الحكيم وكلام خاتم النبيين قال تعالي (إنما المؤمنون اخوة) وأجمالي آيات الذكر الحكيم تخاطب المؤمنين والمسلمين بالتساوي بل وتحضهم على عدم سخرية المسلم بالمسلم قال تعالي: (يا

أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نساء من نساء عسى أن يكن خيرا منهن).

وقال الشاعر الأسمري:

إنما الناس من تراب وماء ليس منهم من يتمي للسماء
آدم والد الجميع فحُمقُ وضلال تفاخر الأبناء
ما على الأرض فهو كاف بينها لو أقاموه بينهم بالسواء^(١)

وينادي الشاعر العبيدي النبي "محمد ص" بقوله :

(هُبْل) الأعلى الذي حطمتُه قم ترى أمثاله ما بيننا

ثم يذكر ما قام به من ترمد وخروج أسلافه الإمام محسن بن احمد ومن بعده شرف الدين بن محمد ويزعم باطل أن جميع الولاة ظلمه.

قد ذكرنا محاسن بعض الولاة التي لم يصل إلى مستواها أي إمام حكم أو ادعى والتاريخ شاهدنا والآثار ناطقة.

ثم ذكر أن الإيمان بمان والحكمة بمانية ولا يذكر الأئمة ذلك عند سفك دماء اليمينيون وعند استعلائهم عليهم .

ثم برر كل الفتن التي دارت منذ بداية الحكم العثماني بأن سببها الولاة وأنهم يريدون استئصال أهل البيت النبوي والدين المصطفوي (وبهذا فإن الإمام يحيى وسلالته هم أهل النبي وأهل الدين) ، ثم برأ بنفسه من أن يكون من الرافضة والخوارج وأهل البدعة.

ووصف الولاة بأنهم يأخذون الأموال من غير الوجه الحلال ويسترسل بوصف مسن خالفه من اليمينيين وقام مع العثمانيين بقوله (حتى أنهم ليقربون الباطنية الكفرة ويعطوهم كثير من الأموال).

هذه عادات الأئمة الهادويين في وصف كل يحيى خالفهم ويناقض نفسه بإقراره بعدم غفلة الباب العالي عن الولاة وما يصنعون فقوله : (وفي خلال المدة السابقة أرسل سلطان الإسلام أيد الله به شريعة سيد الأنام هيته بعد هيته ومفتشين بعد مفتشين) ثم يشكك في نزاهة كل اللجان بأن الولاة يحسنون إليهم وأضاف أنه يقوم بالإرسال ، إلى الباب العالي

(١)- اليمن الجمهوري - عبدالله الوردون

ويضيف متمماً الولاية بأنهم مأمورون بهدم شريعة الإسلام ثم يكرر التمييز لهذه السلالة بقوله بأنهم (الحججة على الأمة في كل عصر وأوان ، وهم الدين أوجب الله محبتهم على كل بني الإنسان ، أم هل من ناسخ لآيات القرآن، ومن لم يحكم بما أنزل الله) فكيف يفهم الدين بقوله أنهم الحججة على الأمة عبر الزمن وأن حبهم واجب على كل بني الإنسان فعند الإمام يجيى يجب على الناس المسلمين وغير المسلمين حب هذه السلالة وأبلغ رد على كلام الأئمة (بأنهم يدلسون بأقوال لا يعبتون ولا يبالون بظهور الكذب فيها والافتراء). وهذا ما وصف به الإمام يجيى الولاية فأهو ينطبق عليه نفسه.

(١) وفي سنة ١٣٢٥هـ أطلق العثمانيين السجناء، وعاشت اليمن في هدوء نسبي وفي هذا العام عزل الروالي احمد فيضني وتعين حسين تحسين باشا وكان رجلا عادلا صلحت في أيامه أحوال اليمن وسكنت الفتن ونتيجة لعدالته وقوته لم يستطع الإمام دفع القبائل لقتال العثمانيين وعقد بينه وبين الإمام صلح لا يعتدى أحدهم على الآخر ووافق الإمام أن يبعث حكاما من لديه إلى بعض المناطق.

وفي هذه السنة طلب السلطان عبد الحميد جماعة من علماء وأعيان صنعاء ليناقش معهم ما يصلح اليمن ، فوصلوا إليه فاضافهم وأكرمهم لمدة شهر ثم أجمع بهم وناقش معهم ما يصلح اليمن فانقسموا إلى فريقين فريقا رأى أن القوه الجبرية هي التي تصلح اليمن ، وفريقا رأى الشرائع والأحكام العادلة. وارتفعت أصواتهم فأمر بتسفيرهم وأعطى كل واحد ما يستحقه من الأموال والوظائف.

وبعد وصولهم إلى صنعاء أمر الباب العالي الروالي على صنعاء أن يرسل مندوبين عن الإمام يجيى من خاصته إلى السلطان ليتشاور معهم فيما يطفى نار الفتنة.

فوصلوا إلي السلطان عبد الحميد ولم يتم الاتفاق على شيء ثم رجعوا.

ويرجح أن السبب في عدم الاتفاق أن الإمام يجيى وضع شروطا محدده والزوم مندوبيه بها ولم يكن لدى المندوبين مساحة للحوار ويؤيد ما ذهبنا إليه ما أشتهر عن مندوب الإمام بجامعة الدول ، العربية من التزام الصمت وعدم إبداء الرأي إلا بعد أن يرسل إلى الإمام .

وفي عام ١٣٢٧هـ رد الإمام يجيى على صاحب جريدة المؤيد التي نشرت مقالا تنصحه بالصلح مع الدولة العثمانية فبدأه بالثناء وأخبره أنه لأجل ذلك قد أرسل وفدا إلى

(١) - تاريخ اليمن - عبد الواسع الراصي .

الباب العالي ثم مدح الكاتب ثم ذكر بأن هذا الكاتب ينتمي إلى اليمن بقوله (ولكسونكم من تنتمي إليه أعراقكم وتتصل بأهل اليمن أنسابكم أبناء الملوك الأولى والوزراء والملا من حمير وسبأ وكهلان بن سبأ وأن أهل اليمن أهل مجد قديم وإبناء مقيم يفرهم الضميم ... إلى آخره من المدح وأنهم لا يخضعون إلا لأبناء هذه السلالة منذ ألف عام).

ثم يرد على ما تضمنه مقال جريدة المؤيد من أن الإنجليز يحتلون عدن فيرد متجاهل وجود الإنجليز بقوله . (فالأجانب لا تحدث نفسها بما لا تستطيعه من قبل وتعلم أن أهل هذه القطعة ما خضعوا لأمارة مسلم غشوما يوما فبالأولى أن يقررو الأجنبي ساعة واحدة، ثم يذكر بأن ما يتفقه العثمانيون لحكم اليمن أكثر مما يحصلون عليها فيها).

وهو بذلك يؤكد أن العثمانيين لم يأتوا لمغنم مادي بجباية أموال وإنما لوحدة الأمة الإسلامية بخضوعها لخليفة واحد وهذا ينفي صحة كل من سعى للحكم العثماني في اليمن استعمارا وفي سنة ١٣٢٨ هـ عزل الوالي حسن تحسين وعين واليا كاملا بك، متصرف تعز وعزل في نفس السنة وعين واليا محمد علي باشا، وبدأ حكمه بالشدّة والقسوة وقد جانبه الصواب باتخاذ هذه الطريقة لحكم اليمن.

واستغل الإمام ما كان من هذا الوالي فهيح القبائل للهجوم على مراكز العثمانيين وكان أهم التصرفات الخاطئة لهذا الوالي هو إحالة خمسين رجلا من أهل صنعاء إلى القاضي لإعدامهم فرفض القاضي ولم يصدق ما حرره الوالي .

وهذا يدل على وجود قضاء عدل وغير خاضع لسلطة الوالي فلم يفعل ما أراه الوالي. هذا عكس ما كان يحصل مع الأئمة حيث كان الأئمة يأمرؤن بقطع رؤوس المسلمين بأمر مباشر منهم دون حكم أو قضاء.

وتطورت الأحداث فحوصرت صنعاء ووقعت معركة بين العثمانيين والقبائل المدفوعة من الإمام عرفت بحرب باب شعوب وكذلك هجمت قبائل ذو محمد وذو حسين على مدينة يريم فلم يفرقوا بين العثمانيين واليمنيين فأعملوا في المدينة ومن فيها القتل والنهب والخراب.

حملة عزت باشا سنة ١٣٢٩ هـ :-

وكانت هذه الحملة بعد الانقلاب الذي وقع في الباب العالي بقيادة محمد رشاد وخلع السلطان عبد الحميد فبعد ذلك أراد العثمانيين أن يبحثوا عن علاج لمعضلة اليمن التي ذهب ضحيتها عشرات الآلاف من الرجال وأهدرت أموال طائلة كان الأجدر بها أن تستخدم في دفع القوى الاستعمارية عن أرض الإسلام والمسلمين.

وتلك الجيوش والأموال ما كانت لتذهب في اليمن لولا سعى الإمام من أجل الحكم .
ولعدم إدراك العثمانيين لأهمية تغيير المفاهيم المنحرفة التي بثها الأئمة الهاديون في
أوساط القبائل اليمنية ونتيجة للحالة التي وصلت إليها اليمن فقد أرسل عزت باشا على
رأس حملة فوصل إلى الحديدة وقد سقطت كثيرا من المراكز العثمانية بأيدي القبائل
والبعض الآخر واقعا تحت الحصار وهيج الإمام القبائل لاعتراض الحملة في طريقها إلى
صنعاء فوقعت معارك في قرى الخيمة وبنى مطر حتى اختلط اليمنيون والترک ووقع القتال
بالسيوف والجنابي حتى قال عزت باشا(لو كان للدولة ألف رجل من هؤلاء الرجال
لأخذنا أوروبا بأسرها) وسقط القتلى من الجانبين حيث بقيت الجثث أياما ودخل بعد
ذلك عزت باشا صنعاء وكتب إلى الإمام يطلب منه التفاوض والصلح.

وكان الوساطة في هذا السعي المشكور القاضي حسين بن علي العمري وقاسم بن
حسين العزي.

وفي هذه الأثناء قامت إيطاليا بالاعتداء على طرابلس الغرب وما ذلك إلا بسبب ما
صنعه أديعاء الفتن والفرقة لأمة المسلمين في اليمن وغيرها قال الله تعالى ((وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ
اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا)) (آل عمران ١٠٣)

وقال الله تعالى: {وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}
(الشورى ٣٠)

فهؤلاء الإيطاليين يهجمون على الجيوش الإسلامية العثمانية في طرابلس وهذا الإمام
يدفع القبائل للهجوم على الجيش العثماني في آن واحد وبعد ذلك سيقوم الإيطاليين
بالحجوم على الحديدة.

ونعود إلى الشأن اليمني فقد تم الاتفاق بين عزة باشا والإمام يحيى على الصلح وتم
التوقيع عليه بمخصن دعان وهو يقع إلى الشرق من عمران وسمي صلح دعان.^(١)

وبعد رجوع عزة باشا إلى صنعاء أبلغ الناس بالاجتماع في الميدان وهو ساحة ما بين
الحكومة ومسجد البكيري بصنعاء وأبلغهم بما تم من الصلح بين الإمام والدولة العثمانية .

وفي سنة ١٣٣٠هـ ظهر محمد بن علي الأدريسي :

(١)- تاريخ اليمن - عبد الواسع الراسمي ، حياة عالم وأمر - محمد بن علي الاكوع .

ظهر الأدريسي في تمامة في مدينة (صبيا) وأظهر الزهد والعبادة والوعظ حتى أستمال قلوب الناس ثم أدعى الإمامة وسيأتي ذكره بالتفصيل عند ذكر الحروب بينه وبين السعوديين وبينه وبين الإمام والامام والسعوديين..

وفي هذه السنة حاصرت إيطاليا سواحل اليمن من جهة البحر الأحمر ما قبل مدينة الحديدة والسواحل المجاورة لها وأستمر الحصار إلى أن حصل ، الصلح وفي هذه السنة أيضا بدأ محمد الأدريسي بمد نفوذه شرقا باتجاه حجه فأيدته خولان الشام ورازح،(و محمد الأدريسي يدعي انتمائه إلى سلالة الأئمة) ووفقا للفكرالمهادوي فإن له الحق بالصراع على السلطة فكانت بداية الحرب بين الأدريسي والإمام يحيى فأرسل الإمام القبائل بقيادة محمد ابن الهادي عامل صعده وكانت الغلبة له ولكنه لم يواصل حربه لأسباب لم تعرف فلو أن الإمام يحيى واصل الحرب على الأدريسي لما كان أستفحل أمره فيما بعد ويرجح أن الإمام أوقف حملته على الأدريسي بسبب التكاليف أو لاكتفائه بإرجاع المناطق التي كانت تحت نفوذه وهي خولان الشام ورازح أما عزة باشا فقد أكمل مسيرة الصلح وتهدئة الأحوال بأن قرر مرتبات لرؤساء القبائل في حاشد وأرحب وغيرها ولكثير من العلماء وفي عام ١٣٣١هـ .

عزم الوالي محمود ندم ورئيس المحكمة الخفية^(١) حسين كامل وقاسم العزي ناظر الأوقاف والقاضي عبد الكريم بن احمد مطهر إلى محمد الأدريسي لإقناعه بالصلح مع الإمام على أن يبقى عاملا على تمامة والمخلاف السليماني تحت ولاية الإمام يحيى، فوصلوا إلى جيزان ووصل معهم أحمد بن يحيى عامر من مقر أقامته بالسودة (مديره بمحافظه عمران) ولكن محمد الأدريسي أعتذر عن مقابلتهم وبعد ذلك ذكرت جريدة الأهرام الفتنة باليمن بين الأدريسي والإمام يحيى وأيدت حق صنعاء في حكم تمامة والمخلاف السليماني.

أما بالنسبة لما وصلت إليه حال الدولة العثمانية من تكالب الأوربيين عليها فقد أخذت اليونان ولاية (أدرنه) وكانت اليونان خاضعة للحكم العثماني وهذه مؤشرات تدل على ما وصلت إليه دولة الخلافة الإسلامية من ضعف.

وكان هذا سبب رئيسي في عقد الصلح مع الإمام يحيى ، وفي سنة ١٣٣٢ هـ وقعت معارك بين القبائل الموالية للإمام وأنصار الأدريسي وكانت الغلبة لأنصار الإمام فأخسنا حرض وما حولها.

(١) - وكان اللهب الحنفي هو الذهب المحتد لدى الدولة العثمانية .

وفي هذه السنة تأخر المطر وماتت الأنعام لانعدام ما تأكله من المراعي والأعلاف وفي هذه السنة قامت الحرب العالمية الأولى ودخلت الجراد اليمن وانقطعت السفن عن الوصول إلى الموانئ اليمنية ،وفي هذه السنة - هاجم المسلمون من الأتراك واليمنيين بقيادة سعيد باشا مدينة لحج فأخذوها من الإنجليز وفر السلطان وأسرت هارين إلى عدن فظن الإنجليز أنهم من الأعداء فقتلوا عددا منهم وأصيب السلطان برصاصه في رجله ونقل إلى عدن وتوفي من أثر الجرح.

وبعد أن صدرت الأوامر من الأناضول إلى سعيد باشا بتسليم نفسه وجنده إلى الإنجليز والعودة أرسل سعيد باشا للإمام يحيى رسالة يخبره بما حصل ويحثه على إرسال من يمثله لاستلام تلك المناطق التي أخذوها من الإنجليز من باب المندب حتى العوالق بما فيها لحج والضالع ،فرد الإمام بما معناه :ماذا أريد بأرض إذا أرسلت إليها العسكري لا يعود والإمام عرف عنه البخل فهو يحسب ما سينفقه وما سيحنيه.

وفي سنة ١٣٣٤هـ -

قام الشريف حسين بجمع قبائل العرب من نجد والحجاز وهاجم العثمانيين بإيعاز واتفاق مع البريطانيين وكانت من أخطر الضربات التي وجهت إلى دولة الإسلام.

وقاد تلك الجموع حتى دخل دمشق وقصه ثورة الشريف حسين مشهورة وكان بجواره كمششار عميل للإنجليز يسمى لورانس وقصته مشهورة فيما يسمى لسورانس العرب وساعد ذلك الشريف أعداء الإسلام في القضاء على الخلافة الإسلامية وهدعه الإنجليز ولم يحققوا له ما أراد فهذه ضربه للخلافة الإسلامية ممن يدعي إرث النبوة والتميز السلافي وتلك ضربه أخرى من الإمام يحيى بإشعال الحرب بين اليمنيين والعثمانيين وكان هؤلاء هم يدا والفرجة يدا أخرى كلتاها أطبقنا على الخلافة الإسلامية.

قال الله تعالى: { وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ } (الشورى ٣٠)

وقال الله تعالى { وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ } (الأنفال ٢٥)

الفصل العاشر
الأئمة الهاديون بعد الانسحاب
العثماني

المبحث الأول:

أساليب الإمام يحيى ووسائله

المبحث الثاني :-

الإمام يحيى / شديد على اليمينين رحيم على الغزاة

أ- سقوط الضالع

ب- تسليم المخلاف السليماني

المبحث الثالث :-

بداية الثورة السياسية والفكرية .

المبحث الرابع :-

شروق شمس الحرية (ثورة ٢٦ سبتمبر)

المبحث الأول / أساليب الإمام يحيى ووسائله

بداية حكم الإمام يحيى:

انسحب العثمانيون من اليمن سنة ١٣٣٦هـ نتيجة لهزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى فقد أمر السلطان محمد رشاد بسحب القوات العثمانية من اليمن وفيها ضرب الإنجليز بعض مدن اليمن بالطائرات، وفي سنة ١٣٣٦هـ وصل الإمام يحيى إلى الروضة. وفي سنة ١٣٣٧هـ دخل الإمام يحيى إلى صنعاء وأخذ الرهائن من القبائل وفي هذه السنة هجم الإنجليز على الحديدية بعد ضربها بالمدافع ففر أهلها ثم احتلوها، ولم يكن لدولة الإمام في الحديدية أثر، وفي هذه السنة وصلت بعثة إنجليزيه إلى الحديدية قاصدة صنعاء برئاسة الكونيل جاكوب فوصلت إلى باجل فمنعتها من الوصول قبيلة القحري فأمسكت هذه البعثة فأرسل الإمام مائة جندي وثلاثة عشر خيالا ومعهم الوالي محمود نديم وألف جنيه ولكن هذه القبيلة لم تطلقهم خشية أن يتم اتفاق بين الإمام والإنجليز فأرسل الإنجليز طائرة من عدن لتخويف هذه القبيلة فلم يكثرثوا، وبعد وساطات أطلقوا سراهم بشرط رجوعهم نحو الحديدية وكان فعل هذه القبيلة أعظم رادع للإنجليز ويبدوا وجود وعد من الإنجليز للإمام يحيى بتسليم الحديدية إلا أنهم انقلبوا وسلموا الحديدية للإدرسي ويبدوا أن الإمام يحيى كان منشغلاً بدخول قصور صنعاء فلم يعبر احتلال الإنجليز للحديدية أدنى اهتمام لأن همه كأسلافه هو إخضاع اليمنين،^(١) وفي سنة ١٣٣٨هـ استأنفت المفاوضات بين الإمام والإنجليز وتبادلوا الهدايا وعين الإمام القاضي عبد الله العرشسي معتمدا له بها.

ثم لم تسفر المفاوضات عن اتفاق فعاد معتمد الإمام إلى صنعاء وكان قد وصل، السير كليتون وجبليريت إلى صنعاء ولم تسفر المفاوضات عن نتيجة فالإمام يحيى داهية وذو ذكاء وخبرة ومهارة في سفك دماء المسلمين سواء من العثمانيين أو اليمنيين وهو ضليع في استخدام كافة الوسائل في الضغط على العثمانيين ومن والاهم من المسلمين.

فأهتم بإخضاع قبائل الشمال فأرسل حملة بقيادة عبد الله بن احمد الوزير لإخضاع قبائل حاشد وبكيل عام ١٣٤٣هـ ومن قبلها أرسل حملة لإخضاع خولان والحذاء وبعد ذلك توجهت حملة إلى أطراف هامة من جهة حجة بقيادة احمد ابن الإمام يحيى وتوجه عبد الله بن احمد الوزير إلى باجل ثم الحديدية ودخلت بعض سواحل هامة تحت سيطرة

(١) - حياة عالم وأبير - محمد بن علي الاكوع.

الإمام سنة ١٣٤٣هـ، أما المناطق الجنوبية من اليمن فلم يهتم الإمام بضمها واكتفى بأرسال حملة نحو الجنوب سيطرت على الضالع والشعب والأجعود والقطيب وتوقف الإمام عند ذلك وكانت لحج واين وشبوة وحضرموت والمهرة مقسمة إلى سلطانات ومشيخات ضعيفة (صغيرة) كان بإمكان الإمام السيطرة عليها بسهولة) لكن بخله وضيق أفقه عن ما أوجبه الله عليه في توحيد اليمن والدفاع عنها أرضاً وإنساناً مما أدى إلى اتساع نفوذ المستعمر الإنجليزي واستيلاء ابن سعود على المخلاف السليماني (وهذا هو شأن الفكر الهادوي وأئمته).

أما بالنسبة للإنجليز المحتلين فلم يحرك ساكناً ولم يحاول حتى إزعاجهم ولو معنويًا وأنشغل بفرض سيطرته على شمال الوطن ووجه كل قواه لإذلال أبناء اليمن بتسليط بعضهم على بعض لإخضاعهم وجباية الأموال وترك جنوب اليمن مجزأًا ومحتلاً إلى أن أزاحه أحرار الأمة بقتله سنة ١٣٦٧هـ - ١٩٤٨م. بمنطقة سواد حزيز جنوب صنعاء.

أساليب الإمام يحيى ووسائله في إخضاع اليمنيين :

وأهم الأساليب والوسائل التي استخدمها في السيطرة وفرض وجوده:

١- أسلوب بث الإشاعات :

وهذا ما فعله ببث الدعايات عن العثمانيين بأنهم كفره وأويل ومرقه يرتكبون المحرمات.

وهذه من وسائل وأساليب الأئمة من قبله ولكنه زاد عليها بقتل اليمنيين والعثمانيين معاً جوعاً وقد ذكرنا ذلك عند حصاره لصنعاء في أول عام نصب فيه إماماً (١٣٢٢هـ).

كما ابدعوا في إطلاق مسميات على معارضيتهم مثل (ناصبي، مكرمي) وابدعوا في بث ونشر التهم المروقة عن الدين على من ثار أو تمرد عليهم ومن أمثلة ذلك ما بثوه من دعايات مكثفة على ثورة (المقاترة) بأنما حركة إنجليزية تستهدف القضاء على الإسلام ، يقول عبد الكريم مطهر في كتابه : (رأس الحكمة في سيرة إمام الأمة) " كان هؤلاء من الذين شبوا وشابوا على خدمة النصارى فلا يزيدون من الدين إلا فراراً حتى ضلوا الناس وأشاعوا في القلوب الوسواس فخرّبوا المساجد وأبطلوا عقود الأتكة" وهذه الدعاية من كاتب رسمي تعكس أساليب الإمام يحيى في بث الدعايات ضد الانتفاضة حينذاك ، ومن المعروف أن عبد الكريم مطهر عقد فصلاً طويلاً عن انتفاضة المقاطرة في كتابه ذلك ،

وكان هذا الكتاب قد طبع وقت الإمام يحيى ثم أمر بإحراقه لأن الأحداث التي تناولها كادت تجد من يستغلها ضده لأن الكتاب عني بأحداث تمامة وبحران وأياً كان موقف الكاتب وتبريراته للهزائم فإن الإمام يحيى فطن لخطورة تدوين تلك الأحداث فرأى التخلص منه وهو أراد بذلك طي الأحداث حتى لا تثير أمثالها ولا تذكر بمواجهها بعد أن أستتب له الأمر، وكان هذا الأسلوب قد سار عليه الأئمة من قبله فأتلفوا كل تدوين يخالف فكرهم أو يكشف حقيقتهم أو تحريف محتوياته ومقاصده ومن ذلك ما كتب قبل وصول الهاديون (*)

ويبالغ كتاب الأئمة في الدعاية ضد من يخالف الأئمة .

" ولعل أغرب ألوان دعاية (مطهر) هو تشنيع تمرد (المقاطرة) على الأتراك مع أن إمامة ذلك العهد قامت على التنديد بالأتراك : كبنغة ، جهلة ، ومحتلين ، ومرتشين ، ومخمورين ، فكيف استسأغ (مطهر) إقام المقاطرة بمقاومة الأتراك في فصله الخاص بانتفاضة المقاطرة؟ إن قلعة المقاطرة كانت اسبق من حصن شهارة في صراع الأتراك لأن الإمام من شهارة يتراوح بين المفاوضات والقتال وكان يتصالح مع العثمانيين إذا أتاحوا له الزكوات والأوقاف أو انتزع منهم منح أو هبات ومن أجل ذلك كان قتاله .

٢- الاغتيالات:-

هذه وسيلة كان أول من استخدمها القاسم بن محمد عندما اغتال الشيخ العثماني المنتصوف بجوار الجامع الكبير أما الإمام يحيى فأبدع في قتل النفس التي حرم الله وأخذ عدة طرق في ذلك مثل :

أ) تفجير المنازل على من فيها.

وكان يرسل من أتباعه من يضع البارود أسفل بيوت المناوئين له^(١) ومنها ما جرى في ذمار للقاضي قاسم بن يحيى الأشبيلي والقاضي محمد الرديمي.

ب) التصفية الجسدية :-

وكان يرسل أعوانه فيدخلون خفيه إلى بيوت من يريد قتلهم ومن اللذين أشتهروا بفعل ذلك من مرتزقة الإمام علي ابن أحمد الكلبي وثانيهما حسن بن محمد العبيدي الأرحبي وثالثهما إسماعيل السميري ورابعهما هادي السنفي.

(*) - نكتاب التبيين مثلاً كتب قبل وصول الهاديون إلا أن القارئ له يكشف لغات من الفكر الهادي لأن أحد الأئمة ادعى حقيقة .
(١) - الراسمي - تاريخ اليمن / حياة عالم وأمر - محمد بن علي الكوع .

وكان يرسلهم للقتل أو التخويف مثل ما أوصلوا إليه رأس سنهوب ومثلما دخلوا على الشيخ حسين زهره ووضعوا السكين تحت مخدته فأشعروه بأنهم قادرين على الوصول إليه وبما أشتهر به هؤلاء القتلة فقد وافق حسين زهره على مطالب الإمام وزوده بالمال وكان من أكتفاء بئر العزب ، ومثل قتل أولاد أبو دنيا الذي قطع رؤوسهم بقله عذر (مديرية محافظة عمران) بسبب تعاملهم مع الأتراك.

٣- (١) قتل العلماء المخالفين له وأكبر حدث أفرغ وأرهب كل من خالفه هو قتله مفتي اليمن محمد بن محمد بن إسماعيل جفمان وكان علماً من الأعلام ، وخطيباً مبرزاً جم التواضع صادق اللهجة ذا دين وعفاف حظي عند الأتراك بالتقدير لاعتداله وصدقه وغزارة علمه وكان له نفس المكانة عند اليمنيين ، فلما لم يخضع لفكر الأئمة الهاديون القائم على التمييز والاستعلاء وبث الفتن وسفك الدماء ، ولما لم يستطع الأئمة مقارعة حججه وعلمه عملوا على استأصاله فقد استأجر أبو الإمام يحيى حميد الدين من يقتله فترقبوه حتى وجدوه منفرداً في مطاهر الجامع وقت صلاة العشاء بمسجد صلاح السدين شرق صنعاء فأوسعوه طعنا وظنوا أنه مات وظنوا أنه فارق الحياة فدخل المصلين إلى المطاهر فوجدوه يمئن فأسعفوه فعالجه الأطباء العثمانيين وعندما استرد وعيه سأله من الفاعل ؟ فأجاب : الزلب الذي حانوته في سوق الكروافي وكان معه أحمد مهدي صاحب المحابشة ومهاجر في جامع المدرسة فقبض عليهم فأعترفوا في اليوم الثاني وأبرزوا كتاب المنصور محمد.

وبعد خروج الإمام يحيى من صنعاء عند وصول حملة فيضي باشا أخذ معه المفتي محمد بن محمد بن إسماعيل جفمان وأظهر له الورد وجامله وطمانه كثيرا وصحبه إلى قرية القابل وعفا عنه فيما صدر عنه من فلتات اللسان ويقال أنه خلع له ملابسه تكريماً له ثم غدر به فأرسله في جنح الظلام إلى القفلة^(٢) (عذر والعصيمات) مع جماعه من رؤساء اليمن وأعيانها فيهم إسماعيل بن يحيى الردمي والشيخ محمد الرازقي والشيخ أحمد كحيل الحيمي والشيخ سعيد بن علي الهدماني وآخرين حوالي إثني عشر وقتلهم خنقا بالحبال.

وقتلوا المفتي خنقا وهو ساجد وذلك سنة ١٣٢٣هـ وكان مندوب الإمام المراقبين على تنفيذ تلك الجزرة عبد الرحمن الشامي وعبد الله بن قاسم حميد الدين^(٣).

(١)- عالم وأمر - محمد بن علي الأكرع .

(٢)- القفلة (مديرية بمحافظة عمران) .

(٣) - حياة عالم وأمر - محمد بن علي الأكرع ص ٣٠٠ .

تلك إبداعات الإمام يحيى التي أضافها فهل أعماله إنسانية ؟

وهل هي أعمال إسلامية ؟

٤- إخضاع اليمنين بالقوة :

وقد عمل الإمام يحيى على إخضاع مناطق وقبائل اليمن بأساليبه السابقة وبالقوة فدفع قبيلة على أخرى وقبيلة على منطقة بالقتال ثم بالخطاط بالإضافة إلى الجيش الذي قام في نظامه وعتاده على ماخلفه العثمانيين ونتيجة لعانة اليمنيين من ممارساته ولعدم وجود هدف لهذا الإمام يجمع اليمنيين حوله رفضوا الخضوع له ، فبدأ بإخضاع بعض قبائل حاشد وبكيل ثم الحدا وبعض قبائل البيضاء كما ذكرنا ثم استطاع أن يخضع بعض ثورات المناطق الوسطى والغربية ، مثل ثورة المقاطرة والزرائق .

كانت ثورة المقاطرة بقيادة (آل علي سعد) ١٣٣٩هـ فحشدت السلطة الإمامية أشد القوى لإخماد تمرد المقاطرة عام ١٩٢٢م.

٥- أسلوب التجويع:-

إن هذه الوسيلة كانت وسيلة الأئمة فيما مضى فقد استخدمها كل إمام توفرت له القدرة على تجويع المسلمين من أبناء اليمن وكانوا يقومون بتجويع الناس مباشرة بالجبايات الجائرة واستخدام نظام (الخطاط)^(١) (وأكثر من استخدامه الإمام يحيى حميد الدين بالإضافة إلى استخدامه طريقة فرض الحصار كما ذكرنا عند حصار الإمام يحيى لصنعاء عام ١٣٢٢هـ

حتى أكلوا الكلاب والحمر ثم مات الناس من الجوع كما ذكر الواسعي.

أما فرض الجبايات الجائرة فقد استخدموا فيها عدة طرق:-

أ) الجباية المباشرة من قبل العمال:-

وكان الأئمة يدفعون عمالهم إلى التنافس في تحصيل هذه الجبايات وكانت أغلب التمردات والثورات بسببها وكان يتم تحصيلها من المزارعين (بإرسال المخامنه لتقدير الزكوات ثم الكشف ومع هولاء عساكر ورفقاء ويرسل العدادين لنفوس الناس من أجل الفطرة ثم عداد للأغنام والإبل وإذا لم يرسل هذه الضرائب التي تسمى الزكوات أو

(١) - وهو نظام أتته الأئمة لتأديب الثائرين عليهم أو التمردين وكان هذا النظام يقوم على إرسال قبيلة أو مجموعة من القبائل على القبيلة المتمردة ويولون في مساكنهم كمدة تزيد عن بضعة أشهر وعلى أبناء القبيلة المتمردة توفير كفايتهم من الطعام ودفع مبالغ مالبسه ولا يسدق الخطاط حتى تستسلم القبيلة للمتمردة استسلاماً مهيناً ومذل وكان غالباً ما يستخدم هذا الأسلوب.
أما بعد هزيمة تلك القبيلة في القتال أو عند استسلامها قبل القتال عندما لا ترق في نفسها قدره على المواجهة وكانت طريقة غاية في البشاعة نظراً لندرة موارد قبائل الشمال.

الواجبات في وقتها المحدد فالويل له من التنفيذ بالعساکر وطبيعي أن الغرامات وهتك الأعراس والحرم يصحب هذا كله ولم ينفذ شرع الإسلام في مصارف الزكاة بأخذها من الأغنياء وأنفاقها على الفقراء وقد عبرت عن ذلك الشاعرة الضالعية على لسان عسكري الإمام :

يا ناصي بادر بالصبوح عجل
ولا فلا بد مانربطك ... وتدي الحق والباطل

٦- أسلوب التجهيل :-

وللتكرار الموجب فأنا نذكر أن أسلوب التجهيل قد استخدمه كل إمام حكم أو سيطر على جزء من اليمن فقد مارسوا حكر التعليم على ذريهم وأبناء فقهاءهم الذين ارتبطت مصالحهم بالأئمة وارتبطوا منهجياً بالفكر الهادي ومن قال أو عمل بما يخالف فكر ومذهب الأئمة ضيق عليه الخناق في مختلف نواحي الحياة ونادراً ما يدخل من أبناء اليمن في هذه الدائرة الضيقة وكان التعليم يتم في المساجد وفي نطاق هذه الدائرة الضيقة وكان في ^(١) نطاق فكر وفقه المذهب.

وما أبدعه كثير من العلماء المجددين فكان يحظر بثه وتعليمه أما بالنسبة للإنفاق على التعليم فلم يدخل في فكر ولا تطبيق أي إمام ادعى أو حكم اليمن إلا ما أبقاه الإمام يحيى مما خلفه العثمانيين من المدارس حيث قام بإقفال جميع المدارس التي أنشأها العثمانيين من المدرسة الرشيدية الصناعية والمدرسة الثانوية العليا للبنات وغيرها من المنشآت التي قام بأقفالها ولم يبقى سوى المدرسة العلمية وحوها لتدريس علوم الدين في إطار المذهب. فعندما شاء الله أن توجد مدرسة الأيتام في عهد الإمام يحيى عام ١٣٤٤ هـ التي كانت السبب في وجود الرجال الذين كانوا نواة التغيير في إزالة الحكم الإمامي وهذا دليل لا يدع مجال للشك في أن الجهل هو العامل الذي مد أمد الأئمة الهاديون فكراً ونفوذ وكانت حلقات العلم التي تقام بالمساجد ينفق عليها من أموال أوقاف المحسنين وكانت تسمى (أوقاف علماء ومتعلمين) أو تسمى (أوقاف الترب).

كان واجب على اليمنيين حب الإمام والصبر عليه ودفع ما يفرض عليهم أي عليهم كل واجبات المواطن نحو الدولة وليس على الإمام أي واجب نحوهم ولا حتى على الإمام

(١)- ذكر الكاتب والأديب عبد الله البردوني أن كتاب الهادي يحيى بن الحسين "الثلاثين المسألة" كان من أهم مقررات المدرسة العلمية وهو الكتاب الذي يوصل للتبصر السلالي في استحقاق الحكم.

واجب الدفاع عن الإنسان أو الأرض كما رأينا في عدم قيام أي إمام بالدعوة أو القيام بالجهاد لتحرير عدن أو الدفاع عن المناطق الساحلية والجزر والمياه الإقليمية عند مهاجمتها من قبل البرتغاليين وغيرهم كذلك لم يقوموا بما أوجبه الله على الحكام تجاه شعوبهم أو حتى ما أوجبه الله على المسلم تجاه أخيه المسلم فعندما سئل الإمام يحيى أن يطعم الناس أثناء المجاعة وصوامع الغلال مليئة بالحبوب ، فقال (من مات فهو شهيد ومن عاش فهو عتيق).

ويصف أبو الأحرار حقيقة معانات اليمنيين بقوله :-

أكلوا لباب الأرض وأختصوا بها وذوو الخصاصة واقفون صياماً
وكأنهم هم أوجدوا الدنيا وفي أيديهم تتحرك الأجسام
هب أنهم خلقوا العباد فهل لسن خلقوه عطف عندهم وذماماً

٧- اخذ الرهائن :-

إن معرفة الأئمة ومنهم الإمام يحيى بأن الشعب سيمرّد على سياساتهم الظالمة وسيرفض الجبايات الجائرة جعلهم يأخذون أطفال زعماء القبائل رهائن في سجونهم لإرغام آبائهم على الطاعة وكان ذلك يتحقق للأئمة عندما ينجحوا في تسليط قبيلة أو مجموعة من القبائل على القبيلة أو المنطقة المتمردة فيقتلون زعمائها ويدمرون معورها ومزروعها ثم يخطط عليها (تبقى القبائل الموالية للإمام تأكل أوقات القبيلة المتمردة) وعندما يصل الظلم والطغيان إلى هذه المرحلة يأخذ الإمام أطفال الزعامات والوجهاء كرهائن ليضمن خضوع تلك القبيلة أو المنطقة إن هذه الحقيقة تؤكد عدم حصول أي من الأئمة على ولاء وتأييد اليمنيين وهذا يدحض ما يروجه الإماميون الهاديون في وقتنا هذا بين السذج .

المبحث الثاني

الإمام يحيى / شديد على اليمينين رحيم على الغزاة

أ- سقوط الضالع

فها هو الإمام يأخذ أبناء المواطنين، وها هو يجمع المال والطعام في مخازنه والناس يموتون جوعاً عند الجذب وعدم هطول الأمطار ومخازنه مليئة بالطعام وخزائنه مليئة بالمال، بل أكثر من ذلك يستخدم التجويع لإخضاع اليمينيين ويستخدم جوع قبائل الشمال لإخضاع المناطق الوسطى والغربية فيزرع العداوة والبغضاء بين أبناء هذه الأمة.

وها هي الضالع وما حولها تسقط بسبب أساليبه الجائرة في الجباية ونفور المشائخ والرعية من ظلم عماله فيلجأون إلى الإنجليز بعدن بعد أن نصح العلماء^(١) الإمام بالضرب على يد عامله يحيى محمد عباس الذي أعمل يده فيهم ظلماً في الجباية والمعاملة وكانوا قد دخلوا تحت طاعته طوعاً وفضلوا حكم المسلم على الإنجليزي فلما عانوا من ظلم عامله يحيى محمد عباس لجأوا إلى سلطان حجج عبد الكريم بن الفضل العبدلي والذي بدوره نصح الإمام بأن يجعل عامله يحفف الخناق على المشائخ ورجاباهم ويقبل من التعسف ولكن الإمام لم يعر ذلك أي اهتمام وكان يستحسن ما يقوم به عامله فما وسع المشائخ إلا الارتقاء إلى أحضان الإنجليز بواسطة سلطان حجج الذي كان خائفاً من مد نفوذ الإمام ولذلك فقد وجد الإنجليز ذريعة لمد سيطرتهم على الضالع وما حولها فبدأ بالمفاوضات مع الإمام للتخلي عن الضالع وما حولها فلم يجدوا من الإمام أي مقاومة ملموسة أو استعداد للمواجهة فأرسلوا الطائرات تسقط المنشورات التي يهددون فيها بضرب مدن اليمن إذا لم ينسحب من الضالع وما حولها فما كان من الإمام إلا أن أجمع ببعض الأعيان والعلماء ووزرائه فرجح غالبية المجتمعون الحرب والمقاومة والجهاد تنفيذاً لحكمات القرآن وجوهر الشرع الإسلامي منطلقين من قوله تعالي {وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ} {سورة الأنفال آية ٦٠}.

وأنقض الاجتماع ولم يأخذ برأيهم ونسي كل أصول وكليات الإسلام وفي مقدمتها فريضة الجهاد كما نسي وسائله التي كان ينفذها ضد أخوانه المسلمين من العثمانيين ونسي أساليبه في حرب العصابات التي كان يديرها ضد العثمانيين واليمينيين ونسي أساليبه

(١) - حجة عالم ولير - عمد بن علي الأكوخ .

في تفجير المنازل والاعتقالات بل لم يعد شيئا لمواجهة الإنجليز ونصح الناس أن يتركوا المدن ويلجأوا إلى الكهوف في حالة قصف الطائرات وهذا أمر طبيعي يصدر من حاكم أتصف بالبحل والأناية فهو لا يرى إلا مقدار العائدات وهو لم ينتشئ على البذل والإنفاق في سبيل الله للدفاع عن أرض الإسلام والمسلمين وهو بذلك يعمل بعكس قوله تعالى: {مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ} (الفتح ٢٩)

وكان قادراً على جمع الفيالق من مقاتلي القبائل اليمنية كما كان يجمعها ويهيئها بالدوافع الدينية الباطلة لقتال من خالفه من اليمنيين أو لقتال العثمانيين ولكن دافعه هنا معدوم كيف لا وقد استولى على سده الحكم واعتلى قصور صنعاء وليس غريبا عليه وهو الذي ترك جند الإسلام بقيادة علي سعيد باشا يقاتلوا الإنجليز سنة ١٣٣٧ هـ / ١٨ ١٩م وهو يقاتلهم من الجانب الآخر بل صم أذنيه عن نداءات علي سعيد باشا وجند المسلمين من اليمنيين والعمانيين عندما أرادا تسليمه مناطق الضالع ولحج حتى العوالق شرقا وباب المندب غربا مع أسلحه وعتاد الجيش الإسلامي عندما صدرت إلى القائد العثماني الأوامر من الأناضول بالتوجه إلى السفن الإنجليزية للعودة بعد إبرام معاهدة الصلح التي أنهت الحرب العالمية الأولى مما أضطر هذا القائد إلى توزيع بعض العتاد والأسلحة لمن قاتلوا معه من اليمنيين وسلم ما تبقى مع الأرض التي سيطر عليها للإنجليز، وهكذا فإن الإمام تخلى عن استلام الضالع والمناطق الأخرى من سعيد باشا خوفا مما سيكون أو لانشغاله وبمجهته بدخول صنعاء وها هو الآن يتخلى عن الضالع مره أخرى ولم يبذل جهدا أو مال في الدفاع عنها وكانت الطائرات قد ضربت مدينة ذمار ويريم فدمرت سور إب ولم تسفر عن خسائر في الأرواح والممتلكات و(ماوية) كذلك (مديرية بمحافظة تعز) وقصفت مدينة تعز فهدمت سمسرة (نزل) وقتل العشرات وألقت الطائرات قنابلها أيضا في وادي المعسل خارج تعز وذهب ضحيتها ستة عشر قتيلا وقصفت الطائرات كذلك مركز تربة ذبحان من قضاء الحجرية بمحافظة تعز وبعد ذلك القصف انسحب الإمام وسلم الضالع ولم يواسي المتضررين أو يعزي أهالي الشهداء وراحت إشاعات قوية في اليمن أن خروج الطائرات لضرب المدن اليمنية كانت مناورة بين الإمام يحيى والإنجليز ليث الرعب بين المواطنين.

وليكون له مبرر في انسحابه عن تلك المناطق وبالذات أمام العلماء والأعيان الذين رأوا

ضرورة جهاد بريطانيا لإقناعهم بأنه لا قدرة للإمام على قتالهم^(١) ويعبر عن ذلك بحجى الأرياني بقوله:

يا بريطانيا رويداً رويداً إن بطش الإله كان شديداً
إن بطش الإله أهلك فرعون وعسداً من قبله وثمودا

وهذا سيطر الإنجليز على الضالع ولم يظهر من الإمام بحجى أي مقاومة إلى أن قتل علي أيدي ثوار ١٩٤٨م - ١٣٦٧هـ

ب- سقوط المخلاف السليماني (الحرب اليمنية السعودية):-

أما بالنسبة لأحداث المخلاف السليماني فقد تزايدت رقعة ونفوذ عبد العزيز بن سعود في نجد والحجاز فقد سيطر على الحجاز سنة ١٣٤٣هـ وبدأ بمد نفوذه عاما بعد الآخر بعزيمة وطموح وفاعلية مقارنة بالإمام بحجى الذي كان منشغلا وقانعا بما ترك له العثمانيين وأهتم بإخضاع قبائل الشمال، فأرسل حمله بقيادة عبد الله بن احمد الوزير لإخضاع قبائل حاشد وبكيل عام ١٣٤٣هـ ومن قبلها أرسل حملة لإخضاع خولان والحذاء وبعد ذلك توجهت حمله إلى أطراف تهامة من جهة حجة بقيادة احمد ابن الإمام بحجى وتوجه عبد الله بن احمد الوزير إلى باجل ثم الحديدة ودخلت بعض سواحل تهامة تحت سيطرة الإمام سنة ١٣٤٣، بينما المخلاف السليماني تحت حكم علي بن محمد الادريسي الذي تولى الحكم بعد وفاة أبوه محمد الادريسي ١٣٤١هـ وظل احمد بن الإمام بحجى بالحديدة إلى عام ١٣٤٥هـ فعاد إلى صنعاء.

وفي هذه السنة نشرت المعاهدة بين الأدارسة وبين عبد العزيز بن سعود وكانت هذه نتيجة حتمية لعدم حسم الإمام لقضية حكم الادريسي فقد كانت حملات الإمام على الادريسي أثار مخاوفه ولم يصاحبها حنكه سياسية أو حسم عسكري ولذلك كانت المعاهدة فرصه لأبن سعود في إعداد نفسه وترسيخ ملكه فتمى نفسه بالسيطرة على المخلاف السليماني وبدءه عقد معاهده مع الأدارسه.

إن الفترة التي اعقبت خروج العثمانيين (حكم الإمام بحجى) قد أفرزت أهم النكبات وأعظمها ، حيث تمثلت في مد نفوذ الإنجليز على أغلب جنوب اليمن وشرقه وسيطر ابن سعود على بحران والمخلاف السليماني نتيجة الهزامية واستسلام الإمام بحجى .

(١) - حياة عام وامر - محمد علي الأكوح

إن الإمام يحيى بما أوصل به الشعب اليمني يناقض فرضيات العقل ومعطيات الواقع فأما فرضيات العقل ، فإنما تحتم علينا التسليم بقدرة الإمام يحيى التابعة من خبرته الحربية في قتال العثمانيين وقدرته في تهيج القبائل والسيطرة عليها .

وقدرته في توحيد وإبعاد المنافسين من نفس السلالة عن الطموح أو المشاركة في الحكم، هذا بالإضافة إلى ما تمهياً له من موقع على رأس السلطة في الدولة اليمنية كحاكم مطلق وإمام دين .

ووصل إلى ذلك بأساليبه المتمثلة في قمع وإسكات العلماء وتصفية المعارضين بأسلوب الاغتيالات أو بالتهميش أو بالتجويع.

أما معطيات الواقع فقد تمهيات له الفرصة للحكم بما ورثه من بعد والده المنصور محمد من مكانة وإمكانات وهذا لم يجعله يبدأ من الصفر في طموحه نحو الحكم ، ثم ما تمهياً له بعد معاهدة دعان من قدره على جباية أغلب شمال اليمن ، وهي فترة كان الإمام يحيى كالحازن يجمع ولا ينفق ثم انفراداً بساحة الجزيرة العربية كأقوى زعامة بعد انسحاب العثمانيين كأول زعيم للدولة عربية مستقلة.

وكان ما خلفه العثمانيون من بنية تحتية ونظم إدارية وعسكرية كافية لانطلاق دولة تحكم أغلب الجزيرة العربية إذا ما أضفنا سيطرته على أكبر تجمع بشري في الجزيرة العربية، الأمر الذي يجعل القدرة والتفوق للإمام يحيى لمد نفوذه على أكبر رقعة من الجزيرة العربية إذا ما قورن بإمكانات وقدره ابن سعود عند بداية تأسيس الدولة السعودية كل تلك العوامل ، والظروف التي تمهيات للإمام يحيى سُحقت بظلمه وجموده وبخله الأمر الذي أدى به أن يدفع بالجنود والقبائل الجياع وغير المسلحين لقتال الأدارسه في تهامة أو للسيطرة على بعض المناطق التي كان يسيطر عليها العثمانيين في جنوب اليمن وأضاف إلى ذلك ظلم عماله الذي بلغ حداً أوصل زمراً من سكان تلك المناطق إلى الالتجاء إلى الإنجليز أو للقتال مع الأدريسي ثم دخل في حرب مع ابن سعود بجيش جفاف غير مسلح ولا مدرب ذلك لأن الإمام يحيى اتسم بالحمول والقنوع فكلما انتزعت قطعة من أرض اليمن قنع فيما تحت يده وهاهو يشبع بشراء صفقة سلاح من إيطاليا فتدفع هذه الأشباعه بابن سعود إلى أعداد جيشه وتسليحه وهو لم يقم بشراء الصفقة لجمود بصره وبصيرته وبخله الذي عرف به كأسمه فكانت الحرب واستولى ابن سعود على المخلاف السليماني ووصل إلى الحديدة وتقدم اليمنين بقيادة احمد حميد الدين باتجاه نجران محققاً بعض الانتصارات إلا أن الإمام يحيى ارغمه على التوقف وبدأت المفاوضات التي انتمت بمعاهدة الطائف التي بموجبها استولى ابن سعود على المخلاف السليماني ونجران كل ذلك كان لاستبداد الإمام يحيى وجمود وتخلف اساليبه ووسائله في الحكم فما هو أسلوبه الجامد في إخضاع

القبائل اليمنية يكرره في مواجهة الإنجليز و الأدارسه ومن بعد هم الدولة السعودية في حين ينطلق العالم من حوله في فترة ما بين الحربين العالميتين كأعظم زمن عرفته الحياة الإنسانية في الكم الهائل للاختراعات والمكتشفات في جميع المجالات وهو يعود بهذه الأمة إلى العصور الوسطى فيقفل المدارس التي خلفها العثمانيون ويوقف المشاريع التي بدأوها.

كل ذلك مع استمراره في حكم البلاد وفقا للفكر الهادوي المنحرف عن ثوابت الإسلام وأصوله والقائم على تميز هذه السلالة واستعلاءها سواء بانفرادها باستحقاق الحكم أو بتعميق ما أصل كثقافة مجتمعيه في تهجيل وتمجيد الإمام كوارث للنبوة والعلم الأمر الذي أطلق العنان للحكم المطلق الذي أدى إلى عدم استماعه لنصح الناصحين متوازيا مع أسلوب الأئمة في التجهيل التراكمي لهذا الشعب وعزله عن كل غيث ومنابع العلم والتقدم مع إضافته إلى الرعة العدائية بين القبائل اليمنية التي أصلها أسلافه كل ذلك أو جزء منه كان كافيا ليحجل بأجله وأجل حكمه، وكان دافعا لكل يمني طاف به شعاع من نور أن يعمل على إزاحة هذا الكابوس من حياة اليمنيين.

المبحث الثالث

بداية الثورة السياسية والفكرية

تدرجت الصفوة في نصحتها للإمام بكل وسيلة سلمية ابتداء من وعظ الإمام وتذكيره بما أمر الله به وهى عنه واستعطافه واسترحامه لتلمس أحوال الشعب اليمني وما وصل إليه من ظلم وجوع وجهل ومحاولين أحداث أي تغيير دون استجابة من الإمام ومجد على موافقه فلجئوا إلى وسيلة سلمية أخرى بالنشر في الصحف والإذاعات ، فلم يفلحوا وما زادت الإمام إلا إصرار على موقفه وملاحقة الأحرار ، وتحلل ذلك نصح بعض العلماء من العرب الذين قدموا إلى اليمن مثل الفضيل الورتلاني وغيره الذين قدموا للإمام النصح بل مؤشرات لخطط التغيير عسى أن تحدث بوادر للتغيير لكن الإمام لم يعرها أي اهتمام إن الاستبداد المرتكز على التجهيل والتلاعب بالدين الناتج عن فكر الهادي وتطبيق الأئمة لهُ عمل على إحباط محاولات الأحرار لتغيير وتصويب حكم الإمام وممارساته بالطرق السلمية قبل قيامهم بالثورة و كانت أهم المحاولات في ذلك هي :-

١- هيئة الأمر بالمعروف وتكونت من كبار علماء اليمن وفقاً للنص القرآني : "وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ } (آل عمران: ١٠٤)

فقدمت النصح للإمام يحيى بن محمد حميد الدين شفاهاً وخطياً للعمل بما جاء في القرآن وما أمر به عليه الصلاة والسلام .

وبالذات اختيار العمال والحكام الأكفاء الشرفاء وعدم إرهاب الشعب بالمظالم وتكوين مجلس للشورى ، ولكنها لم تجد قبولاً

٢- الجمعية اليمنية الكبرى :-

تكونت هذه الجمعية سنة ١٣٦١هـ - ١٩٤٢م من خيرة رجالات اليمن بعد هيئة الأمر بالمعروف ، وكان أعضاؤها بالداخل وبعدهن ينشرون ما يصل إليهم من الأعضاء المناهضين داخليا

وكان اليمن قطاعاً خاصاً ، الإمام يحيى بصنعاء خليفة الله في أرضه ، واحمد في تعز .

وأمره نافذ على جميع أنحاء اليمن ، وعبد الله بن يحيى بالحديدة و الحسن بن يحيى بإب ، وبقية أبناء الإمام يحيى وزراء ما عدا حسين بن عبد الله العمري وزيراً خاصاً ، فكان للجمعية اليمنية أثرها على الحكم فكان نضالها بأسلوب العصر لم تنصب إماما ولم تؤلب

القبائل ، فكان أسلوبها توعية الفكر اليمني وتغيير ما لبد فكره من قدسية الإمامة، والمطالبة بالإصلاح الإداري بلغة العصر وأسلوبه ، فاهتر الإمام وأبناؤه لهذا الحدث الذي بدأ العالم الخارجي ينشر عنه في الصحف ويذيعه في الإذاعات ، فقام بحملة اعتقالات سنة ١٣٦٣هـ ولأول مرة عرفت الإمامة لغة السياسة والسياسيين ، ولكن بأسلوبها التقليدي ، ناهي ، باغي عصاه ، هذه بداية يقظة النضال اليمني وأول مسمار يثق في نعش الإمامة بأساليب العصر .

٣- الاتحاد اليمني :-

وكان هذا الاتحاد حزباً أشتمل على يمينيين وعرب .

فكان الفضيل الورتلاني الجزائري الذي قدم اليمن ودرس الأوضاع عن كتب وأعطى الإمام يحيى رأياً صحيحاً عن حياة العصر وتطوره وكيفية الخروج من العزلة والاستعانة بالخبراء المسلمين والعرب في بناء اليمن الحديث وطلب منه الموافقة في إيجاد شركة تجارية عينية مبدئية فوافق على ذلك مع اخذ رأي ولي عهده أحمد بن يحيى^(١) وأن يقدم تقرير شامل للمطالب وكيفية طرق الإصلاح ، وعليه جد الفضيل الورتلاني في إقناع احمد وتقديم القرار الشامل والاكنتاب في الشركة اليمنية التجارية المساهمة، وكان مرافقاً له القاضي السيد حسين الكبسي ووراءهما مراقبون سريون فكان الورتلاني رغم ما لاقاه من متاعب وأمراض مجدداً يحلوه الأمل في نجاح المهمة بناء على ما لمس من الإمام يحيى وأبنة احمد من وعود في تنفيذ مطالبه ، وكان الكبسي يهون عليه تعبهِ وإرهاقه بالا يكون شديد الإسراف في الأمل ، وليست المواعيد إلا سراياً أجاد الإمام يحيى وأبنة احمد أساليبها.

وأمام هذا الإخلاص والحب قدم الورتلاني التقرير الشامل في الإصلاح وقدمه للإمام فأعجب به وطالعه ، واحتفظ به في سلة الإهمال ، فكان الرد مضاعفة الرقابة عليه وعلى الكبسي بنادر الضيافة وخارجها ، وأخيراً قرر العودة إلى القاهرة .

٤- ومن أهم مراحل تطور الفكر الثوري التصويبي هو العمل على إقامة دولة دستورية .. شورويه ... تحقيقاً لإرادة التغيير قرر الأحرار اليمنيون صياغة ميثاق وطني وأسموه " الميثاق الوطني المقدس" يحدد علاقة الحاكم بالمحكوم و سياسة الدولة القائم على نوعاً من الفصل بين السلطات ، سلطة تنفيذية (الإمام السلطة الفعلية المطلقة ، رئيس الحكومة وأعضاؤها) .

(١) - مجلة الأكليل - العددان الثاني والثالث - السنة الثانية - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م .

سلطة تشريعية (مجلس الشورى) وحددت اختصاصاته و سلطة قضائية وتضمن الميثاق الوطني المقدس أيضاً.

أ- في المجال الداخلي، أذابت الفوارق المذهبية ، والسلالية ، والاجتماعية والإقليمية في إطار الوحدة اليمنية، و تحطيم العزلة الرهيبة، وبناء اليمن اقتصادياً وثقافياً وعسكرياً .

ب- وفي المجال العربي - تحطيم السور الحديدي، وربط علاقات قومية مع الدول العربية سياسياً وثقافياً واقتصادياً وعسكرياً.

ج- وفي المجال الدولي، احترام المواثيق الدولية، واحترام سيادة الشعوب، وفتح السفارات والاستفادة من الخبرات السياسية والعلمية .

كان ذلك تحولاً تاريخياً ليمن جديد غير مجرى تاريخ الصراع على الإمامة المرير لما بعد الآلف وأعطى لليمن حق اختيار السلطة في إطار الدستور والشورى: اتفق رموز الصفوة المستنيرة على هذا الميثاق المقدس .

هذه مرحلة اجتمعت فيها الآراء كاملة للوقوف بالفكر أمام الفكر الهاديوي وكان هذا الميثاق النواة الفعلية لإثارة مسيرة التغيير التي أثمرت استمرارية الثورة رغم أن الوعي السياسي كان محدوداً لانتشار الموروث بين ابناء الشعب اليمني ، وعدم قدرة قادة التغيير على بث أفكارهم إلى الشعب بكل فئاته وذلك نتيجة لعاملين :

الأول : هيمنة الإمام يحيى ونفوذه الروحي وإحاطة الشعب بسور من العزلة والخوف والجهل.

الثاني : لم تكن المنظمات السياسية تتمتع بقدرة مادية وبشرية ، وسياسية لتجبة الرأي العام الشعبي المنغلق والالتصاق به ، فكانت الحركة السياسية غير كافية لتغيير فكرة الإمامة من العقلية الاجتماعية اليمنية لذا فقد كان الأحرار اليمنيون أكثر اتصالاً بالخارج لعرض القضية اليمنية ولم يكن لهم رصيد اجتماعي ، وكان هناك من يشكك في حركتهم من الفئة البارزة الملتصقة بهم ، وبالإمام يحيى ولم تؤمن بهم واستمر تنامي الحركة حتى أنضم إليها إبراهيم وخرج عن طاعة أبيه ، فرحب به كعضو فعال ذي أهمية وسمى بسيف الحق، وتحولت حركة الأحرار من مرحلة التخطيط إلى مرحلة التنفيذ فكانت أحداث ١٩٤٨م، عندما وصل الأحرار إلى مرحلة اليأس من استجابة الإمام يحيى مما أدى بهم إلى العزم على التخلص منه جسدياً .

(١) وكان لإفتاء العلامة الكبير حسين الكبيسي بجواز قتل الإمام يحيى الحسم في تنفيذ ذلك، وفي اعتقادنا أن فتوى هذا العلامة كانت الفيصل في إنجاز هذا الحدث الهام في تاريخ اليمن وكان هذا العالم أقوى الثوار عزيمة وأكثرهم إدراكاً وأشجعهم قراراً .

إن هذه الفتوى هي التي أزلت تردد المنفذين لقتل الإمام يحيى في ٧ ربيع الثاني ١٣٦٧هـ - ١٨ فبراير ١٩٤٨م في قرية حزيز من بلاد سنحان جنوب صنعاء، وتم قتله مع وزيره حسين عبد الله العمري.

واستطاع ابنه الإمام احمد الوصول إلى حجه وبدأ رجال الحركة الوطنية يتوافدون إلى صنعاء وأعلنوا الميثاق والدستور وكونوا الحكومة وبجلس الشورى ونصب إماماً عبد الله بن احمد الوزير.

لكن أحمد ابن الإمام يحيى نجح في جمع القبائل حوله وفي كسب ولائها وبدأ الزحف يطوق صنعاء مما أضطر الثوار إلى إرسال نداءاتهم إلى الجامعة العربية للمساعدة واستطلاع رأي الشعب في اختيار حاكمه وكان لمعارضة الملك عبد العزيز أثراً في إيقاف وفد الجامعة العربية برئاسة عزام باشا فأوقفه للتشاور معه بالرياض وفي نفس الوقت كان يرسل الإمدادات للإمام احمد مما أضطر الإمام عبد الله الوزير والأحرار إلى إرسال وفداً مكون من الفضيل الورتلاني ومحمد محمود الزبيري ومحمد محمد الوزير إلى الرياض ، لاستنهاض وفد الجامعة العربية بسرعة الوصول إلى صنعاء فأصر الملك عبد العزيز على عدم ذهابهم موبخاً الوفد على قتل الإمام يحيى وأعلن لهم أن صنعاء قد سقطت ، وفعلاً استطاعت القبائل الدخول إلى صنعاء وأسر رجال الثورة و الإمام عبد الله الوزير وكان سقوط صنعاء اعظم المآسي التي تعرضت لها صنعاء وآخرها وكان الإمام احمد آخر الأئمة الذين سفكوا دماء اليمنيين بأيدي اليمنيين وكان آخر المستغلين لما أصله الفكر الهادوي كثقافة مجتمعية على رأسها دفع القبائل لإخضاع الخارجين على الإمام تلك الثقافة هي التي أفرزت الاستبداد المطلق للأئمة " والاستبداد يستولي على تلك العقول الضعيفة للعامة فضل عن الأجسام فيفسدها كما يريد ، ويتغلب على تلك الأذهان الضئيلة فيشوش الحقائق بل البديهيات كما يهوى فيكون مثلهم في انقيادهم الأعمى للاستبداد ومقاومتهم للرشد والإرشاد مثل تلك الهوام التي تترامى على النار " (٢) واستبداد الأئمة كان سياسياً ودينياً .

(١) - مجلة الإكليل - عبد الرحمن عبد الله الحضرمي - صنعاء وموقعها من التاريخ العام لليمن .
(٢) - طبائع الاستبداد - عبد الرحمن الكواكبي .

لكن الإمام احمد فاق استبداد أسلافه بأن عاقب بكل جيروت من خرج عليه وعلى والده ومن لم يخرج وعاقب حتى ارض صنعاء ودورها فأباحها للقبائل فبا وسلبا فزاد بذلك على ما فعله أبوه عام ١٣٢٢هـ - عندما حاصر صنعاء لمدة شهرين ونصف حتى مات الناس جوعا بعد أن أكلوا البهائم والكلاب .

إن هؤلاء الأئمة والفكر الهادي الذي سارو عليه قد تخلوا عن كل القيم الإنسانية والشرائع السماوية في سبيل الوصول للحكم .

وكأنهم مضوا على تعاليم ثابتة منذ عهد الهادي تقوم على الوصول إلى الحكم على دماء وأشلاء اليمينيون دون الالتزام بدين أو مله تفرض عليهم أي واجب نحو هذا الوطن . ونعود إلى الثوار فقد قطعت رؤوس بعضهم ونكل ببحثهم وسجن وعذب الآخرون . ويصف تلك الحالة العلامة أبو الأحرار محمد محمود الزبيري بأصدق قول وأبلغ شعر^(١):-

طافوا بهم حول صنعاء يطمسون	بهم حقاً يضيق به الطاغى ويخشاه
وطوقهم جميعاً ضمن سلسلة من	الحديد يهول الناس مرآة
يكب بعضهم بعضاً بمنكبه وتلتقى	أرجل منهم وأفسواه
إذا تحرك فيهم واحد صرخوا	واستفحلت فيهم الآلام والآه
كل امرئ منهم خطب لصاحبه	يؤذيه وهو بريء حين آذاه
ضاقوا رقابهم في الغل احترقت	أقدامهم من رحيل طال مناه
إذا استفتات أسير من متاعبه	لبته بندقة الجندي ورجلاه
فن من البطش والتعذيب مبتكر	خليفة الله للأجيال أهده
سيقوا جوعاً ولم يسمح معذبهم	أن يستعدوا بزاد يوم بلواه
وسار من خلفهم جند زبانية إذا	أتوا خزية من أمرهم تاهوا

(١) - الإمامة وخطرها على الوحدة

ورغم انتكاسة هذه الحركة إلا أن أثرها امتد إلى ما بعد ذلك في حركات متتالية وثورة لا تعرف الخمود إلى أن من الله على هذه الأمة بإزالة هذه السلالة عن الحكم ونسأل الله أن يمن عليها بإزالة ما تبقى من الفكر الهادوي وحملته .

الميثاق الوطني المقدس :-

إن أهم إنجاز لثورة وحركة (٤٨) هو الدستور الذي عبر عن إرادة التغيير ونضح فكر الأحرار.

وبرز معالم التطور الفكري في الميثاق الوطني المقدس أنه انتقل من الحكم الاستبدادي المطلق إلى دولة دستورية و شورية ، وأن تقوم بالسلطة التنفيذية حكومة تختص بالجانب التنفيذي بالإضافة إلى تضمنه قيام مجلس للشورى وركز على مكنم الخطر بالتفافه إلى المجتمع بتلمسه أماكن الاختلال ودعوته إلى الوحدة .

فقد تضمن الميثاق الوطني المقدس إذابة الفوارق المذهبية ، السلالية ، والاجتماعية، والإقليمية في إطار الوحدة اليمنية ونادى ببناء اليمن اقتصاديا وثقافيا وعسكريا .

وتضمن تحطيم العزلة الرهية بدعوته إلى ربط علاقات قومية مع الدول العربية سياسيا وثقافيا واقتصاديا وعسكريا.

ونادى بالانفتاح على العالم بفتح السفارات مع الدول الأجنبية والاستفادة من خيراتها السياسية والعلمية .

تلك المفاهيم كانت تحولا ونمو فكريا غير مسبوق في تاريخ الثورة على النظام الإمامي الهادوي وكان نواة لانطلاقة الثورة الفعلية لما أحدثته من تغيير في فكر الصفوة باستشعارهم وجوب التغيير الثقافي ولكن عملية التغيير الثقافية المجتمعية لم تلق الأعداد الكافي لها قبل التخلص من الإمام يحيى.

الأمر الذي جعل عملية التغيير محدودة في القوى المؤثرة على فئات المجتمع المختلفة لعدم قدرة هذه الصفوة على نشر الوعي بين صفوف الشعب بكل فئاته .

إن عدم أخذ الصفوة الثورية لقضية تغيير الثقافة المجتمعية بعناية واهتمام ، كانت السبب في إجهاض هذا الجهد الثوري.

وهم بذلك قد غفلوا عن ما هيأه الفكر الهادوي وما أحدثه عبر مئات السنين من هيمنة للفكر الهادوي وبالذات ما أصله من حق إلهي في الحكم للأئمة وما نتج عنه من هالة وتبجيل (جهم حبا لله وطاعتهم طاعة لله) وعلى رأسهم الإمام يحيى مستخدمين

الوسائل ذاتها وأهمها التجهيل وحصر التعليم وتنمية العداة التبادلي بين أبناء الشعب والجوع والعزلة.

والأمر الآخر الذي عمل على عدم نجاح تلك الثورة هو عدم توفر القدرة ماديا وبشريا لتعبئة الرأي العام الشعبي المغلق فكان رجال التغيير غير قادرين على تصحيح الفكر الهادوي في العقلية الاجتماعية اليمنية .

وكان جهدهم في عرض القضية اليمنية عبر وسائل الإعلام غير ذي جدوى لعدم قدرة المتلقي على الوصول إلى هذه الوسائل .

ذلك لأن وصول المذيع أو الصحف إلى عامة الشعب يكاد يكون نادرا .

أما بالنسبة لجهدهم في عرض القضية على المنظمات والدول في الخارج فقد ذهب أدراج الرياح لعدم مساندة تلك الدول أو المنظمات لهذه الثورة وأقصى ما قامت به هو تشكيل لجنة وصلت بعد أن وثقت الثورة في مهدها.

إن عدم اهتمام الثوار بتغيير الثقافة المجتمعية بالإضافة إلى اعتمادهم على عامل تعز محمد بن محمد باشا وعامل الحديدية حسين عبد الله الحلالي بالقبض أو القضاء على احمد ابن يحيى وهما في مناصب ومراكز مرموقة لا تمنحهم الثورة مكانة أعلى مما هما عليه.

الأمر الذي جعل نجاح الثورة من عدمه لا يشكل فرقا لذيهما وعليه فقد استطاع احمد ابن الإمام يحيى الفرار من تعز محترقا الحديدية للوصول إلى حجة الذي تمكن منها بما توفرت له من إمكانيات أن يولب القبائل ويجمعها محاصرة صنعاء وبالتالي القضاء على الثورة ..

إن هذا التطور الذي حدث في مسيرة الثورة اليمنية على أئمة وفكر الهادي في عهد حكم الإمام يحيى لم يكن الأقوى من الناحية المادية ، ولاكن الأكثر تأثيرا لثورة الفكر الذي نادى به الأحرار و تلمس مكنم الداء والدواء حيث كان الداء هو ما أصله الفكر الهادوي كثقافة مجتمعية بين أبناء الشعب اليمني في جوانب الاستحقاق الإلهي لهذه السلالة وعدم جواز الحكم لغيرها ، وما أرتبط به من التبجيل وإحاطة الأئمة بمالة تركزت على أهم ورثة النبوة والعلم معتمدين في بث ذلك كثقافة مجتمعية على ما تراكم من تجهيل للمجتمع وقد تمثل في سلوك وممارسة الإمام يحيى وبالذات في مسألة قدرة الإمام هذا على إخضاع وعزل الشعب اليمني عن العالم بتجهيله الأمر الذي جعل تخلف الشعب اليمني واعتقاده بالفكر الهادوي عاملا أساسيا في عدم نجاح ثورة ٤٨ لعدم وصول جهد الثوار إلى مرحلة التغيير الفعلي والمؤثر للثقافة المجتمعية الأمر الذي أدى إلى عدم وجود قاعدة شعبية فعالة لمحاصرة هذه الثورة وحمايتها .

إن تراكم الجهل جعل هذه الثورة بأهدافها وأفكارها مجهولة لدى الغالبية العظمى من أبناء الشعب.

فوقف ضدها الفكر الهادوي وما بثه من إشاعات احمد بن يحيى حميد الدين ضد الثورة والثوار ، مستغلا الثقافة المنتشرة بين القبائل المرسخة لعدم جواز قتل الإمام أو خلعها وما تنشأ عليه المجتمع القبلي من سلوك تمثل في القتال من اجل المغنم الذي مناهم بها عند القضاء على هذه الثورة بإباحتها نهب وسلب مدينة صنعاء.

إن تركيز الثوار على تغيير نظام الحكم الإمامي وعدم إدراكهم لمدى التخلف والجهل الذي وصل إليه أبناء الشعب كان أهم عوامل فشل هذه الثورة .

ويبدو أنهم اعتقدوا أن تنصيب أحد أبناء هذه السلالة كإمام خليفة للإمام يحيى سيكون مقنعا لغالبية الشعب وهنا هم أدركوا مدى تغلغل الفكر الهادوي باستحقاق الإمامة لهذه السلالة، وغفلوا عن بث أهداف الثورة بين الزعامات القبلية ذات الأثر الفعال في الساحة.

الأمر الذي جعل هذه الثورة على الإمام والقبيلة ومن أسباب الفشل أيضا عدم دراسة الجانب التاريخي وبالذات فيما يتعلق بالقوى المؤثرة في صراع الأئمة على الحكم الأمر الذي كان سيجعلهم يركزون على استمالة القبائل ذات القوة البشرية والقوة القتالية التي استطاعت أن توصل الكثير من الأئمة إلى الحكم.

و لكن ثورة ١٩٤٨م كان لها أثرها في تغيير المجتمع اليمني عند قيامها وبعد فشلها فلقد عاش الشعب اليمني بعد ثورة ١٩٤٨م في وجوم وصمت وظن الإمام احمد أنه مجرد قضائه على ثورة ١٩٤٨م والقضاء على من شاركوا فيها من الأحرار سيقضي على طموح وتطلعات هذا الشعب فسلك في حكمه للشعب سلوك أبيه فكرس جهوده من أجل عزل اليمن عزلاً تاماً عن العالم المتحضر و إبقاء الشعب يئن تحت كابوس من الحرمان والتعسف والجهل المطبق ونسي أن هذا المسلك سيؤدي حتماً إلى زيادة إشعال نيران الثورة في نفوس الجماهير اليمنية المتعطشة للحرية بالتخلص من الأئمة الهادويين الذين أذاقوا الشعب اليمني على أيديهم ألوانا من التعسف والتنكيل، وفعلا لقد كانت هذه التصرفات حافظا قويا وسببا في إيقاظ الثورة المتأججة في القلوب حتى جعلت منها لهيبا ، ليس من السهل إخماده .

وإذا كانت أحداث ١٩٤٨م قد استغلها الإمام احمد في كسب عطف القبائل وتعاطف بعض الممالك العربية وعلى رأسها المملكة العربية السعودية بسبب قتل الإمام يحيى ، حيث كان قد شاع أن الإمام عبد الله بن احمد الوزير سيكون خلفاً للإمام يحيى بعد موته.

ومن الملتزمين له بذلك الملك عبد العزيز بن سعود ، فكان ذلك كسباً لآحمد لأن حركة انقلاب بقتل ملك باليمن له أثره على شبه الجزيرة العربية ، والبلاد العربية التي بدأت تشهد الأحداث السياسية والثورية والانقلابية وقد تزامنت عوامل مباشرة وغير مباشرة حفزت الشعب اليمني على الثورة والتغيير فكانت بقظة في تحول الفكر اليمني وخروجه عن إطار السور الحديدي المفروض وتعبيراً عن مطالب الشعب اليمني في بناء مستقبله وخروجه من العزلة الرهيبة ، ومن أهم العوامل التي ساعدت على التغيير :-

١- سياسة العصر - وصناعته - وثقافته.

٢- أثر هزيمة الجيوش العربية في حرب فلسطين سنة ١٩٤٨م واغتصاب الصهيونية لفلسطين.

٣- ثورة ١٩٥٢م التي كانت العامل الأهم لليقظة العربية واسقاط الحكم الملكي بمصر وفتح المشرق العربي للعالمين الشرقي والغربي وصراعاته السياسية والعسكرية والثقافية والصناعية والتكنولوجية .

٤ - انقلاب الدكتور مصدق ١٩٥٣م بايران وتآلب القوى الإمبريالية على فشله وإعادة الشاه .

٥- إصرار الإمام احمد على سياسة الانغلاق والقمع والإرهاب وعدم تقبل أي جديد.

٦- التجاء الأحرار اليمنيين بمصر ومساعدتهم في نشر الحقائق عن اليمن المنغلق وكشف سياسة الظلم والفقر والجهل والمرض والسجن والإرهاب والمغالطة وقام بذلك الزعيمين المناضلين القاضي محمد محمود الزبيري و الأستاذ احمد محمد نعمان من صوت العرب بالقاهرة .

فكانت هذه الفترة من اخصب فترات النضال والصمود والتحدي أعطت جيل ما بعد ١٩٤٨م الدافع والثقة في تغيير الواقع المشين ولأن عصر الإمام احمد يختلف عن عصر أبيه إذ أرغمته التغيرات الهائلة على المستوى العربي والعالمي على الانفتاح فكان أكثر انفتاحاً مقارنة بأبيه ، ففتحت سفارات لبعض الدول الشرقية والغربية ، ومما يذكر له أيضاً أنه طالب بتحرير الجنوب في المؤتمرات الدولية ، إلا أنه كان شديد التعصب لفقر اليمن وجهله وتشريد أبنائه وشديد الكره لكل جديد، ظالماً متخلفاً سفاكاً للدماء نتيجة لتنشأته المتأثرة بفكر أبيه المنبثق من الفكر الهادوي الذي اصل صلاحيات مطلقة للإمام ولطبيعة الإمام احمد نفسه.

إن طبيعة الرجل والأوضاع التي وصلت إليها اليمن كانت من أهم العوامل التي أدت إلى ديمومة الثورة وساعد على ذلك التجدد الفكري القادم عبر المذيعات والصحف والمجلات ومرت مسنرة التغيير بثلاث مراحل :

المرحلة الأولى - حركة ١٩٥٥م.

المرحلة الثانية - انتفاضة (١٩٥٩م) و(١٩٦٠م) و(١٩٦١م).

المرحلة الثالثة - ثورة ٢٦ سبتمبر سنة ١٩٦٢م.

المرحلة الأولى ثورة ١٩٥٥ م :-

إن الدافع الرئيسي لتغيير إمام بأخيه هو ما أصله الفكر الهادي من عدم جواز الإمامة إلا لأبناء هذه السلالة الذي أدى إلى التنافس والصراع بين أبناء السلالة الحاكمة على السلطة وفقاً لبدأ من قام بها ودعا إليها ذلك الفكر الذي أصبح ثقافة مجتمعية للحاكم والمحكوم هو الذي حول أنات المقهورين الراغبة في التغيير إلى العمل على تغيير إماماً ظالماً بأخيه بالإضافة إلى أن نتيجة^(١) ما حصل في ١٩٤٨م والمتمثل في عدم تقبل تغيير الإمام من خارج نطاق الأسرة الحاكمة ولعدم بث موجبات التغيير لدى الصفوة أو عامة الشعب لأن الشراة الأولى (حادثة الحوبان) جاءت نتيجة للواقع الذي يعيشه الشعب والمتمثل في الفقر والجهل والظلم والعداء والكراهية والتفرقة المفروسة بين أبناءه .

وكان سبب هذه الحادثة أن الإمام أحمد انفذ في يوم ٢٥ مارس ١٩٥٥م الموافق ٤ شعبان ١٣٧٤هـ أربعة من جنوده إلى قرية من قرى الحوبان من ضواحي تعز تسمى النجدة فاختلّفوا مع بعض مواطنيها مما أدى إلى إطلاق النار من جانب عاقل القرية ورجاله على الجنود أسفر عن قتل أحدهم وعندما بلغ نائب الإمام بتعز نبأ هذا الحادث بادر بإرسال لجنة للتحقيق فيها إلا أن الجنود لم يقتنعوا إلا بتأديب المزارعين فاستغل للمقدم أحمد الثلايا ومن معه تمرد الجنود فحرضوهم على الاستمرار فيه حتى تتاح الفرصة للانقضاض على الإمام أحمد تمهيداً لإقامة الحكم الوطني الثوري ، وقد نجح في هلفه هذا نجاحاً كبيراً إذا استطاع أن يقنع الجنود بأن الإمام صار عاجزاً عن حكم البلاد وتحقيق الأمن والاستقرار في ربوعه وأن تغييره أصبح حتمياً وفي صباح يوم ٢٦ مارس وفي ثمام الساعة السابعة أعطيت الإشارة لإطلاق النار نحو قصر الإمام وبدأت القوات في تنفيذ الخطة ، وقد تمكن قائد الحركة من جمع علماء وأعيان مدينة تعز وطلب منهم (مبايعة

(١) إزاء ثورة اليمن . (مختصر من تاريخ اليمن - عبد الله أحمد الطور)

الأمير عبد الله شقيق الإمام أحمد ، وقد وافق بعضهم على مبايعته على أن يقوم وفد منهم يعرض الموقف على الإمام أحمد ويطلبون منه التنازل عن العرش وفعلاً تم الاجتماع به وكتب في أول الأمر وثيقة تنازل عن مزاوله الأعمال فعرضت هذه الوثيقة على رجال الثورة لكنهم رفضوها وعاد الوفد مره ثانية إليه لإقناعه بالتنازل الكلي وإلا فسيضطر الجيش إلى قصف القصر بالمدافع وقد وافق الإمام على التنازل الصريح وتم طبع هذا التنازل وتوزيعه في أنحاء اليمن وأخذت البيعة للأمير عبد الله بن يحيى ، وكان الإمام أحمد لبقاً كتب وثيقة التنازل مهددة للموقف ^(١). وذكر أن الأحرار عارضوا تنصيب عبد الله لمعرفةهم بميله السياسي لأمريكا.

فتكون وفد برئاسة احمد محمد نعمان إلى سيف الإسلام البدر محمد بن أحمد بالحديدة لإقناعه لمبايعه عمه عبد الله إماماً، وأثناء ذلك عمد الإمام احمد إلى إظهار الاستسلام وفي الوقت نفسه حشد مخلصيه لتوزيع الذهب لمن له ثقل في الجيش ومشايخ القبائل المجاورة لتعز، وما هي إلا سبعة أيام حتى تحول الحصار عن الإمام إلى ضرب الثكنات العسكرية الموالية للمقدم أحمد الثلايا ، وخرج الإمام احمد راكباً فرسه وشاهراً سيفه في ساحة ميدان عرضي تعز وألقى القبض على الثلايا والضباط والقضاة الذين طلبوا منه التنازل وأعدمهم بتعز ، وأمر باعتقال أخيه الإمام الجديد عبد الله ، وأرسل لأخيه العباس الذي أعلن نفوذه بصنعاء مؤيداً لأخيه عبد الله إلى جانب أخيه الحسن سفير اليمن بالأمم المتحدة المرشح نفسه للإمامة بعد أخيه احمد المعارض لابنه البدر في ولاية العهد الذي أعلن تأييده لأخيه عبد الله وعليه أرسل أخويه عبد الله والعباس إلى حجة وأعدمهما ، وأستقر له الأمر وهنا عملت الأقدار على أن تنهي الأسرة بعضها البعض.

وقد كُتِب لهذه الحركة أن تفشل مؤقتاً كسابقتها ولكنها خطوة في مسيرة الثورة وقد استشهد على أيدي الجلاد كل من شارك في الأعداد لهذه الثورة وفي طليعتهم الشهيد المقدم احمد يحيى الثلايا زعيم هذه الثورة ومن ضمن من اعدموا في هذه الثورة القاضي يحيى السياغي حاكم تعز آنذاك وأخيه حمود والمقدم عبد الرحمن باكر والملازم محسن الصعر وعلي محمد السمه والشريف محمد القحوم وحسين الجناتي ومحمد بن حسين عبد القادر وقايد معصار والشيخ علي المطري والقاضي عبد الله الشامي والشيخ عبد الرحمن الغولي وغيرهم من الحرار كما أن أعظم إنجازاتها قيام الإمام احمد بإعدام أخويه عبد الله والعباس.

(١) - مجلة الأكليل العددان الثاني والثالث - مقالة لمبد الرحمن عبد الله الحضرمي

إلا أن محاولة أحرار هذه الحركة استغلال حادثة الحويان كانت خطوة في الطريق الصحيح وعملت على توهج الدوافع لمن سيأتي من الثوار .

أسباب فشل أحداث ١٩٥٥م^(١):-

أن من ابرز صفات الأئمة المكر والخديعة والاحتيايل والمراوغة وتتجلى هذه الصفات في شخصية الإمام احمد الذي ما كاد يجف حبر ورقة تنازله حتى بعث برسائل إلى مناصريه لسرعة تواجدهم في تعز لفك الحصار عنه ومن أهم أسباب فشل هذه الحركة مايلي :-

١- سوء التخطيط .

٢- عدم القضاء على الإمام وتنصيب أخيه

٣- انصراف رجال الحركة بوضع برنامج للإصلاح وتنظيم جهاز الحكومة والاطمئنان على أن الإمام احمد قد أشرف على الهلاك وأنه لا يستطيع أن يزاول أعمال الدولة ولكن الإمام احمد بدأ يعمل من اجل إعادة عرشه فقد قام الإمام بتوزيع الأموال سراً على رجال المدفعية والقبائل المحيطة بتعز واستطاع إدخال عدة رجال إلى قصره وزودهم جميعاً بالمال والسلاح وحدد لهم مواعيد الضرب على الثوار وهو ليلة الخميس ٢٧ مارس ١٩٥٥م عند إشعال النيران على شرفات قصره في تمام الساعة السابعة من أمسية هذا اليوم بدأ القصف على ثكنات الجيش واستمر حوالي ٣٦ ساعة

٤- معارضة بعض الزعماء الوطنيين لهذه الثورة إذ وقفوا منها موقفاً سلبياً ظنا منهم أن وجود البدر خيراً من عمه عبد الله إذا ما أريد فيما بعد القضاء على هذه الأسرة .

٥- عدم تجاوب القوى الشعبية مع الثورة نظراً لقلّة الوعي وعدم القيام بتهيأة العامة لهذه الثورة .

هذه هي حركة ١٩٥٥م وأهم الأحداث التي تلتها تمثلت في :-

- عقد حلف ثلاثي يجمعه سنة ١٩٥٥ بين اليمن والسعودية ومصر.

- الانفتاح السياسي نحو الشرق حيث قام البدر محمد بزيارة إلى تشيكوسلفواكيا وروسيا لشراء صفقة من الاسلحة وعقد اتفاقية إصلاح ميناء الحديدية وطريق الحديدية تعز.

واتجه إلى الصين الشعبية لعقد اتفاقية إصلاح طريق الحديدية - صنعاء ، ومصنع الغزل والنسيج بصنعاء إلى جانب طريق تعز صنعاء تريباً بطلب من النقطة الرابعة الأمريكية .

(١)- مختصر من تاريخ اليمن - عبد الله احمد النور

- أخذ البيعة للبدر محمد بن احمد إماما بعد أبيه بعد إفراغ القوى المعارضة له .
- الوقوف مع المركب العربي في سياسة التحرر وتأييد مصر في معركة ١٩٥٦ ضد العدوان الثلاثي
- الانضمام في اتحاد الدول العربية سنة ١٩٥٨م مع الجمهورية العربية المتحدة (مع مصر وسوريا) ومعارضة اتحاد الجنوب العربي الذي وضعته بريطانيا بضم إمارات الجنوب اليمني
- رفض مشروع ايزونهاور المهادف إلى سد الفراغ بالشرق الأوسط.

المرحلة الثانية :-

وامتدادا لسلسلة النضال الطويل ضد الاستبداد والتخلف والقهر وحكم الفرد قامت في اليمن عدة انتفاضات قبلية وعسكرية بعد حركة ١٩٥٥م مستهدفة الإطاحة بالحكم الإمامي^(١) وتقويض أركانه المتناعية ومن ضمن هذه الانتفاضات :-

انتفاضة خولان عام ١٩٥٩م بتمرد علي فصدها الإمام احمد بضرها بالطائرات الروسية.

وتلاها انتفاضة حاشد انتفاضة ١٩٦٠م / ١٣٨٠هـ بزعامه الشيخ حسين بن ناصر الأحمر وولده حميد ١٩٦٠م الذين قاموا بمحاولة الإطاحة بحكم البدر محمد بن احمد أثر مغادرة الإمام أحمد للتداوي بروما حيث دخل صنعاء عدة آلاف من حاشد .

ولكن البدر استطاع قمعها بإعلانه فساد حكم أبيه وإصلاح الوضع وأصدر قراراً بتكوين مجلس نيابي برئاسة احمد السياغي وعليه فسرت حركة الأحمر على أنها إقامة جمهورية .

ثم تلاها حركة الجيش - برئاسة شرف المروني في كل من صنعاء وتعز سنة ١٩٦١م .

وعلى أثر هذه الأحداث وصل الإمام احمد من روما والقي خطابا بالحديدة تحدى فيه الشعب بقوله : (هذا الفرس وهذا الميدان ، ومن كذب جرب) " إن أثار الأبهة والعظمة التي يرونها العامة على المستبد وأعوانه تبهر أبصارهم ومجرد سماع ألفاظ التفخيم في وصفه

(١) - المرجع السابق .

وحكايات قوته وصولته بزيف أفكارهم ، فيرون ويفكرون أن الدواء في الداء فينصاعون بين يدي الاستبداد^(١)

وآهم القاضي احمد السياغي أنه زعيم الجمهورية القحطانية مما دعاه إلى الالتجاء ببيحان.

وقامت حرب بينه وبين قبائل حاشد وهزمت حاشد بالخديعة وبتأليب القبائل الأخرى عليها، وأعدم الشيخ حسين الأحمر وابنه حميد ومن انضم إليهم من المشايخ، وكذلك أعدم وسجن قادة الجيش واستقر بالسخنة مديرية بمحافظة الحديدة

فكانت هذه المرحلة من أصعب المراحل لكنها أعطت الثقة للشعب في استمرار النضال بوعي وإدراك وبطولة شملت ثلاث مراحل.

(٢) المرحلة الأولى - محاولات أستأصال الإمام :-

بدأت من التنظيم السري للجيش ومجموعة من المفكرين الذين كانت لقاءاتهم من خلال الحركة الثقافية التي انتشرت في اليمن عن طريق الصحف والمجلات والمذيعات ومناقشة الأحداث في مقبل القات رغم الجور الرهيب ، ولكن المرحلة كانت فوق مستوى الإرهاب والخوف ، فالشعب كل الشعب يرقب الفجر.

وفي خلال نشوة احمد بإقصاء براكين الثورة بما كان يسميهم المخذولين أعداء الإسلام، كان الشعب يتأجج حقداً وكراهية ويخطط بأي أسلوب لإثاء حكم الإمام ، في هذه الفترة تقدم سعيد فارح أحد أعضاء التنظيم السري المدني عن طريق شخصيات مدنية سهلت مهمته بالسخنة لوضع الغام للقضاء على الإمام ، غير أن الأمر أكتشف فأسر وعذب ثم قتل خلال محاولة فراره من سجن حجة.

كل ذلك وهج الإيمان لدى أبطال من صفوة هذه الأمة بأنه لا خلاص للأمة إلا بالقضاء على الإمام فتأججت الدوافع وتم ذلك بقيادة الملازم عبد الله العلفي الذي كان ضابط المستشفى آنذاك والملازم عبد الله اللقية والملازم محسن الهندوانه^(٣).

في أمسية الثلاثاء ١٠ شوال سنة ١٣٨٠هـ الموافق ٦ مارس ١٩٦٠م قام الملازم محمد عبد الله العلفي والملازم عبد الله اللقية والملازم محسن الهندوانه بمحاولة اغتيال الإمام احمد

(١) - طبائع الاستبداد - عبد الرحمن الكواكبي .

(٢) - مجلة الأكليل العددان الثاني والثالث - مقالة لعبد الرحمن عبد الله الحضرمي

(٣) - مختصر من تاريخ اليمن - عبد الله احمد الثور .

حميد الدين عند زيارته للمستشفى وقد كانت أول خطوة عملها الثلاثة الثوار هي منع حرس الإمام الأشداء من دخولهم المستشفى بحجة عدم أزجاج المرضى وفعلا نفذت هذه الخطوة فلم يرافق الإمام إلا عددا قليل فتمكن الشهيد العلفي من الدخول بصحبة الإمام وبينما كان الإمام يطوف في بعض أقسام المستشفى اطفأ أحد الثوار الأنوار وأطلقوا جميعهم نيران مسدساتهم على الإمام في الظلام وقد عمد الإمام في هذه الأثناء إلى حيلة خبيثة فما أن سمع إطلاق الرصاص حتى استلقى على ظهره متظاهراً بالموت فافتنع الثوار بهذا وانطلت عليهم هذه الحيلة وغادروا المستشفى ليعلموا قيام ثورة شعبية ولكن الحرس تعقبوهم والقوا القبض على اللقيه والهندوانه وأطلق الملازم محمد عبد الله العلفي الرصاص على نفسه بعد معركة كان الحراس يريدون إلقاء القبض عليه أما اللقيه والهندوانه فقد أعدما بعد أن ضربا أروع الأمثلة في التضحية والأباء الوطني حيث تعرضا لأبشع وسائل التعذيب ، وسواء كان ذلك صنيع هؤلاء الثلاثة الشهداء أو كانت هناك رؤوس مفكرة خططت لها إلا أن مهمة التنفيذ انطويت بهؤلاء الثلاثة تجنبا للمذابح الدموية التي تعقب كل انتفاضة أو ثورة ولأن الثوار لم يتمكنوا من قتل الإمام احمد فقد فشلت هذه الثورة وبقيت أسرارها غامضة حتى قيام الثورة الكبرى .

ولو وجدت نفوس أبية كهؤلاء الشهداء لما تعاقب الطغاة المستبدين.

المرحلة الثانية - المظاهرة الطلابية والعمالية بصنعاء وتعز :-

كان ١٨ أغسطس سنة ١٩٦٢م انفجارا طلابيا هائلا فيه خرج طلاب مدارس صنعاء في موكب مهيب في مظاهرة صاخبة وحماس منقطع النظير ، وهتفوا بسقوط الحكم الإمامي الرهيب " والتفت حولهم الجماهير الشعبية رجالاً وأطفالا ونساء مخترقين شوارع صنعاء فحاول البدر محمد بكل الوسائل إخمادها فلم يستطع إلى ما بعد الظهر وعند عودة الطلاب إلى المدارس أمر الإمام أحمد قمع هذه المظاهرة بالقوة واعتقال زعماء الطلاب .

وفي ٢٢ أغسطس ١٩٦٢م اندلعت مظاهرة طلاب تعز وكانت مماثلة لطلاب صنعاء بل كانت اشد تحدياً لأنها خرجت من تعز إلى مقر الإمام احمد العرضي ومن ورائهم المواطنين مرددين أناشيد ثورية أهتز لهذا الحدث الإمام أحمد^(١) .

(١) - مراجع الأحداث من :-

- مجلة الاكليل الممددان الثاني والثالث - مقالة لعبد الرحمن عبد الله الحضرمي
- عنصر من تاريخ اليمن - عبد الله احمد الثور

ثم عادوا إلى المدرسة واعتصموا بها ثلاثة أيام فقطع عنهم الماء والطعام وأحيطت المدرسة بالحراسة ، غير أن القاضي عبد الرحمن الأرياني تولى تهدئة الموقف واستطاع فك الحصار وتزويد الطلاب بالطعام والماء ، وأعتقل منهم الكثير .

فكانت هذه المرحلة مؤشراً للثورة عبرت عن مدى معاناة الشعب و أصراره على التغيير وفيها ظهر أن الوعي الشعبي قد بلغ منتهاه وجيل الثورة يعد نفسه لثورة عارمة.

المبحث الرابع

شروق شمس الحرية (ثورة ٢٦ سبتمبر^(١))

وظل الإمام احمد يتجرع غصص المرارة من جروح العلفي واللقية ، فبقي طريق الفرائض متأثراً بجراحه مدة عام ونصف في الوقت الذي كان الشعب يغلي ويتأهب للانتفاض على هذا الحكم ليخرج من عزلته عن الإنسانية تلك العزلة التي فرضتها عليه الإمامة لأكثر من ألف عام .

وفي يوم ٢٠ ربيع الثاني سنة ١٣٨٢هـ / ٩ سبتمبر ١٩٦٢م مات الإمام أحمد متأثراً بجراحه وبوفاته أعلن الأمير البدر نفسه إماماً وأخذ يوجه بياناته إلى داخل البلاد وخارجها موضحاً أهدافه وخططه وقد نصت هذه المراسيم أنه سيتهج في حكم البلاد على منوال والده ذلك النهج الجائر الذي كبل الشعب وأذاقه أنواع العذاب وفرض عليه التخلف والانزواء فقوبل هذا الإعلان بالانتفاضة من قبل الجيش والشعب وكان هذا الإعلان حافزاً لثوار ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م - للتعجيل بتنفيذ مخطط الثورة فاجتمع أعضاء الثورة لرسم الخطة وتحديد الموعد الأخير لتفجيرها وحددت الساعة الثانية عشر من أمسية الأربعاء ٢٥ سبتمبر سنة ١٩٦٢م ربيع الآخر ١٣٨٢هـ وكانت الثورة وهي ثمرة ثورة اليمنيين لأكثر من ألف عام وهي ثورة على حاكم مستبد وحكم متخلف وهي ثورة لتصويب انحراف مذهبي ولأخراج أمة من العزلة إلى مسيرة الحضارة الإنسانية

حيث تحركت مجموعة من طلاب الثوار نحو قصر (البشائر) الذي كان يسكنه الإمام البدر وقامت بنفسه مجموعة من الدبابات والسيارات المصفحة كما توجهت مجموعة

(١)- مختصر من تاريخ اليمن - عبد الله أحمد النور

أخرى لاحتلال المراكز الهامة كالإذاعة وقصر السلاح وتم القبض على بعض أفراد الأسرة وأعوانهم من الرجال الذين تسببوا في فشل الثورات السابقة وكانوا ركائز للأئمة^(١).

أما البدر فقد تمكن من الفرار خلسة في ظروف غامضة بمساعدة بعض أعوانه حيث واصل فراره إلى السعودية وفي صباح يوم الخميس "٢٦" سبتمبر ١٩٦٢م أعلن نبأ قيام الثورة وإنهاء الحكم الإمامي وقيام الجمهورية العربية اليمنية وتشكيل مجلس إعلاني وما أن سمع الشعب قيام الثورة والجمهورية حتى هب لمساعدة ثورته وجمهوريةته والتف حولها، وبمولد هذه الثورة بدأ مولد عصر جديد للشعب اليمني حيث فتحت أبواب اليمن أمام العالم وكسرت قيود العزلة والتخلف و أعادت لليمنيين حقهم المسلوب في حكم بلادهم ومكانتهم المرموقة بين شعوب هذه الأرض و دوى صدى هذه الثورة وانتشر صيتها في جميع أرجاء العالم فبدأت تستقبل أبناءها الذين كانوا مشردين في أنحاء العالم سعياً وراء لقمة العيش وعلى الأهداف المرسومة لهذه الثورة فقد أعلن الثوار عدداً من البيانات إلى الشعب اليمني حددوا فيها أهداف ومبادئ الثورة والجمهورية التي تلخص فيما يأتي:-

١- القضاء على الملكية وأعوانها ، والتحرر من الاستعمار والاستعباد ومخلفاتها وإقامة حكم جمهوري عادل وإزالة الفوارق ، والامتيازات بين الطبقات .

٢- بناء جيش وطني لحماية البلاد وحراسة الثورة ومكاسبها.

٣- رفع مستوى الشعب اقتصادياً ، واجتماعياً وسياسياً ، وثقافياً .

٤- إنشاء مجتمع ديمقراطي تعاوني عادل مستمداً أنظمتة وقوانينه من روح الدين الإسلامي الحنيف .

٥- العمل على تحقيق الوحدة الوطنية في نطاق الوحدة العربية الشاملة.

٦- احترام ميثاق الأمم المتحدة والمنظمات الدولية ، والجامعة العربية ، والعمل على إقرار السلام العالمي والتمسك بمبدأ الحياد الإيجابي وعدم الانحياز ودعم مبدأ التعايش السلمي بين الأمم.^(٢)

وتمحورت إرادة الثوار في العمل على إحداث تغيير جذري وشامل للجوانب الاجتماعية والسياسية والاقتصادية منطلقين من الثوابت والمبادئ الآتية :-

١- القضاء على الحكم الفردي المطلق والنفوذ الأجنبي في اليمن .

(١) - مختصر من تاريخ اليمن - عبد الله أحمد النور

(٢) - مختصر من تاريخ اليمن - عبد الله أحمد النور

- ٢- إقامة حكم ديموقراطي إسلامي أساسه العدالة الاجتماعية في دولة جمهورية تمثل إرادة الشعب وتحقق مطالبه .
 - ٣- تنظيم جماهير الشعب في هيئة شعبية موحدة تشارك في عملية البناء الثوري وتمكنها من مراقبة أجهزة الثورة .
 - ٤- إعادة تنظيم الجيش بحيث يصبح قوة رادعة تحمي الشعب والثورة .
 - ٥- إحداث ثورة ثقافية وتعليمية والقضاء على مخلفات الحكم البائد
 - ٦- تحقيق العدالة الاجتماعية.
 - ٧- تشجيع آمال المواطنين في الوحدة والتحرر .
 - ٨- تشجيع عودة المهاجرين للإسهام في بناء الوطن .
 - ٩- الإيمان بالقومية العربية والوحدة العربية الشاملة .
 - ١٠- التضامن الكامل مع جميع الدول العربية وفي مقدمتها الدول المتحررة .
 - ١١- التزام سياسة عدم الانحياز.
 - ١٢- مقاومة الاستعمار والتدخل الأجنبي .
 - ١٣- إقامة علاقات ودية مع الدول التي تحترم إرادة واستقلال الشعوب .
- حرب الجمهوريون مع أذعياء الإمامة الهاديون.

إلا أن هذه الحرب هي الفصل ما قبل الأخير من نكبة هذه الأمة بالفكر الهادي الذي أصل التميز السلالي في استحقاق الإمامة وأصل للحكم الفردي المطلق وطبق الأئمة مبدأ من قام بها ودعا إليها من تلك السلالة وأصل للحكم الفردي المطلق وطبق الأئمة الهاديون هذا الفكر بوسائل وأساليب أهمها تجهيل الشعب بإحتكار التعليم على هذه السلالة وفقهاهم وقصر التعليم على هذا الفكر وبث ونشر هذا الفكر كثقافة مجتمعية بواسطة المحر التي أعدت فقهاء وقضاة الأمة وعملوا على تمزيق الشعب وزرع العداوات بين أبناءه بدفع قبيلة لإخضاع الأخرى وبدفع قبيلة أو مجموعة من القبائل لإخضاع المناطق الوسطى والغربية وكذلك زرعوا الفتنة بصراع أبناء هذه السلالة على الحكم (صراع الإمام مع الخارج عليه) فيلتجئ الخارج إلى قبيلة ويدفع الإمام قبيلة أخرى فزرعوا العداة بين أبناء الشعب حتى تمرست تلك القبائل على الغزو والقتال امتنته كآسلوب لكسب أوقاتها و دفعوا القبائل للقتال فسفكت دماء اليمينيون بدمومة منذ دخول الهادي

٢٨٤هـ إلى قيام الثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م، ولكنه بسبب التركيبة الاجتماعية والثقافة المعتمدة على المذهبية والتي لم يتمكن الثوار من خلخلتها أو احتئانها فقد سهلت على المهاديون استقطاب بعض من قبائل شمال الشمال فعملوا على إشعال الفتنة والحرب وساعدتهم على ذلك الأموال التي تدفقت عليهم من النظم الملكية المجاورة التي خافت من انتشار الثورة وتأثيرها على شعوبهم .

ونود أن نشير إلى ما ذكرناه سابقاً من أن عدم تركيز الثورات التي قامت على الأئمة المهاديين على عملية التصويب الديني لتنشئة المجتمع على فكر وثقافة إسلامية قائم على العدل والمساواة كان السبب في بقاء آمال الأئمة في العودة إلى الحكم رغم قيام دول قضت على حكم الأئمة واستمرت بعضها لمئات السنين (الرسولين ، الطاهرين) .

إن هذا الخطأ قد تداركه ثوار ٢٦ سبتمبر فعملوا على نشر ثقافة مجتمعية مضادة للفكر المهادي وأتمته ولكنهم ركزوا على الشعارات والمبادئ الثورية ولم يتنبهوا لأهمية عملية التصويب الديني لتنشئة المجتمع على فكر وثقافة إسلامية قائم على العدل والمساواة.

تلك هي أهم الأسباب التي ساعدتهم على استقطاب أعواناً للفتنة والحرب ضد هذه الثورة فكانت الحرب فسفكت الدماء واستبسل الشهداء و من الله على هذه الأمة بالنصر بعد حرب دامت قرابة سبع سنوات إلا إن عدم التركيز على عملية التنشئة الدينية القائمة على التصويب لانحرافات الفكر المهادي بين قبائل شمال الشمال ظل كيبئة حاضنة لأحلام المهاديون ويؤكد ذلك أحداث صعدة ٢٠٠٤هـ ولذلك قلنا أن هذه الحرب هي الفصل ما قبل الأخير .

(١) ما أن وصل البدر المخلوع إلى السعودية حتى تلقته بالأحضان وأعلنت مساعدتها ومساندتها له كما أصرت على عدم الاعتراف بالثورة اليمنية الشعبية ، معلنة بذلك عدايتها للسافر على الشعب اليمني وكان ذلك لتخوفها من انتشار الفكر الثوري على الأنظمة الملكية الاستبدادية وهي منها .

كما أن دعم الجمهورية العربية المتحدة لثورة اليمن (٢)، كان دافع آخر للسعودية لدعم أذعياء الإمامة ، وكانت الساحة العربية والإسلامية تنقسم إلى قسمين ملكية أو

(١) - مختصر من تاريخ اليمن - عبد الله أحمد النور

(٢) - دعم الجمهورية العربية المتحدة للثورة اليمنية :-

وقد طلبت اليمن من الجمهورية المتحدة مساندة الثورة حتى تستطيع الوقوف على قدميها في صد العدوان وبناء اليمن الجديد عسكرياً واقتصادياً وتربوياً وسياسياً ، وقد لبثت الجمهورية العربية المتحدة هذا - النداء الأخرى ومدت يد المساعدة عسكرياً ومادياً وفنياً لها بما من كلا الجانبين أن النضال العربي لا يتجزأ وأن كسر الاستعمار في هذه المعركة مهبطاً لتطهير الأراضي العربية المخلصة من رجس

رجعية وتساندها الولايات المتحدة الأمريكية ودول تمثل الديمقراطيات الوطنية "الثورية" وأقطار تقاوم الاستعمار يقف ورائها الاتحاد السوفييتي في ظل الظروف الإقليمية والعالمية وكانت الحرب بين الجمهوريين والملكيين منذ قيام الثورة حتى ١٩٦٧م حينها انسحبت القوات المصرية بعد هزيمة إسرائيل للقوات العربية ومنها المصرية .

واستمرت الحرب وتوسع نفوذ الإماميين حتى حوصرت صنعاء ولكن إرادة المدافعين عن الثورة ووعي أبناء الشعب بظلم وجور الأئمة الهادويين ومنهم المقاتلين مع الأئمة قد مكن الثورة من الانتصار وقضى على أحلامهم في العودة وكانت بداية حقيقية لانطلاقة هذه الأمة .

ففرت أسرة آل حميد الدين إلى خارج الوطن وعاد أنصار الإمامة بناءً على اتفاقية حرض فاندمجوا في الدولة واجتمع فمئهم بقمم التغيير والثورة ومنهم من أخفى نواياه وعمل على تمهيط الهمم .

الاستعمار وقد ظهرت مرة هذا النضال المشترك في تحرير جنوبنا الحبيب إذ استطاعت ثورة ٢٦ سبتمبر أن تهد ثوار = الجنسوب بالمال والسلاح وجعلت الأراضي الشمالية منطلقاً للعمل الثوري ضد الاستعمار البريطاني في الجنوب واستمرت تواصل عملها هذا النضال حتى تحقق الاستقلال والحريه .

الخاتمة

نعيد هنا ما ذكرناه سابقا لوجوب التكرار وأهميته أن السبب في استمرار ظهور أذعياء الإمامة يرجع إلى:-

- ما أصل ، مذهبيا وأنتشر بين العامة كثافة تمثلت في عدم جواز قيام حاكم على هذه البلاد إلا من كان من تلك السلالة.

- انتشار ثقافة تبجيل أبناء هذه السلالة ، وأن حبهيم وموالئهم هو من الدين.

- سيطرة سلالة الأئمة وفقهائهم على منابر بث هذا المذهب عن طريق (المجر) نتيجة لما وصلت إليه حالة تلك القبائل واليمن عموما من الجهل.

- العداة التراكمي الذي عمل الأئمة على ترسيخه بين القبائل والذي أدى إلى عدم رضوخ أي قبيلة لزعامة من القبيلة الأخرى.

وذلك لاستخدام الأئمة لقبيلة أو مجموعه من القبائل لإخضاع القبائل والمناطق الأخرى فأدى إلى امتهان تلك القبائل للقتال كوسيلة لكسب أرزاقها وخاصة فترات الجذب وعدم سقوط الأمطار.

- إن تغليف أهدافهم ووسائلهم بالدين قد سهل على أذعياء الإمامة بث الإشاعات الباعثة للدوافع الدينية لدى القبائل للقتال معهم بواسطة (المجر) التي استوطنها المنتفعين بالتميز السلافي وفقهائهم والمنتشرة بين تلك القبائل وفي مختلف المناطق والتي تعمل على تدريس الفكر المهادوي فقط، وساعد على ديمومة قدرتهم على إشعال الفتن لأكثر من ألف عام - عدم قيام الثورات والدول اليمنية بتغيير الثقافة التي بثها المهادويون وأنصارهم وهذا الخطأ في عدم الاهتمام بالجانب الفكري والثقافي للمجتمع قد غفل عنه العثمانيين والدول والثورات اليمنية المناهضة للأئمة المهادويون، ونفس الخطأ ارتكبه الدولة في أيامنا هذه.

- ولا بد أن الحالة التي وصلت إليها اليمن من عدم الاستقرار والجهل الذي طال أمده قد جعل تغيير الثقافة المجتمعية لليمن يتطلب إدراكا لأهميته بتوفير الإمكانيات اللازمة لتغييره .

أما عدم الإدراك لأهميته فناع من الجهل الذي وصلته إلى الأمة ومنهم قادة التغيير من ناحية ومن أخرى لانشغال المناهضين لحكم الأئمة بيسط نفوذهم بالقوة المادية على ربوع اليمن فانتهدت الإمامة كنظام وظلت كثافة لعدم قيام الدول والثورات بالقضاء على الفكر

الهادوي وبالذات في مسألة الإمامة واستحقاقها وما يترتب عليه من آثار كالتمايز الطبقي داخل المجتمع والانتماءات الضيقة (القبلية المناطقية) التي حاولت الثورة القضاء عليها بالقوة أو بالتعليم ولم يقدروا خطورة ذلك الفكر واستمرارية تغلغله كثقافة مجتمعية عن طريق الذين أمتنوا هذا الفكر لأنهم أرتبطوا به لما يحققه من مكانة ومصالح لهم فالمكانة كانت لأنهم صنعوا من أنفسهم رجال دين أمتنوا الفتوى والتعليم واستحوذوا على القضاء والوظائف العامة وساعدتهم في ذلك استمرارية بثهم للفكر الهادوي المنتشر أصلاً كتدين شعبي أثمر التمايز الاجتماعي المتخلف الذي وضعهم على قمته مع النظر إليهم بحالة وتبجيل ومع اهتمام وتركيز قادة التغيير على اجتثاث نظام الحكم الإمامي غفلوا عن التغيير المجتمعي لا سيما مع انشغالهم بالحروب التي اشعلها أبناء الأئمة، بمناسبة القوى الرجعية ضد الثورة .

تلك الأوضاع والجهل الذي ساد أضطر قادة التغيير للاعتماد عليهم في مختلف الوظائف العامة ، وأهمها التعليم والإرشاد والقضاء حتى أنهم استطاعوا ياخذوا نصيب الأسد من المنح التعليمية في الخارج لأبنائهم ابتداء من أول عام بعد الثورة ذلك حافظ على وضعهم كصفوة إدارية وسياسية استولت على الوظائف العامة لكن بتياب غريبة .

وزاد تأثيرهم بعد صلح حرص الذي كفل عودة القوى الإمامية الذين فروا مع من تبقى من بيت حميد الدين ووقفوا ضد الثورة والجمهورية إلا أن قوة الخطاب السياسي والثوري للجمهورية الذي استشهد بحجم التخلف والاستبداد الرهيب للحكم الإمامي جعل الهادويون يقفون ضد التغيير المجتمعي من وراء كل ذلك نتج عن عدم اهتمام قادة التغيير بأهمية تصويب الثقافة المجتمعية الهادوية وهنا هم تناسوا ان ثوره السادس والعشرين من سبتمبر قامت لتغيير مجتمع أكثر من قيامها لتغيير نظام. إن هذا الخطأ قد وقع فيه كل من حمل على عاتقه مسؤولية التغيير والنهوض بهذه الأمة .

إن المتبع لتاريخ الثورات على الفكر الهادوي وأهمته فكرياً وسياسياً يصل إلى نتيجته حتمية مفادها أن التغيير يجب أن يكون فكرياً وسياسياً ، فالثورة الفكرية التي حمل رايتها الهمداني ونشوان الحميري والجلال والمقبلي وابن الأمير والشوكاني لم يتحقق لها النجاح لأنه لم يتوفر لها التغيير السياسي .

كذلك فإن من قاموا بالقضاء على نظام الحكم الإمامي سياسياً وعسكرياً نجحوا لفترات تجاوزت عشرات السنين إلا أن ادعاء الإمامة عادوا لإشعال الفتن عند كل عارض أو وهن يصيب تلك النظم التغييرية وما يؤكد ذلك ما ذكرناه عن ثورة علي بن

مهدي الرعيني والصليحيون والرسوليون وغيرهم، لأنهم قضوا على الإمامة كنظام وظلت الإمامة كثقافة.

وإذا كانت هذه الثورة هي الأعظم في حياة اليمينيين للتوافق الزمني بين قيامها وما وصلت إليه حالة الظلم والجهل والفقر والمرض إلى درجة بلغت منتهاها وأبعدت هذه الأمة عن الزمن وعن التطور الإنساني.

ومما ساعد على صمود هذه الثورة هو التأثير الفعال للتغيرات المتسارعة في العالم والثورات على النظم الاستبدادية والاستعمارية ، فكان طبيعياً أن تتأثر اليمن بالانتشار الهائل للمبادئ الثورية والديمقراطيات الوطنية بل تميل إلى أنها تأخرت بضع عقود لأن دوافع ومبررات قيامها كانت قد اكتملت منذ ثلاثين هذا القرن.

إلا أنها تعتبر عملاقة قياساً بما كان عليه المجتمع قبل قيامها وبالذات إنجازاتها التعليمية في تأهيل الفرد بالعلوم والمعارف اللازمة لتسيير الأمور الحياتية وكذا نحو الأمة.

إلا إن إنجازاتها المادية متواضعة مقارنة بآمالنا وبما يجب أن يكون.

لأنها عاجلت النتيجة ولم تعمل على إزالة السبب (أثار الفكر الهادوي في التنشئة)ولا يتم إزالة السبب إلا بنشر الفكر والثقافة الإسلامية المصوبة لأثر الفكر الهادوي بين أبناء هذا المجتمع وذلك بنشر الفكر الإسلامي النابع من ثوابت القرآن وصحيح السنة والقادر على إزالة الرعة العدائية فيما بين القبائل ودجهم في إطار الأخوة الإسلامية والولاء للأمة والوطن بالتنشئة على أهمية قيمة العلم والعمل الذي يقوم عليهما التميز بين الناس كل ذلك لن يتأتى إلا بالقضاء على أثار الفكر الهادوي كثقافة مجتمعيه أبرزها التميز السلالي والرعة القبلية والمناطقية وغيرها مما أدى إلى عدم وصول الثورة إلى غايتها المنشودة وهو التغيير الجذري للمجتمع المؤدي إلى تحقيق العدل والمساواة التي ستمتد النفاضل بين أبناء المجتمع على أساس العلم والعمل ، وبما سبق تلخص أهم المعوقات التي وقفت أمام الثورة وأهدرت إرادة روادها وإمكانيتها في الآتي :

- عدم الاهتمام بتصحيح التنشئة الدينية بين أفراد المجتمع اليمني واختصار محاولات التغيير الثقافية على بث القيم الثورية وذكر مساوي نظام الحكم الإمامي وهم بذلك قد وقعوا في خطأ عدم التفريق بين السبب والنتيجة ، فالفكر الهادوي هو السبب والنتيجة هي الحكم الإمامي.

فحاربوا وأزالوا النتيجة وتركوا السبب وهذا محض خطأ إن السبب الذي أشرنا إليه قد أفرز عدة نتائج منها نظام الحكم الإمامي وبقيت كثيرا من النتائج تعمل على إيقاف مسيرة التغيير وكعامل لإعادة الحكم الإمامي.

- عدم قدرة الدولة على بث نفوذها على المناطق النائية ، الأمر الذي جعل تلك المناطق تحيي احلام أدياء الإمامة .

- عدم قدرة على توحيد التنشئة الدينية لأفراد هذه الأمة لعدم قدرة ما يدرس في المناهج الدراسية من علوم دينية على التأثير أو القضاء على انحرافات الفكر الهادوي إما لاقتصار ما يدرس من العلوم الدينية على أمور المعاملات والعبادات والتوحيد وهذه الفروع لا تظهرولا تصوب انحرافات الفكر الهادوي ، وقد يرجع ذلك أما لعدم قدرة معدي المناهج الدراسية على فهم خطورة الفكر الهادوي أو لعدم دارستهم للأثر المجتمعي لهذا الفكر أو لإعداد هذه المناهج من قبل من يؤمنون بهذا الفكر .

- عدم كتابة وتدريس التاريخ الحقيقي للأئمة الهاديون.

- تعدد الفكر المذهبي في التعليم الديني بالمساجد الذي أدى بدوره إلى نشر الفكر الهادوي بتدريسه لمجموعات وخاصة في المناطق التي يكثر فيها أنصار الفكر الهادوي.

- وساعد على انتشاره في الفترة الأخيرة فيما بعد الوحدة اليمنية حرية الرأي و التعددية السياسية وخاصة عند السماح بقيام أحزاب ذات صبغه مذهبية.

ذلك أدى إلى نشر وتدريس الفكر الهادوي سواء بدعمه في المساجد وحلقاتها أو بإنشاء مراكز لتعليمه أو بتسفير الطلبة للدراسة في الدول الشيعية.

- وإذا كانت المعاهد الدينية التي أشرفت عليها بعض الأحزاب قد أثمرت فكراً تصويبي للفكر الهادوي وتنشئة لأفراد المجتمع أثرت إعادة الثقة في أنفسهم لتلقيهم العلوم الدينية التي كانت مقصورة على سلالات محدده وعمل نوعاً ما على القضاء على الدونية لدى أفراد المجتمع في مسألة تميز سلالات بذاتها في حمل راية العلوم الدينية وهذا كان له أثر في تنمية الوعي الديني لدى المواطن والأثر الإيجابي تمثل في إيجاد فكر وقف ضد الفكر الهادوي.

إلا أن ذلك لم يؤدي مبتغاه حين اعتمدت تلك الفئة في نشر مبادئها على الطريقة السلفية المبالغ بها وجعلت مظاهر أفرادها مخالفا لعموم المجتمع لإبراز نوع من التميز وانطوت في ذاتها ولم تتعاون وتتكاتف مع التيارات الفكرية الأخرى .

وهم وقعوا من حيث يدرون أولا يدرون فيما سار عليه أتباع الفكر الهادي .

ولم يتعاملوا بواقعية مع المجتمع اليمني المتمثل للدين والتدين كمنهج حياة .

وتعاملوا معه كما تعاملت تلك الجماعات مع شعوب البلاد العربية التي تأثرت بالاستعمار (الحياة الغربية) فبلد مثل اليمن الإسلام منه بمثابة الروح من الجسد يفرض على كل من يحكمه أن يجعل تنشئة أفراده نابعة من ثوابت الدين الحنيف التي بها يرسخ الانتماء الوطني والوحدة الوطنية بل سيؤدي ذلك النهج إلى اجتثاث معيقات التنمية البشرية والمادية وعلى رأسها التعصب والولاء القبلي والمناطقي . إن هذا الشعب هم من الإسلام وبه ينفادون ولذلك نكرر وجوب الاهتمام بتنشئته دينيا وفقا لثوابت الدين الحنيف القائمة على التوحيد والعدل والمساواة والوسطية وبعث دوافع الأفراد وفقا لمعيار العلم والعمل ، وتكثافت على بث تلك التنشئة المساجد والمدارس ووسائل الإعلام في ظل استراتيجية طويلة المدى تعتمد على عدالة التوزيع في عوامل التنمية المستدامة وتركز على التخفيف من التباين بين الوحدات الإدارية في المستوى الحضري .

إن اليمنيين لا ينفادون ويمنحون ولائهم إلا لمن حكمهم بمبادئ العدالة الاجتماعية القائمة على المساواة والتوزيع العادل لعوامل الرقي والتطوير .

ويؤيد ذلك السياق التاريخي الذي أوردناه منذ عهد الهادي يحيى بن حسين ولأكثر من ألف عام .

إن هذه الأمة تنهج في حياتها مساواة فطرية فهي لا تقبل فيما بينها التميز السلالي أو الطائفي ويؤيد ذلك ما أوردناه من ثورات مادية وفكرية على استعلاء وتميز الأئمة الهاديون .

إن من المسلمات الواجبة على كل حاكم في اليمن الاهتمام بالجانب الجغرافي والتغيرات المناخية والجانب الديموغرافي .

لأن تنوع جغرافية اليمن بين مناطق ساحليه منبسطة ذات مناخ حار وجبال مرتفعة واختلاف وتنوع الخصوبة بين مناطق جبلية وصحراويه جافه وسهول وأودية خصيبة أثر على سلوكيات الإنسان اليمني فصار جزءا منها تؤثر في دوافعه وفي خضوعه وتمرد ، وبالذات في تركيبة السكان المكونة من كيانات قبلية ومناطقية ويتأثر انتمائهم للكيان القبلي أو المناطقي عكسيا بعدل وقوة الدولة .

ونرجح أن ما ساعد على بقاء الولاءات الضيقة هو عدم وجود هدف مشترك يجمع عليه أبناء الشعب ويكون دافعا لتوحد ولائهم وانتمائهم لليمن .

إن الزعامات القبلية التي كانت القوة المنفذة لفتن الأئمة الهاديون سيحد من دورها في ذلك تطبيق سيادة القانون وتوزيع الاستثمار في مختلف المناطق وخاصة ذات الكثافة البشرية والإنتاجية الزراعية المنخفضة وربطها بطرق ووسائل اتصالات تعمل على تأثرها وتأثيرها بالمناطق الأخرى إن عدم نشر المشاريع الإنتاجية في تلك المناطق تبقي تلك المناطق قليلة التغير وتجعل أبنائها يعملون بالحواضر ويضلون مرتبطين بمجتمعهم بكل سلبياته لا سيما مع وجود الفساد وعدم تكافؤ الفرص .

إن الطبيعة الجغرافية والتضاريس الوعرة أدت إلى وجود كيانات منعزلة عن بعضها البعض نتيجة لعدم اختلاط اليمنين ببعضهم البعض وتحقق الكثير في ذلك باختلاط وتعايش سكان مختلف القبائل والمناطق ببعضها البعض سواء من حيث استيعاب أفراد مختلف القبائل والمناطق في هيئاتها الإدارية أو الجيش أو بما هيأ من فرص عمل في القطاع الخاص ولكن يجب أن ينمى هذا القطاع ليستوعب أكبر شريحة متنوعة كل ذلك وفقا لمعاري القدرة والكفاءة .

إن ما يغفله كثيرا من حكم هذه الأمة هو عدم استغلال الجوانب الإيجابية للبنية القبلية والمناطقية.

ومن هذه الإيجابيات مثلا تجربة التعاونيات التي كانت تجرته أثبتت نجاحها ليس فقط بما أثمرت من منجزات تنموية ولكن لما أثمرته بتحويل طاقات الصراع السليبي إلى طاقات التنافس الإيجابي.

إن القيم التي سادت الفكر الهادي في التميز السلافي في استحقاق الإمامة ، وما نتج عنه من ثقافة مجتمعية منذ دخول الهادي قد اتصفت بالخروج عن ثوابت الدين وأصوله والقائمة على العدل والمساواة . مما أدى إلى عدم قدرتهم على أحداث أي نماء في مختلف المجالات الفكر أو التطبيق.

إن أول قواعد العدل هي المساواة بين البشر وأن التميز فيما بينهم أمرا كسبياً فإذا كان العدل من أصول الدين الإسلامي وثوابته فقد وصف الهاديون أنفسهم بأنهم عدليون . و قواعد العدل تقوم على أن الإنسان خالق لأفعاله مسؤول عنها وليس من عدل الرحمن أن يعطي حق أو تميز في الدنيا أو الآخرة لأي إنسان بدون عمل ، كسبي اختياري.

ولن يتأتى تحقيق التنمية البشرية إلا بمحاربة نتائج الفكر الهادوي بأساليب مكافئه له وذلك ببث قيم القرآن وصحيح السنة من خلال تنشئة المجتمع على العقلانية العدلية وفي إطار معياري العلم والعمل.

كمنشئة لتلازم فكر وعملا وتكاتف لتنفيذها مختلف وسائل التأثير وقنوات التوصيل وبأسرتيحيه طويلة المدى.

أما العامل الآخر- هو اجتناب منابع هذا الفكر خاصة المغذية لبقائه كثقافة مجتمعية سواء بتتوير من يساعدون على إحيائه من غير المستفيدين .

أو بتتحجيم وإيقاف المستفيدين منه بتحبيدهم عن منابر العلم والدين أو بالأقل إبقائهم بشكل يتناسب مع عددهم في المجتمع ولا نبالغ إذا قلنا أن خطر الفكر الهادوي مازال، قائما لما رأينا من انبثاقه رمادا وشرراً في أحداث صعهه وإذا استقرينا خموده خلال فترات زمنية امتدت لأكثر من قرنين كزمن الرسولين الذي بلغ في القضاء على الفكر الهادوي وسيله ومدى لم نبلغه في أيامنا هذه فإننا نستشعر خطورة من يعملون على نشره .

وأتباع الفكر الهادوي والمستفيدون منه كالبكتيريا ذات الخلية الواحدة التي تستطيع الإبقاء علي ذاتها في أصعب الظروف فإذا وجدت المناخ الملائم كالجسد المنهك تكاثرت بالانقسام الثنائي.

قد لا يجانبنا الصواب في تشبيها هذا لما رأيناه من خفوت الفكر الهادوي وأتمته في فترات زمنية مختلفة حتى يعتقد غير المتعمق في جذوره أنه قد ولاى.

فإذا به يقدم بشرره عند أول نكبه تصاب بها الدولة أو النظام ويساعدهم على البقاء قدرتهم على التلون عندما تكون الظروف غير مؤاتية فيندمجون في البيئة المعادية لهم وينخرون من داخلها.

ويحقق مبدأ التقية إخفاء أفعالهم وأفعالهم بإظهار غير ما يظنون وفقاً لمبدأ الغاية تبرر الوسيلة.

ثبّت المصادر و المراجع

١. المنية والأمل - أمين المرتضى ..
٢. تاريخ اليمن المسمى فرجة الموموم والحزن في حوادث وتاريخ اليمن - عبد الواسع الواسعي.
٣. العقد الفريد - لابن عبد ربه.
٤. مراجعات نقدية حول الثقافة والفكر في اليمن : تأليف محمد بن محمد الشعبي.
٥. الخدائق الوردية - حميد المحلي .
٦. مساجد صنعاء - محمد بن احمد الحجري
٧. اليمن الجمهوري - عبد الله البردوني.
٨. الإسلام في اليمن - بقلم البرفسور ويلفرد مادونولنج في كتاب المسار عند مراجعة المقدمة التاريخية - سبب دخول الفكر الشيوعي إلى اليمن.
٩. تاريخ صنعاء - الرازي
١٠. مجلة الاكليل / العددان الثاني والثالث - ١٤٠٣هـ - ٢٩٨٣م.
١١. الإسلام في معركة الحضارة (تونس دار البراق للنشر ، الطبعة الأولى ١٩٩١) - منير شفيق
١٢. العقل السياسي العربي - محمد عابد الجابري
١٣. الأمة والجماعة والسلطة - رضوان السيد
١٤. معالم المنهج الإسلامي - محمد عماره.
١٥. في النظام السياسي للدولة الاسلامية - محمد سليم العوا (القاهرة : دار الشروق الطبعة الاولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩)
١٦. المنفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ، الجزء الرابع (بيروت : دار العلم للملايين ، الطبعة الأولى - جواد علي
١٧. تاريخ الجاهلية- عمر فروج ، (بيروت دار العلم للملايين الطبعة الثانية ، ١٩٨٤ .
١٨. تاريخ العرب- فيليب حقي (وأخرون) ، الجزء الأول (بيروت : دار الشاف للنشر والطباعة والتوزيع ، الطبعة الثانية ، ١٩٥٢م
١٩. حضارة العرب في عصر الجاهلية - حسين الحاج حسن - (بيروت المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى سنة ١٩٨٤ .
٢٠. التكوين التاريخي للأمة العربية - عبد العزيز الدوري.
٢١. القبيلة كمؤسسة سلطوية في المشرق العربي الحديث - مسعود ضاهر " مجلة الوحدة(المغرب) السنة الأولى ، العدد (١) أب / اغسطس ١٩٨٥ .
٢٢. الحياة الاجتماعية عند البدو في الوطن العربي- محمد زهير مششارقة ، (دمشق : دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ، الطبعة الأولى ١٩٨٨) .
٢٣. معتزلة اليمن - محمد بن زيد.
٢٤. روضة الحجوري - فضائل ومكارم.
٢٥. "سيرة الهادي"- علي بن محمد العلوي
٢٦. غاية الأمان - يحيى ابن الحسين ابن القاسم .
٢٧. الموسوعة الميسرة في الأدب والمذاهب المعاصرة
٢٨. قرّة العيون - لابن الديق .
٢٩. أخبار القرامطة في اليمن - السلوك من طبقات العلماء والملوك - بماء الدين الجندي .

٣٠. حارث الشوكاني - مقالة بجريدة الثورة ٢٠٠٥ م.
٣١. أئمة اليمن - زيارة.
٣٢. تاريخ بني رسول - مؤلف مجهول " تحقيق محمد الحبشي.
٣٣. المظاهر الحضارية في اليمن القرن الخامس - د. السروري
٣٤. مجلة المسار - العدد الثاني " المدارس الإسلامية في اليمن".
٣٥. ابن الأمير وعصره " حسين احمد السياغي و محمد بن علي الاكوع " و آخرون.
٣٦. الأدب اليمني في العصر العباسي - احمد محمد الشامي.
٣٧. روح الروح - عيسى بن لطف الله بن المطهر بن شرف الدين.
٣٨. سيرة القاسم - الجرهمزي
٣٩. بغية المرید - الجرهمزي
٤٠. البدر الطالع " ترجمة القاسم بن محمد " - محمد بن علي الشوكاني
٤١. الإمامة وخطرها على وحدة اليمن - أبو الأحرار محمد محمود الزبيدي .
٤٢. تاريخ اليمن فيما بعد المائة العاشرة - أبو طالب.
٤٣. نشر العرف - زيارة.
٤٤. نفحات العنبر..
٤٥. مائة عام من تاريخ اليمن الحديث - د. حسين العمري..
٤٦. كتاب الأحكام في الحلال والحرام " باب القول في صفة الإمام - الإمام الهادي يحيى بن الحسين.
٤٧. المقتطف - الجرائي .
٤٨. من كونهاجن إلى صنعاء.
٤٩. تاريخ المخلاف السليماني - العقيلي .
٥٠. المقدمة - ابن خلدون
٥١. التقصار - الشحني .
٥٢. الخوليات - المجهول
٥٣. تاريخ صحاف ..
٥٤. نيل الوطر من تراجم رجال اليمن في القرن الثالث عشر - محمد بن محمد زيارة .
٥٥. سيرة المهدي - صحاف.
٥٦. ذكريات الشوكاني - تحقيق د. صلاح رمضان محمود
٥٧. تاريخ الحركة القومية - عبد الرحمن الرافعي .
٥٨. البطريق : من تاريخ اليمن .
٥٩. الشوكاني فقهه وفكره - دكتور حسين العمري.
٦٠. اليمن والغرب - ماكرو
٦١. اللطائف السنينة في أخبار الممالك اليمينية - بدر الدين محمد بن إسماعيل الكبسي.
٦٢. ذكريات الشوكاني "رسائل للمؤرخ اليمني محمد بن علي الشوكاني" - تحقيق د. صلاح رمضان محمود .
٦٣. نظام المحسبة عند الزيدية - د. يحيى بن حسين النونو .
٦٤. مختصر من تاريخ اليمن - عبد الله احمد الثور
٦٥. طبائع الاستبداد - عبد الرحمن الكواكبي .

الفهرس


الصفحة	المحتويات
	الفصل الأول:-
٧	توصيف البحث من حيث منهجه وأهميته ومحتواه و مقدمة
٩	- مشكلة البحث.....
٩	- أهمية البحث
١٠	- فروض البحث
١١	- منهج الدراسة
١١	- مصادر جمع المعلومات
١١	- أساليب تحليل البيانات
١١	- حدود البحث
١٢	- الإطار الموضوعي للبحث
١٢	- تقسيم الدراسة
١٥	- المقدمة
	الفصل الثاني
١٩	نظرية الإمامة عند الهاديون
	المبحث الأول :-
٢٣	- أهمية نظرية الإمامة
	المبحث الثاني :-
٢٦	- ركائز الإمامة عند الهاديوية
	الفصل الثالث
٤١	- العوامل التي ساعدت على انتشار الهاديوية في اليمن
٤٣	- صراع العلويين على السلطة (الخلافة)
٤٤	- الحزب المتأصل في الإنسان اليمني للدين والتدين
٤٥	- تشيع اليمنيين في الإمام علي كرم الله وجهه
٤٦	- ظلم وجور أغلب ولاة الأمويين والعباسيين
٤٧	- شعور اليمنيين بالمعاناة والجور لاستنثار القرشيين بالحكم والقيادة

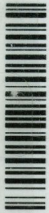
٤٧	- حرمان اليمن من التطور الفكري والثقافي
٤٨	- تشجيع الأبناء ومناصرتهم للعلويين
٤٩	- بعد اليمن عن مركز الخلافة
٤٩	- التقلبات المناخية
٤٩	- الصراع القبلي
٥٠	- وعورة التضاريس في اليمن
٥١	- عدم نشوء أي مدن جديدة باليمن
٥١	- تنمية الفكر الهادي للصراع القبلي
٥٥	- دور القبيلة في الإسلام
٥٨	- تعريف القبيلة
٥٨	- تركيب المجتمع القبلي
		الفصل الرابع :
٦٣	عهد الهادي وبداية التأسيس
		المبحث الأول :-
٦٥	الهادي يحيى بن الحسين ٢٤٥-٢٩٨هـ
		المبحث الثاني:-
٨٣	صراع الهاديوية والإسماعيلية
		الفصل الخامس
٩٧	صراع الهاديون على الإمامة "أبناء الهادي والقادمون إلى اليمن" (ق ٤ - ق ٩هـ).....
		المبحث الأول :-
٩٩	صراع أبناء و أحفاد الهادي على الإمامة
		المبحث الثاني :-
١٠١	صراع أدعياء الإمامة القادمين من العراق وفارس
		المبحث الثالث :-
١٠٥	حروب أدعياء الإمامة مع الصليحيين
		المبحث الرابع :-
١١٠	استعانة الهاديون بالأيوبيين على اليمانيين

المبحث الخامس :-

- ١١٤ صراع أدعياء الإمامة الهاديون مع الرسولين
الفصل السادس
- ١٢٣ حروب وفتن الهاديون ق ٩ - ق ١١
المبحث الأول:-
- ١٢٥ استعانة الهاديون بالماليك على الطاهريين
المبحث الثاني :-
- ١٣٤ حروب وفتن أدعياء الإمامة أثناء الحكم العثماني الأول ٩٤٥هـ - ١٠٥٤هـ
المبحث الثالث :-
- ١٣٩ صراع القاسميون بعد خروج العثمانيين
الفصل السابع
- ١٤٧ حروب وفتن الهاديون فيما بينهم ق ١١ - ق ١٢
المبحث الأول :-
- ١٤٩ حروب أدعياء الإمامة "من زمن صاحب المواهب إلى زمن المنصور حسين
المبحث الثاني:
- ١٦١ حروب أدعياء الإمامة "١١٦١هـ المهدي عباس إلى ١٢٢٤هـ وفاة المنصور علي
المبحث الثالث :-
- ١٨٣ حروب أدعياء الإمامة "١٢٢٤هـ المتوكل احمد إلى ١٢٥١هـ وفاة المهدي عبد الله ...
الفصل الثامن
- ٢٠٩ حروب وفتن الهاديون "بيع تميز للمصريين و سقوط عدن في يد الإنجليز ق ١٢- ق ١٣ هـ
المبحث الأول:-
- ٢١١ بيع القاسم بن المنصور لتمز واحتلال الإنجليز لعدن
المبحث الثاني :-
- ٢٢٧ ثورة الفقيه العنسي
المبحث الثالث :-
- ٢٣٩ ثورة أهل صنعاء على أئمة القرى والحارات
المبحث الرابع :-

	المبحث الرابع
٢٤٩	دخول العثمانيين سنة ١٢٦٥هـ
	الفصل التاسع
٢٦٣	حروب وفتن الهاديون الحكم العثماني الثاني ١٢٨٩هـ - ١٣٣٦هـ (ق ١٣ - ق ١٤ هـ)
	المبحث الأول :-
٢٦٥	استقبال الأئمة للعثمانيين
	المبحث الثاني :-
٢٦٩	الولاية العثمانية و ادعاء الإمامة
	المبحث الثالث :-
٢٨٣	الإمام يحيى حميد الدين
	الفصل العاشر
٢٩٣	الأئمة الهاديون بعد الانسحاب العثماني
	المبحث الأول:
٢٩٥	أساليب الإمام يحيى ووسائله
	المبحث الثاني :-
٣٠٢	الإمام يحيى / شديد على البعتين رحيم على الغزاة
	المبحث الثالث :-
٣٠٧	بداية الثورة السياسية والفكرية
	المبحث الرابع
٣٢٢	ثورة ٢٦ سبتمبر
٣٢٧	الخاتمة
٣٣٥	ثبت المصادر والمراجع
٣٣٧	الفهرس

 Bibliotheca Alexandrina



1167312